

نزهة الألباب

الجامعة لفنون الآداب

الجزء الثاني

تأليف

عزيز الدين ابن الكميلي

من أهل القرن التاسع للهجرة

تبويب

عبد الله الأدكاوي الشهير بالمؤذن المصري

1184هـ

تقديم وتحقيق

عبد القادر سعود



نزهة الألباب

الجامعة لفنون الآداب

تأليف

عزيز الدين ابن الكميلي

من أهل القرن التاسع للهجرة

تبويب

عبد الله الأدكاوي الشهير بالمؤذن المصري

1184 هـ

تقديم وتحقيق

عبد القادر سعود

الجزء الثاني



مركز العمودي للترجمة
ونشر التراث المخطوط



كتاب : نزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب

التصنيف : أدب

التأليف : عزيز الدين ابن الكميلي

التبويب : عبد الله الأدكاوي الشهير بالمؤذن المصري

التحقيق : الدكتور عبد القادر سعود

المراجعة : اللجنة العلمية التابعة للمركز

الطباعة : طبع في مطابع دار الكتب العلمية - بيروت

الإخراج الفني : يونس عبدوس

عدد المجلدات : 2

قياس الصفحات : 17x24 cm

سنة الطباعة : 2012م - 1433هـ

بلد الطباعة : لبنان

الطبعة : الأولى



مركز "العمودي لترجمة ونشر التراث المخطوط" مركز متخصص في التراث العربي المخطوط، تم تأسيسه بالمملكة المغربية سنة 1432هـ/ 2011م، يدير شؤونه مجلس إداري يتكون من السادة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الحادي والعشرون

في أخبار بعض المجانين
ومن في معناهم من البله والمغفلين[1]

حكى الأصمعي قال: رأيت[2] شيخا يطوف بالبيت وعليه أطمار بالية وهو يقول في طوافه هذا الشعر[3]:

[الطويل]

ألا تستحي يا خالق الخلق أنني ... أناجيك عريانا وأنت كريم
وترزق أبناء الخنازير كلها ... وتترك شيخا من سراة تميم[4]

قال: فقلت: يا شيخ! ما هذا الكلام الذي تناجي به ربك سبحانه وتعالى؟ فقال: إليك عني إني أعلم به منك، ثم غاب عني قليلا، فإذا به قد أقبل وعليه ثياب خز يسحبها فقال لي: ألم أقل لك إني أعلم به منك؟ قد قبضت منه هذه الحلة. قوله: ألا تستحي ألا تقتنع وقد جاء في قوله تعالى: ﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا﴾ الآية[5] وقوله: ﴿والله لا يستحي من الحق﴾[6]، الآية، أي لا يقتنع.

---

(1) في ج: باسم.الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه النصف الثاني من نزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب.

(2) ب: رأينا.

(3) ج: وهويقول.

(4) البيتان وردا في محاضرات الأدباء 1: 596 مع اختلاف الرواية والبيت الأول منهما مكسور.

(5) البقرة: 26.

(6) الأحزاب: 53.

حُكي أن الحجاج أخذ لصا من الأعراب فضربه سبعمائة سوط، وهو يقول عند كل سوط: شكرا يا رب فقيل له: ما منع الأمير من طلاقك إلا شكرك، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾[1]. فأنشأ الأعرابي يقول:

[الرجز]

يا رب لا شكر فلا تزدني أسأت في شكرك فاعف عني[2]

حُكي أن بعض المجانين مر على قبر سارق فقال: رحمك الله، لقد كنت أسود الجلباب، حاد السكين، إن نقبت فجرذان، وإن تسلقت فسنور، وإن استلبت فحداة، وإن ضربت فأرض، وأراك اليوم قد وقعت في زاوية سوء، ولكن ليس [373/ج] كل حبس/ تحبس فيه تخلص منه، ولكن هذا الحبس إلى يوم التنادي على أموال العباد.

حُكي أن الجاحظ قال: مررت بمعلم مسن الهيئة فجعلت أردد فيه نظري ففهم مني ذلك وأنشدني:

ما كان تحت الخافقين أقل عقلا من معلم

[252/أ] لكن حسبنا في الصناعة عن قريب رب سلم[3]/

فقال الجاحظ: وكأنما ألقم فمي حجرا فانصرفت وتركته[4]. ومن أمثالهم «أحمق من معلم ومن راعي ضأن»[5]. قال أبو الطيب:

---

(1) إبراهيم: 7.

(2) البيت ورد في العقد الفريد 4/ 69. وفيه وردت الحكاية في الجزء والصفحة نفسيهما مع شيء من التصرف في الرواية.

(3) البيتان غير موزونين وقد تركتهما على الرسم الذي وردا به في المخطوطة. وقد وردا في غرر الخصائص: 118.

(4) أ: وتركتهم.

(5) المثل ورد في البيان والتبيين 1/ 248، وغرر الخصائص 175

[السريع]

يموت راعي الضأن في جهله ميتة[1] جاليونس[2] في طبه[3]/ [281/هـ]

حُكي أن جعيفران[4] كان ظريفا ومن الظرفاء المجانين، وقف يوما على علي بن إسحاق الهاشمي فقال له: أعطني درهما، فطرده الغلمان فولى وهو يقول:

[السريع]

قد زعم الناس ولم يكذبوا أنك من غير بني هاشم

فقال لغلمانه: ردوه وأعطوه درهمين فأخذهما وأنشأ يقول:

[السريع]

قد كذب الله أحاديثهم يا هاشمي الأصل من آدم

قال الجاحظ: كان جعيفران يماشي رجلا فدفعه الرجل على كلب، فقال جعيفران: ما هذا؟ فقال: أردت أن أقرنك بهم. فقال: فإنه معي منذ الغداة[5].

حُكي/ أن البهلول[6] سئل عن مسألة في الفرائض وهي: أن رجلا مات [313/ب] وخلف أمًّا وبنتا وزوجة ولم يترك من المال شيئا. فقال: للبنت اليتم. وللأم الثكل. وللزوجة خراب البيت. وما بقي من الهم والحزن فللعصبة. قال: وحمل عليه الصبيان يوما فألجأوه إلى باب دار مفتوح فدخلها وأغلق عليه الباب فوجد جماعة

(1) أ: موتة.

(2) أ: جالينون.

(3) البيت من ديوان المتنبي: 574 والحكاية وردت في غرر الخصائص: 119.

(4) هو جعيفران بن علي بن أصفر بن السري بن عبد الرحمان، ولد ونشأ ببغداد. انظر العقد 18 3 / 7 والأغاني 20/ 202 وخزانة البغدادي 3/ 154.

(5) أخبار جعيفران أوردها الجاحظ في البيان والتبيين 22، 2/ 5.

(6) واسمه بهلول بن عمرو الصيرفي، من مجانين الكوفة، وكان يتشيع. انظر البيان والتبيين 2/ 230. والعقد 16، 6 / 7.

بين أيديهم مائدة من أنواع الأطعمة، فقرأ قوله تعالى: ﴿فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾[1].

قال: وتبعه الصبيان يوما آخر فالتجأ[2] إلى دار لبعض الهاشميين فرأى فيها رجلا رئيسا، له ظفيرتان من الشعر فقال: ﴿يا ذا القرنين إن ياجوج وماجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا﴾[3] فخرج الرجل وحماه من الصبيان. والظفيرة في اللغة العربية تسمى قرنا[4].

حكى ابن حبيب[5] في كتاب «عقلاء المجانين» بسنده إلى إسحاق بن إبراهيم الإربلي قال: رأيت عودك المجنون يوما خارجا من الحمام والصبيان يؤذونه وهو يبكي، فقلت له: ما خبرك؟ فقال: آذاني هؤلاء الصبيان، أما يكفيني ما أنا فيه من العشق والجنون؟ فقلت له: ما أظنك مجنونا/ فقال: بلا والله وعاشق أيضا. فقلت له: هل قلت في عشقك شيئا من الشعر؟ قال: نعم. ثم أنشأ يقول: [374/ج]

[الطويل]

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو ... فهذا له حد، وذا ما له حد[6]

وقد سكنا تحت الحشا وتحالفا ... على مهجتي ألا يفارقها الجهد

وأي طبيب يستطيع بحكمة ... يعالج من دَاءينِ ما منهما بد[7]

---

(1) الحديد: 13.

(2) هـ: فألجأه.

(3) الكهف: 94.

(4) الحكاية وردت في غرر الخصائص: 124، ومصارع العشاق: 324، وفيه أن البهلول هو صاحب الحكاية.

(5) ابن حبيب النيسابوري، سبق ذكره.

(6) ب، ج، هـ: وهذا له حد.

(7) الأبيات وردت في عقلاء المجانين: 255، ومصارع العشاق: 324 وغرر الخصائص 1: 169.

قال الإربلي: فوليت عنه، فقال: قف واسمع ما أقول فإن شرح غرامي يطول وأنشأ يقول:

[الوافر]

جنون ليس يقطعه الحديد وحب لا يزول ولا يبيد
فجسمي بين ذاك وذا نحيل وقلبي بين ذا وذاك عميد[1]

قال: ثم قال لي انصرف عني يكفيك. فانصرفت عنه متعجبا منه[2].

حُكي أن هارون الرشيد مر بدير في ظاهر الرقة[3] فلما أقبلت مواكبه أشرف أهل الدير ينظرون إليه وفيهم مجنون مسلسل، فلما رأى الرشيد قال له: قد قلت أبياتا فيك أفأنشدك إياها؟ قال: قل. فأنشده:

[مجزوء الكامل]

لحظات طرفك في العدا يغنيك عن سل السيوف
وسديد رأيك في النهى يكفيك عاقبة الصروف
[وسيول كفك الندى أبهى من البدر المنيف][4]

ثم قال: للرشيد: هات أربعة آلاف درهم أشتري بها كساء وتمرا، فقال الرشيد: ادفعوا له/ ما قال[5]: فحملت إلى أهله[6]. [282/هـ]

وحكى إدريس بن إبراهيم اللخمي قال:/ سمعني مجنون أنشد في يوم من [314/ب]

---

(1) انظر البيتين في المرجع نفسه.

(2) انظر عقلاء المجانين: 255-256.

(3) الرقة: سبقت الإشارة اليها.

(4) هذا البيت زيادة من: ب، ج، هـ والأبيات وردت في عقلاء المجانين: 303 وغرر الخصائص 170.

(5) ساقطة من:هـ.

(6) الحكاية وردت في المرجعين السابقين.

[253/أ] الأيام قول تميم:/

[الطويل]

أرى اليوم يوما قد تكاثف غيمه ... وأقتامه، فاليوم[1] لا شك ماطر[2]

فقال من غير روية، في الحال:

[الطويل]

وقد حجبت فيه السحائب شمسه ... كما حجبت شمس الخدود المحاجر[3]

قال: عجبت من سرعة بديهته ورقة شعره[4].

حُكي أن إبراهيم بن المدبر[5] مر بالأهواز وقد صرف عنها، فتعرض له ماني الموسوس[6] فأخذ بلجام بغلته ثم أنشده يقول:

[الرمل]

يا أبا إسحاق! سر مستودعا ... وامض محمودا فما منك خلف

إنما أنت سحاب ماطر ... حيثما صرفه الله انصرف

[375/ج] ليست الشعرى أي أرض أجدبت ... فسقوها بك من طول العجف/

نظر الرحمان بالنفع لهم ... وحرمناك من لذنب قد سلف

قال: فأمر له بستمائة درهم. ونظر إليه وهو يأكل تمرا ويبلع نواه فقال له: لم لا

---

(1) أ: في اليوم.

(2) انظر البيت في عقلاء المجانين: 304. وغرر الخصائص: 122.

(3) أ، ب، ج: المعاجر. والبيت ورد في عقلاء المجانين: 305. والمسطرف: 51 وفيه: ورد الخدود المحاجر.

(4) الحكاية وردت في المرجعين السابقين.

(5) إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدير أبو إسحاق الأديب الفاضل: الشاعر الجواد المترسل. انظر معجم الأدباء 1/ 226.

(6) سبق ذكره.

ترم نواه؟ فقال: هكذا وزن علي. قال: وسئل في كم يصير الإنسان مجنونا؟ فقال: بقدر عدد الصبيان[1].

حُكي أن[2] علي بن الجهم [مر][3] بمبرسم[4] والناس مجتمعون[5] حوله قال[6]: فلما رآهم المبرسم أنشأ يقول:

[مجزوء الكامل]

لا تحفلن بمعشر الـ ـهَمجِ الذين تراهم
فوحق من أبلى بهم نفسي ومن عافاهم
لو قيس موتاهم بهم كانوا هم موتاهم

قال: ثم نظر فرأى غلاما حسن الوجه جميل الثياب تهجم عليه وشق ثيابه وأنشأ يقول:

[مجزوء الكامل]

هذا السعيد لديهم قد صار بي أشقاهم[7]

حكي بعض الفضلاء قال: إذا كان رجل طويل القامة صغير الرأس طويل اللحية فاحكم عليه بالحمق، وإذا زادت اللحية عن قبضته كان ذلك نقصانا في عقله. وقال الشاعر:

---

(1) الحكاية وردت في غرر الخصائص: 170.

(2) أ: عن.

(3) زيادة من: ب، ج، هـ.

(4) المبرسم: يقال برسم الرجل فهو مبرسم، والبرسام علة تصيب الرجل فيسمى مبرسم. اللسان: برسم.

(5) ب، ج: قد تجمعوا.

(6) ساقطة من: ج.

(7) الحكاية وردت مع الأبيات في غرر الخصائص: 168.

[المتقارب]

إذا عرضت للفتى لحية　　وطالت فصارت إلى سرته
فنقصان عقل الفتى عندنا　　بمقدار ما زاد من لحيته[1]

حُكي أن أهل حمص[2] في غاية الحمق ومن كان من باب خالد[3] كان أكثر، ولذلك قيل فيمن تكاملت حماقته:

طويل وحمصي　　ومن باب خالد[4]

حُكي أن عيسى بن علي[5] وقيل: ابن صالح كان من كبار المغفلين. قال بعض أصحابه: أتاني رسوله بالليل فتوهمت أن كتابا جاءه في مهم احتاج فيه إلى حضوري، فركبت إلى داره، فلما دخلتها سألت البواب: هل ورد كتاب من الخليفة، أوحدث أمر؟ قال: لا. فصرت إلى الموضع الذي هو فيه فقال: ادخل ليس عندي أحد، فدخلت فوجدته على فراشه فقال لي: اعلم أني سهرت الليلة مفكرا في أمري إلى ساعتي هذه، فقلت: وما الأمر أصلح الله الأمير؟ فقال: تمنيت أن يصيرني الله حورية في الجنة ويجعل زوجي يوسف الصديق فطال في ذلك/ [315/ب] فكري، فقلت: فهلا تمنيت محمدا ﷺ أن يكون زوجك فإنه سيد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟ فقال: لا تظن أني لم أفكر في ذلك ولكني كرهت أن أغيظ عائشة رضي الله عنها فإن عندها غيرة[6].

(1) الحكاية وردت في أخبار الحمقى والمغفلين: 21.

(2) حمص: بلد قديم كبير مسور وفي طرفه القبلي قلعة حصينة وهي بين دمشق وحلب. انظر معجم البلدان: حمص.

(3) باب خالد: لم أقف عليه.

(4) لم أقف عليه.

(5) سبق ذكره.

(6) الحكاية وردت في أخبار الحمقى والمغفلين: 98 وثمرات الأوراق 1: 168 مع اختلاف بين الروايات.

حكى صاحب «طارد الهموم»[1] قال: خلع المتوكل على مجنون و[هو البهلول][2] ثوب وشي فلبسه ومر بدار حمدونة المغنية/[3] وكانت من الحسان، [283/هـ] فقالت لجارتيها: أدخليه لعلي أخدعه على/ الثوب. فلما دخل قالت له: أتشتهي [376/ج] الطعام؟ قال: نعم. فأكل، ثم قالت: أتشتهي سماع صوتي؟ قال: نعم، فأسمعته. ثم قالت له: أظنك تخلع علي الثوب الذي عليك فقال[4] لها: أو تريدنه؟ قالت نعم. قال: بعد العمل، فأجابته. فقال: إن ظهري به وجع فاصعدي علي. ففعلت. فقضى مراده فنزلت وطلبته[5]/ منه، فقال: بما تأخذينه وأنت الفاعلة؟ فقالت: [254/أ] كيف الخلاص؟ فقال: أن أعمل أنا من فوق. فعملت، فطلبت الثوب، فقال: أنت عملت وأنا عملت فرحنا الآن سواء فبم تأخذينه؟ فقالت: كيف الحال؟ فقال: أعمل أنا واحدا مستقلا فقالت:افعل ففعل الثالث ودفع الثوب وخرج إلى باب الدار فطلب ماء، فأخرجت له كوزا فشرب وألقاه فانكسر فجعل يبكي، فجاء صاحب الدار فقال له: مالك؟ فقال: خلع علي الخليفة خلعة فاستسقيت من هنا ماء فانكسر الكوز فأخذت الثوب ربة الدار بدلا. فقال صاحب الدار: اخرجي له ثوبه. فقالت له حمدونة: أهكذا كان الحديث؟ أنت مجنون، فقال حكيته بجنوني فاحكه أنت بعقلك، فأفحمت منه ودفعت الثوب إليه رغما منها[6].

حكى المؤلف قال: أخبرني الشيخ الصالح بدر الدين أبوعلي العراقي الواعظ في سنة اثنين وثمانين وثمانمائة بالمدرسة الفضيلية بالمنصورة أن ثلاثة نفر من فقهاء

---

(1) ذكره إسماعيل باشا في إيضاح المكنون ولم ينسبه لصاحبه، انظر ج 2/ع 76. وقد سبق ذكره

(2) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(3) بداية الخرم في هـ. وسأشير إلى نهايته عند انتهائه. وحمدونة: مغنية أندلسية متقدمة اشتهرت بصناعة الغناء وأخذ المغنون عنها. انظر أعلام النساء 1/ 294.

(4) أ: ثم قال لها.

(5) أ: وطلبت.

(6) الحكاية. وردت في الأذكيا: 106 مع اختلاف بين الروايتين.

المكاتب كانوا جلوسا في جسر بغداد فمر بهم زورق فيه رجل من التجار فسلم عليهم. قال: فزعم كل واحد منهم أنه المقصود بالسلام فأدى ذلك إلى خصامهم، واتفق الحال على المسير خلفه يسألونه على من سلم، فاكتروا مراكبا وطلبوه إلى الليل فدخل التاجر بعض الجزائر عند سكون الريح ليبيت فيها فأدركوه وسألوه على من سلم، وكان التاجر من الظرفاء اللطفاء، كريم الأخلاق. فقال لهم: أنتم الليلة عندي، فإذا كان من الغد أخبرتكم، ثم أحضر لهم طعاما فأكلوا، فلما فرغوا أخذوا في المنادمة، فقال التاجر: ليحك كل واحد منكم أعجب ما وقع له، فقال الأول: إني فقيه كُتَّاب وآخذ الأطفال بالأدب وأحثهم عليه فضربتهم[1] في بعض الأيام فذهب بعض الصبيان إلى باب المكتب فسده[2] وطلاه بالنورة[3] بحيث استوى بابه [بالجدار فجئت][4] يوم السبت فلم أجد المكتب والصبيان وقوفا فسألتهم[5] عنه فقال أكبرهم: يا سيدي! الكُتَّاب غضبان عليك لكونك تضربنا فيه، وقد رحل إلى حال سبيله فخرجت أطلبه فرأيت رجلا فقلت له: هل رأيت كُتَّابنا؟ فقال لي: هو أمامك فسرت فسألت آخر فقال لي مثل الأول، إلى أن [377/ج] خرجت من البلد وصرت كل من سألته عنه يقول لي: أمامك إلى أن جاء الليل/ ووصلت إلى قرية فسألت عنه رجلا شيخا وأوضحت له القصة فقال: هوعندي [316/ب] امضي معي الليلة فدخل في داره/ فسمعته يقول لزوجته: أحلبي لي فلم يكن إلا قليلا حتى أخرج إناء به لبن فأكلت منه وندمت إذ مضت أيامي ولم أحلب مثله. فلما أصبحنا سألته في الكُتَّاب. فقال لي: يقول لك أستحي منك، وإذا رجع يجدني مكاني فرجعت إلى البلد واشتريت إناء لأحلب فيه وذهبت إلى الكتاب فكشفت

---

(1) أ، ج: فصرفتهم.

(2) ساقطة من: ج.

(3) النورة: الهناء: وهو ضرب من القطران تطلى به الإبل. اللسان: نور، هنأ.

(4) ما بين معقوفين ساقط من: ب.

(5) أ، ج: فسألت عنه منهم.

عن وجهه وقلت لزوجتي أحلبيني فحلبتني فلم أحلب. وفي العزم العود إلى الرجل ليعلمني ذلك.

وقال الثاني: وأنا أيضا فقيه كُتَّاب وكنت أعلم الأطفال إذا عطس أحدهم أن يبسطوا أيديهم ثم يقولوا جملة يرحمك الله، فبينما أنا في بعض الأيام إذ جاءني بعض الصبيان وقال: يا سيدي! في بئر الكتاب أطفال يقرأون مثلنا، فذهبت إلى البئر فنظرت فيه فرأيت الصبيان في البئر ومعلمهم، فغضبت من ذلك إذ زاحمني في كُتَّابي فشتمته فشتمني فأوميت أن أضربه فأراد أن يضربني وجعل كلما فعلت شيئا قابلني بمثله فتعلقت في رشاء البئر ونزلت إليه وقلت للصبيان: خذوا بطرفه وأنزلوني قليلا قليلا، فبينما أنا كذلك إذ عطست فحمدت الله تعالى فأطلق الصبيان الحبل وبسطوا أيديهم وقالوا جملة: يرحمك الله، فسقطت في البئر إلى قراره، فلم أجد الفقيه ولا الصبيان وما علمت أين ذهبوا.

وقال الثالث: وأنا أيضا فقيه/ كُتَّاب ولي زوجة بذية[1] اللسان وكنت أخافها [284/هـ] وكان/ عندها دجاج تأخذ بيضه وترفده عندها، ولا تمكن أحدا من أن يأخذ منه [255/أ] [شيئا][2] فخرجت يوما لبعض شأنها فأخذت بيضتين[3] لآكلهما فبينما أنا عند الباب فإذا هي داخلة فخفت منها وأدخلتهما[4] في شدقي فرأتهما قد نتأتا[5] فقالت: مالك؟ فتلجلجت وسقطت إلى الأرض فطلبت زوجتي جراحيا لتنظر في شأني، فحضر فقال: غدتان يحتاج إلى إخراجهما والشق عليهما. فقالت له الزوجة: افعل. فأخذ الموسى وشق عنهما واستخرجهما. فقال التاجر: وأنت ساكن وما تكلمت؟

(1) بذية اللسان: أي قبيحة اللسان: تقول الكلام الفاحش. اللسان: بذا.

(2) زيادة من: ب، ج.

(3) أ: بيضاتان.

(4) ب، وأدخلتها.

(5) ساقطة من: أ، ب.

قال: نعم. فقال: السلام عليك.

حُكي عن أشعب الطماع[1] قال: ما رأيت عروسا تزف إلا توهمت أنها تزف إلي وهيأت منزلي لدخولها علي، ولا رأيت جنازة إلا قلت: إن صاحبها أوصى لي بشيء، ولا رأيت إثنان يتناجيان إلا قلت: يأمرا لي بمعروف، ووقفت أنتظره. قال: وكان الصبيان يوما يولعون بي فقلت لهم كي أبعدهم عني: في دار فلان زبيبا يفرقه، فذهبوا يسرعون إليه فلما/ ذهبوا عني توهمت أني صادق فتبعتهم. [378/ج] وقيل له: هل رأيت أطمع منك؟ قال: نعم. نزلت بطريق الشام مع رفيق لي تحت صومعة راهب فاتفق أننا تنازعنا في شيء فقلت: أير الراهب في إست الكاذب منا. وإذا بالراهب قد نزل من الصومعة منعظا[2] وأيره في يده وهويقول: فديتكما مَنِ الكاذب فيكما؟ وقيل له أيضا مثل ذلك فقال: نعم، كلب بني فلان رآني أمضغ علكا فتبعني فرسخا، وشاة بني فلان كانت على السطح فرأت قوس قزح فظنته قبة قرط[3] فوثبت لأخذه فسقطت فماتت. وكان يقول: ما حسست بأحد يطبخ إلا غسلت القصعة وفرشت السفرة ووضعت الملعقة وانتظرته يحمل إلي قدره. وفي المثل: «أطمع من خياط أشعب»[4] وذلك أنه كان عليه قميص واحد في يوم شديد البرد قد بدت من القميص عورته كونه خلقا فدفعه إلى/ خياط كي يرقعه [317/ب] فرقعه ثم طواه وجعله تحته وهو يظن أنه ينساه وأشعب يرتعد بردا فقال الغلام للمعلم الخياط: ادفع للرجل قميصه ليلا يموت من البرد فانتهر الغلام وقال له

---

(1) هو أشعب الطامع بن جبير ويقال له ابن أم حميدة ويكنى أبا العلاء، ظريف من أهل المدينة توفي حوالي 154 هـ. انظر تاريخ بغداد 7/ 37 وميزان الاعتدال. 1 :120.

(2) نعظ الذكر ينعظ نعظا ونعوظا: قام وانتشر، وأنعظت المرأة: شبقت واشتهت أن تجامع. اللسان: نعظ.

(3) القرط: الذي تعلفه الدواب وهوشبيه بالرطبة. اللسان: قرط.

(4) في جميع الأمثال: أطمع من أشعب.

اسكت لعله ينساه[1].

حُكي عن ابن عتيق[2] قال في داره: أتمنى أن يهدي إلي أحد ألوانا من الطعام فسمعته [يقول ذلك][3] جارة له فانتظرته إلى الليل ليحمل [إليها الطعام، فلما لم يحمل إليها شيء طرقت الباب وقالت: جئت[4] لتطعموني من طعامكم، فقام ابن[5] عتيق من فوره][6] وانتقل من داره وقال: أنا لا أقيم بين جيران يشمون رائحة الأماني[7].

(1) الحكاية وردت في مجمع الأمثال 1/ 439-440 وشرح المقامات 4: 2/ 4 وتاريخ بغداد:4 3 / 7 والوفيات 2/ 3 ،47 وجمع الجواهر: 205 وثمار القلوب 150.

(2) لعله الحسين بن عتيق التغلبي من أدباء الأندلس (ت 680هـ)، الأعلام 24 2/ 3.

(3) ما بين معقوفين ساقط هـ: ب.

(4) ساقطة من: ب.

(5) ب ج: ابن أبي عتيق.

(6) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج.

(7) الحكاية وردت في جمع الجواهر بتصرف 3/ 18، والضاحكون 231.

الباب الثاني والعشرون

في الفصاحة والبلاغة في الكلام

وبعض ما للبلغاء في ذلك الطراز من نثر أو[1] نظام

حُكي أن بعض البلغاء وصف عاملا وجورَه للمأمون فقال: يا أمير المومنين، ما ترك فضة إلا فضها، ولا ذهبا إلا ذهب به، ولا علقا[2] إلا علقه[3]، ولا ضيعة إلا أضاعها، ولا غلة إلا غلها، ولا عرضا إلا عرض له، ولا جليلا إلا أجلاه، ولا رقيقا إلا أرقه [قال][4]: فضحك المأمون منه وصرفه عن ناحيته.

حُكي أن بعض البلغاء سئل أيما أشرف، العرب أم العجم؟ فقال: العرب أحلا وأحلم، وأعلا وأعلم، وأقوى وأقوم، وأنكى وأنكر، وأذكى وأذكر[5]، وأعطى وأعطف، وأبلى وأبلغ، وأسمى وأسمع، وأشرى للفخار وأشرف، وأنفى للعار وأأنف[6].

وقال بعض الأعراب: نحن أمراء الكلام فينا نبتت عروقه، وعلينا تدلت/ [381/ج] غصونه فنحن نجني منه ما حلا وعذب، ونترك ما ملح وخبث.

---

(1) أ: ونظام.

(2) ج: علماء.

(3) العلق: بسكون اللام: المال الكريم وعلقه: أكله. اللسان: علق.

(4) زيادة من: ج.

(5) ما بين معقوفين ساقط من: ب.

(6) الحكاية وردت في غرر الخصائص: 145.

قال: وسأل كسرى أنو شروان الحرث بن كلدة[1] ما الذي يحمد من أخلاق العرب ويحفظ من مذاهبهم؟ فقال: لهم أنفُس سخية، وقلوب جرية، وعقول صحيحة، وألسُن فصيحة، يمرق الكلام من أفواههم مروق السهم، أعذب من الماء، وأرق من الهواء، يطعمون الطعام، ويضربون الهام، عزهم لا يرام، وجارهم [285/هـ] لا يضام، ولا يروع إذا نام[2].

حُكي عن عبد العزيز بن زرارة[3] الكلابي أنه أقام بباب معاوية سنة لا يؤذن له، فلما كان بعد سنة أذن له في الدخول عليه إذنا عاما فدخل مع من دخل، فلما [256/أ] وقف بين يديه قال له: إني صحبتك/ على الرجاء وأقمت على بابك على التأهيل واحتملت جفوتك بالصبر، ورأيت قوما قربهم الحظ، وآخرين[4] أبعدهم الحرمان، فلا ينبغي لصاحب الحظ أن يأمن[5] ولا صاحب الحرمان أن ييأس. وسبيل المعرفة الاختبار فتأمل[6] واختبر. فقال له معاوية: إني لأرى[7] شاهدا يدل على غائب، أنفذوا إليه عهدا من هذه العهود فأخذه وخرج وهو يقول:

[الوافر]

دخلت على معاوية بن حرب ... على حين يئست من الدخول

(1) الحرث بن كلدة الثقفي، طبيب العرب في عصره، واحد الحكماء المشهورين توفي حوالي 50هـ. رحل إلى بلاد الفرس فتعلم الطب وبقي أيام الرسول ﷺ، وأيام أبي بكر وعمر وعثمان...انظر ترجمته في عيون الأنباء في طبقات الأطباء:.161

(2) القول ورد في طبقات الأطباء: 162.

(3) عبد العزيز بن زرارة الكلابي، قائد الجيش أيام معاوية، وقد حضر غزوة القسطنطينية وكان من الشجعان، حيث قاتل الروم وبلغ منهم مبلغه إلى أن شجره بعضهم برمحه فمات شهيدا. انظر الكامل لابن الأثير 3/ 459. وذكره الجاحظ في البيان والتبيين 2/ 75.

(4) ب: آخرون.

(5) أ: يأمر.

(6) أ: فابد. ج: فابل.

(7) ج: لا أرى.

وأغضيت الجفون على قذاها ... ولم أسمع إلى قال وقيل
ولو أني عجلت سفهت رايا ... فلم أكُ بالعجول ولا الجهول[1]/ [318/ب]

حُكِيَ أنه خطب زياد بن أبيه[2] فقال: أيها الناس! لا يمنعكم سوء ما تسمعون عنا أن تنتفعوا بأحسن مما تسمعون منا، قال الشاعر:

[البسيط]

اعمل بقولي وإن قصرت في عملي ... ينفعك قولي ولا يضرك تقصيري

حُكي أنه خطب مصعب بن الزبير[3] رضي الله عنه لما قدم العراق واليا من قبل أخيه عبد الله بن الزبير[4]. فقال: بسم الله الرحمان الرحيم ﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين تتلوا عليك من نبإ موسى﴾، وأشار إلى الحجاز، يعني أخاه، ﴿وفرعون﴾، وأشار إلى الشام، يعني عبد الملك ﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إنه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾[5] وأشار نحو أجناد عبد الملك بن مروان ثم نزل[6].

حُكي أن الحجاج خطب فقال: إن الله قد كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء، ولا بقاء لمن[7] كتب عليه الفناء ولا فناء لمن[8] كتب عليه البقاء، ولا يغرنكم شاهد الدنيا بغائب الآخرة، واقهروا طول الأمل بقصر الأجل تفلحوا، والسلام.

(1) الأبيات وردت في سمط اللآلي 1: 474.
(2) سبق ذكره.
(3) سبق ذكره.
(4) سبق ذكره.
(5) القصص: 1.2.3.4.5 .
(6) الحكاية وردت في العقد 4/ 145 وجمهرة خطب العرب 2/ 171.
(7) ج: لما.
(8) ج: لما.

حُكي أن سليمان بن علي[1] خطب بالعراق لما قتل الأمويون فقال، وتلا قوله تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون. إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين﴾[2] وتلا قوله تعالى: ﴿إنه لقول فصل وما هو بالهزل﴾[3] الآية. الحمد لله الذي صدق عهده وأنجز وعده فبعدا للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبة غرضا والفيء إرثا ﴿وجعلوا القرآن عضين﴾[4] «لقد ﴿حاق بهم ما كانوا به يستهزءون﴾[5] فهل ترى غير ﴿بير معطلة وقصر مشيد﴾[6] ﴿ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾[7] أمهلوا والله حتى غيروا الكتاب والسنة واستكبروا ﴿وخاب كل جبار عنيد﴾[8] ﴿ثم أخذتهم فكيف كان نكير﴾[9] فـ ﴿هل تحس منهم من أحد أوتسمع لهم ركزا﴾.[10]

حُكي أن بعض الملوك حاصر بعض الحصون، فظهر عليه أهل الحصن حتى كادوا أن يظفروا به فقاتلهم قتالا شديدا حتى ظفر بهم، ثم التفت فلم يجد كاتبه ووجد طبيبه، فقال: اكتب لمن خلفنا بشارة بالفتح، وأخبرهم بما رأيت، وناوله رقعة فقال له: اكتب فيها ذلك وهولا يعرف ما يكتب لكونه لا يعرف صناعة الرسل، فكتب يقول: لقد أحاط بنا المخذول حتى صار كالدائرة بحيث لو وقع

(1) سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، أمير عباسي من الأجواد الممدوحين، انظر أخبار ولايته البصرة في تاريخ الطبري 9/ 170-172.

(2) الأنبياء: 105-106.

(3) الطارق: 13، 14.

(4) الحجر: 91.

(5) النحل: 34.

(6) الحج: 43.

(7) آل عمران: 182.

(8) ابراهيم: 15.

(9) الحج: 42.

(10) مريم: 99.

مبضع لوقع على عرق مشترك أو قيفال[1]، فلم يكن إلا كنبضة أونبضتين حتى لحق العدو بحران[2] عظيم وهلك بسعادتك يا معتدل المزاج، وهذه غاية البلاغة.

حكى المؤلف رحمه الله قال: رأيت في بعض المجامع أن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه كتب إلى معاوية رضي الله عنه يقول: أغرك عزك فصار قصارى ذلك، فاخش فاحش فعلك، تهدى بهذا والسلام.

قال[3]: وللحريري رحمه الله تعالى في ذلك:

[الخفيف]

زينت زينب[4] بقد يقد ... وتلاه ويلاه أنهد يهد/ [257/أ][319/ب]

جيدها جندها وطرف وظرف ... ناعس ناغش بحد يحد[5] [286/هـ]

قدرها قد زها وتاهت وباهت ... واعتدت واغتدت بخد يخد[6]

[فارقتني فأرقتني شطت ... وسطت ثم ثم وجد وجد][7]

فدنت فديت وحنت وحيت ... مغضبا مغضيا بود يود

حُكي لما قَتَل المنصورُ أبا مسلم الخرساني أنشده بعض الشعراء وهو بين يديه وقد درج في بساط يخاطب المقتول ويقول:

[السريع]

زعمت أن الدين لا ينقضي ... فاستوف بالكيل أبا مجرم/ [383/ج]

---

(1) القيفال: عرق في اليد يفصد، اللسان: قفل.

(2) حران: هو عقد الأطباء ما حدث للعليل دفعة في الأمراض الحادة. اللسان: بحر.

(3) ب: وقال الحريري.

(4) ج: زينب زينت.

(5) ناغش: لعله أراد به الانتغاش وهو الحركة الضعيفة. اللسان: نغش.

(6) يخد: أي يؤثر في من نظر إليه. اللسان: خدد.

(7) هذا البيت زيادة من: ب، ج.

بكأس كنت تسقى بها أمر في الحلق من العلقم[1]

قال: ثم خطب المنصور الناس يوم قتله فقال: أيها الناس! لا تخرجوا عن أنس الطاعة إلى وحشة المعصية، ولا تسروا[2] غش الأئمة فإنه من أسر غش إمامه أظهر الله سريرته على فلتات لسانه وسقطات أفعاله. أما إني لا أبخسكم حقوقكم ولا أبخس الدين حقه، إنه من نازعنا عروة هذا القميص، أوطأناه هذا الحسام، وإن أبا مسلم بايعنا وبايع لنا، إنه من أنكث بيعتنا فقد أباح دمه لنا، ثم نكث فحكمنا عليه لإنفسنا بحكمه على غيره لنا، ولم تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه ونزل عن المنبر[3].

حُكي أنه دخل عبد الملك بن صالح[4] على الرشيد فقال له الحاجب: إن الرشيد قد ولد له في هذه الليلة ولد وأصيب في ابن فهنئ وعزي. قال: فلما مثل بين يديه قال له: يا أمير المومنين! سرك الله فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجعل هذه بهذه ثوابا للصابرين، وجزاء للشاكرين[5].

حُكي أن المأمون حضر أملاكا لبعض أهله، فسأله من حضر أن يخطب له، فقال بديهة[6]: الحمد لله، المحمود الله، والمصطفى رسول الله، وخير ما عمل به

(1) العلقم: شجر الحنظل والقطعة منه علقمة، وقيل هو ثمر الحنظل. اللسان: علقم. والبيتان وردا في مروج الذهب 4/ 113 والوفيات 3/ 154. وغرر الخصائص: 400.

(2) ب: تصرو.

(3) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 143-144 وشيء منها في الوفيات 3/ 154. والغرر: 400.

(4) عبد الله بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، أبو عبد الرحمان، ولي بالمدينة والوصائف للرشيد، ثم ولي الشام والجزيرة للأمين وتوفي سنة 196هـ. كان أفصح الناس، ولم يكن في عصره مثله. انظر ترجمته في فوات الوفيات 2/ 398 والنجوم الزاهرة 2/ 90.

(5) الحكاية وردت في مروج الذهب 4:230.

(6) ج: بديها.

كتاب الله، قال الله[1] تعالى: ﴿وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾[2] ولو[3] لم تكن المناكحة مبرة وسنة متبعة إلا ما جعل الله تعالى فيها من تآلف البعيد وتقرب القريب، لسارع إليها[4] الموفق المنيب والعاقل اللبيب وفلان قد عرفتموه في نسب لم تجهلوه خطب إليكم فتاتكم فلانة، وبذل لها من الصداق كذا وكذا فاعترفوا له ولا تنكروا، وقولوا ما تحمدوا عليه وتؤجروا أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين[5].

حُكي أنه قدم وفد من الكوفة إلى بغداد، فوقفوا للمأمون فأعرضوهم عليه، فتقدم رجل مهم وقال: يدك، يا أمير المومنين! أحق بالتقبيل لعلوها في المكارم وبعدها عن المآثم فمن أرادك بسوء جعله الله حصد سيفك وطريد خوفك وذليل دولتك، فقال: نعم الخطيب خطيبهم، اقضوا حوائجهم[6].

حُكي عن ابن الجوزي، رحمه الله، روى عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنه قال لرجل يستخبره: هل كان كذا وكذا؟ فقال: لا، أطال الله بقاءك. فقال: لقد علمتم فلم تتعلموا هلا قلت: لا، وأطال الله بقاءك. وقد قيل عن/ الصاحب بن [320/ب] عباد[7] أنه لما سمع ذلك قال: الواو هنا أحسن من واوات الأصداغ على وجنات الملاح.

(1) ساقطة من: ب.
(2) النور: 32.
(3) أ: ولم لم.
(4) ج: إليه.
(5) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 303.
(6) الحكاية وردت في المرجع نفسه 4/ 304.
(7) سبق ذكره.

[384/ج] حُكي عن بعض أصحابنا قال: أتيت إلى امرأة/ أسألها عن عبد لها اسمه سعد، فقلت لها: سعد هنا؟ فقالت: العبد، لا. حذرا من التطير إذا قالت: لا، أي ليس هنا سعد.

قلت: وقد زيدت الواو في عمرو رفعا وجرا للفرق بينها وبين عمر بخلاف [287/هـ] حالة النصب فلا تزاد فيه لكون الألف فارقة بينهما لأنها تكتب في عَمْرُو لصرفه/ ولا تكتب في عُمَر لامتناع صرفه وعدم تنوينه، وقد نظم الشعراء في واو عمرو [258/أ] كثيرا، منهم أبو نواس، قال يهجو أشجع السلمي[1]./

[الخفيف]

قل لمن يدعي سليمى سفاها[2] لست منها ولا قلامة ظفر
إنما أنت من سليمى كواو ألحقت في الهجاء، ظلما، بعمرو[3]

وقال: أبو سعيد الرستمي[4] وقد رد ولم يجز وأجيز غيره وهو دونه في الشعر:

أفي الحق أن يعطى ثلاثون شاعرا ويحرم[5] منهم شاعر ماهر مثلي
كما سامحوا عمرا بواو مزيدة وضُويِق باسم الله في ألف الوصل[6]

و ما أحسن قول الشيخ شهاب الدين السلمي في ابن عم له يدعى بالسلمي أيضا:

---

(1) هو أشجع بن عمرو السلمي ويكنى أبا الوليد، نشأ باليمامة وبعد وفاة أبيه قدمت به أمه البصرة فاكتملت نشأته بها وعد من الفحول في قول الشعر. انظر ترجمته في خزانة البغدادي 1/ 143.

(2) أ: سهاما.

(3) أ، ب: لعمر. والبيتان وردا في ديوان أبي نواس: 545، وقد وردا في العقد الفريد 7/ 150. وقد سبق ذكرهما.

(4) أ: الرستمي. وهو محمد بن محمد بن علي أبو سعيد الرسمي، من أبناء أصبهان وأهل بيوتاتها يعتبر أبلغ شعراء عصره وأشعرهم، له مدائح كثيرة. انظر يتيمة الدهر 3/ 300. وقد أشار إليه ابن خلكان في الوفيات 1/ 228 و 4/ 441.

(5) ب: ويخدم.

(6) البيتان وردا في ثمار القلوب: 153، وزهر الآداب 3: 776، وثمرات الأوراق: 9.

[الخفيف]

أيها المنتمي لآل سليم ... كن كريما إن شئت أوكن خسيسا

ما عليهم عار إذا كنت منهم ... إن قارون كان من قوم موسى

ويروى أن ابن خفاجة[1] كان شيعيا يرى تفضيل علي على أبي بكر رضي الله عنهما، حيث قال:

[الوافر]

وقالوا: قد تغيرت الليالي ... وضيعت المنازل والحقوق

لعمرك ما استجد الدهر خلقا ... وما عدوانه إلا عتيق

أليس يرد عن فدك علي ... ويملك معظم الدنيا عتيق[2]

يعني أبا بكر الصديق، رضي الله عنه، واسمه عبد الله وقيل عتيق، وفضل أبي بكر رضي الله عنه على غيره من الصحابة لا يخفى إلا على أكمه لا يعرف القمر.

حكى ابن خلكان في تاريخه أن أبا عبد الله محمد بن[3] الأعرابي كان يزعم أن الأصمعي وأبا عبيدة لا يحسنان شيئا، وكان يقول: جائزا في كلام العرب أن يعاقب بين الضاد والظاء ولا يخطأ من يجعل هذا [موضع هذا][4] وينشد[5]:

---

(1) أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي، الشاعر، توفي سنة 533هـ انظر ترجمته في الذخيرة لابن بسام القسم الثالث المجلد الثاني: 541. والوفيات 1/ 56.

(2) فدك: قرية بناحية الحجاز فيها عين ونخل، ذكر علي أن النبي جعلها لفاطمة وولدها، انظر اللسان: فدك، والبيتان لم يردا في الديوان.

(3) هو أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي الكوفي صاحب اللغة. (150-231هـ)، انظر ترجمته في الوفيات 4/ 306.

(4) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(5) ب: وأنشد.

[الطويل]

إلى الله أشكو من خليل أوده ثلاث خصال كلها لي غائض[1]

ويقول: هذا سمعته بالضاد.[2]

حُكي أنه نقل من خط القاضي الفاضل[3]، أن نور الدين الشهيد[4] رحمه الله كتب إلى راشد الدين سنان[5] صاحب القلاع الإسماعلية كتابا يتهدده فيه، فشق ذلك على سنان فكتب إليه يقول:

[البسيط]

[385/ج] يا ذا الذي بقراع السيف هددني لا قام قائم جنبي حين تصرعه/

قام الحمام إلى البازي يهدده واستأسدت[6] لأسود الغاب أضبعه[7]

[321/ب] أضحى يسد فم الأفعى بأصبعه يكفيه ما قد تلاقي أصبعه[8]/

وقفنا عل تفصيله وجمله وعلمنا ما هددنا به من قوله وعمله، فيا لله العجب من ذبابة تطن في أذن فيل، بعوضة تعد في التماثيل، ولقد قالها قبلك قوم آخرون، فدمرنا عليهم أجمعين، وما كان لهم من ناصرين، أو للحق يدحضون، وللباطل ينصرون؟ ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾[9] وأما ما هددتني به من قولك

(1) البيت ورد في الوفيات 4/ 307.

(2) المرجع نفسه.

(3) سبق ذكره.

(4) سبق ذكره.

(5) راشد الدين أبو الحسن سنان بن سلمان، مقدم الإسماعلية وصاحب قلاع الشام (528-588هـ)، أصله من البصرة، قدم إلى الشام أيام نور الدين الشهيد. انظر ترجمته في الشذرات 4/ 294 النجوم الزاهرة 6/ 117.

(6) أ: واستدارت.

(7) ب: أضيعه.

(8) الأبيات وردت في الوفيات 5/ 186. والشذرات 4/ 294 - 295.

(9) الشعراء: 226.

قطع رأسي، وقلعك لقلاعي من الجبال الرواسي. فتلك أماني كاذبة، وخيالات غير صائبة. فإن الجواهر لا تزول بالأعراض، والأرواح لا تضمحل بالأمراض، وإذا عدنا إلى الظواهر المحسوسات، وعدلنا عن البواطن والمعقولات. فلنا إسوة برسول الله، ﷺ، في قوله: «ما أوذي نبي ما أوذيت». وقد علمت ما جرى على عشرته، وأهل بيته، وشيعته/ ، والحال ما حال، والأمر ما زال، والحمد لله إذ نحن [288/هـ] مظلومون لا ظالمون، والحمد لله إذ نحن مغصوبون لا غاصبون. ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾[1] وقد علمت ظاهر حالنا. وكيفية رجالنا. وما يتمنون من الفوت. ويتقربون به إلى حياض الموت. ﴿قل[2] فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾[3]. وفي الأمثال السائرة. «أو البط يهدد بالشط»[4]. فهيىء[5]/ [259/أ] للبلاء جلبابا وتدرع[6] للرزايا أثوابا، فإنك كالباحث عن[7] حتفه بظلفه[8]. والجادع مارن أنفه بكفه[9]، ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾[10].

حُكي عن المأمون أنه قال لعمروبن مسعدة[11]: اكتب كتابا لفلان بالوصية بحامله وبالغ في الاختصار وقال عمرو: فكتبت في الحال: كتابي واثق بمعونة من

(1) الإسراء: 81.

(2) أ: قال.

(3) الجمعة: 6.

(4) لم أقف على هذا المثل.

(5) أ: فليتها.

(6) أ: وتزرع.

(7) أ: على.

(8) المثل ورد في زهر الأكم 1 1/ 5 وكذا في موسوعة أمثال العرب 3/ 312.

(9) مارن الأنف: طرفه وقيل: المارن هوالأنف. اللسان: مرن.

(10) إبراهيم: 20. والحكاية وردت في الوفيات 5/ 185-187.

(11) هو عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول ، أبو الفضل، كان أحد كتاب المأمون. انظر ترجمته في تاريخ بغداد 12/ 203. الوفيات 3/ 475.

كتب له ولن يضيع بين الثقة والغيات حامله والسلام[1].

حُكي أن أحمد بن طولون[2] لما ظلم، استغاث الناس إلى السيدة نفيسة[3] رضي الله عنها من ظلمه فتوجهوا إليها فشكوه فقالت لهم: متى يركب؟ فقالوا: في غد. فكتبت رقعة ووقفت له في الطريق ونادته يا أحمد بن طولون! فلما رآها ترجل عن فرسه وأخذ الرقعة وقرأها فإذا فيها مكتوب: ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخولتم فعسفتم، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم، هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة، لا سيما من قلوب وجعتموها. وكبود جوعتموها، وأجساد أعريتموها. فمحال أن يموت المظلوم ويبقى/ الظالم: ﴿اعملوا ما شئتم، إنه بما تعملون بصير﴾[4]. تجبروا فإنا صابرون، وجوروا فإنا مستجيرون. واظلموا فإنا إلى ربنا متظلمون، ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾[5]. [386/ج]

حُكي أن خالد بن عبد الله[6] خطب على المنبر في مدينة واسط، فحمد الله وأثنى عليه[7]، ثم قال: أيها الناس سارعوا إلى المغانم بالمكارم. واشتروا الحمد بالجود. ولا تحصلوا[8] بالمطل ذما[9]. ولا تعتدوا بمعروف لم تعجلوه[10]. ومهما يكن[11]

(1) الحكاية وردت في الوفيات 3/ 475.

(2) سبق ذكره.

(3) السيدة نفيسة ابنة أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب. انظر ترجمتها في الوفيات 5/ 428. النجوم الزاهرة 2/ 185. الشذرات 2/ 21.

(4) فصلت: 39.

(5) الشعراء: 226. الحكاية وردت في مجاني الأدب 10 3/ 8 والكشكول 355.

(6) سبق ذكره.

(7) ساقطة من: ب.

(8) ب: ولا تحصوا.

(9) المطل: التسويف والمدافعة بالعدة. اللسان: مطل.

(10) ب: تجعلوه.

(11) أ: يكون.

لأحد منكم على أحد نعمة فلم يشكرها، فالله تعالى يشكرها، ويجزل له العطاء. واعلموا أن خير المال ما أكسب أجرا، وأورث ذكرا، ولو صور المعروف رجلا لرأيتموه حسنا جميلا يسر الناظرين، ولو صور البخل رجلا لرأيتموه مشوها تنفر منه القلوب، وتغضى دونه الأبصار. واعلموا أن حوائج الناس إليكم نعم من الله تعالى عليكم، فلا تكفروا النعم فتحول عنكم. واعلموا أن من جاد ساد، ومن بخل رذل. وأن أكرم الناس من أعطى من لا يرجوه. وأعظم الناس عفوا من عفا مع/ قدرته. وأوصل الناس من وصل من قطعه. ومن لم يطب حرثه، لم يزك نبته. [322/ب] والغروس على منابتها تنمو، وهي بأصولها تسمو، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين أجمعين، ثم نزل رحمه الله تعالى.

حكى المؤلف قال: وقفت على مرسل لإبراهيم بن هلال[1] الصابي الكاتب، فيه مكاتبته لسبكتكين[2] وهو الحاجب لبني بويه عند عصيانه لمواليه بني بويه، فأحببت إيرادها هنا لما رأيت فيها من البلاغة وهي: أما بعد: أطال الله تعالى، يا أخانا على الطاعة اللائقة بك، والهداية المشاكلة لفضلك، بقاءك. وأدام عزك وتأييدك وسلامتك ونعمتك وكفايتك وأمتعنا بك في عودك إلى المعهود منك، والانصراف عما نزغ الشيطان بك ولا أخلانا منك، ومن إجابة هذه الدعوة فيك. واعلم أن أولى ما اعتده العاقل وأتاه، وذهب إليه وتوخاه، أن يعرف الحق عل نفسه، فيؤديه كما يعرفه ويقتضيه، وأن يتحرى في مجاري كلمه، ويتوقى في مساعي قدمه، مما يوقع في الدين ويسخط رب العالمين، وإذا نزلت به نعمة قرنها بغاية

(1) هو إبراهيم بن هلال بن إبراهيم، أبو إسحاق الصابي الحرَّاني، صاحب الرسائل المشهورة، كاتب ديوان معز الدولة البويهي، المتوفى عام 384هـ انظر تاريخ الإسلام 8: 554.

(2) سبكتكين أبو منصور ناصر الدولة صاحب غزنة، توفي سنة 389 ه وترك ثلاثة أبناء هم: محمود وإسماعيل ونصر. وقد ظفر بالإمارة بعده محمود وامتدت سلطنته إلى نيسابور، وقد لقبه القادر بالله «بيمين الدولة وأمين الملة فاشتهر به. انظر ترجمته في الوفيات 5/ 175. البداية والنهاية 2/ 27. شذرات الذهب 3/ 220.

شكره وحمده وصانها عن غوائل إنكاره وجحده.

وكثيرا ما يغفل عن شكر النعمة فيكون كمن أطار طائرها لما وقع. ونفر [289/هـ] وحشيها لما أنس، فلم يلبث أن يتعرى من جلبابها وينسلخ من إهابها،/ ويتعوض [387/ج] عنها بالحسرة والغليل، والأسف الطويل، ونعوذ بالله تعالى من/ استمرار ذلك بك، ونسأله ألا تتمادى في ذلك، وأنت، أدام الله تعالى عزك، العاقل الذي جرب الدهر وعرف[1] خبره. وخيره وشره. وخرج عن حد الحداثة، وارتفع عن عذر[2] [260/أ] الغرارة. وتجلل بملابس الكهول [وتحلى بحلي/ أهل العقول][3] وقبيح بك أن تهفو هفوة الجزع[4] وقد قرحت، وأن تغلط غلط المغرور وقد مارست ودارست. وقد أجرى الله تعالى لك على أيدينا وبيد الأمير معز الدولة قبلنا أنعاما ونعما ما ندعي عليك منها شيئا إلا وأنت له مسلم ولسان حالك به متكلم. لأن ذلك السيد الماضي غفر الله تعالى له أعطاك ما لم تسم إليه همة وخولك ما لم تبلغه منك أمنية. وفضلك على ألوف كثيرة من عبيده وأوليائه وقروم[5] كثيرة من أدانيه وأقربائه، وإنما ظن بك الوفاء فأوفى بك عليهم في الرتبة، واستشعر فيك الحفاظ فجعلك لنا كالحفاظ، ولم يدر في خلده أن مثل إحسانه عليك يكفر، ومثل متجره فيك يخسر. وقد جذب بناصيتك من مطارح الأرقاء العبيد إلى مراتب الأحرار الصيد وكثر مالك ونشبك[6] وعظم خطرك وقدرك، وأبعد صيتك وذكرك، وانتهى الأمر بك من القدرة والثروة. ما أقدرك الآن على المخالفة والمكاشفة اللذين كنت بالعدل عنهما حقيقا. وباستعمال ضدهما خليقا. وإن تأملت أيدك الله صنيعنا بك وجدته

(1) عبارة ب: الذي عرف الدهر وجرب.

(2) أ: حذر.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: ب.

(4) ب: الجزع.

(5) لعله أراد بالقروم، كبار القوم من أقاربه. اللسان: قرم

(6) النشب: المال والعقار يقال فلان ذونشب وفلان لا نشب له. اللسان: نشب.

أحسن وأجمل، وأوفر وأجزل، لأنا ملكنا الأمور ودبرنا الجمهور وقدرنا على أن ننفع ونضر. نسوء ونسر، وننقص ونزيد، ونرتجع ونفيد. ولم نسلم[1] لك مالا ولم نغير لك حالا، ولم ننزع عنك عادة ولم نقطع لك مادة، ولم نخلع عنك لباس الكرامة، ولم نعدمك ظل السلامة، بل زدناك على ما كنت تحويه، وأعطيناك ما كنت ترومه وتبغيه، وكنت في أيامنا موفرا، مصونا موقرا، مرفوعا عنك الخدمة، مبسوط الحرمة، مسامحا بما تطلبه. مسوغا بما تقترحه. مشفعا فيما تسأله. مجابا إلى ما/ تلتمسه. نقرب من قربت. ونبعد من أبعدت. ونرضى بما رضيت. ونكره ما كرهت. [323/ب]

إقطاعاتك مقررة عليك، وموادك[2] منصبة إليك، لا[3] تعرف إلا الصبوح والغبوق[4] والتمتع بالمآرب والأوطار وأنت في العيوق[5]. وادخار الذخائر النفيسة البديعة. وابتناء الأبنية الرفيعة، المشيدة المنيعة[6] ونحن بين نوائب تلم بنا، وحوائج تبلغ منا، بين مال ينكسر على[7] ضمنائنا وزيادات تلزمنا لأوليائنا، ومؤن/ يعجز عنها الحال، وكلف تزيد على الاشتغال، وعدو يظهر لنا فنساوره، [388/ج] ووجه يتعلق علينا فنشخص إليه ونباشره، من حيث لا نفتد بك ولا نبتدينا بإسعاد أوإسعاف في شدة، ولا بمعونة عند ضغطة، ولا ترى لنا ما يرى الشريك لشريكه فضلا عن المولى لمليكه. ولا زلت تترقى في اطّراح الحقوق. واستعمال العقوق إلى أن صرت لا تحضر عندنا في مجلس، ولا تركب معنا في موكب

(1) أسلم إلى الشيء: إذا ألقاه في الهلكة. اللسان: سلم.

(2) أ: مدواك

(3) ب: ولا.

(4) الصبوح: شرب أول النهار. والغبوق: شرب آخر النهار. اللسان: غبق، صبح.

(5) العيوق: كوكب مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا. اللسان.

(6) ساقطة من: ب.

(7) ساقطة من: ب.

مؤنس، ولا تهنينا بعطية، ولا تعزينا عن رزية، وتدعي علينا مع ذلك أننا نطلب لك الغوائل، وننصب لك الحبائل، ونشره إلى احتواء مالك، ونطلع إلى حيازة حالك. لا بدلالة تقيمها، ولا عن حجة تدلي بها، إلا الإرادة منك أن يتناول الناس دعواك، ويتفاوضوا شكواك فيتقرر في قلوبهم أن لك رخصة في المركب الذي ارتكبته، وفسحة في الأمر الذي اقتحمته. وبالله لوكانت التهمة لنا منك واقعة بحقها، ومقررة لشاهدها في مستحقها، لكانت طاعتك إيانا، مظلوما مقهورا مرغوما، أزين بك من مخالفتنا، مقتصا منتصفا منا، فكيف وعلام الخفايا والغيوب، والمطلع على الضمائر والقلوب، يشهد عليك باستحالة ما نذكره، ولنا بصفاءنا ما نضمره، وإنا بريئون من كل ما قلت وزعمت، وظننت واتهمت، ولوكنا نريد بك سوءاً لكان مرامه علينا أسهل وأيسر، وطريقه أخصر وأقصر، ولانتهزنا فيك فرصا كثيرة/ منها يوم تشعث غلمانك[1] عليك/ وإحاطتهم بك [290/هـ][261/أ] وهربك منهم وحيدا وخروجك من بينهم فريدا، وقد علمتَ أنّا وفيناك فيهم كفيناك أمرهم، وأنفذنا إليك من حرسك وحماك وصانك وكلأك، وفعلنا في ذلك ضد فعلك في إفساد غلمانا علينا. وتربية الوحشة في قلوبهم بنا ومنها الفرصة عند حضور أبي دلف سهلان بن مسافر[2] أدام الله تعالى عزه، وقد كان يمكن الاستظهار به عليك لوأردناه وحاولناه[3]، ووالله ما هممنا في وقت من الأوقات كلها بقطع[4] لحبلك ولا بإضاعة لحقك بل كنا إلى الوقت الذي خرجت نحفظك حفظ السمع والبصر، ونعدك للتصاريف والغير. ولقد كنا نعجب من تلك الظنون التي تعترضك والجفاء الذي يبدومنك في ادعائك[5] الغدر علينا، ونسبة

---

(1) التشعث: التفرق والتنكث كما يتشعث رأس المسواك. اللسان: شعث.

(2) ذكره الثعالبي في يتيمة الدهر 3: 249، وياقوت في معجم الأدباؤ 4: 1902.

(3) ب: وحولناه.

(4) ساقطة من: ب.

(5) أ: ادعيائك.

المكر إلينا[1]، وفي/ معاداتك لنا في إقصاء من ندني وإدناء من نقصي من جماعة [389/ج] لا حاجة لنا إلى ذكرهم، هذا ونحن نختل منك الأمور التي إن أردنا استقصاء شرحها عظمت وجلت وطالت وأملت، إلا أنا نذكر لك البعض منها تنبيها لك إن كنت غفلت، وإذكاراً لك إن كنت نسيت. ألا ترى أنا شريناك بائعين/ بك كل [324/ب] وزير وظهير وكبير وصغير؟ وإنك وهمت من شيراز بن سرحاب[2] شيئا فلم تقم فيه بينة ولا وضحت عليه دلالة، وكان منا كالجلدة بين العين والأنف، فأبعدناه واتهمت العباس بن الحسين[3] أكفأ من كان لنا فصرفناه ونكبناه، واخترت محمد بن العباس[4] فقربناه وقلدناه وأفسدك العباس بن الخضر بن الحسين بن علية فانحرفت عنا وملت إليه، وأردت منا أن نصرف هذا ونعيد ذاك، فما راجعناك ولا خالفناك، ثم ظهر من العباس بن الحسين ما أظهر من العظائم، وارتكب ما ارتكب من الجرائم، التي كان ينبغي أن نأخذك بها ونرجع عليك بدركها، لضمانك عنه ما ضمنت، وتوسطك من أمره ما توسطت، فاحتملناها لما كنت بها راضيا. وأبيناها لما صرت لها كارها، كل ذلك طلبا لمرادك واحترازا من استحاشك ونفاذك، وقيض الله لنا الناصح أبا طاهر[5] أدام الله عزه ونصح بيننا وبينك وتهذيب ما يجمعنا وإياك في كل قول وفعل، واستقل بكل رعب وثقل، وأجهد نفسه في ما بيننا وبينك، فيما استقر في محل ولايته ولا سحب أذيال خلعه في أيامه وجمعه، حتى بلغت عنه المقالات فسمعتها، وحكيت لك فيها المقالات

---

(1) ب: علينا.

(2) ذكره الثعالبي في يتيمة الدهر 4: 16

(3) العباس بن الحسين الشيرازي، أبو الفضل، وزير. دخل بغداد مع معز الدولة البويهي توفي سنة 362هـ. انظر ترجمته في تجارب الأمم 6/ 313. وقائع سنة 362هـ. وما بعدها.

(4) محمد بن العباس الشيرازي: أبو الفرج، وزير من الكتاب، من أهل شيراز كان كاتبا لمعز الدولة البويهي. (ت 370هـ)،، انظر ترجمته في الأعلام 6/ 182.

(5) سليمان بن أبي سعيد، أبوطاهر، القرمطي الجنابي، ملك كثيرا من بلاد العراق والحجاز والشرق والشام إلى مصر وتوفي سنة 332هـ. انظر أخباره في الوفيات 2/ 148-150.

فقبلتها، واشمأزت[1] منه وانحرفت عنه، الضرر[2] عائد علينا فيما يأتيه ويتابعك فيه، لأنه أورثنا ندامة يتبعها ملامة، وعلق علينا بشناعة[3] وقلة وفاء، وظن الناس بنا الجفاء أن ذهبنا معك إلى أغراضك وانقيادنا إلى مرادك[4]، عن اختلال عزم وصريمة، وانتكاب رأي وعزيمة، وأن استمرارنا لتلك النكبات على أولئك الطبقات من سوء رعاية لمن نصح لنا، ونقصان وفاء لمن خدمنا. وما عسيت، غفر الله لنا ولك، أن تقول إذا تناولتك الألسن العاذلة. وتناقلت حديثك الأندية الحافلة؟ وقد توجهت بالحرب إلى فناء كبيرنا وسيديك وأخوينا ومواليك، أدام الله عزهم، فأزعجتهم وروعتهم وأغضبتهم وغربتهم في البلدان دون كل 'نسان، [390/ج] وأخربت دورهم التي فيها درجت، ومنها خرجت،/ وقلدت نفسك من أمرهم عارا لا يدحضه الاعتذار، ولا يعتبك فيه الليل والنهار، وها أنت أيدك الله مشرف على مسلك هوأوعر وخطة هي أنكر، بتصديك لمحاربتنا وانتصابك لمغالبتنا، وما معك جيش تقول: إنه ينصرك أوبالعزم يظاهرك، إلا غلماننا الذين هم بين حازم يوافقك ظاهرا وينافقك، إلى أن يجد لنفسه فرصة الانسلال عنك، وبين غمر يريد [262/أ] منك ما إن أعطيته صفرت يداك وإن منعته آثر عليك سواك،/ وأقلهم يضيف نفسه إليك إضافة الرقيق، وإن زدت عليه في الغدرة، ويصاحبك مصاحبة القرين وإن فقته في البسطة. وأنت ناصب نفسك بينهم نصب الذبال[5] الذي يستضاء به [291/هـ] وهو يحترق وينتفع به وهو ينمحي، إيثارا لك علينا وميلا/ إليك عنا، ولعلك تظن أن هرب الهاربين من غلماننا إليك وإكبابهم ومثابرتهم عليك إيثارا لك علينا وميلا إليك عنا، وليس ذلك كذلك، بل قلوبهم أميل وأنظر، وعيونهم نحونا أبصر،

(1) أ، ج: فاشمأزت.

(2) أ: والعدو.

(3) ب: سماعه.

(4) ب: مرامك.

(5) الذُبال: الفتيلة التي تسرج. اللسان: ذبل.

لأنهم غرائس أيدينا/ وأغذياء نعمتنا وعقائل أحوالنا وأشبال عريننا. نحنوا [325/ب] عليهم حنو الأمهات الرائمة. ويلوذون بنا لياذة السخال[1] الراضعة. ولولا ما كان بينهم وبين الديلم[2] من الأمور التي كنت أنت السبب فيها والملحم في تمكنها وتراميها لما زال عنهم ومنهم عنا ومنا زائل، ولا مال إليك مائل، وتلك الوحشة الآن مؤذنة بالزوال مسفرة عن الاتصال، ألم يبلغك ويبلغهم أن أكثر الديلم من عسكرنا أنكروا على الأول ما أتوه من منافرتهم و[خالفوه][3] في مجاهرتهم ومهاجرتهم ومغاضبتهم، وأن الجماعة تحالفوا لدينا باليمين الغموس[4] على زوال ما في النفوس، والعود إلى التصافي والاجتماع والتراضي، وأننا قد عفونا عن غلماننا الذين معك الآن، وبذلنا لمن جاءنا[5] بالأمان[6] أوعند الإمكان. عفا الله عما كان وإقرار حاله في ماله ومآله، ومتابعة الإحسان إليه والإنعام عليه، فلا يخاطرون معك بأنفسهم وأموالهم، ويخرجون من أجلك عن ديارهم وأطلالهم[7] وأركانهم، ويخرجون عن مروءاتهم بعصيان مواليهم، ويرهنون أديانهم بإسخاط بارئهم، ومن أضعف ممن اعتصمت به وأوهن مما عولت عليه. إن دعوت أدون طوائف العوام إلى الكون معك/ والذب عنك ورضيت لنفسك أميرا، ورضيتهم أن [391/ج] يكونوا لك جندا مأمورا، وحكمتهم في المهج والحرم وأطلقتهم إطلاقا، ومكنت من نفوسهم أنا معتقدون الإيقاع بهم، والاستباحة لأموالهم ودمائهم، فإن كانت هذه الإضافة التي أودعتها أسماعهم، وأشعرتها قلوبهم عن ظن ظننت فقد ذهبت

---

(1) السّخال: مفردها سَخْلة: وهو ولد الشاة من المعز والضأن. اللسان: سخل.

(2) الديلم ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد 3/ 295.

(3) أ، ج: وخالفوهم.

(4) اليمين الغموس: هي التي تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار وقيل هي اليمين الكاذبة التي تقتطع بها الحقوق، وقيل هي التي لا استثناء فيها. اللسان: غمس.

(5) أ: جاد.

(6) أ، ب: بالأمان.

(7) ساقطة من: ب.

فيه بعيدا. ألا تعلم أيدك الله أنهم مختلطون، بجماعة لا يحصيها العدد من مشايخ ديانين معنا، وصلحاء مستورين موالين لنا، وإن السوء لا يخلص إلى الواحد من هذه الأحداث الأعمار إلا بعد إتيانه على الكثير من أولئك الأخيار الأبرار، وإنه لا يعدل عندنا فائدة الانتقام من الظالم مضاضة الضرر للمظلوم. وإن كان ذلك على سبيل المكيدة لنا بإيحاش رعايانا منا والإستحاشة بهم علينا، إنها لمكيدة لا تضر، وحيلة لا تثمر، إذ كنا أشهدنا الله وملائكته وأنبياءه وأولياءه أنا قد غفرنا ومننا وحلمنا وكظمنا وأخذنا على الديلم بحضرتنا عهد الله وميثاقه بمثل ذلك. وأن الجماعة الجانية علينا من هذه الرعية في حل وسعة من كل ذنب وجريرة. ما وقفوا حيث انتهوا وانصرفوا عما أتوا. ولم نرض لهم بالصفح والغفران حتى أضفنا إليهم الفضل والإحسان، ورفعنا عنهم ما كان يؤخذ منهم لك ولنظرائك الأتراك من غرائب الغنم المجلوبة والأمتعة التي يحملها الحجيج صادرة وواردة إلى غير ذلك من أمور اعتقدنا إزالتها ونوائب نوينا حسمها وأبواب بر نسأل الله المعونة عليها وحسن الجزاء لنا بها.

ونعود معك إلى ذكر الحرب التي أنت مجتهد في أن تشب بيننا نارها ويطير شرارها. فيا ليت شعري! بأي قدم توافقنا وراياتنا خافقة على رأسك؟ ومماليكنا عن يمينك وشمالك، وخيولنا موسومة بأسمائنا تحتك، وثيابنا عليك وفي بدنك[1]، وسلاحنا الذي أعددناه لأعدائنا عليك، ولولم يكف بيننا فرق غير هذا لكان كافيا لنا في الاستظهار عليك. فكيف وها هنا فروق كثيرة ومقاييس بعيدة؟ منها أن غلماننا الذين معك/ يلقوننا بهيبة الأبناء لآبائهم والمماليك/ لملاكهم[2] وأننا نلقاهم [263/أ][326/ب] عن ثقة بأن الله تعالى يردهم علينا رد الضالة على ناشدها ويوصلهم إلينا إيصال

(1) أ: بدك.

(2) ب: لمالكهم.

الظلامة[1] إلى مستحقها، ومنها أنا[2] أهل بيت عودنا الله تعالى أن ينصرنا على كل باغ، ويمكننا من ناصية كل طاغ مد، جل اسمه، في عمر/ دولة لنا، لا يمكن [392/ج] للمخلوقين جميعا أن يقربوا لها أجلا قبل أوانه، ولايطرقوا لهاحالا فيغير إبانه، ولا يضرنا، مع تفضل الله تعالى الذي نعول عليه والتالف الذي نرجع إليه، كيد الكائدين ولا حسد الحاسدين، وهذه العساكر التي معنا وأنت تعرفها/ متحاشدة [292/هـ] لدينا ومتحالفة على نصرنا والأمير السيد ركن الدولة[3] والأميران، عضدها ومؤيدها[4] أطال الله بقاءهم وعمدتها أبو تغلب[5] أيده الله، وسائر أكناف من في الأرض وأطرافها وأوساطها مطلون عليك ومتوجهون إليك، قد عصبوا لنا وتوافوا لمعاونتنا وليس فيهم فئة إلا بمن معك وافية إذا انفردت، وعليهم زائدة إذا تجردت، فما ظنك بالحال مع اجتماعها واتفاقها وإسراعها واستياقها؟ وكيف لا يهزك مضجعك وينبو بِكَ موضعك، وقد قطعت العصم[6] بيننا وبتت[7] الحبل منا وأحوجتنا أن نتحرز منك بعد أن كنا نحترز لك، وأن ندافعك عن حال كنا ندافع عنها لك.

وأن نذكرك العدو والصديق بما نذكر[8] به العصاة بعد أن كسوناك شعار

---

(1) أ: الظلافة. والظلامة: هي ما يطلب من الظالم وهو اسم ما أخذ من المظلوم. اللسان: ظلم.

(2) ب: ان.

(3) هو أبو علي الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي ركن الدولة، توفي سنة 366 هـ ومولده تقديرا سنة 284هـ. انظر ترجمته في الوفيات 2/ 118. وأخباره في تجارب الأمم لمسكويه.

(4) أبو شجاع فناخسرو وعضد الدولة بن ركن الدولة، أبو علي الحسن ابن بويه الديلمي. انظر ترجمته في الوفيات 4/ 50. النجوم الزاهرة 4/ 142. وشذرات الذهب 3/ 18.

(5) أبو تغلب قاضي واسط. ذكره ابن خلكان في تاريخه 2/ 77.

(6) العصم: واحدها عصام، وهوكل حبل يعصم به الشيء. وهو رباط كل شيء. اللسان: عصم.

(7) البت: القطع المستأصل. اللسان: بتت.

(8) ب: يذكر.

السلاطين الولاة. وقد سميت[1] نفسك الاسم الجميل[2] وتلبست بالقبيح في عصر الشيب والحنكة[3] وأوان الثبات والمسكنة، وعزيز علينا أن نسمع ذلك فيك ونرضاه، وقد كنا نسخطه ونأباه، وأن نخلد في بطون الصحائف غلطنا وغلطك في إحساننا وإساءتك وحفظنا وإضاعتك، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وما كنا لنلقاك، الله هداك وأطال بقاءك، لقاء المحاربين، إلا بعد أن نقدم عليك تقدمة المنذرين، أخذا بآداب الله تعالى في دعائك إلى رشدك، والصرف بك عن غيك، ولأننا لم نيأس من هذه الغاية أن نعود كما كنا وكنت، إذا كان الله تعالى قادرا أن يكشف الخطب، ويذلل الصعب، ويدني البعيد ويلين الشديد، وكنا نقيلك إذا استقلت. ونعذرك إذا اعتذرت. وبالله ما ذلك من جهتنا معتذرا إذا كان من جهتك متيسرا، فإن فعلت ورددت الأمور إلى حقوقها ورسومها واستظهرت لنفسك بما تحب أن تستظهر به لها، فالله تعالى يعفو عما سلف، ويحسن المؤتنف والمؤتلف. وإن أبيت وتماديت فالحجة متوجهة عليك، والجيوش من كل ناحية منصبة إليك. ولا تأخر لنا عنك ولا عائق لنا دونك. والله سبحانه وتعالى الحاكم العدل بيننا وبينكم، العالم المطلع/ على سرنا وسرك. والمجازي سبحانه وتعالى لنا ولك والسلام. [393/ج]

حكى عياش ابن الزبير[4] قال: رفع رجل قصته إلى المأمون يستأذنه في الدخول عليه والاستماع له، فأذن له، فدخل، فقال له: تكلم بحاجتك. فقال: يا أمير المومنين! إن مصائب الدهر ومحن الزمان وأعاجيب الأيام قصدتني فأخذت مني ما كانت الدنيا أعطتني فلم يبق لي ضيعة إلا خربت، ولا منزل إلا انهدم، ولا مال إلا ذهب، فأصبحت لا أملك لبدا ولا لبدا، وعلي دين كثير ولي عيال وأطفال

(1) أ: سلبنا. ج: سلبت.

(2) أ: الحميد. ب: الجليل.

(3) أ: الحكمة.

(4) لعله عياش الذي ذكره ابن عبد ربه في العقد، في حديثه عن الدولة العباسية. انظر ج 5/ 218.

وصبية/ صغار، وأنا شيخ كبير قد قعدت بي المطالب، ونفرت عني المكاسب، وبي [327/ب] حاجة إلى نظر أمير المومنين إلي وعطفه علي. فبينما هو في الكلام إذ ضرط[1] فقال: وهذا من الأعاجيب التي صارت من الدهر ومحنته، والله ما ظهر مني مثل هذا قط إلا في موضعه، فقال المأمون: ما رأيت قط أقوى قلبا ولا أثبت جأشا ولا أشد نفسا من هذا الرجل، ثم أمر له بخمسين ألف درهم معجلة[2].

حُكي لما بنى محمد بن سليمان[3] قصره[4] بالبصرة على بعض الأنهار، دخل عليه عبد الصمد بن شبيب[5] فقال له محمد: كيف ترى بناءنا؟ قال[6] بنيت[7] أحسن بناء بأطيب فناء وأوسع فضاء وأوفق هواء على أحسن ماء بين حسان وظباء. فقال له محمد: والله لبناء كلامك أحسن من بنائنا. وفي هذا القصر يقول ابن[8] عيينة[9] الشاعر:/ [264/أ]

[البسيط]

زُرْ وادي القصر نعم القصر والوادي ... لا بد من زورة من غير ميعاد

زره فليس له شبه يعادله ... من منزل حاضر إن شئت أو باد/ [293/هـ]

---

(1) سبق ذكره.

(2) الحكاية وردت في أسرار البلاغة: 327.

(3) محمد بن سليمان بن علي العباسي، أبو عبد الله، أمير البصرة، وليها في أيام المهدي، وتوفي سنة 173هـ انظر أخباره في ابن الأثير (حوادث سنة 160هـ)، تاريخ بغداد 5/ 291-292. والنجوم الزاهرة 2/ 47.

(4) أ: قصرا.

(5) عبد الصمد بن شبيب بن شيبة، نديم محمد بن سليمان المشار إليه، ذكره المسعودي في تاريخه.

(6) أ، ج: فقال.

(7) أ: بناه.

(8) هكذا في جميع النسخ، والصواب هو: ابن أبي عيينة.

(9) محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة، وأبو عيينة هو نسب آل المهلب، وأبو عيينة الشاعر كان يتولى الري لأبي جعفر المنصور ثم قبض عليه وحبسه. انظر ترجمته وأخباره في الأغاني 20/ 85.

تـرى بأرجائـه الدنيـا وزينتهـا   والضب والنون والملاح والحادي[1]

حُكي أن الرشيد محمد بن محمد بن عبد الجليل[2] كتب إلى الشيخ أبي سعد أحمد القروي يشتاقه ويذكر ما سلف له من أياديه وتعليمه الأدب من جملة رسالة من أحسنها:

[الطويل]

محاسـن مولانـا أبـي سـعد إنمـا   بهـا تسـعد الأيـام والديـن والدنيـا

عاقد المحامد في الأكارم، وجامع منهل المكارم، ...

[البسيط]

للـــه در إمـــام كـــلـــه أدب   بفضلـه تتحلى العجـم والعـرب

الله أعلم أني، وإن شط المزار ونأت الدار، لا أقطع أوقاتي إلا بمدح معاليه وشرح مكارمه وأياديه، ولو أنفقت جميع عمري في ذلك، وسلكت طول حياتي تلك المسالك،/ [394/ج] ما كنت أقضي بعض واجب حقه، ولا[3] كنت أحصي من صنائعه عشرا[4]. وكيف لا أبالغ في ثنائه وأواضب على دعائه، وهو الذي رفع قدري، وشرف بالأدب[5] صدري، وسقاني كؤوس العلم وأحشائي صادية، وكساني حلل الفضل وعوراتي بادية.

---

(1) الأبيات وردت في مروج الذهب 4/ 19 7 والنفح 1/ 49 8، وفي مروج الذهب أن صاحب القصر هو عيسى بن جعفر وأن هذه الأبيات قيلت فيه.

(2) لعله محمد بن محمد بن عبد الجليل بن عبد الملك بن محمد، رشيد الدين المعروف بالوطواط، الأديب الشاعر. كان من نوادر زمانه وأفضله في النظم والنثر ت. 573هـ)، انظر معجم الأدباء 19/ 29.

(3) أ، ج: ولكنت.

(4) لعل هذا بيت من الشعر صاغه المؤلف صياغة النثر. وهو من الطويل:

وما كنت أقضي بعض واجب حقه   ولا كنت أحصي من صنائعه عشـرا

(5) ب، ج: الآداب.

[الطويل]

وأنت الذي بلغتني كل رتبة مشيت إليها فوق أعناق حسادي[1]
وأنت الذي عرفتني طرق العلى وأنت الذي هذبت لي كل مقصدي

حُكي عن البديع الهمداني أنه قال: في رسالة: يعز علي أن ينوب قلمي عن قدمي ويسعد برؤيتي رسولي قبل وصولي، ويرد مجلس الأنس كتابي قبل ركابي، ولكن ليس في الحيلة والعوائق نفعا، وعلي أن أسعى وليس علي أن أدرك المرام والسلام.

[الطويل]

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه وليس عليه أن يساعده الدهر
فإن نال بالسعي المنى تم سعيه وإن عارض المقدور كان له العذر

وكتب أحمد بن سعيد الكاتب إلى بعض إخوانه: وصل كتابك أعزك الله، فكان كوصل بعد هجر، وغنى بعد فقر، ألفاظه درر ومعانيه غرر، لا تمجه[2] الآذان/ [328/ب] ولا تتعب به الأذهان.

حكى الأصمعي قال: حججت فنزلت حلة، أي أهل الخيام، في يوم الجمعة، فإذا أعرابي قد كور عمامته وتقلد سيفه وصعد منبرا من طين فقال: الحمد لله ذي الكبرياء وصلى الله على سائر الأنبياء، وخص محمدا ﷺ بأكثره، وبارك في موضعه وكوثره. أيها الناس! إنما الدنيا دار ممر، والآخرة دار مقر. فتزودوا من ممركم لمقركم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، ولن يتصل أحد من عمره يوما إلا بفراق آخر. وإن أمسا عظة واليوم غنيمة وغدا أمنية، فعمروا ما تقدمون عليه وراقبوا من ترهبوا إليه، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج

(1) أ، ب: كل حسادي.

(2) مج يمج الشئ: رماه من فيه، والأذن تمج الصوت أي لا تعنى بسمعه. اللسان: مجج.

منها أبدانكم، فمنها خلقتم وإلى غيرها ندبتم، ولا قوي أقوى من الخالق، ولا ضعيف أضعف من المخلوق، فلا مفر[1] من الله إلا إليه ﴿كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون﴾[2].

حُكي أنه لما أراد رسول الله ﷺ تزويج فاطمة رضي الله عنها أمر بجمع [395/ج] المهاجرين والأنصار، رضوان[3] الله عليهم[4]، ثم[5] قال رسول الله صلى الله عليه/ وسلم لعلي رضي الله عنه: «قم فاخطب لنفسك». فقام علي رضي الله عنه، فقال: الحمد لله حمدا كثيرا يرضيه، وصلى الله على سيدنا محمد صلاة تزلفه وتحظيه، [294/هـ] والنكاح مما يرضيه الله تعالى ويرتضيه. واجتماعنا مما قدر الله تعالى ورضيه،/ وهذا محمد ﷺ زوجني ابنته فاطمة على خمسمائة درهم وقد رضيت فاسألوه واشهدوا.

حُكي لما أفضت الخلافة إلى يزيد بن معاوية دخل منزله فلم يظهر للناس ثلاثا، [265/أ] فاجتمع/ ببابه أشراف العرب وقواد البلدان والأمراء والأجناد لتعزيته بأبيه وتهنئته بمصير الأمر إليه. فلما كان في اليوم الرابع خرج أغبر أشعث فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن معاوية كان حبلا من حبال الله مده ما شاء أن يمده، ثم قطعه حين شاء أن يقطعه، وكان دون من قبله، وخير من بعده إن يغفر الله له فهو أهله وإن يعذبه فبذنبه، وقد وليت الأمر بعده، وإذا أراد الله شيئا كان، اذكروا الله واستغفروه، ثم نزل ودخل منزله، ثم أذن للناس فدخلوا عليه، لا يدرون أيهنونه أم يعزونه، فقام عصام بن صيفي[6] فقال: السلام عليك ورحمة

---

(1) أ: نفر.

(2) العنكبوت: 57. والحكاية وردت برواية مختلفة في العقد 5/ 5 والأمالي 1/ 248 وورد شيء منها في زهر الأدب 1/ 404.

(3) ج: رضي.

(4) ج: عنهم.

(5) ساقطة من: ب.

(6) لم أقف على ترجمته. وقد ذكره المسعودي في نفس الحكاية. باسم: عاصم بن أبي صيفي.

الله وبركاته، أصبحت قد رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله ومنحت هبة الله، قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه، وأعطيت بعده الرياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واحمده على أفضل العطية، ثم قام عبد الله بن مازن[1] فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، رزئت خير الآباء، ومنحت أفضل الأشياء، وسميت خير الأسماء، فهنأك للعطية وأعانك على الرعية، فقد أصبحت متوجعا لفقد سائسها مسرورا بما أحسن الله إليك من الخلافة والعقبى من بعد ذلك ثم أنشأ يقول:

[الرجز]

الله أعطاك التي لا فوقها وقد أراد الملحدون عوقها
عنك فيأبى الله إلا سوقها إليك حتى قلدوك طوقها[2]

قال: ثم قام عبد الله بن سالم[3] وقال: آجرك الله في الرزية وصبرك على المصيبة. وبارك لك في العطية. ومنحت محبة الرعية. مضى معاوية لسبيله غفرالله تعالى/ [329/ب] له وأورده موارد السرور، ووفقك بعده لصالح[4] الأمور. وقد رزئت جليلا وأعطيت جزيلا، أصبت بأعظم المصائب ومنحت[5] أفضل الرغائب، فاحتسب عند الله الرزية واشكره على العطية، وأحدث/ لخالقك حمدا، والله سبحانه وتعالى [396/ج] يمتعنا بك ويحفظ لك وعليك قال: ثم إنه أنشأ يقول:

[البسيط]

اصبر يزيد، فقد فارقت ذا ثقة واشكر لفضل الذي بالملك أصفاك

(1) ذكره المسعودي في نفس الحكاية بالاسم نفسه، وأشار إليه المحقق بقوله: يبدو أنه كان من وجوه الناس إذ عزى يزيد بن معاوية وهنأه عندما تولى الخلافة. انظر ج 7/ 478.

(2) البيتان وردا في العقد الفريد 5/ 160 ومروج الذهب 3/ 263.

(3) هو عبد الله بن همام بن بنيشة بن رياح السلولي، من بني مرة، شاعر إسلامي (توفي نحو100هـ)، انظر الشعر والشعراء. وديوان الحماسة وخزانة البغدادي 3/ 638 وذكره المسعودي بنفس الاسم في مروج الذهب 3/ 263. وكذا في العقد.

(4) ب، ج: لملاح.

(5) ب: على أفضل.

أصبحت لا رزء في الأقوام تعلمه كما رزئت ولا عقبى كعقباك
أعطيت طاعة خلق الله كلهم فأنت ترعاهم والله يرعاك[1]

قال: ثم عزاه الناس وهنوه على اختلاف طبقاتهم، ثم قام فدخل وأمر لكل واحد على مقداره في نفسه ومحله في قومه، وزاد في عطائهم ورفع مراتبهم.

قال:وامتدحه الأحوص الشاعر[2]:

[الكامل]

ملك تذل له الملوك مبارك كادت لهيبته الجبال تزول
يحيى له بلخ ودجلة كلها وله الفرات وما سعت[3] والنيل[4]

(1) الأبيات وردت في العقد الفريد 3/ 261 والكامل 3/ 1484 ومروج الذهب 3/ 263-264، مع اختلاف قليل بين الروايات، والعمدة 2/ 155.

(2) عبد الله بن محمد بن عبد الله الأنصاري شاعر هجاء، عاصر جرير (ت- 105هـ)، انظر الشعر والشعراء: 204 والاغاني 4/ 40.

(3) ب: سمعت.

(4) البيتان وردا في شعر الأحوص: 175 ومروج الذهب 3/ 16. والحكاية وردت في المصادر والمراجع السابقة في تخريج الأبيات.

الباب الثالث والعشرون

في أخبار الشعراء وذكر ملح من أشعارهم

حُكي أن بعض التجار أودع وديعة عند قاضي معرة النعمان[1] وغاب عنها مدة، فلما رجع طلبه بها فأنكرها، فتشفع إليه برؤساء بلده [في ردها][2] فلم يزالوا به حتى أقر بها وادعى أنها تلفت من حرز أوانها، وأنها[3] وقعت/ منه لأنه لم يجدها، [295/هـ] وحلف على ذلك، فقال فيه ابن الدويدة الشاعر المعري[4] المشهور:[5]

[الكامل]

لا يصدق القاضي الخؤون إذ ادعى	تلف الوديعة من حصين المودع
إن قال: قد تلفت فيصدق أنها	تلفت، ولكن منك، يعني لو تعي
أوقال: قد وقعت فيصدق أنها	وقعت، ولكن منه أحسن موقع[6]/ [265/أ]

حُكي أنه دخل أبو نواس، ليلة من ليالي شهر رمضان، مسجدا فسمع به شابا وسيما يقرأ قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق... الآية﴾[7] فقال أبو نواس في الحال:

---

(1) لعله محمد بن عبد الله بن محمد التنوخي المعري، ولي قضاء معرة وتوفي سنة 523هـ راجع الوفيات. ومعرة النعمان: بلدة صغيرة بالشام بالقرب من حماة. انظر معجم البلدان 1/ 116.

(2) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(3) ساقطة من: ب، ج.

(4) أ: العمري.

(5) هو أحمد بن محمد بن الدويدة المعري. ذكره ابن خلكان في تاريخه 4/ 440.

(6) الحكاية وردت مع الأبيات في غرر الخصائص: 80 وغاية النهاية 3: 370.

(7) الأنعام:.151

[الطويل]

بنفسي غزالا صار للحسن قبلة وقد زرت في بعض الليالي مصلاه
ويقرأ في المحراب والناس حوله ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله﴾
فقلت: تأمل ما تقول فإنها فعالك يا من تقتل النفس عيناه[1]

[397/ج] حكى الكلبي[2] قال: كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله عابدا تقيا/ صالحا رضيا وهو الذي أزال ما كانت بنو أمية تذكر به عليا، رضي الله عنه، على المنابر فقال فيه كثير عزة[3] يمدحه:

[الطويل]

وليت فلم تسبب عليا ولم تخف بريا ولم تسمع مقالة مجرم
وبدلت بالقول الفعال مع الذي أتيت فأمسى راضيا كل مسلم
فما بين شرق الأرض والغرب كلها مناد ينادي من فصيح وأعجم
[330/ب] يقول: أمير المومنين ظلمتني بأخذ دنيائي[4] وأخذ دراهم/
فاربح بها من صفقة لمبايع وأكرم بها أكرم بها ثم أكرم[5]

قال: ولما ولي الخلافة وفدت عليه الشعراء كما كانت تفد على الخلفاء قبله فأقاموا ببابه أياما فلم يؤذن لهم فقدم عدي[6] بن أرطاة[7] على عمر بن عبد العزيز

(1) الأبيات لم ترد في الديوان، والحكاية وردت في معاهد التنصيص 4/ 184.
(2) أبو المقدر هشام بن أبي النضر، الكلبي، النسابة الكوفي توفي سنة 204هـ. انظر ترجمته في الوفيات 6/ 82. تاريخ بغداد 14/ 45 ولسان الميزان 6/ 196.
(3) سبق ذكره.
(4) ب: دنياي.
(5) الأبيات وردت في الديوان: 333، وفي العقد الفريد 2/ 88 مع اختلاف في الرواية.
(6) ج: علي.
(7) سبق ذكره.

وكان له عنده مكانة، فتعرض له جرير[1] وسأله أن يستأذن عليهم. فلما دخل عليه عدي[2] قال له: إن الشعراء ببابك، ولم يؤذن لهم، ولهم مدة وإن أقوالهم نافذة وسهامهم مسمومة. فقال عمر: مالي وللشعراء؟ فقال له عدي: إن رسول الله ﷺ مدحه العباس بن مرداس السلمي[3] رضي الله عنه[4] بقوله:

رأيتك يا خير البرية كلها ... نشرت كتابا جاء بالحق معلما
سننت لنا فيه الهدى بصعودنا ... عن الحق لما أصبح الحق مظلما
فمن مبلغ عني النبي محمدا ... فكل امرىء يجزى بما قد تكلما
تعالى علوا فوق عرش إلهنا ... وكان جلال الله أعلا وأعظما[5]

قال: فكساه ﷺ حلة وقال: اقطعوا عني لسانه، وفيه إسوة حسنة لكل مسلم. فقال عمر رحمه الله: من بالباب منهم؟ فقال: عمر بن أبي ربيعة[6] المخزومي القرشي فقال عمر: لا قربه الله ولا حياه. أليس هو القائل؟:

ألا ليت أني يوم تدنو منيتي ... شممت الذي ما بين عينيك والفم
ويا ليت سلمى في التراب ضجيعتي ... هنالك إن في الجنة أو جهنم[7]

فليت عدو الله تمناها في الدنيا، لا يدخل علي. ثم قال: من بالباب غيره؟ فقال جميل بن معمر العامري[8] فقال: هو القائل:

---

(1) هو جرير بن عطية الشاعر المشهور سبق ذكره.

(2) ساقطة من: ب.

(3) سبق ذكره.

(4) ما بين معقوفين ساقط من: ب.

(5) الأبيات وردت في العقد الفريد باستثناء البيت الثاني: انظر الجزء 2/ 92.

(6) عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، أبو الخطاب، من طبقة الفرزدق وجرير وأرقهم شعرا. انظر ترجمته في الأغاني 1/ 61 والوفيات 3/ 436. وخزانة البغدادي 1/ 240.

(7) البيتان وردا في الديوان 2/ 330. مع اختلاف الرواية وكذا العقد الفريد 2/ 92.

(8) سبق ذكره.

[الطويل]

[296/هـ] ألا ليتنا نحيا جميعا وإن نمت يوافي لذى الموتى ضريحي ضريحها/
فما أنا في طول الحياة براغب إذا قيل: قد سوى عليها[1] صفيحها[2]

[398/ج] لا يدخل علي، ثم قال: من بالباب غيره؟ فقال: كثير عزة، فقال: هو القائل:/

[الكامل]

رهبان مدين والذين عهدتهم يبكون من خوف العذاب شديدا
لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا لعزة ركعا وسجودا[3]

لا يدخل علي وعد عن ذكره، ثم قال: من بالباب غيره؟ فقال: الفرزدق. فقال: هو القائل يفتخر بالزنا:

[الطويل]

[266/أ] هما دلياني من ثمانين قامة كأني عقاب ناقص[4] الريش كاسره/
فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا أحي يرجى أم قتيل نحاذره[5]

لا يدخل علي، ثم قال: من بالباب غيره؟ فقال: الأخطل [التغلبي][6] قال[7]: ذاك الكافر الذي يقول:

---

(1) أ، د: علي.

(2) البيتان وردا في الديوان: 51. وكذا في العقد 2/ 93.

(3) البيتان وردا في الديوان: 441. والعقد 2/ 93.

(4) ب، ج: نافض.

(5) البيتان وردا في الديوان: 212 والعقد 2/ 94 مع اختلاف في الرواية.

(6) زيادة من: ب، ج. وغياث بن غوث بن الصلت التغلبي، شاعر بني أمية، مدح ملوكهم وتهاجى مع الفرزدق وجرير، وكان مصقول الألفاظ، حسن الديباجة. انظر ترجمته في الأغاني 8/ 280 وخزانة البغدادي 1/ 219-221.

(7) ج: فقال.

[الوافر]

ولست بصائم رمضان دهري ولست بآكل لحم الأضاحي
ولست بزاجر جملا بكورا إلى بطحاء مكة للنجاح
ولكني سأشربها شمولا وأسجد عند منبلج الصباح[1]/ [331/ب]

والله لا وطىء بساطي أبدا، ثم قال: من بالباب غيره؟ فقال: جرير. فقال: هو القائل:

[الكامل]

لولا مراقبة العيون أريننا مقل المها وسوالف الآرام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام[2]

إن كان ولا بد فائذن لجرير، فأذن له فدخل وهويقول:

[الكامل]

إن الذي بعث النبي محمدا جعل الخلافة في الإمام العادل
وسع الخلائق فضله وهباته حتى ارعوى فأقام ميل المائل
إني لأرجو منك خيرا عاجلا والنفس مولعة بحب العاجل[3]

فلما حضر بين يديه قال له: اتق الله ولا تقل إلا حقا فقال:

[البسيط]

كم باليمامة من شعثاء أرملة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
فمن يواليك يكفى فقد والده كالفرخ في العش لم يدرج ولم يطر
إنا لنرجوإذا ما الغيث اخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطر[4]

---

(1) الأبيات لم ترد في الديوان ووردت في العقد 2/ 94.

(2) البيتان وردا في الديوان 551، 552. والعقد الفريد 2/ 95.

(3) الأبيات غير واردة في الديوان، ووردت في العقد 2/ 95.

(4) الأبيات وردت في الديوان: 274 مع اختلاف قليل بين الروايتين.

فقال له: إنك لمسؤول عما قلت كله، والله ما في ملكي سوى مائتي درهم. يا غلام ادفعها إليه، ثم دفع له حلي سيفه فخرج[1] جرير من عنده مكرما وهويقول: جئت من عند رجل يكرم الفقراء، ويهين الشعراء وأنا عنه راض[2].

حُكي أن عبد الله بن أبي معيط قال لعمارة[3]: ما لي أرى المأمون لا يحسن للشعراء؟ قال عمارة: ومن أفرس منه فيه؟ والله أنا[4] لننشده البيت من الشعر فيسبقنا إلى آخره،/ ولم يكن سمعه قط، قال: فما لي أنشده بيتا فلم يحتفل به ولا تحرك[5] لسماعه قال عمارة: وما البيت؟ فقال عبد الله: [399/ج]

[البسيط]

أضحى إمام الهدى[6] المأمون مشتغلا   بالدين والناس بالدنيا مشاغيل[7]

قال: فما قلت شيئا، إنما جعلته عجوزا في محرابها وفي يدها مسبحتها، فمن يقوم بأمر المسلمين إذا كان مشغولا عن رعيته، لم لا قلت كما قال جرير في عبد العزيز بن مروان[8] حيث قال:/ [297/ج]

[الطويل]

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه   ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله[9]

(1) ب: ثم خرج.

(2) الحكاية وردت في العقد الفريد 2/ 91-96 مع اختلاف في الرواية.

(3) عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الكلبي، شاعر فصيح (182-269هـ)، انظر ترجمته في تاريخ بغداد 12/ 282. المرزباني:247.

(4) أ: إننا.

(5) ولم يحرك.

(6) أ: المهدي.

(7) البيت ورد في العقد الفريد 6/ 214.

(8) هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم، والد عمر بن عبد العزيز. انظر خزانة البغدادي 3/ 588.

(9) انظر البيت في الديوان:349 والعقد الفريد 6/ 214. والحكاية وردت في الأذكياء: 39. ونزهة الظرفاء: 34.

حُكي أنه نقل من خط القاضي شمس الدين بن خلكان ما صورته: نقلت من خط القاضي كمال الدين بن العديم[1] من مسودة تاريخه أن ابن الزقاق البلنسي[2] الشاعر المشهور كان يسهر الليل ويشتغل بالأدب، وكان أبوه حدادا فقيرا. فلامه وقال له: نحن فقراء ولا طاقة لنا بثمن الزيت الذي تسهر به، فاتفق أنه برع في العلم والأدب وقال الشعر، وعمل في أبي بكر بن عبد العزيز[3] صاحب بلنسية قصيدة طويلة فمنها قوله:

[السريع]

ناشدتك الله نسيم الصبا　　أين استقرت بعدنا زينب

لم تسر إلا بشذا عرفها　　أولا فماذا النفس الطيب

قال: فأطلق له ثلاثمائة دينار فجاء بها إلى أبيه في حانوته، وهو/ مكب على [332/ب] صنعته فوضعها في حجره وقال له: خذ هذه اشتروها زيتا[4].

حُكي عن درة الغواص أن ابن أذينة الشاعر[5] وفد على هشام بن عبد الملك بن مروان في جماعة من الشعراء فلما دخلوا عليه عرفهم وعرف منهم[6] عروة بن أذينة فقال له هشام: ألست القائل/ : [268/أ]

---

(1) عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله العقلي، يكنى أبا القاسم ويلقب كمال الدين ويعرف بابن العديم المؤرخ المشهور، المتوفى عام 660هـ. انظر ترجمته في معجم الأدباء 16/ 5. وفوات الوفيات: 3/ 126. والنجوم الزاهرة 7/ 208.

(2) هو علي بن عطية بن مطرف، أبو الحسن البلنسي الشاعر المشهور والمعروف بابن الزقاق المتوفى عام 528هـ انظر ترجمته في فوات الوفيات 3/ 47.

(3) هو أبو بكر بن عبد العزيز، كان وزيرا ببلنسية للمظفر عبد الملك بن منصور العامري. انظر ترجمته في قلائد العقيان: 163.

(4) الحكاية وردت مع الأبيات في ثمرات الأوراق 1: 67، ونفح الطيب 3: 289.

(5) هو عروة بن أذينة، وأذينة لقبه، واسمه يحيى بن مالك بن الحارث بن عمرو: توفي نحو سنة 130هـ انظر ترجمته في الأغاني 18/ 330، وما بعدها وفوات الوفيات 2/ 401.

(6) أ: منه.

[البسيط]

لقد علمت، وما الإسراف من خلقي — أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى إليه فيعيني[1] تطلبه — ولو قعدت أتاني لا يعنيني[2]

وأراك [قد جئت][3] من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق فقال لهشام: زادك الله بسطة في العلم والجسم ولا رد وافدك خائبا لقد والله بالغت في الوعظ، وأذكرتني ما أنسانيه الدهر وخرج من فوره إلى راحلته فركبها وتوجه إلى الحجاز راجعا. قال: فلما كان الليل ذكره هشام وهو في فراشه وقال: رجل من قريش قال حكمة ووفد علي فخيبته ورددته عن حاجته وهو مع ذلك شاعر لا آمن ماذا يقول./ [400/ج] فلما أصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه فقال: لا جرم ليعلمن أن الرزق سيأتيه، ثم دعا مولى له وأعطاه ألفي دينار وقال: ألحق بهذه عروة بن أذينة الشاعر فأعطيه إياها، قال المولى: فلم أدركه إلا وقد دخل بيته فقرعت الباب عليه فخرج إلي فأعطيته المال فقال: لي أبلغ أمير المؤمنين أني سعيت فرددت ومنعت ثم رجعت إلى بيتي فأتاني رزقي من حيث لا أحتسب[4].

حُكي أن الفقيه عمارة اليمني[5]، من أهل السنة، قدم في دولة الفاطميين إلى الديار المصرية، وصاحبها يومئذ الفائز بن[6] الظافر فكان عنده في أكرم محل وأعز جانب واتحد به على ما كان بينهما من اختلاف العقيدة، ثم ارتحل إلى اليمن وعاد

---

(1) ج: فيعنيني.

(2) البيتان وردا في درة الغواص: 83. والأغاني 18/ 332.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: ب.

(4) الحكاية وردت في المرجعين السابقين.

(5) سبق ذكره.

(6) أبو القاسم عيسى الملقب الفائز بن الظافر بن الحافظ بن محمد، العبيدي توفي سنة 555هـ. انظر الوفيات 3/ 431 والشذرات 4/ 134.

إلى مصر وأقام بها إلى أن زالت دولة الفاطميين على يد السلطان صلاح الدين يوسف[1] قال: فرثاهم بالقصيدة المشهورة التي يقول فيها:

[البسيط]

رميت يا دهر كف المجد بالشلل ورعته بعد حسن الحلي بالعطل

قدمت مصر فأولتني خلائفها من المكارم ما أربى على الأمل

قوم عرفت بهم كسب الألوف ومن تمامها أنها جاءت ولم أرسل

يا لائمي في هوى أبناء فاطمة لك الملامة إن قصرت في عدل

ماذا ترى كانت الأفرنج فاعلة بنسل [آل][2] أمير المؤمنين علي

بالله زر ساحة القصرين وابك معي عيهم لا على صفين والجمل[3]

وهي طويلة في غاية الحسن، فلما بلغت السلطان صلاح الدين بن أيوب تغيرعليه وقيل إنه استفتى على قوله في قصيدته الميمية[4]./ [298/هـ]

[البسيط]

وكان مبدا هذا الأمر من رجل سعى فأصبح يدعى سيد الأمم[5]

فأفتى الفقهاء بقتله[6] وقالوا: إن هذا الكلام رأي الفلاسفة في النبوءة[7] وإنها بالتكسب، والذي يظهر أن هذا مقول على عمارة وأن بعض أعدائه نظمه ودسه عليه في قصيدته، فلما قتل صلب بين القصرين مع جماعة وكان عمارة مر أول يوم

(1) سبق ذكره
(2) زيادة من: ب، ج.
(3) الأبيات ورد المطلع منها في النكت العصرية: 386.
(4) ج: منها.
(5) البيت ورد في النكت العصرية: 396.
(6) أ: في قتله.
(7) أ، ج: البوءات.

[333/ب] على بعض المصلوبين فقال فيه:/

[الوافر]

ومد على صليب الصلب منهم يمينا لا تطول إلى الشمال
ونكس رأسه لعتاب قلب دعاه إلى الغواية والضلال[1]

[401/ج] فلم تمض ثلاثة أيام حتى رمي بها رمي وقتل وصلب معه، ولما أراد السلطان/ صلاح الدين قتله استشار في قتله القاضي الفاضل[2] وكان له غرض في إهلاكه وغرض صلاح الدين في ضربه وتخلية سبيله. فقال الفاضل: الكلب يسكت ثم ينبح قال: فيسجن. قال: يرجى خلاصه. قال: يقتل. قال: إن الملوك إذا أرادوا شيئا فعلوه ونهض من المجلس فأمر بصلبه كما تقدم رحمه الله[3].

حُكي أن أبا نصر أحمد بن يوسف المنازي[4] دخل على أبي العلاء المعري الضرير في جماعة من أهل الأدب فأنشد كل واحد من شعره ما تيسر فأنشد المنازي في الآخر يقول:

[الوافر]

[269/أ] وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سَقَاهُ مضاعف الغيث العميم/
نزلنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمإ زلالا ألذ من المدامة للنديم
تروع حصاه خالية الغدارى فتلمس جانب العقد النظيم

(1) البيتان وردا في النكت العصرية: 47.

(2) سبق ذكره.

(3) الحكاية وردت في النكت العصرية: 47 مع اختلاف الرواية.

(4) أبو نصر أحمد بن يوسف السليكي المنازي، الكاتب، من أعيان فضلاء وأماثل الشعراء توفي سنة 437 انظر ترجمته في وفيات الأعيان1/ 143.

يصد الشمس أنى واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم[1]

فقال له[2] أبو العلاء: أنت أشعر مَن بالشام. ثم رحل المعري بعد مدة إلى بغداد فدخل المنازي[3] عليه في جماعة كذلك من أهل الأدب من بغداد وهو لا يعرف منهم أحدا فأنشد كل واحد بين يديه ما حضر من شعره وأنشد المنازي[4] في الجملة فقال:

[الوافر]

لقد عرض الحمام لنا بسجع إذا أصغى له صب تلاحا
شجا قلب الخلي فقال غنى وبرح بالمشوق فقال: ناحا
وكم للشوق في أحشاء صب إذا اندملت أجد لها[5] جراحا
ضعيف الصبر عنه وإن تقاوى وسكران الفؤاد وإن تصاحا
كذلك بني الهوى سكرى صحاة كأحداق المهى مرضى صحاحا[6]

فقال له أبو العلاء: ومَن بالعراق، عطفا على قوله: أنت أشعر من بالشام[7].

قلت: ومن أخبار أبي العلاء أنه كان جالسا على سرير فقام عنه فوضع بعض الحاضرين تحت رجل السرير نواة خروب، فلما عاد وجلس مكانه قال: أرى السماء قد قربت من الأرض، أوالأرض ارتفعت. ونقل من ذكائه في مثل ذلك غرائب، وشرح ديوان المتنبي وسماه معجز أحمد ولما جاء إلى شرح قوله:

---

(1) الأبيات وردت في الوفيات 1/ 143-144. وخريدة القصر وجريدة العصر 2/ 347.

(2) أ: قال.

(3) ب: المنازلي.

(4) ب: المنازلي.

(5) أ: أجداها.

(6) أحداق: مفردها حدقة وهي السواد المستدير وسط العين. انظر اللسان: حدق. والأبيات وردت في النكت العصرية: 46.

(7) الحكاية وردت في النكت العصرية: 46 والمستطرف 1/ 46 وقصص العرب 2/ 343.

[البسيط]

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم[1]

قال: لعل أبا الطيب عناني بذلك، وركب في بعض أسفاره فاعترضته شجرة سدر فقيل له: لا ترفع رأسك ثم عاد بعد مدة طويلة من هناك فطأطأ رأسه فقال/ [402/ج] له المكاري/: لم فعلت ذلك؟ فقال: هنا شجرة سدر. فقال: ليس هناك شيء [334/ب] فتأملوا المكان وربما حفروا فوجدوا أصل الشجرة وكانت قد قطعت في تلك المدة وهذا من الغرائب رحمه الله.

حكى بعضهم قال: كنا نختلف إلى أبي العباس المبرد فإذا كان آخر المجلس أملى علينا من ظرف الأخبار وملح الأشعار ما نرتاح إلى حفظه فأنشدنا يوما مرثية زياد الأعجم[2] في المغيرة ابن المهلب[3] فمنها يقول:

[الكامل]

فإذا مررت بقبره فاعقر له كوم[4] الهجان وكل طرف سائح[5]

وانضح جوانب قبره بدمائها فلإن فيه أخادم وذبائح[6]

قال: فخرجت من عنده وأنا أديرهما في لساني لأحفظهما وإذا بشيخ قد خرج

---

(1) البيت ورد في الديوان: 3 وفي الوفيات 1/ 114.

(2) سبق ذكره.

(3) هو المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة، كان أبوه يقدمه في قتال الخوارج، وله معهم وقائع مأثورة وتوفي بمرو سنة 62هـ انظر ترجمته في الطبري 8/ 17. الوفيات 5/ 354. خزانة الأدب 4/ 192

(4) أ، ب: كموم.

(5) الكوم: القطعة من الإبل، وناقة كوماء: عظيمة السنام. والطرف: مصدر من قولك طرفتِ الناقةُ إذا رعت جوانب المرعى. والسانح: هو ما جاء على اليمين، والعرب تتبرك من السانح وتتشاءم من البارح، وهو الذي يأتي على اليسار، انظر اللسان: كوم، طرف، سنح.

(6) البيتان وردا في الوفيات 2/ 235 و5/ 354.

من خربة وفي يده حجر فهم أن يرميني[1] به فتسترت بالدفتر والمحبرة فقال: ماذا تقول؟ فقلت: كنت عند أستاذنا أبا العباس المبرد فقال: أنشدني ما أنشدكم باردكم[2] لا مبردكم، فأنشدته ما تقدم، فقال: ما أجاد الرائي ولا أنصف المرثي ولا أحسن الراوي قلت: فما عساه أن يقول؟ قال: كان يقول:

[الخفيف]

احملاني إن لم يكن لكما عقـ ـر إلى جنب قبره فاعقراني
وانضحا من دمي عليه فقد كا ن دمي من نداه لو تعلمان[3]

قال: فقلت له: هل رأيت أحدا واسى أحدا بنفسه؟ قال: نعم. هذا الفتح بن خاقان طرح نفسه على المتوكل حتى خلط لحمه بلحمه ودمه بدمه، ثم تركني ومضى، فلما عدت إلى المبرد قصصت عليه القصة/ فقال: أتعرف هذا؟ قلت: لا. [299/هـ] قال ذاك خالد الكاتب[4] تأخذه السوداء أيام الباذنجان[5].

حكى أبو الحسن علي بن مقلة[6] قال: حدثني أبي عن عمه قال: اجتاز بي خالد بن يزيد الكاتب هذا وأنا في داره «بمدينة/ سُرَّ مَن رَأى[7]» وهي بلدة نشأها [270/أ] المعتصم بالقرب من بغداد. قال والصبيان حوله يولعون به فجاءني لما رآني وسألني

(1) أ: يبني.
(2) أ: فاردكم.
(3) البيتان وردا في الوفيات 2/ 236 و 5/ 356.
(4) أبو الهيثم خالد بن يزيد بن الهيثم التميمي الخراساني، كان أحد كتاب الجيش ببغداد، توفي حوالي 269هـ. انظر ترجمته في معجم الأدباء 11/ 47-51. والوفيات 2/ 232. والنجوم الزاهرة 3/ 36.
(5) الحكاية وردت في الوفيات 2/ 235-236 والأمالي 1/ 7 والوساطة: 390 وثمرات الأوراق: 93.
(6) لعله أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة الكاتب المشهور توفي حوالي 328هـ. انظر الوفيات 5/ 113.
(7) مدينة كان اسمها قديما سامیرا سميت بسامير بن نوح، فلما استحدثها المعتصم سماها «سر من رأى» معجم البلدان مادة: سر من رأى.

صدهم وصرفهم عنه. قال: فصرفتهم عنه وأدخلته داري وقلت له: ما تشتهي؟ فقال: هريسة. فتقدمت بإصلاحها له، فلما فرغ من أكله قلت: أنشدني شيئا من شعرك. قال: فأنشدني:

[الطويل]

تناسيت ما أوعيت سمعك يا سمعي! كأنك بعد الضر خال من النفع

[403/ج] فإن كنت مطبوعا على الصد والجفا فمن أين لي صبر فأجعله طبعي/

لئن كان أضحى فوق خديك روضة فإن على خدي غديرا من الدمع[1]

قال: فقلت: زدني فقال[2] لي: لا تنال بهريستك أكثر من هذا. ثم انصرف[3]. قلت: أخذ هذا المعنى ابن نباتة[4] فقال:

[الطويل]

أسرت إلى سمعي غداة ترحلت حديثا إلى حفظ العهود يشير

وهيج عندي قرب خدي لخدها بكى فتلاقى روضة وغدير[5]

يقال: رُءي خالد هذا ببغداد والصبيان يتبعونه فأسند ظهره إلى قصر المعتصم والأولاد يصيحون به[6]: يا خالد! يا بارد! فقال: كيف أكون باردا وأنا الذي [335/ب] أقول/ :

[الطويل]

بكى عاذلي من رحمتي فرحمته وكم مثله من مسعد ومعين

(1) الأبيات وردت في الوفيات 2/ 236-237.

(2) أ، ب، هـ: قال لي.

(3) الحكاية وردت في الوفيات 2/ 296-237.

(4) أ: من بنات. وسبق ذكر ابن نباتة.

(5) البيتان وردا في الديوان: 253.

(6) ساقطة من: ب.

ورقت دموع العين حتى كأنها دموع دموعي لا دموع جفون[1]

حكى بعضهم قال: خرجت من مجلس المبرد يوما فمررت بخربة فإذا أنا بشيخ قد خرج منها وفي يده حجر فهم أن يرميني به فتسترت بالدفتر والمحبرة فقال: من أين جئت؟ فقلت: من عند المبرد، فقال: ما أنشدكم؟ فأنشأته ما سمعت من المبرد. فقال: أنا قلت أحسن وأنشد:

[الرمل]

علم الغيث الندى من يده مذ وعاه علم البأس الأسد

فإذا الغيث مقر بالجدا وإذا الليث مقر بالجلد[2]

قال: فكتبتها وانصرفت فسألت عنه، فقيل لي: هذا خالد الكاتب، وقد تقدم عنه ما يقرب من ذلك.

حكى جعفر بن أحمد بن الحسين[3] قال في مصارع العشاق: أخبرني أبو الحسن علي بن علي بن محمد القرشي الأديب[4] بالكوفة قال: أخبرني بعض أصدقائي أن أبا الحسن علي ابن زريق الكاتب البغدادي[5] قصد أبا الخير عبد الرحمان[6] الأندلسي من بغداد إلى الأندلس، فامتدحه [وكان ذلك لفاقة اعترته. قال: وكان له ابنة عم يحبها حبا شديدا ففارقها بسبب الفاقة، وتوجه إلى عبد الرحمان من

(1) الأبيات وردت مع الحكاية في ثمرات الأوراق: 85، وخزانة الأدب وغاية الأرب 1: 433.

(2) الجدا: جدا يجدوا أي أعطى الجدوى وهي العطية. اللسان: جدا، والبيتان وردا في حياة الحيوان 1/ 16، وثمرات الأوراق 1/ 86.

(3) سبق ذكره.

(4) في مصارع العشاق هو أبو الحسين محمد بن علي بن محمد بن الجاز القرشي الأديب. انظر ج 1/ 23.

(5) علي بن زريق البغدادي، أبو الحسن، شاعر وكاتب، هجر وطنه وتوفي بالأندلس حوالي 420هـ. انظر BROCK: S,I 13 /3 وكشف الظنون:1329.

(6) في مصارع العشاق هوأبو عبد الرحمان الأندلسي.

بغداد إلى الأندلس][1] فامتدحه بقصيدة طويلة[2] بليغة، وتوجه إليه فأراد عبد الرحمان أن يبلوه ويختبره فأعطاه شيئا قليلا، فقال علي: إنا لله! سلكت البراري والبحار إلى هذا الرجل فأعطاني هذا العطاء النزر. قال: فانكسرت نفسه وتذكر فراق ابنة عمه، وبعد المشقة بينهما[3] وحمل المشقة مع قلة دنياه، فاعتل فمات، وكان اشتغل[4] عنه عبد الرحمان أياما ثم سأل عنه فخرجوا يطلبونه حتى انتهوا إلى الخان الذي كان فيه/ فسألوا عنه فقال لهم صاحب الخان: إنه كان هنا، وله يومان لم أره، فقصدوا محله وفتحوا بابه فإذا بالرجل ميتا وعند رأسه رقعة مكتوب فيها القصيدة الآتية، وهي من بديع الشعر وأحسنه، حتى قال بعضهم: من لبس الأبيض وتختم بالعقيق وحفظ قصيدة/ بن زريق الكاتب يعني هذه القصيدة، فقد حاز الظرف كله وهي:

[404/ج]

[300/هـ]

[البسيط]

لا تعذليه فإن العذل يولعه ... قد قلت حقا، ولكن ليس يسمعه

جاوزت في عذله حد المضر به ... من حيث قدرت أن العذل ينفعه/

[336/ب]

فاستعمل الرفق في تأنيبه بدلا ... من عنفه، فهو مضني القلب موجعه

قد كان مضطلعا بالخطب يحمله ... فضلعت بخطوب الدهر أضلعه[5]

يكفيه من لوعة التشتيت أن له ... من النوى كل يوم ما يروعه

ما آب من سفر إلا وأزعجه ... رأي إلى سفر بالرغم يجمعه

تأبى المطامع إلا أن تجشمه ... للرزق كدا وكم ممن يودعه

كأنما هو في حل ومرتحل ... موكل بفضاء الأرض يزرعه

(1) ما بين معقوفين ساقط من: هـ.

(2) ساقطة من: ج.

(3) ج، هـ: بينها وبينه.

(4) هـ: اشتغل.

(5) ضلعت: أي اعْوَجّت بحمل الخطوب أضلعه. انظر اللسان: ضلع.

إذا الزمـاع أراه فـي الرحيـل غنـى ولـو إلى السـد أضحـى فهـو يزمعه[1]
ومـا مجاهـدة الإنسـان واصلـة رزقـا ولا دعـة الإنسـان تقطعـه/
قـد وزع اللـه بيـن الخلـق رزقهـم لـم يخلـق اللـه مـن خلـق يضيعـه
لكنهـم ملئـوا حرصـا فلسـت تـرى مسـترزقا وسـوى الغايـات تقنعـه
والحرص في الرزق، والأرزاق قد قسمت، بغـي، ألا أن بغـي المـرء يصرعـه
والدهـر يعطي الفتى مـن حيث يمنعه إربـا ويمنعـه مـن حيـث يطمعـه
أستودع اللـه فـي بغـداد لـي قمـرا بالكـرخ مـن فلـك الأزرار مطلعـه[2]
ودعتـه ويـود لـو يعاجلنـي ريـب المنـون وإنـي لا أودعـه
كـم قـد تشـفع بـي ألا أفارقـه وللضـرورة حـال لا تشـفعه
وكـم تشـبث بي يـوم الرحيـل ضحى وأدمعـي مسـتهلات وأدمعـه
لا أكـذب اللـه ثـوب الصبـر منخرق عنـي بفرقتـه لكـن أرقعـه
رزقـت ملـكا فلـم أحسـن سياسـته كـذاك مـن لا يسـوس الملـك يخلعه
ومـن غـدا لابسـا ثـوب النعيـم بـلا[3] شـكر[4] عليـه فـإن اللـه ينزعـه
إنـي أوسـع عـذري فـي جنايتـه بالبيـن عنـي وجزمـي لا يوسـعه
كـم قائل: لـك ذنـب البين. قلـت له: الذنـب واللـه ذنبـي لسـت أدفعـه/ [405/ج]
ألا أقمـت مـكان الرشـد أجمعـه لـو أننـي حيـن بـان الرشـد أتبعـه
واللـه لـو لـم تقـع عينـي علـى بلـد فـي سـفرتي هـذه إلا وأقطعـه
مـا اعتضت من وجه من لي عند فرقته كأسـا اجـرع منهـا مـا أجرعـه
يـا مـن[5] أقطـع أيامـي وأنفذهـا حزنـا عليـه وليلـي لسـت أهجعـه

---

(1) الزماع: المضاء في الأمر والعزم عليه. اللسان: زمع.

(2) الكرخ: سوق في بغداد على الضفة الثانية من دجلة. انظر معجم البلدان: الكرخ. وقوله: من فلك الأزرار: لعله أراد به وجه الموصوف بين أزرار قميصه، فجعله فلكا، وجعل الأزرار نجوما.

(3) أ: فلا.

(4) ب: ملك.

(5) أ، ب: فياس.

لا يطمئن لجنبي[1] مضجع وكذا لا يطمئن به، مذ غبت، مضجعه
ما كنت أحسب أن الدهر يفجعني به، ولا ظن في الأيام تفجعه
حتى جرى الدهر فيما بيننا بيد عسران تمنعني حظي وتمنعه
[301/هـ] وكنت من ريب دهري خائفا قلقا فلم أوتاذي قد كنت أجزعه/
بالله يا منزل القصب الذي درست أيامه وعفت مذ نبت أربعه
هل الزمان معيد فيك لذتنا أم الليالي الذي أمضته ترجعه
في ذمة الله من أصبحت منزله وجاد غيث على مغناك يمرعه[2]
[272/أ] من عنده لي عهد لا يضيع كما عندي له عهد صدق لا أضيعه/
ومن يصدع قلبي ذكره وإذا جرى على قلبه ذكري يصدعه
لأصبرن لدهر لا يمتعني به ولا بي في حال يمتعه
علمي بأن اصطباري معقب فرحا فأضيق الامر عند الله أوسعه
[337/ب] عسى الليالي التي أظنت لفرقتا جسمي، ستجمعني يوما وتجمعه/
وإن تنل أحدا منا منيته فما الذي بقضاء الله نصنعه[3]

قال جعفر بن أحمد: فلما وقف عبد الرحمان على هذه الأبيات بكى حتى ابتلت لحيته وقال: وددت لوأن هذا الرجل حي أشاطره نصف ملكي، وكان في الرقعة: منزلي ببغداد في الكرخ بموضع كذا وقومي يعرفون بكذا قال: فحمل إليهم عبد الرحمان خمسة آلاف دينار وأعلمهم بموته رحمه الله[4].

حكى ابن خلكان[5] في تاريخه قال[6]: وينسب إلى الفرزدق مكرمة يرجى له

---

(1) أ، ب: قلبي.

(2) مرع يمرع: أخصب يخصب. اللسان: مرع.

(3) القصيدة وردت في نفح الأزهار في منتخب الأشعار: 5، وورد منها في مصارع العشاق 13 بيتا. انظر ج 1/ 21-24. مع اختلاف في الرواية وترتيب الأبيات.

(4) الحكاية وردت في المرجع نفسه.

(5) زيادة من:ب، ج، هـ.

(6) عبارة: ج، هـ: قال في تاريخه.

بها الجنة، وهي[1] أنه لما[2] حج هشام بن عبد الملك في أيام أبيه وطاف بالبيت، جهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يقدر لكثرة الزحام، فنصب له منبر وجلس ينظر الناس ومعه جماعة من أهل الشام، فأقبل زين العابدين[3] بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان من أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا، فطاف بالبيت، فلما انتهى إلى الحجر الأسود تنحى له الناس حتى يستلم/ وحده، فقال [406/ج] رجل من أهل الشام: من هذا الرجل الذي هابه الناس هذه الهيبة العظيمة؟ فقال هشام: لا أعرفه. فقال الشامي للفرزدق: من هذا يا أبا فراس؟ فقال منشدا:

[البسيط]

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة إن كنت تجهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك: من هذا؟ بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم
إذا رأته قريش قال قائلها: ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
سما إلى ذروة المجد التي قصرت ... عن نيلها حرب الإسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم[4]
في كفه خيزران ريحه عبق ... من كف أروع في عرنينه شمم[5]
يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم إلا حين يبتسم

(1) ب: وهو.

(2) أ: لم.

(3) هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بزين العابدين، رابع الأئمة الإثنى عشر عند الإمامية، واحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع، (توفي سنة 94هـ)، انظر ترجمته في الوفيات 3/ 266.

(4) ركن الحطيم: ركن الجدار بمعنى جدار الكعبة. اللسان: حطم.

(5) العرنين: الأنف. اللسان:عرن.

ما قال: لا، قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم
ينشق نور الضحى من نور غرته كالشمس ينجاب من اشراقها الغيم
موصل من رسول الله نبعته طابت عناصره والخيم والشيم[1]
الله شرفه قدما وعظمه جرى بذاك له في لوحه القلم
[302/هـ] كلتا يديه غياث عم نفعهما تستوكفان ولا يعروهما عدم[2]/
سهل الخليقة لا تخشى بوادره يزينه إثنان: حسن الخلق والكرم
حمال أثقال أقوام إذا مدحوا حلو الشمائل تحلوعنده نعم
لا يخلف الوعد ميمن نقيته رحب الفناء أديب حين يعتزم
[338/ب] عم البرية بالإحسان فانقسمت عنه الغيابة والإملاق والعدم/
[273/أ] من معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجا ومعتصم/
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم[3] أوقيل: من خير أهل الأرض؟ قيل: هم
لا يستطيع جواد درك غايتهم ولا يدانيهم قوم وإن كرموا
هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت في الأسد أسد الشرى والبأس يحتدم
لا ينقص العسر بسطا[4] من أكفهم سيان ذاك إذا أثروا وإن عدموا
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم في كل بدء ومختوم به الكلم
[407/ج] يابى لهم[5] أن يحل الذم ساحتهم خيم[6] كريم، وأيد بالندى هضم/
أي الخلائق ليست في رقابهم لا ولية هذا أوله نعم

---

(1) الخيم: الخلق والسجية وقيل هي: الأصل. اللسان: خيم.
(2) تستوكفان: تقطران من وكف يكف أي سال وقطر. اللسان: وكف.
(3) ج: اليتهم.
(4) هـ: فسطا.
(5) أ: بهم.
(6) أ: خير.

مـن يعـرف اللـه يعـرف أوليـة ذا   فالديـن مـن بيـت هـذا ناله الأمـم"[1]

قال: فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب وحبس الفرزدق قال وأنفذ إليه زين العابدين اثنا عشر ألف درهم فردها وقال: مدحتك لله لا للعطاء، فقال زين العابدين رضي الله عنه: إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئا لا نستعيده قال: فقبلها الفرزدق[2].

حكى المؤلف قال: وقفت على خط بعض أهل الأدب والفضل وصورته، وقفت على سؤال للشيخ بدر الدين بن الشيخ محمد شمس الدين النواجي[3] شاعر العصر وصورته: بسم الله الرحمان الرحيم ما قول سيدنا شيخ الأدب، ومن في الفنون قد دأب نخبة الدهر، وفريد العصر، في قائل قال: إن الشيخ صفي الدين الحلي[4] أشعر من الشيخ جمال الدين ابن نباتة[5] فهل يسلم لهذا القائل ما ادعاه أم لا؟ وما طريق الحق في ذلك، أبقاكم الله تعالى؟ فرأيت بخطه: اللهم اهدنا إلى الأدب. أما المفاضلة بين الشيخين المذكورين فلا وجه لها لعدم المناسبة بينهما، فإن الشيخ جمال الدين إمام هذه الصناعة، ومالك أزمة[6] البراعة، أفضل من نشر ألوية الفضل لهذه العصابة الأدبية، وأجل من يمشي تحت الأعلام الفاصلة، وأوتي

---

(1) القصيدة وردت في الديوان: 178 وورد منها عشرون بيتا في الأغاني 21/ 378-379. وأوردها ابن خلكان كاملة في تاريخه مع بعض الاختلاف في الرواية. انظر ج 6/ 9 - 5 / 96. وزهر الآداب 1/ 65 وكذا في البداية والنهاية 20 - 8 / 8.

(2) الحكاية وردت في الأغاني 21/ 378-379 والوفيات 6/ 95-96.

(3) محمد بن حسن بن علي بن عثمان الشمس النواجي القاهري الشافعي، الشاعر المشهور، توفي سنة 859هـ. انظر ترجمته في الضوء اللامع 7/ 229. والبدر الطالع 2/ 156.

(4) سبق ذكره.

(5) سبق ذكره.

(6) ج: زمة. والأزِمة: مفردها زمام وهوما يشد به. اللسان: زمم.

من صناعة النظم والنثر، القدمين الرقيب والمعلى[1]، وجمع[2] أشتات الفضائل فلم يترك موضعا لالا[3] ومن تصفح ديوان كل منهما علم الفرق بينهما وهومثل الصبح ظاهر وشتان [بين][4] من قيل فيه:

[الكامل]

رب ارحم ابن نباتة واغفر له ... فلقد تزايد في الورى تمجيده

مولى سبا الشعراء رقة لفظة ... فالكل في سوق القريض عبيده

ومن قيل فيه:

[الطويل]

تصفحت ديوان الصفي فلم أجد ... لديه من السحر الحلال مرامي

فقلت لقلبي: دونك ابن نباتة ... ولا تقرب الحلي فهو حرامي[5]

نعم لو وجه السؤال إلى التفضيل بين الشيخ جمال الدين والقاضي كمال الدين [303/هـ] ابن النبيه[6] لكان أقرب إلى الصواب، لأن/ أبياته في غاية الفصاحة والانسجام [339/ب] كقوله/ :

[البسيط]

[274/أ] وروضة وجنان الورد قد خجلت ... فيها ضحى وعيون النرجس انفتحت/

تشاجر الطير في أشجارها سحرا ... ومالت القطب للتعنيق واصطلحت

(1) الرقيب: اسم السهم الثالث من قداح الـمَيْسر، والمعلى. القدح السابع في الميسر وهو أفضلها. انظر اللسان ترقب، علا.

(2) ب: جميع.

(3) لعل هذه الكلمة مصحفة هكذا في جميع النسخ، ولا أدري ماذا تعني.

(4) زيادة من: ب، ج.

(5) البيتان وردا في خزانة الأدب لابن حجة 1/ 12، 167.

(6) علي بن محمد بن الحسن بن يوسف بن يحيى، الأديب الشاعر كمال الدين، ابن النبيه. توفي سنة 619هـ. انظر ترجمته في فوات الوفيات 3/ 66. النجوم الزاهرة 6/ 243. والشذرات 5/ 85.

والظل قد رش ثوب الدوح حين رأى مجامر الزهر في أذياله نفحت[1]

ومع ذلك فالشيخ جمال الدين ابن نباتة مقدم عليه لوجهين. أحدهما: أنه يحوم حول النكت الأدبية، فقلما بيت من أبياته يخلو منها، مع سهولة التركيب في انسجام المعنى. والثاني: أن نسبة كلام ابن النبيه إلى كلام ابن نباتة كنقطة في بحر، وديوان ابن نباتة فيه الكثير الطيب، فتلخص أنه إمام المتقدمين وأوحد المتأخرين، ولم يأت بعد القاضي الفاضل من يساويه ولا يقاربه/ والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، وكتبه الفقير حسن بن محمد النواجي.

حُكي أن بعض الشعراء دخل على الرشيد فأنشده قصيدة جيدة فاسترابه فيها، واتهمه بها وقال له: أسمعك مستحسنا وأنكرك متهما، فإن كنت صاحب الشعر فقل في هذين وأشار إلى الأمين والمأمون، فقال له: لقد حملتني على خطر. هيبة الخلافة، ووحشة الغربة، وروعة المفاجأة، وجلالة المقام، وصعوبة البديهة، وشراد القوافي فليمهلني أمير المومنين ريثما[2] يتألف لي نافر القول، ويتآنس شارد المعنى. فقال له الرشيد: لا عليك، فقد جعلنا اعتذارك عوضا عن امتحانك، فقال: إذا نفست الخناق وسهلت ميادين السباق[3] ثم أنشد يقول:

[الطويل]

هنئت بعبد الله بعد[4] محمد ذرى قبة الإسلام فأخضر عودها

هما طنباها بارك الله فيهما وأنت أمير المومنين عمودها[5]

(1) الأبيات وردت في مجاني الأدب 4/ 219، ونفح الأشعار: 86.

(2) هـ: ربما.

(3) أ: السياق.

(4) أ: ثم.

(5) البيتان وردا في العقد الفريد مع اختلاف قليل بين الروايتين. انظر ج 1/ 262.

فقال له الرشيد: وأنت بارك الله فيك، وأمر له بخلعة وصنيعة[1].

حكى أبو عبد الله[2] محمد بن نصر الأندلسي[3] قال: أنشد بحضرة ملوك الأندلس بعض الشعر لأهل المشرق وهو:

[الطويل]

وماذا عليهم لو أتونا فسلموا ... وقد علموا أني المشوق إليهم
سروا ونجوم الليل زهر طوالع ... على أنهم للناس بالليل أنجم
وأخفوا على تلك المطايا مسيرهم ... فنم عليهم في الظلام التبسم[4]

قال: فأفرط بعض الحاضرين في استحسانها وقال: هذا مما لا يقدر أندلسي على مثله، وبالحضرة أبو بكر ابن هذيل[5] الشاعر المشهور، فقال في الحال بديها وأجاد:

[الطويل]

عرفت بعرف الريح اين تيمموا ... وأين استقال الظاعنون وخيموا
[409/ج] خليلي ردا بي إلى جانب الحمى ... فلست إلى غير الحمى أتيمم/
أبيت سمير الفرقدين كأنما ... وسادي قتاد أوضجيعي أرحم[6]
وأحور وسنان الجفون كأنه ... قضيب من الريحان لدن منعم[7]

---

(1) الصنيعة: هي العطية والكرامة والإحسان. اللسان: صنع. والحكاية وردت في العقد الفريد 1/ 261-262.

(2) أ: بن محمد.

(3) أظنه محمد بن نصر، أبو عبد الله، أصله من سرقسطة، كان حافظا للأخبار والأشعار عالما باللغة والنحو، خطيبا بليغا. انظر تاريخ ابن الفرضي 2/ 66.

(4) الأبيات وردت في نفح الطيب 3/ 153

(5) يحيى بن هذيل بن عبد الملك بن هذيل، التميمي الشاعر، من أهل قرطبة يكنى أبا بكر، توفي سنة 389هـ انظر تاريخ ابن الفرضي 2/ 193.

(6) الفرقدن. نجمان لا يغربان وقيل هما كوكبان قريبان من القطب. اللسان: فرقد.

(7) اللدن: اللين من كل شيء. اللسان: لدن.

نظرت إلى أجفانه وإلى الهوى | فأيقنت أني لست منهن أسلم[1]/ [340/ب]

حُكي لما مات أبو العتاهية إسماعيل، والعباس بن الأحنف، وإبراهيم الموصلي النديم[2] في يوم واحد، فأمر الرشيد المأمون بالصلاة عليهم وحضورهم فوافاهم وقد صفوا في موضع الجنائز فقال: من قدمتهم قالوا: إبراهيم قال: أخروه وقدموا عباسا، فلما فرغ من أمرهم اعترضه بعضهم[3] فقال: أيها الأمير! بم قدمت عباس قال: بقوله يا فضولي:

[الكامل]

سماك لي قوم وقالوا: إنها | لهي التي تشقى بها وتكابد/ [304/هـ]

فجحدتهم ليكون غيرك عندهم | إني ليعجبني المحب الجاحد[4]

قلت: ومن شعر الأحنف بن قيس[5]:

[البسيط]

ويح المحبين ما أشقى جدودهم | إن كان مثل الذي [بي][6] بالمحبينا

يشقون في هذه الدنيا بحبهم | لا يدركون به دنيا ولا دينا

يرق منهم لأهل العشق أنهم | إذا رأوني وما ألقى يرقونا[7]

وقال إبراهيم الموصلي النديم:

---

(1) الأبيات وردت في نفح الطيب 3/ 154 والحكاية وردت في المرجع نفسه.

(2) سبق ذكره.

(3) لعله هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي، انظر الوفيات 3/ 25.

(4) البيتان وردا في الوفيات في الجزء والصفحة السابقين، مع اختلاف الرواية.

(5) سبق ذكره.

(6) زيادة من: ب، ج، هـ.

(7) الأبيات وردت في الديوان: 255، ومصارع العشاق: 163.

[الرمل]

أيها النادب قوما هلكوا   صارت الأرض عليهم طبقا
[275/أ] أندب العشاق لا غيرهم   إنما الهالك من قد عشقا[1]/

حكى [المؤلف][2] رحمه الله[3] قال: سألني بعض الإخوان، وأنا نزيل دمياط سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة، وكان بها الأشرف قايتباي[4] عز نصره وجماعة من المصريين، أن أعمل أبياتا تكتب على مراوح[5] الخوص[6] فقلت فيما يعمل للملوك على الخصوص شعرا:

[المتقارب]

عملت برسم المقام الشريف   المالك الملك الأشرف
مبيد الجنود ومغني الوفود   ببذل النقود وبالمرهف
بعام ثلاث وتسعين مع   ثمان مئتين لها تقتفي

قلت في ذلك شعرا:

[الخفيف]

إن جاري يا سيدي في بلادي   سيدي فاتح وقد أعطاني
[410/ج] من فتوحات سره بركات   صيرتني في خدمة السلطان/

وقلت فيما يعمل للأمير الكبير:

---

(1) البيتان وردا في مصارع العشاق 1/ 248 وفيه أنهما للأحنف ابن قيس.

(2) زيادة من: ب، ج، هـ.

(3) أ، ب، ج: رحمه الله تعالى.

(4) قايتباي المحمودي الأشرف، أبو النصر سيف الدين، من ملوك الجراكسة (815-901هـ)، انظر تاريخ مصر لابن إياس 2/ 90.

(5) أ: مرواح.

(6) المراوح: مفردها مروحة: وهي التي تستعمل للترويح من الحر. اللسان: روح.

[الخفيف]

أكرموني فإنني في بلادي ... كان جاري أبو العطاء التكروري[1]
شملتني منه السعادة حتى ... صرت في خدمة الأمير الكبير

وقلت أيضا:

[الخفيف]

أكرموني يا أهل مصر فإني ... بنت دمياط بلدة الشهداء
كم كئوس رشفتها من حميا ... نيلها بين برزخ وشطاء[2]
فتغربت عن بلادي وأهلي ... أكرموني لسيد الغرباء/ [341/ب]

وقلت في ذلك أيضا:

[الخفيف]

لنسيم الصبا صبوت[3] قديما ... وكساني أهلي من الوشي بردا
وإذا الحر ضر وجه جليسي ... فإليه أهدي سلاما وبردا

وقلت في معنى ذلك أيضا:

[الوافر]

إذا ما مجلس وافاه حر ... وعيشك مع وجود[4] لا يقيم
أحرك النسيم إذا توانى ... وكان أبي يحركه النسيم/ [305/هـ]

وقلت أيضا:

---

(1) لم أقف عليه.
(2) برزخ وشطاء: لعلها مكانان.
(3) أ: هبوبا.
(4) هـ: وجوه.

[البسيط]

إني بريح الصبا أصبحت ذا عبث ... وكان يعبث من قلبي على الغصن
فقلت فيه الذي قد كان يفعله ... هذا بذاك ولا عتبى على الزمن

وقلت أيضا:

[المتقارب]

أحرك ريح الصبا عنوة ... وآخذ ثأري وثأر الشجر
فهل هز أمي عند اللقاح ... فأتبعها[1] طلعها والثمر

وقلت أيضا:

[مخلع البسيط]

دمياط عندي منها نسيم ... أرق من نسمة الصباح
مني في القلب مستكن ... أهديه للا وجه الصباح

حكى المؤلف قال: لما شهدت البيت الحرام زاده الله تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وبرا وزاد في/ شرفه وعظمته ممن حجه واعتمره تشريفا وتكريما وتعظيما ومهابة وبرا أنشدت لنفسي هذا الشعر: [276/أ]

[الرجز]

يا رب انجزنا الأمان الذي ... وعدته داخل هذا الحرم
وامنن على خوفي فقد صرت في ... البيت الذي استبناه إبراهيم/ [411/ج]
وإن يكن قد عظمت زلتي ... عفوك ربي عن[2] ذنوبي أعظم[3]

---

(1) ج: فاتبعها.

(2) ج، هـ: من.

(3) أ، ج، هـ: اعم.

بحق طه المصطفى أحمد ... خير البرايا عربها والعجم
بالحجر والبيت وأركانه ... والحجر الأسود والملتزم
ارحم غريبا نازحا داره ... واغفر له ما قد جنى واجترم
مالي سوى بابك ملجأ فإن ... تطرد فمن للعفو يا ذا الكرم

ولما قضيت الحج لطواف الوداع وفرغت منه وقفت عند الملتزم وأنشدت لنفسي:

[البسيط]

هذا أوان[1] انصراف الخائف الوجل ... أبو الكبائر والأوزار والخطل[2]
من سودت من خطاياه صحيفته ... وما له في سبيل الخير من عمل/ [342/ب]
قد أم بيتك يرجو منك مغفرة ... فلا تخيب رجائي فيك يا أملي
هذي[3] يداي التي ظلما جنيت بها ... كبائر الإثم والتسويف والزلل
وهذه قصتي للباب قد رفعت ... لعل بالعفو عن ذنبي توقع لي
فارقت في حبك الدنيا ولذاتها ... ومن أحب من الخلان والخول
وجئت في هذه البيداء أقطعها ... إذا انتهى جبل أفضي إلى جبل
لكي أعفر خدي في ترابكم ... ويسكن القلب بالتشريف والقبل
وأستزيد به عزا وأجعله ... مسكي الذكي واستشفي به علل
لولم تسر بي إلى أبوابكم إبل ... أتيت سعيا على الأجفان والمقل
يا رب صل على الهادي وعترته ... خير الخلائق والأنبياء والرسل
ثم الرضى عن أبي بكر وعن عمر ... خليفتيه وعن عثمان ثم علي
ما رنحت عذبات البان ريح صبا ... وأطرب العيس حادي العيس بالرمل/ [306/هـ]

(1) ساقطة من: ب.

(2) الخطل: المنطق الفاسد، والفاحش من الكلام. انظر اللسان: خطل.

(3) أ: لذي.

ولما دخلت المدينة الشريفة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام أنشدت لنفسي عند قبره الشريف عليه السلام:

[الكامل]

يا عين هذا أشرف الأشراف ... حامي النزيل ومكرم الأضياف

فلك البشارة قد حصلت على المنى ... والأمن مما كنت منه تخاف

يا ابن الخليل ويا ابن إسماعيل يا ... خير البرية يا ابن عبد مناف

ها قد وقفت بباب جودك سائلا ... عفوا وحاش أن ترد العاف

مستغفرا مما جنيت من الأسى ... والذنب والتسويف والإسراف

[412/ج] وغدت صحيفتي التي سودتها ... بالوزر أحلك من جناح غداف[1]/

فعسى أفوز[2] بخلعة من توبة ... بيضاء مطرزة بطرز عفاف

جئنا إليك على هجان ضمر ... نطوي إليك فدافدا وفياف[3]

شوقي لحجرتك المعظم شأنها ... وورود بحر نداك هذا الطاف

[277/أ] من الليات[4] لنا التي قد أوجبت ... حجي لكعبة جودكم وطواف/

صلى عليك الله يا خير الورى ... ما أنهل وأبل جودك الوكاف[5]

وعليك يا صديق! يا من فضله ... في: إذ هما في الغار ليس بخاف

خير الصحابة أعين وبعده ... كانت خلافته بغير خلاف

وعليك يا فاروق! يا من بأسه ... يوم الوغى يغني عن الأسياف

فلقد نصحت فلم تخف في الله ... لومة لائم[6] في العدل والإنصاف

---

(1) الغداف: الغراب. اللسان: غدف.

(2) أ، ب: أمور.

(3) الفدافد: مفردها فدفد وهي الأرض الخالية التي لا شيء فيها. اللسان: فدفد.

(4) ب: اللبات.

(5) الوكاف: المتقاطر. اللسان: وكف.

(6) ساقطة من: ب.

فجزيتما خيرا فقد أديتما بعد النبوءة حق الاستخلاف/ [343/ب]
وعلى القرابة والصحابة كلهم والتابعين وسائر الأشراف

وما أنشدته لنفسي أيضا عند القبر الشريف عند الوداع والخروج من المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام:

[البسيط]

كم رمت قربك والحرمان يثنيني واليأس يبعدني والشوق يدنيني
وحادث الدهر بالتقريب يمطلني ويخلف الوعد من حين إلى حين
هذا الجناب الذي من حل ساحته يحظى بأمن وتيسير وتمكين
به النبي الذي أوصافه كملت خلقا وآدم بين الماء والطين
ماذا أقول إذا ما جئت أمدحه ومدحه جاء في طه وياسين
عبد نزيل غريب في دياركم يبغي القرى فعساك اليوم تقريني
بنيل ما في ضميري من شفاعتك العظمى[1] ومن لهب النيران تنجيني
وستر ذنبي وتهوين المرور على حد الصراط وتثقيل الموازين
وستر ذريتي والأهل ما وجدوا ونعمة عن جميع الناس تغنيني

ومنها:

والعود للأهل والأوطان في دعة ونحن في خلعتي أمن وتهوين
وعبدك الولد المسكين تلحظه بلحظة منك تحييه فيحييني/ [307/هـ]
وانظرنه عزيزا وهو يرفل في ثوب من العلم والإخلاص والدين
فإنه منية القلب الكئيب وما وجدانه عن أخيه ما يسليني/ [413/ج]
حاش لجودك يوما أن تخيبني وأنت دخر اليتامى والمساكين
شهدت أن إلاهي لا شريك له المنزه الفرد، عن كيف وعن أين

---

(1) ساقطة من:هـ.

وإنك المصطفى خير الأنام ... رسول الله أيدت حقا بالبراهين
أرسلت للعالمين الكل قاطبة ... فهذه ملتي فاشهد، وذا ديني
صلى عليك إلاه العرش ما هطلت ... مدامع الطل في خد الرياحين
والآل والصحب والأتباع إنهم، ... والله، عندي فوق الرأس والعين

أقول: فكان[1] الولد فيه من الفضل والبركة ببركة[2] رسول الله ﷺ وببركة[3] سؤاله في ذلك ﷺ وشرف وكرف ومجد وعظم، وعلى آله الكرام، وصحبه الفخام، وأزواجه الطاهرات، أمهات المؤمنين وأتباعه وأنصاره وأحزابه أجمعين.

حكى المؤلف قال: لما جمعت هذا الكتاب كتبته في ما كان عندي من الورق الشامي وبعض ورق بلدي، ثم أعوزني الورق الشامي لقلة ثمنه وضيق اليد فصرت أكتبه في الورق الفرنجي فأنشدت لنفسي عندما صرت أكتبه وصارت/ [344/ب] الكتابة تتعسر علي فيه وعسر صقله علي:/ [278/أ]

[البسيط]

ما صرت في ورق الإفرنج أكتبه ... إلا لعجزي عن المصري والشامي
وقلت: من نكد الدنيا مصافقتي ... كرها لمن هجره لي خير أيامي
وبعد من أشتهي ألا يفارقني ... يوما وشوقي إليه زائد نامي
لكن برغم أقام السقم في بدني ... وقد تفارق أرواح لأجسام

أقول: أذكرني ذلك أن بعضهم ضمن بيت المتنبي فقال:

[الطويل]

أعاشره كرها وأطلب كيده ... وهذي حياة ما لها في الورى ند

(1) أ: من الولد. ج: ما.
(2) زيادة: ب، ج.
(3) أ: وببركات.

وليت المتنبي قال:

[الطويل]

ومن نكد الدنيا على المرء أن يرى عدوا له ما من صداقته بد

فقلت: أنا مضمنا للبيت المذكور:

[الطويل]

أصادقه كرها ويظهر أنه صديقي كرها والعداوة تشتد
ولست بمعتد له بصداقة كما أنه مني بها ليس يعتد
وذاك لأني عالم وهو عالم فعلمي منه أنني مثله ضد/ [414/ج]
ولكنني أخشاه وهو يخافني فيخفى ويبدو بيننا البغض والود

حكى الأصمعي قال: كان الرشيد يحب جارية له تسمى جنان فأراد أن يمدحها فنظم بيتا من الشعر وأراد أن يشفعه بآخر فامتنع عليه فقال: علي بالعباس بن الأحنف[1] فسارع[2] إليه الخدَمَة ودخلوا عليه بيته ليلا فجزع من ذلك وخاف، فدخلوا[3] به على الرشيد، فلما رآه الرشيد على تلك الحالة قال له: لا بأس عليك، قلت بيتا فارتج علي فقال له العباس: وما هو؟ فقال[4] الرشيد قلت[5]/ : [308/هـ]

[مجزوء الوافر]

جنان قد رأيناها فلم نر مثلها بشرا

فقال العباس:

(1) سبق ذكره.
(2) في جميع النسخ: فسارعوا.
(3) ب، ج، هـ: فدخل.
(4) أ: فقال له.
(5) ساقطة من:هـ.

[مجزوء الوافر]

يزيدك وجهها حسنا إذا ما زدته نظرا

إذا ما الليل قد وافاك في الظلماء معتكرا

وطال وما به قمر فيمنها ترى القمرا[1]

فقال الرشيد: أحسنت يا عباس ولكن دعوناك في هذه الساعة وأجزعنا عليك أهلك فلا أقل من أن نعطيك ديتك، ثم أمر له بمال جزيل، فأخذه وانصرف فرحا مسرورا[2].

حُكي أنه اجتمع السراج الوراق[3] وأبو الحسين الجزار[4] وابن نفيس الشاعر، فمر بهم بعض الملاح فقال فيه السراج الوراق:

[الوافر]

شمائله تدل على اللطافه وريقته تنوب عن السلافه

[345/ب] فقال أبو الحسين الجزار:/

[الوافر]

وفي وجناته[5] ورد ولكن عقارب صدغه منعت قطافه

فقال ابن نفيس:

(1) الأبيات وردت في الديوان: 128.

(2) الحكاية وردت في تاريخ بغداد 12/ 130.

(3) سبق ذكره.

(4) يحيى عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علي، جمال الدين، أبوالحسين الجزار، الأديب المصري توفي سنة 679هـ: انظر ترجمته في الوافي بالوفيات 4/ 277 والنجوم الزاهرة 7/ 345 والشذرات 5/ 364.

(5) أ، ب: وجنته.

[الوافر]

فلو ولي الإمارة ذو جمال   لحق بأن يعطى الخلافة

حكي الشيخ أبو البركات هبة الله محمد المعروف بابن الوكيل وكان شيخا ظريفا قال: كنت في زمن الربيع، مقيما بنصيبين قال: فجلست يوما في داري فأحضرت من بستاني شيئا كثيرا من الورد والياسمين، فعملت على سبيل الولع دائرة من ياسمين[1]، وقابلتها بدائرة من الورد/ فجعلت أنظر إليها فبينما أنا كذلك إذ [279/أ] دخل[2] علي شاعران كانا بنصيبين، أحدهما يعرف بالمهذب والآخر يعرف بالحسن البرقعيدي فقلت لهما: قولا في هاتين/ الدائرتين شيئا، بشرط أن تتفرقا ويقول كل [415/ج] منكما ما تيسر له من غير أن يسمع الآخر ففرقتهما ثم دخل المهذب المذكور فقال:

[مجزوء الرجز]

يا حسنها دائرة   من ياسمين مشرق

والورد قد قابلها   في حلة من شفق

كعاشق وحبه   تغامزا بالحدق

فاحمر ذا من خجل   واصفر ذا من فرق[3]

ثم دعوت الحسن فقلت: هات. فقال:

[مجزوء الرجز]

يا حسنها دائرة   من ياسين كالحلي

والورد قد قابلها   بحمرة كالشعل

كعاشق وحبه   تغامزا بالمقل

(1) أ، ج: يسمين.

(2) أ، ب، هـ: دخلا.

(3) الأبيات وردت في نفح الطيب 3/ 354.

فاحمر ذا من خجل   واصفر ذا من وجل[1]

قال: فتعجبت من تواردهما على ذلك وحكاية الحال.

حُكي أن بعض الأمراء عزم على جماعة من أصحابه فقام رجل منهم للخلاء ثم تبعه مملوك بإبريق فأطالا اللبث في الخلاء فتكلم الحاضرون فيهما وقالوا: وما يمنعه وهو سكران وخلوة؟ ومعه مليح، ثم خرجا من الخلاء فأخذ الرجل الذي قيل فيه منشدا من فيه:

[الرجز]

أهوى رشا من جنة الخلد شرد   مزج رضابه بمسك وبرد[2]

خط عذاراه على الخد زرد   فاقرأ تجده: ﴿قل هو الله أحد﴾

[قال:][3] فعجب الحاضرون من فهمه عنهم ما قالوه في غيبته وحسن اعتذاره.

قلت: ويقرب من هذا أن إياس بن مطيع[4] دخل على قوم فوجدهم في مجلس أنس وعندهم قينة تغنيهم فدعوه للشرب فاستحيى وشرب معهم، وكان لم يأكل في ذلك اليوم شيئا[5] فأضر به الشرب بلا أكل، فقال لجارية: غنيني الصوت المعروف وهو هذا:

[المتقارب]

خليلي داويتما ظاهرا   فمن يداوي الجوا باطنا[6]

(1) الأبيات وردت في نفح الطيب 3/ 354.

(2) الرشا: من أولاد الظباء الذي قد تحرك ومشى. اللسان: رشا.

(3) زيادة من: ج، هـ.

(4) أظنه مطيع بن إياس الكناني أبو سلمى، كان شاعرا من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان ماجنا حلو النادرة، ولد ونشأ بالكوفة (توفي حوالي 169هـ)، انظر ترجمته في تاريخ بغداد 13/ 226. الأغاني 13/ 277 والوافي بالوفيات 4/ 145.

(5) أ، ب: شيء.

(6) الجوى: داء الجوف إذا تطاول. اللسان: جوا. والبيت ورد في الأغاني 13/ 210 منسوبا لعمرو بن سعيد العدوي.

فعلم أصحابه أنه يعرض بالجوع، فأحضروا الطعام.

حُكي عن عبد الله/ بن الضحاك أنه قال: يروى عن الهيثم ابن عدي[1] قال: [346/ب] وهب المهدي لولده موسى الهادي سيف عمرو بن معدي كرب[2] فلما، ولي موسى الخلافة دعا بالسيف ودعا بمكتل وملأه دنانير وقال: لحاجبه: إيذن للشعراء فلما أدخلهم عليه أمرهم أ ن/ يقولوا في/ السيف، فبدأهم ابن يامين البصري[3] فقال: [416/ج][309/هـ]

[الخفيف]

حاز صمصامة الزبيدي عمرو	من جميع الأنام موسى الأمين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا	خير ما أغمدت عليه الجفون
أوقدت فوقه الصواعق نارا	ثم شيبت الزعاف المنون
فكان الفرند والجوهر الجاري	لدى صفحتيه ماء معين[4]
ما يبالي إذا الضريبة خانت	أشمال سطت به أم يمين[5]

فقال الهادي: لك السيف والمكتل، فخذهما، ففرق المكتل على الشعراء وأرسل الهادي إليه فاشترى منه[6] السيف بخمسين ألفا. وللهادي أخبار حسان وإن كان قصير المدة[7].

(1) سبق ذكره.

(2) سبق ذكره.

(3) هكذا ورد في العقد الفريد 1/ 153 ومروج الذهب 4/ 194 والوفيات 6/ 108.

(4) الفرند: وشي السيف: اللسان: وشي.

(5) الضريبة: يقال ضريبة السيف كل شيء ضرب بالسيف. اللسان: ضرب. والأبيات وردت في المراجع السابقة.

(6) ساقطة من: ج.

(7) والحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 194 والوفيات 6/ 108-109 مع اختلاف قليل بين الروايتين.

[280/أ] حُكي/ لما أفضت الخلافة للرشيد دعا يحيى بن خالد بن برمك[1] فقال له: يا أبت! أنت أجلستني هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك وقد قلدناك الوزارة ودفع إليه خاتمه ففي ذلك يقول الموصلي[2]:

[الطويل]

ألـم تـر أن الشـمس كانـت سـقيمة　　فلمـا ولـي هـارون أشـرق نورهـا؟
بيمـن أميـن اللـه هـارون ذي الندى　　فهـارون إليهـا ويحيـى وزيرهـا[3]

حُكي أن حميد بن سعيد[4] كان كاتب الإنشاء[5] بديوان المستعين بالله، وكان حميد المشار إليه مقدما في الكتابة حسن الرسائل حافظا لما يستحسن من الأخبار ويستجاد من الأشعار متصرفا في فنون من العلوم وله أشعار حسنة منها قوله:

[البسيط]

اللـه يعلـم والدنيـا موليـة　　والعيـش منتقـل والدهـر ذو دول
لأنت عندي وإن سـاءت ظنونك بي　　أحلى من الأمن عند الخائف الوجل
وللفـراق وإن هاجـت فجيعتـه　　عليـك أخوف في قلبي من الأجل[6]

وله[7] [أيضا][8]:

(1) سبق ذكره.
(2) هو إبراهيم الموصلي. سبق ذكره. وفي الوفيات: إبراهيم النديم أوابنه إسحاق».
(3) البيتان وردا في مروج الذهب 4/ 196. والأغاني 5/ 242 برواية البيت الثاني: فألبست الدنيا جمالا بوجهه. وكذا في الوفيات 6/ 221.
(4) لعله أراد سعيد بن حميد، كان كاتبا حافظ للأشعار متصرفا في فنون العلم ذكره المسعودى في مروج الذهب 5:60
(5) أ: وإنشاء.
(6) الأبيات ورد الأول والثالث منها في مروج الذهب 5/ 60.
(7) ج: وقوله.
(8) زيادة من: ج، هـ

[الطويل]

أسيدتي مالي أراك بخيلة ... وتمنح بالحرمان من يستزيدها
وأصبحت كالدنيا تذم صروفها ... ونوسعها ذما ونحن عبيدها[1]

حُكي عن عبد الله بن المعتز أنه كان أديبا شاعرا بليغا مطبوعا مجيدا قادرا على الشعر وتصرفاته، قريب المأخذ سهل الطريقة فيه، جيد القريحة حسن الاختراع للمعاني، فمن ذلك قوله:

[الوافر]

يقول العاذلون تسل عنها ... لتطفئ نار قلبك بالسلو
وكيف وقبلة منها اختلاسا ... ألذ من الشماتة بالعدو[2]/ [417/ج]

وقوله:

[مجزوء الرجز]

ضعيفة[3] أجفانه ... والقلب منه حجر[4]
كأنما ألحاظه ... من فعله يعتذر[5]

وقوله:/ [347/ب]

[الخفيف]

عجبا للزمان في حالتيه ... وبلاء وقعت فيه لديه

(1) البيتان وردا في مروج الذهب 5/ 60 والحكاية في نفس المرجع.
(2) البيتان لم يردا في الديوان، وهما في مروج الذهب 5/ 194.
(3) أ، ب: ضيقة.
(4) أ، ب: نجر.
(5) انظر الديوان: 184. ومروج الذهب 5/ 194.

رب يوم بكيت فيه فلما صرت في غيره بكيت عليه[1]

وقوله:

تول الجهد[2] وانقطع الشباب ولاح الشيب وافتضح الخضاب

[310/هـ] لقد بغضت نفسي في مشيتي فكيف تحبني الخود الكعاب[3]/

وقوله في أبي الحسن بن الفرات[4]:

[الطويل]

أبا حسن ثبت في الأمر مطلبي وأدركتني في المعضلات الهزاهز

وألبستني ذرعا علي حصينة فناديت صرف الدهر: هل من مبارز[5]؟

وقوله في عبيد الله بن سليمان بن وهب[6]:

[الطويل]

لآل سليمان بن وهب صنائع إلي ومعروف لدي تقدما

هم علموا الأيام كيف تبرني وهم غسلوا عن ثوب والدي الدما[7]

وقوله عند وفاة المعتضد[8]:

(1) البيتان لم يردا في الديوان، وهما في مروج الذهب 5/ 194.

(2) ج، هـ: الجهل وفي الديوان: العمر.

(3) الخود الكعاب: الفتاة المرتفعة الثدي، البيتان معا في الديوان: 82 وفي مروج الذهب 5/ 194.

(4) أبو الحسن علي بن محمد بن موشي بن الفرات، وزير المقتدر ترجمته في كتب التاريخ كالطبري وغيره. انظر الوفيات 3/ 421.

(5) البيتان وردا في الديوان: 230 ومروج الذهب 5/ 184.

(6) عبيد الله بن سليمان بن وهب، أبو القاسم الكاتب الوزير، توفي سنة 288هـ)،كان وزيرا للمعتضد. انظر ترجمته في الوفيات 3/ 192 وفوات الوفيات 2/ 434.

(7) البيتان لم يردا في الديوان، وهما في مروج الذهب 5/ 195.

(8) هو المعتضد بالله العباسي: سبق ذكره.

[الطويل]

قضـوا ما قضـوا مـن أمره ثـم قدموا إماما أمـام الحـق بيـن يديـه
وصلـوا عليـه خاشـعين كأنهـم صفـوف قيـام كالوفـود عليـه[1]

وقوله في المعنى وقد اقتصد من ذلك:

[الخفيف]

يـا دمـا سـال مـن ذراع الإمـام أنـت أذكـى مـن عنبـر وخـزام
قـد ظننـاك إذ[2] جريـت مـن الطسـت دموعا مـن مقلتي مسـتهام
إنمـا عـرف الطبيـب شـبا المبضـع منه في مهجة الإسـلام[3]/ [281/أ]

وقوله:

[مجزوء الكامل]

اصبـر علـى كيـد الحسـو د فـإن صبـرك قاتلـه
فالنـار تـأكل بعضهـا إن لـم تجـد مـا تأكلـه[4]

وقوله:

[المنسرح]

يطـوف بالـراح بيننـا رشـا محكـم فـي القلـوب والمقـل
يـكاد لحـظ العيـون[5] حيـن بـدا يـسقيك مـن خـده نعـم الخجـل[6]

---

(1) البيتان لم يردا في الديوان، وهما في مروج الذهب 5/ 195.
(2) أ، ب: إن.
(3) شبا المبضع: أي حد المبضع. اللسان: شبا. الأبيات لم ترد في الديوان، وهي في مروج الذهب مع اختلاف الروايتين.
(4) البيتان في الديوان 344 ومروج الذهب 5/ 195.
(5) ب: الجفون.
(6) البيتان لم يردا في الديوان وهما في مروج الذهب 5/ 195. مع اختلاف في الرواية

وقوله:

[الكامل]

رشا يتيه بحسن صورته عبث الفتور يلحظ مقلته
وكأن عقرب صدغه وقفت لما دنت من نار وجنته[1]

حُكي عن أبي بكر محمد الظاهري[2] الفقيه أنه كان من علماء الأدب والتصرف[3] [418/ج] في بحار اللغة، عالما بالفقه منفردا بالفضل. صنف في عنفوان صباه/ كتابه المعروف بالزهرة، وله كتب جليلة في الفقه وغيره. ومما قاله في أول عمره وأثبته في كتابه المذكور وكان محسنا في سائر كلامه من منظومه ومنثوره، قوله:

[الطويل]

على كبدي من خيفة البين لوعة يكاد لها قلبي أسى يتصدع
يخاف وقوع البين، والشمل جامع فيبكي بعين دمعها متسرع
[348/ب] فلو كان مسرورا بما هو واقع كما هو محزون لما أتوقع/
لكان سواء برؤه وسقامه ولكنْ أشد البين أوهى وأوجع[4]

وقوله:

[الوافر]

تمتع من خليلك بالوداع فما بعد الرحيل من اجتماع
فكم جربت من هجر وغدر ومن حال اتضاع وارتفاع

---

(1) البيتان لم يردا في الديوان وهما في مروج الذهب 5/ 195. الكلام الذي تقدم عن ابن المعتز كله وارد في مروج الذهب 5/ 194-195.
(2) سبق ذكره.
(3) أ، ب: والتعرف.
(4) الأبيات وردت في مروج الذهب 5/ 196 مع اختلاف الرواية.

وكم كأس أمر من المنايا ... شربت فلم يعق عنها ذراع
فلم أر في الذي لاقيت شيئا ... أمر من الفراق بلا وداع/ [311/هـ]
تعالى الله كل مواصلات ... وإن طالت تؤول إلى انقطاع[1]

قلت: توفي رحمه الله سنة ست وسبعين ومائتين[2].

حُكي عن علي [ابن محمد][3] بن بسام[4] أنه كان شاعرا مطبوعا لسنا[5] في الهجاء، لم[6] يسلم منه وزير ولا أمير ولا صغير ولا كبير وله هجاء في أبيه وإخوته وسائر أهل بيته، فمن ذلك قوله في أبيه وقد بنى دارا:

[البسيط]

بنى أبو جعفر دارا فشيدها ... ومثله لخيار[7] الدور[8] بناء
الجوع داخلها والذل خارجها ... وليس داخلها خبز ولا ماء
ما ينفع الدار من تشييد حائطها ... وفي جوانبها بؤس وضراء[9]

وله فيه:

[الخفيف]

هيك! عمرت عمر عشرين نسرا ... أترى أنني أموت وتبقى

(1) الأبيات وردت أيضا في المرجع نفسه.
(2) هكذا ورد تاريخ وفاة ابن داود في مروج الذهب.
(3) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، هـ.
(4) علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام شاعر هجاء، عالم بالأدب والأخبار (230-302هـ)، انظر ترجمته في تاريخ بغداد 6 12/ 3، والوفيات.
(5) لسن وألسن: أي جيد الكلام. واللسن: جودة الكلام. اللسان: اللسن.
(6) ج، هـ: ولم.
(7) هـ: جوار.
(8) أ: الدار.
(9) الأبيات وردت في مروج الذهب 5/ 197.

فلئن عشت بعد موتك يوما   لأشقن ثوب مالك شقا[1]

وله فيه:

[الطويل]

رأى الجوع طبا فهو يحمى ويحتمى   فلست ترى في داره غير جائع
ويزعم أن الفقر في الجود والسخا   وأن ليس حظ في اتخاذ الصنائع
لقد أمن الدنيا ولم يخش صرفها   ولم ير أن المرء رهن الفجائع[2]

قال: وكان أبوه محمد بن نصر بن منصور في نهاية الثروة والمروءة، وكان رجلا مترفا حسن الزي شغوفا بالبناء[3]، ذكر أبو عبد الله القمي قال: دخلت عليه يوما شاتيا/ شديد البرد وهو ببغداد، فإذا هوفي قبة واسعة عالية قد طينت بالطين الأحمر الأرميني تلمع بريقا فقدرت أن يكون مقدار القبة نحوعشرين ذراعا في مثلها وفي وسطها كانون نحو عشرة أذرع فيه جمر، وهوجالس في وسط القبة عليه/ غلالة قصب وما حول الكانون مفروش بالحرير الفاخر الأحمر والأخضر فأجلسني بالقرب منه فكدت أن أتلظى من الحر، فدفع إلي خادم له ماء الورد قد مزج بالكافور، فمسحت به وجهي ثم رأيته استسقى ماء فأتوه بماء رأيت فيه ثلجا، ثم خرجت من عنده [فإذا برد شديد، فقلت: لا يصلح هذا البيت لمن[4] يخرج منه. قال: ودخلت عليه في بعض الأيام وهو جالس][5] على موضع في آخر[6] داره على دكة[7] تشرف على بستان، وحوله غزالان وقماري وغيرها، فقلت

[419/ج] [282/أ]

(1) البيتان وردا في مروج الذهب: 197 وفي الوفيات 3/ 363.
(2) الأبيات وردت في مروج الذهب 5/ 197.
(3) هذا الخبر عن علي بن بسام ورد في الوفيات 3/ 364.
(4) أ، ب، ج: من.
(5) ما بين.معقوفين ساقط من: ب.
(6) أ: زا في.
(7) أ: دكانة.

له: يا أبا جعفر! أنت والله جالس في الجنة. قال: ليس ينبغي لك أن تخرج من الجنة، اجلس فما استقر بي مجلسي حتى أوتينا بمائدة جزع، لم أر أحسن منها، وفي وسطها جامات جزع، على جنباتها مزركش بالذهب وهي مملوءة بصحون صينية فيها صدور الدجاج وعلى المائدة سكرجات[1] جزع فيها أنواع من التوابل والملح، ثم أوتينا بجامات لوزينج[2] ثم رفعت المائدة وقمنا من فورنا إلى موضع الشراب فقدم بين أيدينا باطية صينية[3] بيضاء مملوءة بالبنفسج، وأخرى مثلها فيها التفاح/ [349/ب] الشامي فقدرت ما فيها من التفاح قدر ألف تفاحة فما رأيت طعاما أنظف ولا ريحا ألطف ولا نقلا أظرف منه، ثم قال: هذا حق الصبوح وما أحضر إلينا فهو من طيب هذا اليوم، ثم قال المسعودي: وإنما ذكرنا هذا الخبر ليعلم أن ولده أخبر عنه بضد ما كان، وأنه لم يسلم من لسانه إنسان، وقال علي بن بسام[4] يهجو أسد بن جهور الكاتب[5] وجماعتهم وغيرهم وهو:

[الكامل]

تعس الزمان لقد أتى بعجائب	ومحا رسوم الفضل والآداب
أو ماترى أسد بن جهور قد أتى	متشبها بأجلة الكتاب؟
وأتى بأقوام لوانبسطت يدي	فيهم رددتهم إلى الكتاب[6]/ [312/هـ]

(1) السكرجة بضم السين والكاف والراء والتشديد: إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم. اللسان: سكرج.

(2) لوزينج: من الحلواء شبه القطائف تؤدم بدهن اللوز. اللسان: لوز.

(3) الباطية: إناء من الزجاج. يملأ من الشراب. اللسان: بطا.

(4) سبق ذكره.

(5) أسد بن جهور، كاتب عباسي في عهد المقتدر ذكره المسعودي في تاريخه 5/ 202

(6) الأبيات وردت في مروج الذهب 5/ 202 والوفيات 3/ 364 مع اختلاف في ترتيب الأبيات حيث ورد البيت الأخير هو الثاني، والثاني هو الأخير.

حُكي أن الراضي بالله[1] كان أديبا شاعرا ظريفا وله حسان الأشعار ومعاني مختلفة يضاهي فيها ابن المعتز[2] فيما يقصر عنه، وكان أبو بكر الصولي[3] يروي من أشعاره كثيرا ومن أخباره غزيرا، ويذكر جميل أخلاقه، وارتياضه بالعلم وفنون الأدب وإشرافه على علوم المتقدمين، وخوضه في بحار المحدثين من/ أهل الرواية. ومن شعره قوله: [420/ج]

[المنسرح]

يصفر وجهي إذا تأمله طرفي ويحمر خده خجلا
حتى كان الذي بوجنته من دم وجهي إليه قد نقلا[4]

حُكي أن أبا العلاء المعري[5] كان متهما في دينه، لا يرى فساد الصور ولا يؤمن بالبعث، عاش ست وثمانين سنة، وأقام خمس[6] وأربعين سنة في آخر عمره لا يأكل اللحم. قيل إنه مرض فوصف له الطبيب فروجا، فلما جيء[7] به لم يمسه بيده، وقال له[8]: استضعفوك فوصفوك لي، لم لا وصفوا لي[9] شبل الأسد؟ وكان لا يأكل حيوانا ولا ما خرج من حيوان كالبيض مثلا، ويقتصر على ما ينبت من

(1) سبق ذكره.
(2) سبق ذكره.
(3) سبق ذكر الصولي. وقد روى أخبار الراضي في كتابه «أخبار الراضي بالله والمتقي لله».
(4) البيتان وردا في الكامل لابن الأثير 8/ 366 وفي مروج الذهب وفوات الوفيات نفس الصفحات السابقة.
(5) سبق ذكره.
(6) ج، هـ: خمس.
(7) أ: جاء.
(8) ساقطة من: هـ.
(9) ساقطة من: ج.

الأرض ويلبس خشن الثياب، ويظهر دوام الصوم على ما قال أبو زكريا يحيى[1]:
دخلت على أبي العلاء فقلت: اليوم اختبر افتقاره واعتقاده. فقلت له: أناشدك
فقال: وهكذا شيخك يعني نفسه وأنشد:

[الطويل]

ضحكنا فكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
يحطمنا هذا الزمان كأننا زجاج كسير لا يعاد له سبك
ومنكر هذا في الجحيم مخلد وذلك حق لا يداخله شك
وإن لم يكن قد صح أو صح غير ذا، على كل حال، كله باطل إفك[2]

قال أبو سعيد السمعاني[3] كنت عند المعري فبينما أنا عنده إذ دخل علي صاحب
لي له سنين/ لم أره فسررت وكلمته بلسان أذربيجان، فقال أبوالعلاء: ما هذا [283/أ]
اللسان فأخبرته فقال: لم أعرفه ولكني حفظت ما قلتما فأعاده من غير زيادة ولا
نقصان فعجبت من حفظه لما لا يفهمه رحمه الله[4].

حُكي أن عبد الله بن المعتز كتب إلى بشر اليزيدي يقول:

[المديد]

يا شريف الدهر في الحسب وفريد الناس في الرتب
والذي ما مثله بشر في فنون العلم والأدب/ [350/ب]

---

(1) أظنه يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي أبوزكريا، نشأ ببغداد ورحل إلى بلاد الشام فقرأ تهذيب اللغة للأزهري، على أبي العلاء المعري (توفي حوالي 502هـ)،انظر ترجمة التبريزي في الوفيات 6/ 195والشذرات 5/ 4.

(2) الأبيات لم ترد في سقط الزند، وورد منها البيت الأول والثاني في الفوات 42 3/ 9

(3) هو أبو سعد عبد الكريم بن أبي بكر، تاج الإسلام السمعاني، توفي سنة 562هـ.انظر الوفيات 20 3/ 9.

(4) انظر الأنساب للسمعاني: ترجمة المعري.

كنت في ثرواك ذا صلة في رسالات وفي خطب
وقبيح بكريم إذا مال عن عهد بلا سبب

وله [أيضا:][1]

[المتقارب]

إذا كان يؤذيك حر المصيف وكرب الخريف وبرد الشتا
ويلهيك حسن زمان الربيع فأخذك للعلم قل لي: متى[2]؟

وله[3]:

[المتقارب]

[421/ج] قد قال فيما[4] مضى حكيم: ما المرء إلا بأصغريه/
فقلت قول امرئ لبيب ما المرء إلا بدرهميه
ومن لم يكن معه درهماه لم تلتفت عرسه[5] إليه
وكان في أهله فقيرا وبال سنوره عليه[6]

حُكي أن هذا من أظرف الشعر وهو من نظم أمية بن أبي الصلت الأندلسي[7]

ابن عبد العزيز الشاعر:

(1) زيادة من:هـ

(2) البيتان لم يردا في الديوان.

(3) زيادة من: ب، ج، هـ

(4) أ: في.

(5) هـ: عرسا.

(6) الأبيات لم ترد أيضا في الديوان.

(7) أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي، كان فاضلا في علوم الآداب، كان يقال له: الأديب الحكيم توفي سنة 529 هـ انظر ترجمته في معجم الأدباء.7/ 52 نفح الطيب.10 2/ 5 الوفيات.24 1/ 3.

[الطويل]

وقائلة لي: ما لذكرك خامل ... أأنت ضعيف الرأي أم أنت عاجز؟

فقلت لها: ذنبي إلى القوم أنني ... لما لم يحوزه من الفضل حائز

وما فاتني شيء سوى الحظ وحده ... وأما المعالي فهي في غرائز[1]/ [313/هـ]

حُكي عن أبي القاسم نصر بن محمد البصري[2] أنه كان أميا وكان من الشعراء المحسنين، في شعره قوله:

[المتقارب]

وكان الصديق يزور الصديق ... لضم القيان ورشف القنان[3]

فصار الصديق يزور الصديق ... لبث الهموم وشكوى الزمان[4]

وقال أيضا يتغزل في مليح كان يهواه:

[المتقارب]

رأيت الهلال ووجه الحبيب ... فكان هلالين عند النظر

فلم أدر أيهما قاتلي، ... هلال السماء أم هلال البشر؟

ولولا التورد في الوجنتين ... وما شفني من سواد الشعر[5]

لكنت أظن الهلال الحبيب ... وكنت أظن الحبيب القمر[6]

(1) الأبيات وردت في الديوان: 100. الوفيات 1/ 244. والنفح 19/ 4. 35. 6/ 3.

(2) هو أبوالقاسم نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصري المعروف بالخبز أرزي. الشاعر المشهور، كان أميا لا يكتب. توفي سنة 317هـ. انظر ترجمته في تاريخ بغداد 13/ 296. المنتظم 6/ 329. الوفيات 5/ 376. والشذرات 2/ 276.

(3) القنان: جمع قنينة.

(4) البيتان وردا في الوفيات 5/ 377 مع اختلاف في الرواية.

(5) شفني: ظهر من وراء الشف، وهوالثوب الرقيق وقيل الستر الرقيق. واللسان: شفف.

(6) الأبيات وردت أيضا في الوفيات بنفس الرواية 5/ 378.

وقال آخر في المعنى:

[المتقارب]

رأيت الهلال على وجهه فلم أدر أيهما أنور

على أن ذاك بعيد المزار وهذا قريب لمن ينظر

وذاك يغيب وذا حاضر ولا من يغيب كمن يحضر

ومنع الهلال قليل لنا ومنع الحبيب لنا أكثر(1)

حكى بعض أهل الفضل قال: دخلت على الإمام الشافعي رحمه الله يوما فقلت له: قد قلت أبياتا من الشعر وجئتك، فإن أنت أجزتها فلك الحكم وإلا علي الحكم فقال: [إيه.](2) فأنشدته(3):

[الكامل]

[351/ب] ما همني إلا مقارعة العدا خلق الزمان وهمتي لم تخلق/

لكن من رزق الحجا حرم الغنى ضدان مفترقان أي تفرق(4)

[ج/422][1/284] لو كان بالجبل الغنى لوجدتني بنجوم أقطار السماء تعلق/

فقال الشافعي رحمه الله ارتجالا:(5)

[الكامل]

إن الذي رزق اليسار ولم يصب حمدا ولا أجرا لغير موفق

بالجد يدنو كل أمر شاسع والجد يفتح كل باب مغلق

---

(1) الأبيات لعلي بن الجهم وردت في جمع الجواهر. 8/ 6.

(2) زيادة من: ج، هـ.

(3) أ: فأنشدوا.

(4) أ: تفارق.

(5) ج: رحمه الله تعالى.

وإذا سمعت بأن مجدوذا حوى عودا فأورق في يديه فصدق
وإذا سمعت بأن محروما أتى ماء ليشربه فغاض فحقق
ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق[1]

قلت ومن ظريف الشعر وألطفه قول بعضهم:

[الوافر]

غزال حبه للصبر غرب ولكن حسنه للحسن شرق
وددت وقد تبسم عنه طرفي وقلت له: ترى لي فيك رزق
سأرجو الوصل لا أنني جدير ولا قدري لقدرك فيه وفق
ولكن لست أول من تمنى من الدنيا الذي لا يستحق

حكى[2] المؤلف رحمه الله قال: ويعجبني قول مؤيد الدين محمد بن علي الطغرائي[3]:

[الوافر]

إذا [ما][4] لم تكن ملكا مطاعا فكن عبدا لمالكه مطيعا/ [314/هـ]
وإن لم تملك الدنيا جميعا، كما تختار فاتركها جميعا
هما سيان من ملك ونسك ينيلان الفتى الشرف الرفيعا
فمن يقنع من الدنيا بشيء سوى هذين كان بها وضيعا[5]

---

(1) الأبيات وردت في الديوان والوفيات 4/ 166.

(2) ساقطة من: ج.

(3) هو الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد، أبو إسماعيل، مؤيد الدين الأصبهاني المعروف بالطغرائي (ت 513هـ)، انظر ترجمته في الأنساب للسمعاني 5/ 393 ومعجم الأدباء 9/ 56 والوفيات 2/ 185.

(4) زيادة من: ب، ج، هـ.

(5) الأبيات وردت في الفلاكة والمفلوكون: 140.

وقال الطغرائي يستدعي صديقا إلى صديق عنده في مجلس أنس ما صورته:

[الوافر]

فديتك قد تنبهنا لدهر عيون صروفه عنا تنام
وجادلنا الزمان بجمع شمل تألف بعدما انفرط النظام
وحمر تشبه الياقوت لونا يحيط بها أساورة كرام
ومجلسنا على ما فيه يرمى بنقصان وأنت له تمام
فلا تعتل بالأشغال واحضر على عجل فديتك والسلام

حُكي أن معاوية رضي الله عنه قال: اجعلوا الشعر أكبر همكم وأعظم أدبكم لأن فيه مآثر أسلافكم ومواضع إرشادكم، فلو رأيتني يوم صفين وقد عزمت على الفرار ووضعت رجلي في الركاب ثلاث مرات فتذكرت قول عمرو بن الإطنابة[1] [423/ج] الأنصاري حيث يقول:/

[الوافر]

[352/ب] أبت لي همة العلياء إلا لأشري المجد بالثمن الربيح/
وإقدامي على المكروه كرها وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما استعرت نفسي رويدك تحمدي أوتستريحي
فإما رحت بالشرف المعلى وإما رحت بالموت المريح
لأدرك منيتي وتقر عيني وأحمي بعد عن نسب صريح
بذي شطب كلون الملح صاف ونفس لا تقر على القبيح[2]

قال: فكان ذلك سببا لثبوتي حتى كان أمر الله قدرا مقدورا.

(1) عمرو بن عامر بن زيد مناة، اشتهر بنسبته إلى أمه الإطنابة، شاعر جاهلي، راجع الأغاني 11/ 121-124.

(2) الأبيات وردت في الكامل للمبرد 3/ 1434 وبها ينتهي القول المبرد عن معاوية، وفي الوفيات وردت 4 أبيات برواية قليلة الاختلاف 5/ 241.

حُكي أن أسامة بن مرشد[1] كتب إلى أبيه جوابا عن أبيات كتبها أبوه إليه يشكو فيها إخوانه وهي:/ [أ/285]

[الوافر]

وما أشكو تلون أهل ودي ... ولو أجدت شكايتهم شكوت
مللت عتابهم ويئست[2] منهم ... فما أرجوهم فيمن رجوت
إذا أدمى كلامهم فؤادي ... كظمت على أذاهم وانطويت
ورحت عليهم طلق المحيا ... كأني ما سمعت ولا رأيت
تجنوا لي ذنوبا ما جنتها ... يداي[3] ولا أمرت ولا نهيت
ولا والله ما أظهرت[4] غدرا ... كما قد اضمروه ولا نويت
ويوم الحشر موعدنا وتبدو ... صحيفة ما جنوه وما جنيت[5]

وله [أيضا]:[6]

[الوافر]

شكا ألم الفراق الناس قبلي ... وروع بالنوى حي وميت
وأما مثل ما ضمت ضلوعي ... فإني ما سمعت ولا رأيت[7]

وقلت في شكوى أبناء الزمان:

---

(1) أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر الكناني الملقب مؤيد الدولة مجد الدين. انظر معجم الأدباء 5/ 188. الوفيات 1/ 195. البداية والنهاية 12/ 331.
(2) أ: وسمت.
(3) أ: يدي.
(4) أ: أدمرت.
(5) الأبيات وردت في الوفيات 1/ 198.
(6) زيادة من: ب، ج، هـ.
(7) البيتان وردا أيضا في الوفيات.

[الكامل]

[315/هـ] ولقد بلوت الدهر خبرا مثل ما ... خبر به من قبلي أولو الألباب/
فوجدت كل الناس إما حاسدا ... في نعمتي أو شامتا بمصاب
متظاهرا وصفيهم يرى الصفا ... عند اللقا وإذا خلا مغتاب
وينم بي طورا وطورا مظهرا ... خطإي وطورا دافنا لصواب
وشماتة الأعداء مصابا ثانيا ... وأشد منه تغمم الأحباب

وقلت أنا:

لا تعول على أب وشقيق ... لا ولا ابن ربيته وصديق
لا ولا زوجة تقول: أواسيك ... بمالي ومهجتي في المضيق
[424/ج] ذلك زور ومن تعول عليه ... عادم الرأي عادم التوفيق/
[353/ب] وإذا المال والشباب تولى ... عنك ولى الجميع بالتحقيق/

وقال أبو السعادات السنجاري:[1]

[الكامل]

وهواك[2] ما خطر السلو بباله ... ولأنت أعلم في الغرام بحاله
ومتى سعى واش إليك بأنه ... سأل هواك فذاك من عذاله
أو ليس للكلف المعنى شاهد ... من حاله يغنيك عن تسآله
يا[3] للعجائب من أسير دأبه ... يفدي الطليق بنفسه وبماله
بأبي وأمي: بابل بلحاظه ... لا يتقي بالدرع حد نباله
تسري النواظر في مراكب حسنه ... فتكاد تغرق في بحار جماله

(1) هو أبو السعادات أسعد بن يحيى بن موسى السلمي السنجاري الفقيه الشاعر (533-622هـ)، انظر الوفيات 1/ 214.
(2) أ، ب، هـ: وهوان.
(3) أ، ب: ما للعجائب.

كتب العذار على صحيفة خده نونا فأعجمها[1] بنقطة خاله
فسواد طرته كليل صدوده وبياض غرته كيوم وصاله[2]

(1) أ، ب: فأعجبها.
(2) الأبيات وردت في الوفيات 1/ 214 مع اختلاف في العدد والترتيب.

الباب الرابع والعشرون[1]

في المدح والهجاء

حُكي أن عبد الله بن طاهر بن الحسين[2] لما تولى خراسان بعد موت الواثق[3] دخل عليه عبد الله بن خليل بن سعد المعروف[4] بالعميلي بقصيدة يمدحه فيها يقول، منها:

[الكامل]

يا من يؤمل أن تكون خصاله ... كخصال عبد الله، أنصت واسمع/ [286/أ]

أصدق وعف وبر وأنصف واحتمل ... واحلم ودار وكاف واجمل وادفع

فلقد نصحتك[5] إن قبلت نصيحتي ... ونهجت للنهج الأسد المهيع[6]

حُكي أن الإمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخرج زياد بن أبيه[7] في صلاحِ فسادٍ وقع باليمن، فلما رجع خطب خطبة لم يسمع الناس بمثلها، فقال عمرو بن العاص: والله لو[8] كان هذا الفتى قريشيا[9] لساق العرب بعصاه. فقال أبو

---

(1) ب: والعشرين.

(2) سبق ذكره.

(3) الواثق العباسي. سبق ذكره.

(4) عبد الله بن خليد، مولى جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو العميل كان عارفا باللغة، شاعرا مجيدا، وكان شاعر عبد الله بن طاهر، توفي سنة 240هـ. انظر ترجمته في البيان والتبيين 1/ 280 تحقيق هارون. والوفيات 3/ 89.

(5) أ: نصحت.

(6) المهيع: الطريق المهيع: الواسع، الواضح، البين. انظر اللسان: هيع. الأبيات وردت في الوفيات 3/ 83.

(7) سبق ذكره.

(8) أ، ب، هـ: لولا.

(9) هـ: قرشيا.

سفيان: والله إني لأعلم من وضعه في رحم أمه. فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ومن هو يا أبا سفيان؟ فقال: أنا، فقال علي رضي الله عنه: مهلا يا أبا سفيان، فقال: أنا، ثم أنشد يقول:

[الوافر]

[316/هـ] ألا والله لولا خوف شخص يراني يا علي من الأعادي/
[425/ج] لأظهر أمره صخر بن حرب[1] ولم تكن المقالة في زياد/
فقد طالت مجاملتي ثقيفا وتركي فيهم ثمر الفؤاد[2]

وكانت فلتة من أبي سفيان، فذاك الذي حمل معاوية على إلحاق زياد، وذلك في سنة أربع وأربعين، وشهد بذلك عنده زياد بن أسماء[3] ومالك بن ربيعة[4] والمنذر بن الزبير[5] على إقرار أبي سفيان، وكان أبو بكرة[6] يقول: والله ما رأت سمية[7] أبا سفيان قط، ولما ألحق معاوية زياد بن أبيه بأبي سفيان دخل عليه مروان بن الحكم[8] وأنشده قول أخيه عبد الرحمان[9] فيه يقول:

(1) سبق ذكره.

(2) الأبيات وردت في الوفيات 6/ 357.

(3) هو زياد بن أسماء الحرمازي، ذكره ابن حجر في الإصابة من الشهداء على استلحاق معاوية لزياد بن أبيه، وزاد شهودا آخرين، انظر ج2/ 528.

(4) هو مالك بن ربيعة السلولي يكنى أبا مريم وهو من ولد مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن أخي عَامِر بن صعصعة نسب أولاد مرة إلى أمهم سلول بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة وهو والد يزيد بن أبي مريم شهد الحديبية، وبايع تحت الشجرة، وعداده في الكوفيين، انظر أسد الغابة 5 / 22 والاستيعاب لابن عبد البر 3/ 1352

(5) هو المنذر بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، من وجوه قريش وشجعانهم في صدر الدولة الأموية، مات حوالي 73هـ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء4/ 408، وتاريخ الإسلام2/ 725.

(6) أبو بكرة هوأخو زياد بن أبيه لأمه، ذكر ذلك في الوفيات 6/ 358 وفي فوات الوفيات 2/ 32.

(7) سمية هي أم زياد بن أبيه، كانت جارية للحرث بن كلدة الثقفي، انظر الأعلام: ترجمة زياد.

(8) سبق ذكره.

(9) عبد الرحمان بن الحكم بن أبي العاص الأموي أخو مروان، شاعر محسن، وتوفي سنة 70هـ. انظر فوات الوفيات 2/ 277.

[الوافر]

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... فقد ضاقت بما يأتي اليدان

اتغض أن يقال[1] أبوك عف ... وترضى أن يقال أبوك زان

[فاشهد أن رحمك من زياد ... كرحم الفيل من ولد الأتان][2]

وقال بعضهم يهجو عباد بن زياد[3]/ : [354/ب]

[الطويل]

أعباد ما للؤم عنك محول ... ولا لك أم من قريش ولا أب

وقل لعبيد الله مالك والد ... فتهجى ولا يدري له[4] كيف ينسب

ذكر ذلك[5] صاحب الدرر والغرر[6].

حُكي أن الشعبي[7] سأله رجل هل تجوز الصلاة خلف ولد الزنى؟ فقال: نحن منذ ثلاثين سنة نصلي خلف زياد بن أبيه.

حُكي أن أم الحجاج بن يوسف الثقفي كانت تسمى الفارعة[8] وكانت تحت الحرث بن كلدة[9] فطلقها وتزوجها يوسف بن أبي عقيل[10] الثقفي فولدت له

(1) أ، ب: يقول.

(2) ما بين معقوفين زيادة: من ج، هـ والأبيات ورد اثنان منها في الوفيات بنفس الرواية. انظر الجزء6/ 359.

(3) عباد بن زياد بن أبيه المعروف أبوه بزياد بن أبي سفيان، يعد من البصريين. مجهول لم يرو عنه غير الزهري. انظر ميزان الاعتدال 2/ 366، وتهذيب التهذيب 5/ 93.

(4) أ: لك.

(5) ساقطة من: هـ.

(6) «الدرر والغرر في المحاضرات» لأبي القاسم علي بن حسين المعروف بالشريف المرتضى الموسوي الشيعي. توفي سنة 436هـ. انظر كشف الظنون 1/ 748.

(7) سبق ذكره.

(8) الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي. انظر مروج الذهب 3/ 329. وفي العقد الفريد هي الفارعة بنت هبار. انظر 5/ 276.

(9) الحرث بن كلدة الثقفي، كان من الطائف. انظر طبقات الأطباء: 161. والوفيات. 6/ 362.

(10) يوسف بن أبي عقيل ذكره المسعودي في تاريخه 3/ 329.

الحجاج مشوها لا دبر له، وأبى أن يقبل المراضع وأعياهم أمره، فيقال إن الشيطان تصور لهم في صورة الحرث بن كلدة وأشار عليهم أن يذبح له كلب أسود ويولغه من دمه يومين ويذبح[1] له في اليوم الثالث تيس ويولغوه من دمه ويطلى وجهه بما بقي منه، فإنه يقبل الثدي ففعلوا ذلك فأقبل على ثدي أمه فأكسبه ذلك لوما فكان سفاكا للدماء، وكان معلما للأولاد بالطائف، فقال بعضهم يهجوه:

[الطويل]

ولولا[2] بنو مروان كان ابن يوسف ... كما كان عبدا من عبيد زياد
زمان[3] هو العبد المقر بذله ... يراوح صبيان القرى ويغادي[4]

وقال آخر يذكر تعليمه لصبيان ببلدة تسمى الكوثر[5] فقال:

[المتقارب]

أينسى كليب زمان الهزال ... وتعليمه صبية الكوثر[6]

[426/ج] وقال آخر فيه/ :

كليب تعاظم في أرضكم ... وقد كان فينا صغير الخطر

وكانت أمه تسميه كليبا[7].

[287/أ] حُكي أن الحجاج أرسل إلى أنس بن مالك/ فأحضره فقال له: أتيت بك

(1) أ، ب، هـ: يذبحوا.
(2) أ، ب، هـ: ولوكانوا.
(3) و: زمن.
(4) البيتان وردا في العقد 5/ 275 وهما لمالك بن الريب التميمي، شاعر من الظرفاء عاش في أوائل العصر الأموي (60هـ). انظر جمهرة أشعار العرب: 212.
(5) كوثر: قرية بالطائف، وكان الحجّاج بن يوسف معلّما بها، انظر معجم البلدان 4 / 487
(6) البيت ورد في معجم البلدان 4/ 487
(7) أخبار الحجاج ورد ضمنها هذا الخبر في العقد 5/ 275.

لأعرض عليك خيلي أين هي من خيل النبي ﷺ؟ فلما عرضها عليه قال أنس رضي الله عنه: هيهات! تلك كانت أبوالها وأرواثها أجر، وهذه اتخذت للرياء والسمعة. فقال الحجاج: كف لسانك وإلا ضربت الذي فيه عيناك، فخرج من عنده مغضبا، فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فكتب إلى الحجاج أما بعد: فإنك زدت في الأمور حتى تعديت طورك وأيم الله يابن المستغرمة بعجم الذنب لأركض بك ركضة تدخل بها في حزامك، فاذكر مكاسب آبائك بالطائف وهم يحملون الحجارة على ظهورهم ويحفرون الآبار بأيديهم، قد نسيت ما كنت عليه وآباؤك من الدناءة واللؤم، فلعنك الله أخفش العينين، أصك[1] الرجلين قصير / [317/هـ] الساعدين، ولن يخفى علي نبؤك و﴿لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون﴾[2] وفيه يقول أحمر بن سالم[3] وأحسن إلى الغاية وهو:

[الطويل]

ثقيف بقايا من ثمود وما لهم   أب ماجد من قيس غيلان ينسب
وأنت دعي يا بن يوسف فيهم   زنيم[4] إذا ما ينسبوك مذبذب

فيقال: إن الحجاج طلبه[5] فهرب فأخذه بعض عماله فأحرقه وذراه في الريح.

حُكي أن الفخر الرازي[6] بينما هو جالس في مجلسه إذ وقعت عليه حمامة/ [355/ب] هربت من جارح ودخلت في كمه فأنشده بعض الشعراء يقول:

---

(1) الأصك من الصكك، وهو اضطراب الركبتين والعرقوبين. اللسان: صكك.

(2) الأنعام: 67.

(3) هو أحمر بن سالم وقيل أحمد بالدال والصواب أحمر المري شاعر، وفد على عبد الملك بن مروان، وهجا الحجاج بن يوسف بالبيتين المذكورين. انظر تاريخ دمشق لابن عساكر 7/ 350- 351

(4) الزنيم: الدعي الملصق بالقوم وليس منهم. اللسان: زنم.

(5) ج: طلب.

(6) هو أبو عبد الله بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري (543-606هـ). انظر ترجمته في الوفيات 4/ 248. لسان الميزان 4/ 246. شذرات الذهب 5/ 21.

[الكامل]

جاءت سليمان الزمان حمامة　　والموت يلمع من جناحي خاطف
من علم الورقاء أن محلكم　　حرم وأنك ملجأ للخائف[1]

حُكي أن دعبل بن علي الخزاعي[2] كان هجاء للملوك جسورا على أعراضهم، لا يبالي ما قال وما صنع حتى عرف بذلك واشتهر. قال: فصنع على لسانه بكر بن حماد[3] ممن كان دعبل يؤذيه ويهاجيه، أبياتا يهجو فيها المعتصم وقال قوم: إنها لدعبل المذكور:

[الطويل]

ملوك بني العباس في الكتب سبعة　　ولم يأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكهف في العد[4] سبعة　　كرام إذا عدوا وثامنهم كلب
وما أنت عندي في الوفاء ككلبهم　　لأنك ذو ذنب وما أذنب الكلب[5]

قال: فبلغت الأبيات المعتصم فطلبه، فهرب إلى زويلة بلدة من بلاد السودان بناحية/ المغرب، فمات بها وقيل بالأهواز. وقيل لدعبل: أنت قائل الأبيات فقال: [427/ج] لا والله. ولكن حشى الله قلبه نارا، يعني إبراهيم بن المهدي، سعى بدمي لما هجوته وهو خليفة بقولي فيه من قصيدة أولها:

[المتقارب]

أيا معشر الأعراب لا تقنطوا　　خذوا عطاياكم ولا تسخطوا

(1) البيتان وردا في السكردان: 385. والمغلاة: 265.

(2) أبو علي دعبل بن علي بن رزين بن سليمان الخزاعي الشاعر المشهور (148-246هـ). انظر ترجمته في تاريخ بغداد 8/ 382. الوفيات 2/ 266. لسان الميزان 2/ 430.

(3) لعله بكر بن حماد بن سمك، أبوعبد الرحمان التاهرتي، شاعر وعالم بالحديث من أفاضل المغرب (200-296هـ). انظر البيان المغرب والأعلام 2/ 63.

(4) ج: الكهف.

(5) الأبيات وردت في تاريخ دمشق17/ 264 وبغية الطلب في تاريخ حلب7/ 3511 والوافي بالوفيات14/ 13 وتاريخ الإسلام5/ 1132

فقال في ما لم أقل قابله الله بفعله:[1]

حُكي أنه دخل حماد عجرد[2] على المنصور بعد وفات السفاح فأنشده:

[البسيط]

أرجوك بعد أبي العباس إذ بانا ... يا أكرم الناس إكراما وعيدانا

لو مص عود على قوم عصارته ... لمج عودك فينا المسك والبانا[3]

قال: فأحسن إليه. وقال أبو العباس الزبيري[4] يمدح مروان[5] بقوله:

[الوافر]

وكل خليفة وولي عهد ... لكم يا آل مروان الفداء

إمارتكم شفاء حيث كانت ... وبعض إمارة الأقوام داء

وأنتم محسنون إذا ملكتم ... وبعض القوم إن ملكوا أساءوا

هم أرض لأرجلكم وأنتم ... لأيديهم وأرجلهم[6] سماء[7]

[286/أ]

وقال آخر في آخر/ :[8]

[الطويل]

وما خُلقت كفَّاك إلا لأربع ... عقائل لم تخلق لهن يدان

---

(1) الحكاية لم أقف عليها.

(2) أبو عمرو وقيل أبو يحيى، حماد بن عمر بن يونس الكوفي وقيل الواسطي المعروف بعجرد، الشاعر المشهور، توفي سنة 161 هـ وقيل مات سنة 168هـ. انظر تاريخ بغداد 8/ 148. ومعجم الأدباء 10/ 249. والوفيات 2/ 210

(3) البيتان وردا في الأغاني 14/ 375. مع اختلاف قليل في الرواية.

(4) ذكره ابن عبد ربه في العقد.

(5) في العقد الفريد: يمدح آل مروان ولعله الصواب.

(6) ب، ج، هـ: وأوجههم.

(7) الأبيات وردت في العقد الفريد 1/ 267-268.

(8) هو أبو الضياء الحمصي ذكر له البيتين العكبري في شرح ديوان المتنبي، انظر الجزء3/ 219

لتقليد هندي وإعطاء نائل   وتقبيل أفواه وقبض عنان[1]

وقال آخر:[2]

[مجزوء الخفيف]

صور المجد مثالا   وله العباس روح

[318/هـ] فهو بالمال جواد   وهو بالعرض شحيح/[3]

[356/ب] [وقال أبو العتاهية:][4]/

[الكامل]

إني آمنت من الزمان وجوره   لما علقت من الأمير حبالا

لو تستطيع الناس من إجلاله   لحذوا له حمر الوجوه نعالا

إن المطايا تشتكيك لأنها   قطعت إليك سباسبا[5] ورمالا

فإذا وردن بنا وردن بخفة   وإذا رحلن رحلن عنك ثقالا[6]

وقال بشار بن برد:

[المتقارب]

إذا أيقظتك حروب العدا   فنبه لها عمرا ثم نم

[428/ج] دعاني إلى عمر جوده   وقول العشيرة: بحر خضم/

ولولا الذي ذكروا لم أكن   لأمدح ريحانة قبل شم

---

(1) البيتان وردا في المرجع السابق وغرر الخصائص الواضحة: 77 وفيه هما لأبي بكر الخوارزمي في الصاحب بن عباد، ووردا في نفح الطيب3/ 435 وفيه هما لابن عبد ربه

(2) هو أبو نواس

(3) البيتان وردا في البديع في نقد الشعر لأسامة بن مرشد: 157

(4) ما بين معقوفين ساقط من:هـ

(5) السباسب: ج سبسب وهو القفر. اللسان: سبب.

(6) الأبيات وردت في الديوان: 377 والوفيات 1/ 220. والمستطرف 1/ 332.

فتى لا يبيت على ذمة ولا يشرب الخمر إلا بدم[1]

حُكي أنه نزل هشام[2] على[3] قوم من اليمن فافتخروا عليه بقديمهم وحديثهم فقال هشام لخالد بن صفوان[4]: أجب القوم، فقال: وما أقول لقوم هم بين حائك برد ودابغ جلد، وسائس قرد؟[5] ملكتهم امرأة ودل عليهم هدهد [وغرقتهم فأرة][6]. فبعدها لم تقم ليماني قائمة فسُرَّ هشام بذلك[7].

وقال بعض الشعراء يهجو ابن يحيى صاحب بطليموس[8] بقوله:

رأيت آدم في نومي فقلت له: أبا البرية إن الناس قد حكموا
أن ابن يحيى سليل منك قال: إذاً حواء طالقة إن كان ما زعموا[9]

حكى المؤلف قال: رأيت في مجموع قديم يعرف بروضة الأزهار[10] هذين البيتين ونسبهما لابن رشيق القيرواني[11] يهجو بهما قاضي القيروان، وكنت أسمع

(1) الأبيات وردت في الديوان: 216.

(2) ج: بهشام.

(3) ساقطة من ب، هـ.

(4) سبق ذكره.

(5) هـ: قرود.

(6) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(7) الحكاية وردت في العقد 3/ 251 وغرر الخصائص: 200.

(8) بطليموس: مدينة كبيرة بالأندلس ينسب إليها خلق كثير، وهي ميدان معركة الزلاقة . انظر معجم البلدان:بطليموس.

(9) البيتان وردا في نفح الطيب3/ 412 ومجاني الأدب4/ 208 برواية: أن ابن يحيى سليل منك.

(10) «روضة الأزهار» لابن قلاقس الأسكندري (الشاعر أبي الفتح نصر الله بن عبد الله توفي سنة 567هـ. وقد يكون العنوان الكامل. روضة الأزهار وحديقة الأشعار. وهو للشيخ صلاح الدين أبي عبد الله محمد بن شاكر الكتبي توفي سنة 764هـ. انظر كشف الظنون 1/ 923.

(11) أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني صاحب كتاب «العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه» توفي سنة 456هـ. انظر معجم الأدباء 8/ 110 الوفيات 2/ 85. شذرات الذهب 3/ 297.

أنهما لشخص يسمى القروي الجوجري[1] ولعله اشتبه عليهم القيرواني بالقروي وهما هذين:

مقالـة لـو بلغـت مـا عسـى　　الطبـل لا يضـرب تحـت الكسـا
قاضيـك إن تخصـه فاقضـه　　أولا فـلا يحكـم بيـن النسـا[2]

حُكي لما ورد مظفر الدين ابن كوجك[3] على الخليفة الناصر[4] ببغداد وأذن له في حضور مجلسه ونزوله عنده، وشاهد وجهه وقربه وكان داود بن الملك المعظم[5] صاحب الكرك مع غزارة علمه وفضله وكمال أدبه لم يزل منكرا مشتتا في البلاد ورد على الناصر المشار إليه وأهدى له جوهرا نفيسا أحضره صحبته وطلب الحضور بين يديه فلم يأذن له في ذلك ولا وافق الخليفة عليه حتى امتدحه بقصيدة منها:

[الطويل]

أيحسـن فـي شـرع المعالـي ودينها　　وأنـت الـذي تعـزى إليـه مذاهبـه
بأنـي أخـوض الليـل والبـر مقفـر　　سـفارته مغبـرة وسباسـبه
ويرجـع مثلـي مـن جنابـك خائبـا　　وقيـت الـردى فاتتـه منـك[6] مطالبه
[357/ب] ويأتيـك غيـري مـن بـلاد قريبـة　　لـه الأمـن فيهـا صاحـب لا يجانبه/

(1) لم أقف على ترجمته.

(2) البيت الأول ورد في صبح الأعشى 14/ 306 برواية: أقولها لو بلغت ما عسى...

(3) أبو سعيد كوكبوري بن أبي الحسن علي بن بكتكين بن محمد الملقب الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل. كان والده علي معروف بكجك (549-630هـ) انظر الوفيات 4/ 113. الشذرات 5/ 138.

(4) سبق ذكره.

(5) داود بن عيسى بن محمد بن أيوب، الملك الناصر بن صلاح الدين، ابن الملك المعظم (603-656هـ). انظر الفوات 1/ 312 والنجوم الزاهرة 7/ 61. وشذرات الذهب 5/ 275.

(6) هـ: منه.

فيلق دنوا منك لم ألق[1] مثله ويحظى ولا أحظى بما أنا طالبه/ [319/هـ]
وينظر من لألاء قدسك نظرة فيرجع[2] والنور الأمامي صاحبه/ [429/ج]
ولو كان يعلوني بفضل ورتبة وصدق ولاء لست فيه أقاربه/ [289/أ]
[لكنت أسلي النفس عما ترومه وكنت أذود القلب عما يراقبه][3]
ولكنه مثلي ولو قلت: إني أزيد عليه، لم يعب ذاك عائبه[4]

قال: فلما وقف الخليفة على القصيدة أعجب بها واستدعاه ليلا واجتمع به خلوة وما تم له ما ظفر به مظفر الدين، وسببه أنه راعى في ذلك عمه الملك العادل.

حُكي أنه كان شخص يدعى بابن طليب[5] وكان موسوما بالبخل حتى قيل إنه لم يطبخ بداره قط طعاما، فاتفق أن داره احترقت فقال في ذلك أسامة بن منقد المشهور[6]:

[الكامل]

انظر إلى الأيام كيف تسوقنا قهرا إلى الإقرار بالأقدار
ما أوقد ابن طليب قط بداره نارا وكان حريقها بالنار[7]

حُكي أنه كان شخص يدعى الوجيه بن صورة[8] دلالا للكتب بمصر وكانت له دار موصوفة بالحسن فاحترقت فمسه بعض الحريق فقال في ذلك نشو الملك

(1) هـ: يلق.

(2) هـ: فترجع.

(3) ما بين معقوفين ساقط من:هـ.

(4) الأبيات وردت في ثمرات الأوراق1/ 20.

(5) ذكره ابن خلكان في الوفيات 1/ 196.

(6) سبق ذكره.

(7) البيتان وردا في لباب الآداب : 28 الوفيات 1/ 196 وثمرات الأوراق2/ 69 والمستطرف: 253.

(8) هو أبو الفتوح ناصر بن أبي الحسن علي بن خلف الأنصاري المعروف بابن صورة. كان سمسارا في الكتب بمصر (ت 607هـ). انظر الوفيات 1/ 197.

المعروف بابن المنجم[1] الشاعر:

[الطويل]

أقول وقد عاينت دار ابن صورة ... وللنار فيها مارج يتضرم
كذا كل مال أصله من تهاوش ... فعما قليل في نهابير يعدم[2]
وما هو إلا كافر طال عمره ... فجاءته لما استبطأته جهنم[3]

حكى ابن خلكان في تاريخه أن أبا جعفر أحمد بن يحيى البلاذري[4] المؤرخ قال: كنت من جلساء المستعين بالله فقصده[5] الشعراء فقال[6]: لست أقبل إلا ممن يقول مثل قول البحتري في المتوكل حيث قال:

[الكامل]

ولو أن مشتاقا تكلف فوق ما ... في وسعه لسعى إليك المنبر[7]

قال البلاذري: فرجعت إلى داري ثم أتيته وقلت له: قد قلت فيك أحسن مما قاله البحتري في المتوكل فقال: هات. فقلت:

[الطويل]

ولو أن برد المصطفى إذ لبسته ... بظن لظن البرد أنك[8] لابسه

(1) هو نشو الملك علي بن مفرج، ابن المنجم، المعري الأصل المصري الدار. ذكر ذلك ابن خلكان في الوفيات 1/ 197.

(2) النهابير: المهالك. انظر اللسان: نهبر.

(3) الأبيات وردت في الوفيات، في نفس الصفحة السابقة.

(4) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري أبو الحسن، من أهل بغداد مات في أواخر أيام المعتمد على الله. انظر ترجمته في معجم الأدباء 5/ 89. ولسان الميزان 1/ 322.

(5) أ، ب: فقعده.

(6) ب: فقالت.

(7) البيت ورد في الديوان 2/ 1073، والوفيات 6/ 24.

(8) أ، ب: بأنك.

وقال وقد أعطيته وكسيته نعم هذه أعطافه ومناكبه[1]

قال: فأعطاني سبعة آلاف دينار، وقال: اتخذ هذه للحوادث من بعدي ولك الجراية والكفاية ما دمت حيا[2].

قلت: ومن المدائح المستظرفة قول هبة الله الأسطرلابي[3] عفا الله عنه:/ [430/ج]

[الكامل]

أهدي لمجلسك الكريم وإنما أهدي له ما حزت من نعمائه

كالبحر يمطره السحاب وما له فضل عليه لأنه من مائه[4]/ [358/ب]

قلت: وما أحسن كلام الشهاب السلمي من قصيدة يمدح فيها شيخ الإسلام شهاب الدين ابن حجر العسقلاني[5] رحمه الله، وهي من بديع شعره وأولها يقول:

[الرجز]

يا رشا لنوم عيني شردا قد كان عيشي بك عيشا رغدا

يا صادرا من منهل الدمع لقد شاهدت من طرفك حتفا وردا

ومنها:

[الرجز]

ضل الكرى عن مقلتي لولا رأى طرائف الدمع بخدي قددا

---

(1) البيتان وردا في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء 2/ 765، والوفيات 24/ 6، وثمرات الأوراق1/ 117.

(2) الحكاية وردت في المرجع نفسه.

(3) أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن يوسف، وقيل أحمد، المنعوت بالبديع الأسطرلابي (ت 534هـ)، الشاعر المشهور. انظر معجم الأدباء 19/ 273. والوفيات 6/ 50.

(4) البيتان وردا في معجم الأدباء 19/ 275. والوفيات 6/ 51.

(5) أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد، الشهاب العسقلاني المصري المعروف بابن حجر (773-852هـ). انظر ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي 26/ 36.

ومنها:

[320/هـ] وحق في من قد زار جفني نومة أن أشكر الرحمان ثم أحمدا/

ومنها:

يا سيد الفضلة وبذله صير أحرار البرايا أعبدا

ومنها:

[290/أ] العبد قد أهدى إليك مدحة وربما يهدي إلى البحر الندا/
لوقيس بيت من بديع شعره بكل ديوان لكان مفردا
ولفظه العسجد في علوه لو أن لفظا يستحيل عسجدا[1]
لم يحل عقد مجلس إن لم يكن يوما يشهد لفظه منعقدا

ومن بديع المديح قول القاضي الفاضل[2] وقد كتب[3] بها إلى وزير ببغداد[4]:

[الكامل]

يا أيها المولى الوزير ومن له منن حللن من الزمان وثاقي
كن شاكرا عني بذاك فإنني من عظم ما أوليت[5] ضاق خناقي
منن[6] تخف على يديك وأنها ثقلت مئونتها على الأعناق[7]

حُكي أنه قيل في حق الشيخ العارف بالله المرشد إلى الله سيدنا الشيخ عبد

---

(1) العسجد: الذهب، وقيل هو اسم جامع للجوهر كله من الدر والياقوت. اللسان: عسجد.
(2) سبق ذكره.
(3) أ، ب: كتبت.
(4) أ، ج، هـ: بغداد.
(5) أ، ب: مال وليت.
(6) أ، ب، هـ: ممن.
(7) الأبيات وردت في الوفيات مع قليل من الاختلاف في الرواية 3/ 163. وفيه أنها من نظم القاضي الأشرف ولد القاضي الفاضل.

القادر الكيلاني[1] رحمه الله وقد قدم من سفر، فقيل هذا الشعر وهو:

[الطويل]

بمقدمه انهل السحاب وأعشبا العراق وزال الغني واتضح الرشد
فعيدانه عود وصحراؤه حمى وحصباؤه در وأمواهه شهد
يجيش به صدر العراق صبابة وفي قلب تجد من محاسنه وجد
وفي الشرق برق من لوامع نوره وفي الغرب من ذكرى جلالته رعد

حُكي أن خالد بن جعفر الكلابي[2] دخل على النعمان بن المنذر[3] بن ماء السماء فانتصب بين يديه فحياه بتحية الملوك، وقال: أبيت اللعن أتفاخر وأنت سائس العرب وغرة الحسب، واللات، لأمسك أحسن من يوم مفاخره، ولقفاك أحسن من وجهه، وليسارك أسمح من يمينه، ولوعدك أصلح من رفده/ ، ولعبدك أكبر [431/ج] من قومه، ولاسمك أشهر من قدره، ولهزلك أكرم من جده، وليومك أشرق من دهره ثم قال منشدا:

[البسيط]

أخلاق مجدك جلت ما لها خطر في الناس والجود بين الحلم والخفر
متوج[4] بالمعالي جلت فوق مفرقه وفي الوغى ضيغم في صورة القمر[5]

قال: فتهلل وجه النعمان بالسرور ثم أمر فحشى فاه جوهرا وقال: هكذا تمدح/ الملوك. [359/ب]

(1) عبد القادر بن أبي صالح بن جنكي دوست، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنه، الشيخ الزاهد المشهور (491- 581هـ). انظر فوات الوفيات 2/ 373، والمنتظم 10/ 219.

(2) خالد بن جعفر بن كلاب العامري، شاعر فارس كان رئيس قومه هوازن، قتله الحارث بن ظالم المري. انظر أخباره في الأغاني 11/ 99 وبلوغ الأرب للألوسي 1/ 118

(3) سبق ذكره.

(4) ج: فتوح.

(5) البيتان وردا في نهاية الأرب 3/ 177 ومجاني الأدب 3/ 173.

حُكي أن حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه زار الحارث[1] بن أبي الشمر[2] بالشام، وكان النعمان بن المنذر اللخمي ملك الحيرة فقال له: يابن الفريعة لقد بلغني أنك تفضل النعمان علي. فقال: وكيف أفضله عليك فوالله لقفاك أحسن من وجهه، ولأمك أشرف من أبيه ولأبيك أشرف من جميع قومه، ولشمالك[3] أجود من يمينه، ولحرمانك أفضل من بذله، ولقلتك أكبر من كثيره، ولتماديك أسرع من إسراعه، ولثمدك[4] أشرع من غدره، ولكرسيك أرفع من سريره، ولجدولك أغزر من بحوره، وليومك أطول من شهوره، ولشهرك أمد من حوله، ولحولك خير من حقبه[5]، ولزندك أورى من زنده، ولجندك أعز من جنده، وإنك من عيناي وإنه من لحمي، فكيف أفضله عليك وأعدله بك؟

حُكي أن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان مِطلاقا مِنكاحا حتى كان الإمام علي رضي الله عنه يعتذر من ذلك على المنبر ويقول: «إن ابني الحسن مِطلاقا فلا تزوجوه». فقال ذلك على المنبر، فقام إليه رجل من همذان وقال: والله لنزوجنه وكيف لا نزوجه وهو إن أمهر أمهر الوفاء، وإن أولد أولد شريفا، فسر علي رضي الله عنه بذلك وأنشد فوق المنبر يقول/ : [321/هـ]

ولوكنت بوابا على باب جنة ... لقلت لهمذان: ادخلوا بسلام[6]

حكي أبو الحسن المدائني[7] أن المنصور قال: صحبت رجلا ضريرا[8] إلى الشام

---

(1) ج: الحرث.

(2) هو الحارث بن أبي شمير الغساني. انظر أخباره في تاريخ الخميس 2/ 39.

(3) أ، ب: ولشماله.

(4) الثمد: الماء القليل وقيل هو الموضع الذي يضع لتجميع الماء. اللسان: ثمد.

(5) الحقب: أقل من ثمانين سنة. اللسان: حقب.

(6) البيت ورد في مروج الذهب في الحديث عن ميل علي بن أبي طالب إلى همذان. انظر ج 3/ 284.

(7) سبق ذكره.

(8) هو أبو العباس الضرير المكي الشاعر السائر بن فروه، كان هجاء خبيثا مائلا إلى بني أمية. انظر معجم الأدباء 11/ 179، وفوات الوفيات 2/ 41.

وهو يريد بعض بني أمية بشعر قاله فيه، فسألته أن ينشدنيه فأنشد يقول/ : [291/أ]

[الخفيف]

ليت شعري من أي رائحة المسك وما إن أخال بالخيف أنسي

حين غابت بنو أمية عنه والبهاليل من بني عبد الشمس

خطباء على المنابر فرسا ن عليها وقادة غير خرس

لا يعابون قائلين وإن قا لوا قالوا، ولم يقولوا بلبس

وبحلوم إذا الحلوم استعزت ووجوه مثل الدنانير ملس[1]/ [432/ج]

قال المنصور فوالله ما فرغ من شعره حتى ظننت أن العمى قد أدركني[2]، وكان ممتع الحديث صحبته حسنة[3].

حُكي أن المؤمل[4] دخل على المهدي وكان إذ ذاك ولي عهد أبيه وامتدحه بأبيات[5] منها قوله:

[الوافر]

هو المهدي إلا أن فيه مشابه[6] صورة القمر المنير

تشابه ذا وذا فهما إذا ما أنارا يشكلان على البصير

فهذا في الضياء سراج عدل وهذا في الظلام سراج نور

ولكن فضل الرحمان هذا على ذا بالمنابر والسرير

ونقص الشهر يخمد ذا وهذا منير عند نقصان الشهور[7]

(1) الأبيات وردت في فوات الوفيات 2/ 41.

(2) ب: اركني.

(3) الحكاية ورت في المرجع نفسه.

(4) سبق ذكره.

(5) أ، ب، ج: الأبيات.

(6) هـ: مشابهة.

(7) الأبيات وردت في فوات الوفيات 4/ 177.

[360/ب] قال: فأعطاه عشرين ألف درهم فبلغ المنصور ذلك فشق عليه لأنه كان فيه/ بخل ورسم يطلب[1] المؤمل فأتوه به فدخل فسلم عليه فرد عليه السلام فقال له: أتيت غلاما فخدعته. فقال له: بل أتيت ملكا جوادا كريما فمدحته فحملته مكارم شيمه على صلتي، فأعجبه ذلك ثم قال: أنشدني ما قلت فيه. قال: فأنشده الأبيات فقال: والله لقد أحسنت ولكنها لا تساوي عشرين ألفا اعطيه يا ربيع منها أربعة آلاف درهم واسترجع الباقي، ففعل فلما ولي المهدي دخل عليه المؤمل فأمر له برد ما أخذ منه أولا، رحمه الله [تعالى][2].

(1) أ، ب، هـ: فطلب.

(2) الحكاية وردت في المرجع نفسه.

الباب الخامس والعشرون[1]

في الهفوات والزلات اللسانية

في الشعر وغيره

حُكي لما بنى زياد[2] داره البيضاء بالبصرة وهو أول من بنى بالجص والآجور[3] بالبصرة، وأمر أصحابه أن يسمعوا من أفواه الناس ما يقولون في بنائه ويبلغوه، فأتي بإنسان قيل له: إنه لما رآها تلا قوله تعالى: ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون﴾[4] الآية. فقال له زياد؛ ما حملك على ذلك؟ فقال: أيها الأمير! إنها لم تكن قصدا وإنما خطرت ببالي فتلوتها. فقال له: والله لأعملن[5] فيك بكامل[6] الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾[7] قال فأمر به فبُنِيَ عليه ركن من أركانها قابله الله تعالى بما يستحقه[8].

حُكي أن المأمون كان إذا تبخر لا يستقصي البخور ويخرج المجمرة بما يبقى فيضعه تحت الرجل من أصحابه إكراما له واعتناء بجلسائه، قال: فجاءت النوبة

(1) ب: والعشرين.

(2) زياد بن أبيه. سبق ذكره.

(3) ج، هـ: الآجر.

(4) الشعراء: 128، 129

(5) هـ: لاعلمن.

(6) ب، ج: بكمال.

(7) الشعراء: 128-30.

(8) الحكاية وردت في غرر الخصائص: 109.

[433/ج] لأحمد/ بن يوسف[1] فقال: هاتوا المردود فسمعه المأمون فقال: ألنا يقال ذلك ونحن نجيز الواحد من خدمنا بعشرة آلاف درهم وأكثر؟ ويحك! إنما قصدنا إكرامك وأن أكون أنا وأنت قد اقتسمنا بخورا واحدا ولكن لا يأبى الكرامة [322/هـ] إلا لئيم، ثم أمر أن يطرح في المجمرة ثلاثة/ مثاقيل من العنبر الخام ويبخر بها أحمد بن يوسف المذكور ويدخل رأسه في طوقه حتى لا ينفذ ريحها ففعل به ذلك وهويستغيث فلا يغاث حتى احترق دماغه وقام من المجلس إلى منزله فمات من ليلته رحمه الله ولا سامح المأمون من دمه[2].

حُكي أنه وصف ذوالرمة لعبد الملك بن مروان بالذكاء وجودة الشعر فأحب [292/أ] أن يراه، فأمر/ بإحضاره، فلما دخل عليه واستنشده فأنشده قصيدته المذهبة أولها يقول. ما بال عينك فيها الماء ينسكب[3]. واتفق أن عيني عبد الملك كانتا تسيلان، فظن أنه عرض به فقال له: ما لك يا ابن الخنا ولهذا السؤال؟ ثم قطع[4] إنشاده وأمر بإخراجه فأقام حتى أذن للشعراء مرة أخرى فدخل فيهم وقد غير ما قال أولا وأنشد. ما بال عيني منها الماء ينسكب. حتى أتى إلى قوله:

[البسيط]

كحلاء في دعج صفراء في نعج   كأنها فضة قد مسها ذهب[5]

(1) أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح، أبوجعفر، الكاتب، كان من أفضل كتاب المأمون وأذكاهم وأفطنهم، وكان جيد الكلام فصيح اللسان. توفي حوالي 213هـ. انظر ترجمته في تاريخ بغداد 5/ 216. معجم الأدباء 5/ 161. البداية والنهاية 10/ 269.

(2) الحكاية وردت في معجم الأدباء 5/ 177-178 وغرر الخصائص: 109-110.

(3) هذا الشطر هو مطلع قصيدة ذي الرمة البائية والشطر الثاني: كأنه من كلي مضربة سرب. انظر الديوان: 12.

(4) في هـ: واوزائدة.

(5) البيت هوالخامس عشر من القصيدة المذكورة. انظر الديوان. النعج: الأبيض الخالص. والدعج: السواد. انظر اللسان: مادتا: دعج، نعج.

قال: فأجازه وأكرمه وقال: لو أنها أُنشدت في الجاهلية لسجدت العرب لها[1].

حُكي أنه دخل أبو النجم[2] الشاعر على هشام بن عبد الملك مع الشعراء فأنشده أرجوزته التي يقول في أولها/ . الحمد لله الوهوب[3] المجزل. حتى انتهى [361/ب] إلى قوله يصف الشمس وهي على الأفق كعين الأحول، ولم يقل الأحول وقطع إنشاده وارتج عليه وعلم[4] أنها زلة عاقل لأن هشاما كان أحول العين فقال له هشام: ويلك تمم البيت[5] وأمر بإخراجه من الرصافة[6].

حُكي لما مات عبد الملك بن مروان وكان ذلك في النصف من شوال سنة ست وثمانين وعمره يومئذ ستون سنة وأياما، فسجاه[7] ابنه الوليد فأنشده أخوه هشام يقول متمثلا:

[الطويل]

فما كان قيس هُلْكُه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما[8]

فلطمه الوليد على فمه وقال له: اسكت يا بن الأشبعية فإنك أحول أنشف تنطق بلسان شيطان.

ويقال: لما دخل أبو النجم المذكور هو وجرير بن عطية على عبد الملك بن مروان

(1) الحكاية وردت في غرر الخصائص: 110.

(2) الفضل بن قدامة العجلي الراجز، كان يحضر مجلس عبد الملك بن مروان وابنه هشام توفي حوالي 130هـ.انظر الأغاني 10/ 190.

(3) أ، ب: الموهوب.

(4) ب: وأعلم.

(5) هـ: إلينا.

(6) الحكاية وردت في الأغاني 10/ 190.

(7) سجاه: أي غطاه. اللسان: سجا.

(8) البيت ورد في حماسة أبي تمام «العبدة بن الطبيب» وهو شاعر مقل مجيد مخضرم أدرك الإسلام فأسلم. انظر شرح الحماسة للمرزوقي القسم 2/ 790.

[434/ج] بعد أن منعه من الدخول عليه كراهة لشعره فأنشده/ :

[الوافر]

أتصحو أم فؤادك غير صاح ... عشية هَمَّ قومك بالرواح[1]؟

فقال له عبد الملك: بل فؤادك يا ابن الخنا، وفي هذه القصيدة يقول مادحا له بما لم يأت أحد بمثله وهو قوله:

[الوافر]

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون[2] راح[3]

ويقال إن بعضهم أنشد هذا البيت مضمنا مجونا فقال:

ألا يا معشرا جلدوا وَلاَطُوا ... وأضحوا عاكفين على السفاح[4]

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمينا بطول[5] راح

حُكي أن خالد بن صفوان[6] كان قد كف بصره وكان بلال بن أبي بردة[7] بغيضا له فمر به في موكب بلال قال: من هذا؟ فقالوا: بلال[8]. فقال منشدا. سحابة صيف عن قليل تقشع[9]. قال فسمعه بلال فقال: والله لا تقشع حتى

(1) البيت ورد مطلعا لقصيدة جرير الحائية التي يمدح فيها عبد الملك بن مروان. انظر الديوان: 76. الوفيات 1/ 325 ولم يذكر صاحبه أبا النجم ودخوله مع جرير على عبد الملك.

(2) ب: بطول.

(3) البيت ورد في الديوان الصفحة السابقة نفسها. وورد الخبر في الوفيات 1/ 325.

(4) هذا البيت لم يرد في الديوان. ولم أقف على خبر تضمين المجون.

(5) أ: بصول.

(6) سبق ذكره.

(7) بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري، أمير البصرة وقاضيها (ت 126 هـ). وكان راويا فصيحا أديبا. راجع تهذيب التهذيب 1/ 500.

(8) هـ: بلالا.

(9) الشطر من الطويل.

يصيبك منها شؤبوب برد، ثم أمر به فضرب مائتي سوط. ثم أمر بحبسه فقال له خالد: على مَ تفعل بي هذا ولم أجن جناية ولم أخالف جماعة؟ فقال: يخبرك بذلك باب مصمت وقيود ثقال وقيم يقال له حفص. ثم ضرب الدهر بنكباته فنكب بلال بعد ذلك وأحضره يوسف بن عمر[1] الثقفي عامل هشام بن عبد الملك بن مروان في قيوده وكان خالد بن صفوان جالسا عنده فقال: أيها الأمير إن بلالا عدو الله ضربني مائتي سوط ولا خالفت جماعة ولا خلعت يدا من طاعة، ثم التفت إلى بلال فقال: الحمد لله الذي أذل سلطانك وهَدَّ أركانك وأزال جمالك وغير أحوالك، فوالله لقد كنت شديد الحجاب مستخفا بالشريعة مظهرا للمعصية/ [323/هـ] فقال له بلال: إنما استطلت علي بثلاث: الأمير عليك مقبل وعني معرض، وأنت طليق وأنا أسير. وأنت في بلدك وأنا غريب. قال: فأفحمه.

حُكي أن علويه[2] المغني قال: كنت مع المأمون لما خرج إلى الشام قال: فدخلنا إلى الشام فجعلنا نطوف فيها على قصور بني أمية. فدخلنا قصرا من قصورهم فوجدناه مفروشا بالرخام الأخضر كله. وفيه بركة يدخلها الماء ويخرج/ منها [362/ب] فيسقي رياضه. قد رأيت أنواع الأشجار جمعت في/ القصر ومن أنواع الأطيار [293/أ] وأجناسها ما يغني صوتها عن العود والمزمار. قال: فاستحسن المأمون ما رأى وعزم على الصبوح فلم يمر على خاطري غير هذا البيت الآتي ذكره قال: فدعا المأمون بالطعام والشراب فأكلنا وشربنا ثم قال: فما خيم في خاطري غير هذا البيت والصوت وهو[3]:/ [435/ج]

---

(1) يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم. أبو يعقوب الثقفي، من جبابرة الولاة في العهد الأموي (ت 126هـ). انظر وفيات الأعيان7/ 101.

(2) سبق ذكره.

(3) ما بين معقوفين زيادة من: ج، هـ.

[الخفيف]

لوكان حولي بنو[1] أمية لم ينطق رجال أراهم نطقوا[2]

قال: فنظر إلي مغضبا وقال: عليك وعلى بني أمية لعنة الله. فعلمت أني أخطأت فأخذت أعتذر من هفوتي وقلت: أتلومني أن أذكر بني أمية وزرياب[3] عبدهم[4] كان يركب في مائتي غلام ومملوك، وملك ثلاثمائة ألف دينار إلى غير ذلك من الضياع والأثاث، وأنا عبدكم أموت جوعا؟ فقال: ما وجدت شيئا تذكرني به نفسك غير هذا، ثم مكث ساعة وقال: اعدل عن[5] هذا وغني ما اقترحت عليك، فلم يخطر ببالي أيضا غير هذا الصوت وهو:

[الكامل]

الحين ساق إلى دمشق ولم أكن أرضى دمشق لأهلنا وطنا[6]

قال: فرماني بالقدح فأخطأني وقال: قم إلى لعنة الله وحَرِّ سَقَر، ثم قام وركب فكان آخر العهد به[7]، قال: ومات المأمون لثلاث عشرة خلت من شهر رجب سنة ثماني عشرة ومائتين، وكانت مدة خلافته منذ قتل الأمين، عشرين سنة وبعض أشهر، وله من العمر ثمان وأربعون سنة[8].

حُكي لما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان، جلس فيه مع جماعة من أعيان

(1) أ، ج: بني.

(2) البيت ورد في الأغاني 11/ 358.

(3) علي بن نافع، أبو الحسن مولى المهدي العباسي. ذكره المقري في نفح الطيب 1/ 344 و2/ 260. و 3/ 122. وفي الأعلام نبذة عن حياته. انظر ج 5/ 28.

(4) هـ: عندهم.

(5) ب: من.

(6) البيت ورد في الأغاني 11/ 359 مع اختلاف قليل في الرواية.

(7) وردت الحكاية في الأغاني 11/ 358-359.

(8) هذا الخبر وارد عن المأمون في كثير من كتب التاريخ.. انظر مروج الذهب 4/ 343.

جلسائه وندمائه مسرورا به، فما رأى الناس أحسن من ذلك اليوم فقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي[1] وأنشد قصيدة يهنئه فيها أولها يقول:

[الكامل]

يا دار غيرك البلا ومحاك　　　يا ليت شعري مالذي أبلاك[2]

قال فتطير منه المعتصم وتغامز الناس وعجبوا من نادرته وبادرته وهفوته مع علمه وفهمه وطول خدمته للملوك، وقام المعتصم متطيرا فذكر أنه لم يعد إليه بعد ذلك[3].

حُكي أنه لما بنى جعفر بن يحيى البرمكي[4] داره وزخرفها وانتقل إليها فدخل عليه أبو نواس، واسمه الحسن بن هاني، مع من دخل عليه من الشعراء للهناء بها فأنشده يقول:

[الطويل]

أدار البلا إن الخشوع لباد　　　عليك وإني لم أخنك ودادي[5]

[وختم هذه القصيدة بقوله:

سلام على الدنيا إذا ما فقدته　　　بني برمك من رائحين وغادي][6]

قال: فتطير جعفر من ذلك وظهر الغضب في وجهه، ثم بكى وقال: نعيت لنا

---

(1) سبق ذكره.

(2) البيت ورد في خزانة الأدب1/ 22 وهو من شعر إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وكذا في الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء: 374 والصناعتين: 432 وخزانة الأب لابن حجة1/ 22 والمثل السائر3: 100 وغرر الخصائص: 148 وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح4:

(3) انظر الحكاية في المصادر والمراجع السابقة.

(4) سبق ذكره.

(5) البيت ورد في الديوان: 71.

(6) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، هـ.

أنفسنا يا أبا نواس، فلم تكن إلا مدة يسيرة حتى أوقع بهم الرشيد. وزعم بعض
[436/ج] أهل التاريخ أن أبا نواس قصد ذلك[1] لشيء كان في نفسه من جعفر،/ وسببه أنه
دخل عليه يوما فلم يُسر به[2] ولم يدن[3] مجلسه وكلح[4] في وجهه، ثم دخل عليه
مسلم بن الوليد فسر به وأدنى مجلسه وأقبل عليه، فأكمن ذلك وداخله الحسد
[324/هـ] ففعل هذه/ القصيدة على سبيل التطير، وقال المبرد إنما عملها في الفضل أخيه لا
في جعفر، والله أعلم.

[363/ب] حكى العتابي في كتاب الهفوات/ الملوكية[5] أن شرف الملك أبا سعيد الوزير
جلس يوم عيد والناس يدخلون عليه يهنونه ويمدحونه فأنشده بعض الشعراء
قصيدة يعاتبه فيها أولها:

[المنسرح]

وأنت حصني الذي ألوذ به   فماله قد تهدمت شرفه[6]

فتطير الوزير من ذلك لمناسبة لفظ شرفه، ولقبه بشرف الملك ثم تقدم آخر
فأنشده قصيدة أولها:

[البسيط]

عقد الصيام بيوم الفطر محلول   فقدم الكأس فالقنديل معزول[7]

---

(1) ب: بذلك.

(2) هـ: يتيسر.

(3) هـ: بإذن.

(4) كلح: عبس وتكشر من العبوس. اللسان: كلح.

(5) كتاب الهفوات عنوانه الكامل هو: "الهفوات النادرة من المغفلين المحظوظين والسقطات البادرة من المعقلين الملحوظين" من تصنيف محمد بن هلال الصابي غرس النعمة الكاتب البغدادي المتوفى سنة 480هـ انظر هدية العارفين 2/ 75.

(6) البيت ورد مع الحكاية في غرر الخصائص: 150.

(7) البيت ورد في المصدر السابق.

فازداد طيرة فعجب الحاضرون من هذا الاتفاق فلما كان السابع من شوال قبض عليه وفعل فيه ما كان.

حُكي أن عضد الدولة ابن بويه خرج يوما إلى بعض بساتينه متنزها فقال: ما أحسن يومنا هذا لو كان فيه غيث فجاء المطر في الحال فقال:

[الرمل]

ليس شرب الراح إلا في المطر وغناء من جوار في السحر
ناعمات سالبات للنهى ساقيات الراح من[1] فاق البشر
عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر[2]

قال فلم يفلح بعد هذه الأبيات وعوجل لقوله: غلاب القدر، وهذا فعل الله عز وجل بأمثاله.

حُكي/ أن الحجاج حبس بلال بن أبي بردة[3] فطال حبسه، وكان كل من مات [294/أ] في السجن يأمر بإخراجه ودفنه وإن كان له أهل يسلمه إليهم، فقال بلال للسجان: هذه عشرة آلاف درهم وعرف الحجاج أني مت، فإذا أسلمني [إلى أهلي][4] تغيبت ولا أظهر ما دام حيا، ولك بذلك عهد الله وميثاقه، وإن هربت معي فيدك في يدي[5] وولدك مع ولدي وأهلك مع أهلي. فقال: افعل فأعطاه الدراهم[6] وأخبر الحجاج بموته، فقال: مثل هذا لا بد من رؤيته أحضره إلي فعاد إليه السجان وأخبره بذلك وقال له: لا بد من قتلك فتوضأ وصلى ركعتين ثم خنقه وأحضره

(1) ساقطة من: ب.

(2) الأبيات وردت مع الحكاية في حياة الحيوان الكبرى1: 137، وخزانة الأدب لابن حجة2: 19.

(3) سبق ذكره.

(4) ما بين معقوفين ساقط من:هـ.

(5) ب، ج، هـ: بيدي.

(6) أ: الدراهيم.

للحجاج فقال سلمه إلى أهله فكان تدميره في تدبيره، اشترى تعجيل الموت إليه
[437/ج] بماله ولقد صدق القائل:/

[الرمل]

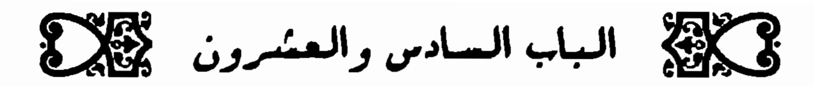
وإذا رامي المقادير رمى   فذروع المرء أعوان النصال

حُكي في تاريخ ابن النجار[1] عن أبي نصر بن مروان[2] أنه كان مع بعض مقدمي الأكراد على سماط فيه حجلتان مشويتان فأخذ الكردي واحدة بيده وضحك فسأله أبونصر عن ذلك فقال: قطعت الطريق في عنفوان شبابي على تاجر فلما أردت قتله تضرع إلي فلم أقله فلما رأى الجد مني التفت إلى حجلتين كانتا في رأس جبل فقال: اشهدا لي أنه قاتلي ظلما، فقتلته فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حمقه في استشهادهما علي. قال ابن مروان: فلما سمعت ذلك ضربت عنقه وقلت والله لقد شهدتا عليك. قلت: ويقال: إن تلك الحجلتين هما الحجلتان والله أعلم[3].

(1) هو محمد بن جعفر بن محمد بن هارون، أبو الحسن التميمي المعروف بابن النجار (ت402)- كان يشتغل بالتاريخ وله فيه: تاريخ الكوفة. راجع معجم الأدباء. شذرات الذهب 3/ 164.

(2) أبو نصر أحمد بن مروان بن دوستك الكردي الحميدي الملقب نصر الدولة، توفي سنة 453هـ. انظر المنتظم 8/ 222.الوفيات 1/ 177. الشذرات 3/ 290.

(3) الحكاية وردت في حياة الحيوان الكبرى1/ 324 والكشكول1/ 31.



الباب السادس والعشرون

في أخبار المتكبرين والجبابرة

وسوء عاقبتهم الخاسرة/ [364/ب]

حُكي أن عمارة بن حمزة[1] كان متكبرا جدا وأنه دخل يوما على المهدي فلما استقر في مجلسه قام إليه رجل، كان [المهدي[2] أعده لعمارة ليتهكم به، فقال الرجل: مظلوم يا أمير المومنين. قال: من ظلمك؟ قال: عمارة بن حمزة غصبني الضيعة الفلانية، وكانت من أحسن ضياع عمارة وأكبرها وأكثرها خراجا. فقال المهدي لعمارة: قم واجلس مع خصمك فقال: ما هو لي بخصم/ إن كانت الضيعة [325/هـ] له فلست أنازعه فيها وإن كانت لي فقد وهبتها له ولا أقوم من مجلس شرفني به أمير المؤمنين. وكان من تيهه إذا أخطأ يستمر على خطئه تكبرا من الرجوع ويقول: نقض وإبرام في ساعة واحدة، الخطأ أهون منه. وكان أعور ذميما استعمله المنصور على الخراج وكور دجلة وفارس والأهواز وقلده المهدي ذلك أيضا[3]. يقال: وصف به البديع متكبرا فقال: كأن الدنيا خاتم في خنصره. وحساب خراجها في بنصره. وحتى كأن الشمس تطلع من جبينه. والغمام يبدو من يمينه. وكأن كسرى حامل حاشيته. وقارون وكيل نفقته. ويقال: إن بعض المتكبرين ليم على الإعجاب فقال: التواضع يكسب الإنسان مذلة. والإفراط في المؤانسة يكسب المهانة وأنشد في الحال يقول:

---

(1) عمارة بن حمزة مولي عبد الله بن العباس رضي الله عنهما، مولي السفاح، ثم مولى أبي جعفر المنصور، كان منعوتا بالتيه والتكبر، انظر معجم الأدباء 15/ 242.

(2) زيادة من: ب، هـ.

(3) وردت الحكاية في معجم الأدباء 15/ 247 وفي المستطرف 1/ 206.

[الطويل]

ونفسك أكرمها فإنك إن تهن عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما[1]

[438/ج] وفي معناه قال صالح بن عبد القدوس[2]/ :

[الطويل]

إذا ما أهنت النفس لم تر مكرما لها بعد ما عرضتها لهوان[3]

حُكي أن جبلة بن الأيهم[4] لما تنصر، وهو الغساني، وتوجه إلى هرقل،[5] كتب عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يدعوه إلى الإسلام ووجه إليه رجلا من أصحابه وهو جثامه ابن مساحقَ[6] الكناني، فلما أدى الرسالة وأراد الانصراف قال له [295/أ] هرقل: هل رأيت ابن عمك هذا الذي جاء إلينا راغبا في ديننا؟/ فقلت: لا. قال: فتوجهت إليه فرأيت على بابه من البهجة والسرور ما لم أره بباب هرقل، فلما دخلت عليه إذا هو في فضاء عظيم وفيه من التصاوير ما لم أحسن وصفه وقد استقبل بمجلسه وجه الشمس وهوجالس على سرير من الذهب وإذا هو رجل أصهب وقد وقع شعاع الشمس[7] على ما بين يديه من الذهب والفضة فما

(1) البيت ورد في البيان والتبين2/ 132 ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء: 368 وغرر الخصائص: 91 ومختارات شعراء العرب لابن الشجري1 / 12

(2) هو صالح بن عبد القدوس كان أديبا فاضلا وشاعرا مُجيدا، قتله المهدي العباسي ومثل به ثم دفنه، انظر معجم الأدباء 4/ 1445، ووفيات الأعيان 2/ 492.

(3) البيت ورد في محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني 1/ 368.

(4) جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغساسنة أدرك الإسلام فأسلم وهاجر إلى المدينة وأحسن عمر بن الخطاب نزوله وأكرم وفادته، وفي تاريخ ابن خلدون أنه توفي سنة 20هـ بينما في فتوح البلدان اللبلاذري أنه كان حيا إلى حدود 21هـ. انظر فتوح البلدان: 141-142، وذكره المسعودي في كثير من فقرات تاريخه 2/ 233 وكذلك في تاريخ ابن خلدون 2/ 586، 587

(5) ملك من ملوك الروم، ذكر في المراجع السابقة.

(6) ذكره أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني 15/ 164

(7) ساقطة من: ب.

رأيت أحسن منه، فلما سلمت عليه رد علي[1] السلام وترحب بي ولامني على ترك النزول عنده ثم أقعدني على شيء لم أثبته معرفة، فتأملته فإذا هوسرير من ذهب فانحدرت عنه فقال: مالك. فقلت: إن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك، فقال جبلة: أيضا مثل قولي في النبي ﷺ حين ذكرته، ثم قال: يا هذا! إنك إذا طهرت قلبك لم يضرك ما لبسته وما جلست عليه، ثم سألني عن أحوال الناس وألح علي في السؤال عن عمر رضي الله عنه، ثم جعل يبكي حتى عرفت الحزن في وجهه فقلت: ما يمنعك من الرجوع إلى قولك بالإسلام؟ فقال: هذا الذي جرى، فقلت: هذا الأشعث بن قيس[2] ارتد عن[3] الإسلام وضربهم بالسيف ومنع الزكاة ثم رجع إلى الإسلام فقُبل، ثم تذاكرنا مليا ثم أومأ إلى غلام على رأسه فما كان إلا قليلا حتى أقبلت الأخونة[4] تحملها الرجال فوضعت وجيء بخوان من ذهب فوضع أمامي فاستعفيت منه فدعا بطاس من ذهب فشرب خمسا عددا ثم أومأ إلى غلام آخر فذهب وإذا بعشر جوار أقبلن يتكسرن/ في الحلي فقعدن [365/ب] خمس عن يمينه وخمس عن شماله، ثم سمعت وشوشة من ورائي فإذا بعشر جوار أحسن من الأولى عليهن الحلي والحلل فقعدن خمس عن يمينه وخمس عن شماله، ثم أقبلت جارية على رأسها طائر أبيض كأنه لؤلؤة وفي إحدى يديها جام مسك وعنبر قد خلطا وأنعم سحقهما وفي يدها الأخرى جام ماء الورد فألقى الطائر نفسه في جام ماء الورد وأخذ ما فيه بجناحه حتى ملأ ظهره وبطنه ثم ألقى الطائر نفسه على الجام الآخر ثم طار فنزل على رأس جبلة وانتفض عليه قال: ثم أمر

(1) ساقطة من: ب، ج، هـ.

(2) الأشعث بن قيس بن معد كرب بن معاوية بن جبلة يكنى أبا محمد الكندي، ارتد فيمن ارتد من الكنديين، فأسر وأحضر إلى أبي بكر فأسلم فأطلقه وزوجه أخته أم فروة، قيل إنه مات بعد قتل علي بأربعين ليلة. انظر خزانة الأدب للبغدادي 2/ 465 والإصابة 1/ 51.

(3) هـ: على.

(4) الأخونة: ج خِوان، ما يوضع عليه الطعام ليؤكل وهو معرب. انظر اللسان: خون.

[439/ج] الجواري بالغناء فضربن بعيدانهن/ يغنين[1] هذا:

[الكامل]

لله در عصابة نادمتهم يوما بجلق في الزمان الأول[2]

[326/هـ] بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول[3]/

أقول: وهكذا رأيت[4] الأول والأول[5] في آخر البيتين في غير موضع، وجلق بكسر الجيم واللام المشددة[6] المكسورة. قال: فاستبشر واستهل طربا، ثم استزادهن فأنشدته أيضا ثم قال: أتعرف شعر من هذا؟ قلت: لا. قال: هذا شعر حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ. قلت: أما الآن فإنه مكفوف البصر، فقال: يا جارية هات خمسمائة دينار فأتته بها وخمسة أثواب من الديباج وقال: اقرأه مني السلام، ثم أعطاني مثلها فأثنيت عليه، ثم قال لجواريه: أبكينني فوضعن عيدانهن ثم أنشدن شعرا وهو:

[الطويل]

تنصرت الأشراف من عار لطمة وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

تكنفني فيها لجاج ونخوة وبعت بها العين الصحيحة بالعور

فيا ليت أمي لم تلدني وليتني رجعت إلى القول الذي قال لي عمر

ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة أجالس قومي ذاهب السمع والبصر[7]

(1) ساقطة من: ب.

(2) جلق: قيل هو موضع بقرية من قرى دمشق معجم البلدان: جلق.

(3) البيتان من قصيدة لحسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ. انظر الديوان 1/ 74. والعقد الفريد 1/ 313. والأغاني 15/ 166 وورد البيت الأول في معجم البلدان: جلق. وشرح المقامات 2/ 61-62.

(4) زيادة من: ب، ج، هـ.

(5) ساقطة من: ب

(6) أ: المشدودة.

(7) الأبيات وردت في العقد 1/ 314 والأغاني 15/ 167، ونهاية الأرب 15: 312.

قال: ثم بكى وبكيت معه حتى نظرت الدموع تجول على لحيته كأنها اللؤلؤ، ثم سلمت عليه وانصرفت، فلما قدمت على عمر، رضي الله عنه، سألني عن هرقل وجبلة فقصصت عليه القصة من أولها إلى آخرها فقال: أورأيت جبلة يشرب الخمرة فقلت: نعم. فقال: أبعده الله، لقد تعجل فانية بباقية فما ربحت تجارته، فهل أرسل معك شيئا؟ قلت: إلى حسان خمس مائة دينار وخمسة أثواب ديباج فقال: هاتها، وبعث إلى حسان فأقبل يقوده قائده حتى دنا فسلم وقال: يا أمير المومنين إني لأجد ريح آل جفنة/ فقال: نعم، قد أتتك منه مئونة فأخذها حسان وانصرف وهويقول: [296/أ]

[الكامل]

إن ابن جفنة من بقية معشر	لم يغذهم آباؤهم باللؤم
لم ينسني بالشام إذ هُوَ رَبُّها	ملكا ولا مستنصرا بالروم
يعطي الجزيل ولا يراه عنده	إلا كبعض عطية المذموم
وافيته يوما فقرب منزلي	فسقى فرواني من الخُرطوم[1]/ [366/ب]

ثم قال: ما كان خليلي ليبخل بي، فما قال لك؟ فقلت: قال لي: إن وجدته حيا فادفعها إليه وإن وجدته ميتا فاطرح الثياب على قبره وابتع بهذه الدنانير بدنا[2] فانحرها على قبره [فقال حسان رضي الله عنه: ليتك وجدتني ميتا وفعلت ذلك بي][3].

(1) الخُرطوم هنا: الخمر السريعة الإسكار، وقيل: هو أول ما يجَري من العِنب قبل أن يُداس. انظر اللسان: خرطم. والأبيات وردت في ديوان حسان 439/ 1 وورد البيت الأول والثالث والرابع في العقد الفريد 1/ 315 والأغاني 15/ 167. وشرح الشريشي 6 2/ 3.

(2) البُدن: بالضم ج بَدنة بالفتح والبدنة من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم، وسميت بدنة لعظمها ولسمنها. اللسان: بدن.

(3) الحكاية وردت في العقد الفريد 1/ 311-315 والأغاني 15167.

[440/ج] حُكي أن الحاكم بأمر الله الفاطمي[1] لما بنى المسجد/ الجامع بالقاهرة والمجاور لباب الفتوح وكان، على ما قيل[2]فسد حاله في أواخر أمره[3] وادعى الربوبية وكتب له: بسم الحاكم[4] الرحمان الرحيم، وطلب من الناس الإيمان به وبذل لهم في ذلك الأموال، وكان ذلك في أواخر أمره، وصنف بعضهم فيه مؤلفا يؤكد معتقده. فبينما هو يقرأ المؤلف عليه في الجامع المذكور والناس حوله إذ قام بعض القراء، وكا ن جوهري الصوت، فقرأ قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب، ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز**﴾[5] وكان قد علاه الذباب فاضطرب الناس لوقوع هذه الآية الشريفة في حكاية الحال، فنزل الحاكم عن سريره خوفا أن يقتل، وولى هاربا، وأخذ في استجلاب ذلك الرجل إلى أن اطمأن إليه. قال: وجهزه رسولا إلى بعض الجزائر وأمر بتغريقه فرئي في المنام بغير ذلك، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: ما قصر صاحب السفينة أرسى بي على باب الجنة.

حُكي أنه لما ظهر صاحب الزنج[6] وانضم إليه سائر السودان في زمان المعتضد[7] فقوي أمره واشتدت شوكته وطالت مدته، فكانت أربع عشرة سنة وثلث سنة، قتلوا فيها الصغير والكبير وأحرقوا الضياع وخربوا المنازل ونهبوا

(1) سبق ذكره.

(2) أ، هـ: على قيل.

(3) ج: عمره.

(4) أ، ب: الله.

(5) الحج: 71-72.

(6) هو علي بن محمد الورزنيني الملقب بصاحب الزنج من كبار أصحاب الفتن في العهد العباسي توفي سنة 270هـ انظر أخباره في الطبري 11/ 174 وابن خلدون 4/ 36.

(7) هو المعتضد بالله العباسي.

الأموال وسبوا الحريم وسفكوا الدماء وقتلوا في يوم واحد بالبصرة/ في وقعة [327/هـ] من وقعاتها ثلاثمائة ألف إنسان، وكانوا يدعون في خطبتهم لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويعرضون عن عثمان وعلي رضي الله عنهما ويلعنون بني العباس وأبا[1] موسى الأشعري وعمرو بن العاصي ومعاوية بن أبي سفيان، وكان ينادي في عسكرهم على بنات الحسين رضي الله عنه وعلى العباسية والهاشمية والأنصارية والقريشية وغيرهن من العربيات، وقتل كثيرا وسبى وغرق وملك عدة بلاد، فخرج إليه أبو العباس أحمد بن الموفق[2] فما زال ينازله ويحاربه ويقاتله مرة بعد أخرى حتى أظفره الله تعالى به وقتل منهم وسبى ورد ما كان أخذه إلى أربابه، وقد نصره الله تعالى عليهم فالحمد لله على ذلك[3].

حُكي في تفسير[4] قوله تعالى: ﴿بلدة طيبة ورب غفور﴾[5] هي في مدائن سبإ، كان لا يرى في سبإ بعوضة ولا ذبابة[6] ولا برغوث ولا حية ولا عقرب، وكان الركب يأتونها وفي ثيابهم القمل وغيره فإذا وصلوا إليها ماتت، وكان الإنسان يدخل البستان والمكتل/ على رأسه فيخرج وقد امتلأ من أنواع الفواكه من غير أن [441/ج] يتناول منها شيئا بيده، فبعث الله تعالى[7] لهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم إلى الله تعالى وذكروهم نعمه وحذروهم عقابه فقالوا: ما نعرف لله تعالى علينا نعمة. وكان لهم سد بنته بلقيس لما ملكتهم وبنت/ دونه بركة فيها اثنا عشر فرسخا على عدد [367/ب] أنهارهم، فكان الماء ينقسم بينهم على ذلك، فلما كان من شأنها ما كان مع سليمان،

---

(1) أ، ج، هـ: أبي.

(2) انظر المعتضد العباسي.

(3) الحكاية وردت بتصرف في تاريخ ابن خلدون 4/ 36-43.

(4) هـ: في قوله تفسير قوله.

(5) سبأ: 15.

(6) عبارة ج: ذبابة ولا بعوضة.

(7) ساقطة من: ج.

[297/أ] عليه الصلاة والسلام، ومكثوا بعدها مدة وطغوا وكفروا/ سلط الله تعالى عليهم جردا أعمى يقال له الخلد فنقب[1] السد فهلكت أشجارهم وخربت أرضهم، وكانوا يزعمون في علمهم وكهانتهم أن سدهم هذا تُخَرِّبه فأرة فلم يتركوا بين حجرين منه إلا ربطوا عندهما هرة فلما جاء زمانها الذي أراد الله تعالى خرابها فيه أقبلت فأرة حمراء إلى هرة فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة فدخلت في الفرجة التي كانت عندها ونقبت وحفرت، فلما جاء السيل وجد خللا فدخل فيه حتى قلع السد وفاض على أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم بالرمل وفرقوا ومزقوا حتى صاروا مثلا يقال: تفرقوا أيدي سبأ[2].

حُكي أنه لما كان أول المحرم سنة اثنين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذي القرنين[3] وكان النبي ﷺ حملا في بطن أمه رضي الله عنها حضر أبرهة الأشرم[4] ملك الحبشة يريد هدم الكعبة وكان قد بنى كنيسة بصنعاء اليمن وأراد أن يصرف إليها الحاج فخرج رجل من بني كنانة فبال في الكنيسة المذكورة ليلا فأغضبه ذلك وحلف لَيَهْدِمَنَّ الكعبة، فخرج ومعه جيش عظيم ومعه فيله محمود، وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل: ثمانية، فلما بلغ موضعا[5] على ثلثي فرسخ من مكة مات دليله أبو رغال[6] فرجمت العرب قبره والناس يرجمونه إلى الآن، ثم إن أبرهة بعث خيالته إلى مكة فأخذت مائتي بعير لعبد المطلب فهم أهل الحرم بقتاله ثم

(1) الخلد: ضرب من الفترة، وقيل: الخلد: الفأرة العمياء. اللسان: خلد.

(2) الحكاية وردت في تفسير ابن كثير بتصرف ولم يذكر اسم الخلد، انظر ج. 48 /3 /6

(3) هو الإسكندر المقدوني، وذو القرنين لقبه وتاريخ ذي القرنين يعني من أول سنة ملك فيها الإسكندر. انظر مروج الذهب 1/ 72 و2/ 336.

(4) ملك اليمن الذي غزا مكة في القرن السادس الميلادي. انظر مروج الذهب 2/ 200-202.

(5) أ، ج: موضعها.

(6) أبو رغال هو دليل أبرهة الأشرم على الطريق السهل إلى مكة، وقيل: إن أبا رغال هذا وجهه نبي الله صالح على صدقات الأموال فخالف أمره وأساء السيرة فقتله ثقيف وهو قسي بن منبه. انظر مروج الذهب 2/ 201 وتاريخ ابن خلدون 2/ 117.

عرفوا أن لا طاقة لهم بقتاله فتركوه. وبعث أبرهة إلى أهل[1] مكة يقول: إني لم آت لقتالكم، إنما جئت لهدم هذا البيت. فإن تتعرضوا إلي دونه بحرب فلا حاجة لي[2] بدمائكم، فقال عبد المطلب لرسوله: والله ما نريد حربه، ومالنا به من حاجة هذا بيت الله وبيت خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو يحميه ممن يريد هدمه، ثم خرج عبد المطلب إلى أبرهة وكان عبد المطلب جسيما وسيما ما رآه أحد إلا أحبه، وكان مجاب/ الدعوة فقيل لأبرهة هذا سيد قريش الذي يطعم الناس في السهل [442/ج] والجبل، ويطعم الوحش والطير في رؤوس الجبال فلما رآه[أجله][3] وأجلسه معه على سريره، ثم قال لترجمانه: قل له سل حاجتك فقال: لي حاجة أن يرد الملك مائتي بعير أصابها لي، فلما قال الترجمان لأبرهة ذلك قال له: كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلمتني في مائتي بعير وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه فلا تكلمني فيه، فقال عبد المطلب: أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه ويحميه، قال: ما كان ليمتنع مني، قال: أنت وذلك، فرد الإبل أبرهة على عبد المطلب، ثم انصرف إلى قريش وأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة إلى الشعاب والجبال ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة الباب وقال/ : [328/هـ]

[مجزوء الكامل]

اللهم إن المرء يحمي رحله فامنع رحالك

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم أبدا محالك[4]/ [368/ب]

---

(1) ساقطة من: ب.

(2) ج: لي إلى.

(3) زيادة من: ب، ج.

(4) الأبيات ورد منها البيتان 1 و3 في مروج الذهب 2/ 255. والحيوان 7/ 198. وتاريخ ابن خلدون 2/ 119.

ثم أرسل حلقة باب الكعبة وانطلق ومن معه من قريش إلى الجبال ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها فحينئذ جاءت قدرة الواحد الأحد المقتدر فأصبح أبرهة متهيأ لدخول مكة وهدم الكعبة، وقَدَّمَ فيله محمودا أمام جيشه فلما وجه الفيل إلى جهة مكة أقبل نفيل بن حبيب[1] كما قال ابن هشام[2] فأخذ بأذن الفيل وقال: ابرك محمود وارجع راشدا فإنك في بلد الله الحرام، ثم أرسل أذنه فبرك الفيل فضربوه بالحديد حتى أدموه ليقوم فأبى فوجهوه نحواليمن فقام يهرول فعند ذلك أرسل الله تعالى: ﴿عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل﴾[3] فتساقطوا بكل طريق وهلكوا بكل منهل وأصيب أبرهة حتى تساقطت/ أنامله [298/أ] أنملة أنملة فقدموا به صنعاء اليمن وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وذهب منهم رجل إلى النجاشي[4] وطائر يحلق[5] فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا فسبحان [الله][6] القادر لا إله إلا هو[7].

حُكي أن الكنيسة التي بناها أبرهة وأراد أن يصرف حج العرب إليها تسمى القليس[8] القبيط، سميت بذلك لارتفاع بناءها، وكان أبرهة[استذل][9] أهل

(1) نفيل بن حبيب الخثعمي، شاعر جاهلي يلقب بذي اليدين، كان من أدلة أبرهة الحبشي. انظر كتاب الحيوان 7/ 199.

(2) ابن هشام، صاحب السيرة، انظر الهامش.

(3) الفيل: 3.

(4) النجاشي: ملك الحبشة. انظر تاريخ المسعودي 2/ 200 وتاريخ ابن خلدون 2/ 115-117.

(5) أ، ب: يعلو.

(6) زيادة من: هـ.

(7) الحكاية وردت في سيرة ابن هشام، ومروج الذهب 2/ 254-255 وتاريخ ابن خلدون 2/ 117-118.

(8) القليس: هي الكنيسة التي بناها أبرهة على باب صنعاء. انظر معجم البلدان 7/ 155. وتاريخ ابن خلدون 2/ 117.

(9) أ، ب، ج: استزال.

اليمن في بناءها وكلفهم فيها أنواعا من الأعمال فكانوا ينقلون إليها الرخام[1] المجزع/ والحجارة المنقوشة بالذهب والفضة من قصر بلقيس صاحبة سليمان، [443/ج] عليه الصلاة والسلام، وكانت هذه الكنيسة على فراسخ ونصب فيها صلبان من الذهب والفضة، ومنابر العاج وغيرها، وكان العامل فيها إذا طلعت عليه الشمس فجاءت معه أمه وكانت عجوزة فتضرعت إليه تستشفع لابنها ألا تقطع يده، فأبى إلا قطعها. فقالت: اضرب بمعولك، اليوم لك وغدا لغيرك فجفا عنه، فلما هلك ومزقت الحبشة كل ممزق أقفر ما حول تلك الكنيسة وكثر حولها السباع والحيات فلم يستطع أحد أن يأخذ منها شيئا إلى زمان السفاح فذكروا له أمرها، فبعث إليها ابن الربيع[2] عامله على اليمن، ومعه جماعة من أهل الحزم والرأي والجلادة فخربها وحصل منها أموالا كثيرة، ثم بعد ذلك عفي أثرها ومحي رسمها وانقطع خبرها[3].

حُكي لما شمل الناس جور يزيد[4] وعماله وعمهم ظلمه، وما ظهر من فسقه وقتله من ابن بنت رسول الله ﷺ وأنصاره، وما أظهره من شرب الخمور وسار سيرة فرعونية، أخرج أهل المدينة عامله عليهم ومن عندهم من بني أمية وذلك في سنة ثلاث وستين، ووصل الخبر بذلك إلى يزيد فسير إليهم بالجيوش من أهل الشام، عليهم مسلم بن عقبة[5] المري الذي أخافه أهل المدينة وأنهبها وقتل أهلها وبايعهم على أنهم عبيد ليزيد إن شاء الله استرق وإن شاء عتق، وسمى المدينة نتنة، وقد سماها رسول الله ﷺ «طيبة»، وقال فيها ﷺ: «من أخاف المدينة أخاف

(1) في أ، ب، ج: واو زائدة.

(2) في معجم البلدان، أن السفاح بعث إليها خاله الربيع بن زياد الحارثي وأظن أن هذا الأخير سابق لعهد السفاح.

(3) الحكاية في معجم البلدان في الحديث عن القليس. انظر ج 4/ القيليس.

(4) يزيد بن معاوية. سبق ذكره.

(5) مسلم بن عقبة بن رباح أبو عقبة المري، أمره يزيد بن معاوية على الجيش، انظر الإصابة 39 /3 4.

الله»[1]. وسُمّي مُسلمُ هذا مجُرم ومُسرف[2] لما فعله.

ولما انتهى الجيش إلى الموضع المعروف بالحرة[3] خرج أهلها، عليهم عبد الله بن مطيع الصولي[4] وعبد الله بن حنظلة الأنصاري[5] فالتقوا بالحرة[6] فكانت وقعة عظيمة قتل فيها خلق من بني هاشم وسائر قريش والأنصار وغيرهم، قتل/ فيهم [369/ب] سبعون رجلا من سائر قريش ومثلهم من الأنصار وأربعة آلاف من سائر الناس دون من لم يعرف، وبايع الناس على أنهم عبيد يزيد ومن أبى ذلك عرضه على السيف، ثم خرج من المدينة يريد مكة وذلك لأربع بقين من المحرم سنة أربع وستين المذكورة، فلما انتهى إلى الموضع المعروف بقديد[7] مات مسرف الشقي واستخلف الحصين[8] بن نمير فسار بالجيش فحاصر مكة وأحاط بها ونصب المنجنيق[9] على مكة والمسجد الحرام، فتواترت أحجار المجانيق/ على البيت ورمى [444/ج] مع/ الأحجار بالنار والنفط وغير ذلك من المحرقات، فانهدمت الكعبة ووقعت [329/هـ] صاعقة فأحرقت من أصحاب المجانيق أحد عشر رجلا، وقيل أكثر من ذلك، وذلك يوم السبت لثلاث بقين من شهر ربيع الأول قبل هلاك يزيد بأحد عشر

---

(1) الحديث ورد في كنز العمال بهامش مسند أحمد 5/ 352.

(2) ب: مشرق.

(3) أ: الحيرة.

(4) عبد الله بن مطيع بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، العدوي. انظر الإصابة 3/ 371 والاستيعاب 3/ 994.

(5) عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الأنصاري، استشهد أبوه يوم أحد وهو جنينا، حفظ عن النبي ﷺ وروى عنه. انظر الإصابة 3/ 299 والاستيعاب 3/ 892.

(6) أ: الحيرة.

(7) اسم موضع قرب مكة، معجم البلدان: مادة قديد.

(8) الحصين بن نمير بن نائل، أبو عبد الرحمان من المقدمين في العصر الأموي، من أهل حمص ذكره ابن سعد في الطبقات 4/ 293، 5/ 68 وكذا ابن خلكان في تاريخه 6/ 276.

(9) المنجنيق: آلة كانت تستعمل لرمي الحجارة في الحروب، اللسان: جنق.

يوما، واشتد الأمر على أهل مكة وفي ذلك قول الشاعر[1]:

[الرجز]

ابن نمير لبئس ما تولى   قد أحرق المقام والمصلى[2]

وليزيد قاتله الله أخبار غريبة وخوارق عجيبة من شرب الخمر وقتل الحسين رضي الله عنه ابن فاطمة رضي الله عنها، وهدم البيت وإحراقه وسفك الدماء والفسق والفجور الحرم/ وغير ذلك مما ورد عليه الوعيد، ذكر ذلك في مروج الذهب[3]. [299/أ]

(1) ذكر المسعودي أن البيت لأبي وجزة المدني. انظر مروج الذهب 3/ 270، وأبو وجزة هو يزيد بن عبيد السلمي السعدي، شاعر محدث، مقرئ من التابعين نشأ في بني سعد بن بكر بن هوازن فنسب إليهم وسكن المدينة فانقطع إلى آل الزبير، ومات بها. انظر خزانة البغدادي 2/ 150. والشعر والشعراء 2/ 706.

(2) البيت ورد في مروج الذهب 3/ 270.

(3) الحكاية وردت في مروج الذهب 3/ 262-270.

الباب السابع والعشرون[1]

في تقلبات الدهر بأهله
ونشر عقد نظامهم وحله

حُكي أن المعتمد بن عباد كان مسجونا بقلعة أغمات[2] فلما جاء العيد فك من الحديد، فدخل عليه بعض بناته في يوم شاتٍ ودخل أصحابه يهنونه[3] بفك قيوده فقال:

[البسيط]

فيما مضى[4] كنت بالأعياد مسرورا ... فجاءني العيد في أغمات مأسورا
أرى بناتي في الأطمار خائفة ... يغزلن للناس، ما يملكن قطميرا[5]
يطأن في الطين والأقدام حافية ... كأنها لم تطأ مسكا وكافورا[6]

حُكي أن عبد الرحمان الهاشمي[7] قال: دخلت على والدتي في يوم عيد النحر فإذا عندها امرأة عمياء مقعدة، عليها ثياب رثة، فقالت والدتي: أتعرف من هذه؟

---

(1) ب: العشرين.

(2) أ، ب: غمات. وأغمات: قلعة تقع عند السفح الشمالي للأطلس الكبير جنوب شرق مراكش. انظر معلمة المغرب: أغمات.

(3) أ، ب، هـ: يهنيه.

(4) هـ: قضى.

(5) القطمير: القشرة الدقيقة التي بين النواة والتمر. اللسان: قطمر.

(6) الأبيات وردت في قلائد العقيان: 25 والوفيات 5/ 35. وفي النفح 4/ 273.

(7) في الوفيات محمد بن غسان بن عبد الرحمان الهاشمي. انظر الجزء 1/ 341 وكذا في مروج الذهب هو محمد بن غسان بن عبد الرحمان الهاشمي صاحب صلاة الكوفة. انظر الجزء 4/ 256.

قلت: لا. قالت: هذه عبادة أم جعفر البرمكي[1]. فأقبلت عليها وعظمتها وتحدثنا مليا ثم قلت لها: يا أماه! حدثيني ببعض شأنكم، قالت: يا بني!، لقد أتى علي مثل هذا اليوم وعلى رأسي أربعمائة وصيفة، ونحر لي ابني جعفر كذا وكذا بدنة وأعتق عني كذا وكذا رقبة، وأنا أقول: إنه عاق لي، ولقد مر هذا اليوم علي وما منامي إلا على جلد شاة أفترش به وأتغطى بآخر، قال: فدفعت إليها خمسمائة درهم، فكادت تموت فرحا، وما زالت تختلف إلينا حتى فرق الموت بيننا[2].

[445/ج] حكي لما أحيط بمحمد الأمين[3] جمع قواده ثم خطبهم فقال: الحمد/ لله الذي يرفع من يشاء بعزته ويضع، والحمد لله الذي يعطي من يشاء بقدرته ويمنع، والحمد لله الذي يقبض ويبسط وإليه المصير، أحمده على نوائب الزمان وخذلان [370/ب] الأعوان،/ وتشتيت الحال وكسوف البال، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، خير صحب وأكرم آل، وتكلم بكلام كثير ثم قال: وإني لمفارقكم بقلب موجع ونفس حزينة، وإني محتال لنفسي في الخلاص فأسأل الله بلطف[4] في معونته، ثم نزل واستدعى بدواة وقرطاس وكتب إلى طاهر بن الحسين[5] المقدم على جيش أخيه أما بعد: فإنك عبد مأمور[6] قد استنصحت فنصحت وحاربت فنصرت وقد يغلب الغالب ويسلب السالب ويخذل المفلح، وقد رأيت الصلاح في معونة أخي والخروج إليه من هذا السلطان، إذا كان أولى به وأحق مني فاعطني الأمان على نفسي، من يلوذ بي من ولدي وأمي وحرمي وحشمي وخدمي وأنصاري وأعواني

---

(1) اختلف في اسمها، قيل هي عتابة وقيل هي فاطمة، وهي سيدة جليلة ذات نفوذ وسلطان واحترام وإجلال. انظر أعلام النساء 1/ 196.

(2) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 256-257 والوفيات 1/ 341.

(3) سبق ذكره

(4) أ، ب: يطلق.

(5) سبق ذكره.

(6) أ: مأمون.

حتى أخرج إليك وأخلع نفسي من هذا الأمر لأخي، فإن رأيت الوفاء لي بأمانك وإلا كان أخي أولى بي وأحق، قال: ثم بعث إليه الكتاب فلما قرأه طاهر قال: الآن ضاق خناقه وخانه فساقه، وانتقض ميثاقه، وقل نجاحه وهيض جناحه. والذي نفسي بيده لا توضع[1] يده في يدي ولا ينزل على حكمي قال: فعند ذلك كتب إلى هرثمة بن أعين[2] وكان الأخير مقدما[3] على الجيش/ فأمنه فنزل في حراقة ليصل [330/هـ] إلى معسكر هرثمة فرتب طاهر المنجنيق على الحراقة فلما توسطت الدجلة رموا عليها فغرقت فخرج يسبح إلى بستان فعرفه بعض الشواش بطيب رائحته فحمله لطاهر فجعله في دار وسجنه في بيت منها. قال أحمد بن سلام[4] وكنت قد مسكت وسجنت في ذلك البيت فلم أشعر حتى دخل علي به في بيت مظلم وعليه سراويل وعمامة وهو عريان قد تلثم وعلى كتفه خرقة. قال: فحبسوه معي فلما استقر معي في ذلك البيت أزال العمامة عن رأسه واللثام عن وجهه فعرفته فاستعبرت باكيا واسترجعت فيما بيني وبين نفسي فجعل ينظر إلي وقال: من أنت؟ قلت مولاك أحمد بن سلام، فقال: أعرفك. ألم تاتنا بالرقة؟ قلت: نعم. قال: يا أحمد! ادن مني. وضمني إليك فإني أجد وحشة شديدة قال: فضممته إلي فإذا قلبه يخفق/ خفقا [300/أ] شديدا، فقلت: قبح الله وزراءك فإنهم أوردوك هذا المورد، فقال لي: ليس هذا موضع عتاب، لا تقل في وزرائي إلا خيرا، فما لهم ذنب، ولست بأول من طلب أمرا ولم يقدر عليه، ثم قال: أظنهم يحملونني إلى أخي، أفتراه قاتلي؟ فقلت: كلا!

---

(1) أ، ب: يوضع.

(2) هرثمة بن أعين، من القادة الشجعان، ولاه الرشيد مصر، ثم وجهه إلى إفريقية، ولما بدأت الفتنة بين الأمين والمأمون انحاز إلى المأمون فقاد جيوشه حتى انتهت بمقتل الأمين. إلا أن المأمون نقم عليه أمرا جعله يدس إليه من يقتله في السجن سرا وذلك سنة 200هـ. راجع الكامل لابن الأثير 6/ 106. والطبري 10/ 203 وما بعدها. ومروج الذهب 4/ 291 وما بعدها.

(3) أ: مقدم.

(4) هو أحمد بن سلام صاحب المظالم أيام الأمين، وكان محبوسا في ساعاته الأخيرة. راجع الطبري 10/ 199-200. ذكره المسعودي في تاريخه. انظر ج 4/ 294.

[٤٤٦/ج] إن الرحم/ ستعطفه عليك، فتأوه ثم قال: هيهات ! إن الملك عقيم ولا رحم فيه. قال: ثم لقنته ذكر الله والاستغفار، فبينما نحن كذلك إذ فتح باب البيت فدخل رجل غاطس في الحديد وفي السلاح فنظر في وجهه حتى أثبته معرفة، ثم غلق الباب بعدما خرج، فإذا هو محمد الطاهري فعلمت[1] أن الرجل مقتول. وكان قد بقي علي صلاة في الوتر فخفت أن أقتل معه، فقمت لأصلي الوتر فقال: يا أحمد! لا تبتعد عني فإني أجد وحشة شديدة[2] فصليت بقربه، فما [لبثت حتى سمعنا][3] حركة الخيل ودق الباب ففتح فإذا بقوم من العجم بأيديهم السيوف المصلتة، فلما أحس بهم محمد قام قائما وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهبت نفسي في سبيل الله، أما من حيلة؟ قال: فجاءوا حتى وقفوا على باب البيت، وجعل بعضهم يدفع بعضا ويقول: تقدم أنت، فأخذ محمد بيده وسادة وجعل يقول: أنا ابن عم رسول الله، ﷺ، أنا ابن الرشيد أنا أخو المأمون الله! الله في دمي، فدخل عليه مولى لطاهر فضربه بالسيف ضربة وقعت في مقدم رأسه وضرب محمد وجهه بالوسادة واتكأ [٣٧١/ب] عليه ليأخذ بسيفه/ فصاح المولى [قتلني][4] فدخل منهم جماعة فنخسه أحدهم بسيف في خاصرته وكبوه فذبحوه من قفاه وأخذوا رأسه إلى طاهر بن الحسين، فلما وضع بين يديه قرأ قوله تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء [وتعز من تشاء [وتذل من تشاء]﴾[5] الآية ثم حمل رأسه إلى خراسان في منديل فلما وضع بين يدي المأمون استرجع وبكى واشتد بذلك تأسفا عليه فقال له الفضل بن سهل[6]: احمد الله على هذه النعمة الجليلة وإنه كان يتمنى أن

---

(1) ب: فقلت.

(2) ب، ج: جديدة.

(3) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، هـ.

(4) زيادة من: ب، ج، هـ.

(5) آل عمران: 26

(6) سبق ذكره.

يراك بحيث رأيته، ولما بلغ أمه زبيدة قتلُه سودت ثيابها ولبست الشعر وكتبت إلى المأمون تقول:

[الطويل]

لخير إمام قام من خير عنصر ... وأفضل راق فوق أعواد منبر
ووارث علم الأولين وفخرهم ... إلى الملك المأمون من أم جعفر
كتبت وعيني تستهل دموعها ... إليك ابن عمي من جفوني ومحجري
فجعت بأدنى الناس منك قرابة ... ومن زال عن قلبي فعز تصبري
أبا طاهر لاقدس الله طاهرا ... فما طاهر في فعله بمطهر
فأبرزني مكشوفة الوجه حاسرا ... وأذهب أموالي وقومي ومعشري
يعزعلى هارون بما قد لقيته ... وما مر بي من ناقص الخلق أعور
وإن كان ما أسدى لأمر أمرته ... فصبر لأمر من قدير مقدر/[1] [447/ج]

قال: فلما قرأها المأمون بكى وقال: والله ما أمرت ولا رضيت به قال: ورثته زوجته لبابة[2] بنت علي بن المهدي ولم يكن دخل بها بعد فقالت/ : [331/هـ]

[المنسرح]

أبكيك لا للنعيم والأنس ... بل للمعاني والرمح والفرس
أبكي على فارس فجعت به ... أرملني[3] قبل ليلة العرس
يا مالكا[4] بالعراق مطرقا ... خانته أشراطه مع الحرس[5]

(1) الأبيات وردت في الطبري 10/ 213 ومروج الذهب 4/ 298 مع بعض الاختلاف بين الروايات. وكذا في شرح المقامات 16 /2 6

(2) ب، ج: لبانة.

(3) هـ: أرملة.

(4) أ: يا ملكنا.

(5) الأبيات وردت في الطبري 10/ 210 ومروج الذهب 4/ 297. وشرح المقامات 16 /2 6. والحكاية وردت في المراجع السابقة.

حُكي أن المتوكل لما سخط على[1] محمد بن عبد الملك الزيات[2] وكان وزيره في قبض أمواله وجميع ما كان له، وقد كان ابن الزيات في أيام وزارته اتخذ للمصادرين والمغضوب عليهم تنورًا من حديد، رؤوس مساميره إلى داخل مثل رؤوس المسال، [301/أ] فأمر المتوكل بإدخاله في التنور فطلب من الموكل به دواتا وقرطاسا/ ليكتب فيه فاستأذن الموكل به في ذلك فأذن له فكتب كتابا بيده إلى المتوكل يقول فيه:

[البسيط]

هي السبيل فمن يوم إلى يوم ... كأنه ما تريك العين في النوم

لا تعجلن رويدا إنها دول ... دنياء تنقل من قوم إلى قوم

إن المنايا وإن أصبحت ذا فرح ... تحوم حولك حوما أيما حوم[3]

وتشاغل المتوكل في ذلك اليوم فلم تصل إليه الرقعة فلما كان من الغد قرأها فأمر بإخراجه فوجدوه ميتا وكانت مدة حبسه في ذلك التنور الذي مات فيه أربعين يوما[4].

حُكي أن الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين يوسف[5] كان من كبار [372/ب] أهل الأدب/ والظرف، حسن السيرة متدينا وله المآثر الجليلة والجميلة، وهوأكبر إخوته ومع كمال صفاته التي سارت بذكرها الركبان، ما صفا له الدهر، ولا تم له الملك بعد أبيه صلاح الدين يوسف، لبث مدة يسيرة بدمشق، ثم حضر إليه عمه

(1) ساقطة من: ب.

(2) محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة المعروف بابن الزيات.(173-233هـ). وزير المعتصم والواثق والمتوكل. انظر مروج الذهب 5/ 5. والوفيات 5/ 95.

(3) الأبيات ورد البيتان الأولان منها في مروج الذهب والوفيات.

(4) الحكاية وردت في المرجعين السابقين.

(5) سبق ذكره.

أبو بكر العادل[1] وأخوه العزيز عثمان[2] فأخرجاه من ملكه[3] فكتب الأفضل إلى الإمام الناصر[4] إلى بغداد يقول له:

[البسيط]

مولاي[5] إن أبا بكر وصاحبه[6] عثمان قد غصبا بالسيف حق علي
فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقى من الآواخر مالاقى[7] من الأول[8]

قال: فأجابه الملك الناصر يقول، وفيه سمة من التشيع:

[الكامل]

وافى كتابك يا ابن يوسف معلنا بالصدق يخبر أن أصلك طاهر
غصبوا عليا حقه إذ لم يكن بعد النبي له بيثرب ثائر
فاصبر فإن غدا عليه حسابهم وأبشر فناصرك الإمام الناصر[9]/ [٤٤٨/ج]

ومن شعر الأفضل المشار إليه يشكو سوء حظه:

[الكامل]

يا من يسود شعره بخضابه لعساه من أهل الشبيبة يحصل

---

(1) سبق ذكره.

(2) الملك العزيز عماد الذين أبو الفتح عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، كان نائبا عن أبيه في الديار المصرية لما كان أبوه بالشام. وكان ملكا مباركا كريما محسنا إلى الناس معتقدا في أرباب الخير والصلاح، سمع الحديث بالأسكندرية من الحافظ السلفي والفقيه ابن الظاهر بن عوف الزهري، وبمصر من العلامة أبي محمد بن بري النحوي. انظر الكامل لابن الأثير 12/ 140 والوفيات 3/ 251.

(3) هـ: منفيا.

(4) سبق ذكره

(5) ج: أمولاي.

(6) أ: وصاحباه.

(7) أ، ج: ما لقي.

(8) البيتان وردا في الوفيات 3/ 420.

(9) الأبيات وردت في الوفيات 3/ 421 مع اختلاف قليل في الرواية.

ها فاختضب بسواد حظي مرة ولك الأمان فإنه لا ينصل[1]

قلت ولبلدينا الشهاب السلمي[2] في ذلك وأجاد:

[الكامل]

وليس عدوي غير شيبي وكيف لا وهجر الغواني كان أولى وأصله
ألم تره أني إذا ما سترته يحاربني بعد الثلاث بنصله

ولبلدينا الشيخ شمس الدين محمد بن كميل وكان في دولة الملك المؤيد شيخ[3]:

[البسيط]

وضبية راعها شيبي فقلت لها: بالله لا تكثري بالشيب توبيخي
ولا تغرنك أيام الصبا فلقد ولى زمان الصبا والوقت للشيخ

حُكي أن سبب قتل البرامكة ما سنذكره الآن وقد تقدم مختصرا وهو أبسط، كما وقفت عليه:

روى بن أبي ثور أزهر بن[4] صقلاب قال: بلغني أن ميمونة بنت المهدي[5] لما ابتليت بحب جعفر بن يحيى بن خالد، فصارت تراسله وتلاطفه وتسأله أن يزورها وهو يأبى عليها ويمتنع خوفا من الرشيد، فيتصور عنده بصورة من كفر بنعمته[6] وخان[7] حرمته، فلما عيل صبرها وضاق صدرها وأيست منه/ وانقطع [332/هـ]

(1) البيتان وردا مع الحكاية في ثمرات الأوراق 1/ 19.

(2) سبق ذكره.

(3) الملك المؤيد شيخ بن عبد الله المحمودي، كان ملكا مهابا، عارفا بالحروب، توفي سنة 824هـ. انظر شذرات الذهب 7/ 164.

(4) ج. أزهري أبي صقلاب

(5) هي العباسة بنت المهدي. انظر العقد 5/ 372.

(6) ج، هـ: نعمه.

(7) ب: وخاف.

حبل رجائها عنه اتخذت وليمة وصنعت طعاما وسألت أن يحضر عندها الرشيد، وقد علمت أنه لا يحضر إلا وهو معه، فأجابها الرشيد إلى ذلك ووافاها هووجعفر وجلسا في مجلس قد أعد لهما يتحدثان على سريرهما، فلما كان وقت المساء أراد الرشيد الانصراف فقالت له ميمونة: إني اشتريت لك جارية أديبة عاقلة وقد أعددتها لهذه/ الليلة لتبيت معها عندي وتسرني بذلك. فقال لها/ : وجعفر؟ قالت: [302/أ][373/ب] قد أخذت له جارية تشاكله. فقال لها: نِعْم ما عملت وأحسنت بما صنعت، حيث خصصت جعفر بمثل ما خصصتني به، فلما دخلت جارية الرشيد عليه وخلا بها وانفرد جعفر إلى منزل آخر عمدت ميمونة فلبست ثيابها وتزينت ودخلت على جعفر! فلم يعرفها ودخل بها وظن أن الأمر كما ذكرت، فلما أصبحوا قالت له ميمونة: جعفر! قد سألتك أن تساعدني على محبتك فأبيت وأيست منك فاحتلت بما ترى وأنا معطية لله عهدا لئن/ ملت عما أنت عليه من هذه الليلة ولم تدم عليه [449/ج] من المواصلة وإلا ترد نفسي ونفسك للمهالك. فقال لها جعفر: ويحك! أهلكتني وأهلكت نفسك، وكان ذلك كذلك، ولم يزل يزورها خوفا منها إلى أن ظهر أمرهما للرشيد ففعل بهما ما فعل[1].

قال المبرد حدثنا: أبو عبد الله البيمارستاني عن القاضي يحيى بن أكثم[2] قال: سألت إسماعيل بن عيسى الهاشمي[3] عن سبب زوال نعمة البرامكة وكيف كان سبب سخط الرشيد عليهم. ألم تشاهد[4] أمورهم؟ قال: بلى. أعرف صحة الخبر

---

(1) الحكاية في مروج الذهب 4/ 246 وما بعدها، وفيه العباسة بيت المهدي بدل ميمونة. والبداية والنهاية 12 189/ 5.

(2) سبق ذكره.

(3) هو إسماعيل بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس العباسي الهاشمي، ولاه الرشيد على إمرة مصر بعد إسماعيل بن صالح العباس عنها، ودام على إمرتها إلى أن صرفه الرشيد عنها بالليث بن الفضل سنة 183هـ. فتوجه إلى الرشيد فأكرمه ودام عنده إلى أن حج معه في سنة 186هـ انظر النجوم الزاهرة 2/ 109.

(4) أ، ب: نشاهد.

وباطن القضية كان [سبب][1] زوالها أني كنت عند الرشيد يوما من الأيام فركب للصيد فسرت معه فبينما نحن نسير[2] إذ نظر إلى موكب من بعد قد اعترضنا فقال الرشيد: لمن هذا الموكب يا إسماعيل؟ فقلت: موكب جعفر بن يحيى، فالتفت يمينا وشمالا، ثم نظر إلى من معه في الموكب فإذا هم شرذمة يسيرة، ثم نظر إلى الموكب الذي فيه جعفر فلم يره، ثم قال: يا إسماعيل، ما فعل جعفر وموكبه؟ قال إسماعيل: وهذه أول كلمة قالها الرشيد وسمعتها منه يذكر جعفر بغير الأخوة. وكان الرشيد لا يسميه إلا أخي، وكان بينهما رضاع[3]، قال إسماعيل: فقلت له: يا سيدي! قد مضى أخوك جعفر في طريق آخر ولم يعلم بموضعك فقال الرشيد: ما رأى على نفسه أن يرينا موكبه ويحملنا بجيشه، فقلت للرشيد: يا أمير المؤمنين إنه لوعلم مكانك لما سار إلا بين يديك قال إسماعيل: واعتذرت بما حضرني من الكلام، ثم سرنا حتى انتهينا إلى ضيعة عامرة ومواشي كثيرة وعمارة حسنة، وكان الطريق يدور عليها وعلى بيدرها[4] فدرنا حتى وردنا إلى باب القرية فنظر الرشيد إلى البيدر وإلى كثرة الغلال فيه والمواشي ويسار أهلها فالتفت إلي وقال: يا إسماعيل، لمن هذه الضيعة؟ فقلت: لأخيك جعفر بن يحيى، فسكت ساعة ثم تنفس تنفس من أكره على نفسه كظما، ثم أمسك ولم نزل نمر بضيعة أحسن من الأخرى وكلما مر سأل عن الضيعة، فقيل: لجعفر بن يحيى حتى سرنا ووصلنا إلى مدينة جعفر، كل ذلك ليتم أمر الله عز وجل في البرامكة. قال إسماعيل: فلما أردت وداع الرشيد والانصراف إلى منزلي نظر إلى من حوله، يعلموا ما أراد، فتفرقوا وبقيت أنا وهو، فقال: يا إسماعيل! فقلت: لبيك يا أمير المؤمنين! قال: إنا نظرنا

(1) زيادة من: ج، هـ.

(2) أ، هـ: سيروا.

(3) أ: ارضاع.

(4) البيدر: الموضع الذي يداس فيه الطعام. اللسان: بدر.

إلى البرامكة فأغنيناهم إلى آخر الأبد وأفقرنا أولادنا وأغفلنا أمرهم. قال: فقلت في نفسي: بلية والله، ثم قلت له: يا أمير المؤمنين! بماذا نظرت إلى هؤلاء وغفلت أمر هولاء؟ قال: لأني لا أعرف لأحد من أولادي ضيعة من ضياع البرامكة على/ [450/ج] طريق أقرب من هذه المدينة، فكيف بما لهم على غير هذه الطريق وفي/ سائر البلاد؟ [374/ب] قال إسماعيل: فقلت: يا أمير المؤمنين! إنما البرامكة خدمك وعبيدك وصنائعك، وأموالهم أموالك وكل ما يملكون لك، فنظر إلي نظر جبار عنيد ثم قال: ما عند البرامكة أن بني هاشم إلا عبيدهم وأنهم هم الذين أقاموا الدولة وأن لا نعمة لبني العباس إلا والبرامكة أنعموا عليهم بها.

قال: فقلت: أمير المؤمنين أبصر بعبيده وخدمه ومواليه مني. قال: ثم قال لي: والله يا إسماعيل، إنك لتعلم/ أنه أكثر مما أقول، ولكن/ تريد أن يبلغهم كلامك [303/أ][333/هـ] فتتخذ[1] عندهم يدا، فأما إذا قلت: فاكتم هذا الأمر وما علم به غيرك وغيري[2]، فمتى بلغهم شيء مما جرى علمت أنه [ما][3] أفشاه غيرك. قال: فقلت: يا أمير المؤمنين! أعيذك بالله أن نفشي سرك، قال: وكان هذا أول ما ظهر من أمر البرامكة، وسبب زوال نعمتهم، ثم ودعته وانصرفت متفكرا في إيقاع[4] الحيلة عليهم. فلما كان من الغد بكرت إلى الرشيد وسلمت عليه وجلست بين يديه، وكان في مجلس يشرف على الدجلة من شرقي مدينة السلام، وبإزائه منزل جعفر من الجانب الغربي، وكانت المواكب كلها من جميع الأصناف من قائد وأمير وعامل يترددون في كل يوم إلى قصر جعفر، فالتفت الرشيد إلي وقال: يا إسماعيل! هذا مما كنا فيه بالأمس، فانظر إلى باب جعفر وما عليه من كثرة الجيوش والغلمان والمواكب وأنا

---

(1) أ، ب، هـ: فيتخذ.
(2) أ، ب: غيره.
(3) زيادة من: ب، ج.
(4) أ، ب: ارتفاع.

ما على باب داري أحد، فقلت: ناشدتك الله يا أمير المؤمنين! أن علقت نفسك بشيء من هذا، وإنما جعفر عبدك وخادمك ووزيرك وصاحب جيشك، إذا لم تكن الجيوش على بابه فعلى باب من تكون؟ إنما بابه باب من أبوابك. قال: انظر، ويلك يا إسماعيل! إلى دوابهم ألست ترى أعجازها إلى ناحية قصري وهي تروث بإزائنا ونحن ننظر إليها، هذا والله الاحتقار بعينه، والله لا صبرت على ذلك. قال: وغضب غضبا شديدا وامتلأ غيظا. قال: فأمسكت عنه وقلت: هذا قدر من الله تعالى، سابق، وحكم من الله تعالى واقع. قال: ثم انصرفت عن الرشيد وعدت إليه في اليوم الثاني فلقيني جعفر في الطريق، وهو يريد الرشيد فتواريت عنه حتى مضى ودخل عليه، ثم دخلت بعده، فسلم على الرشيد وجلس على يمينه فأكرمه وهش في وجهه وحادثه ساعة ووهب له خادما من خواص خدمه وأنبلهم وأفصحهم وأصبحهم وجها وأكملهم ظرفا، كاتبا حاسبا. قال: فسر به سرورا شديدا ووقع من قلبه أجل موقع، وكان الخادم بلية ودسيسا على جعفر، يرفع أخباره إلى الرشيد، فإنه/ كان أوصاه بذلك بأن ينفذ إليه أمره ويحصي عليه أنفاسه وألفاظه، وما يتكلم به، وأن يعرفه بجميع أحواله، وقتا بوقت وساعة بساعة. قال: فخلا به جعفر يومه ذلك وليلته واحتجب من أجله عن الناس، فلما كان بعد ثلاثة أيام توجهت إلى جعفر وسلمت عليه، فلما خلا مجلسه ولم يبق عنده غيري وغيره وذلك الخادم واقف وعلمت أن ذلك الخادم يحصي علينا أنفاسنا، فقلت له: أيها الوزير عندي نصيحة أفتأذن لي في الكلام؟ فقال: قل وتكلم، وكان الرشيد قد ولى جعفرا كورة خراسان كلها وما ينسب ويضاف إليها، قبل هذا الكلام، وخلع عليه وعقد له لواء بذلك، هو وعسكره بالنهروان[1].

[451/ج]

(1) النهروان أكثر ما يجري على الألسنة بكسر النون، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي. انظر معجم البلدان: النهروان.

وضرب الناس مضاربهم، وهم متأهبون للسفر فقلت له: يا سيدي/ ! أنت [375/ب] ذاهب إلى[1] مملكة عظيمة وبلاد كبيرة فلوصيرت بعض ضياعك لولد أمير المؤمنين لكان ذلك أرفع لمنزلتك عنده. قال: فحين قلت ذلك نظر إلي مغضبا بصلفه[2] وتيهه وقال: والله، يا إسماعيل! ما أكل الخبز صاحبك، أوقال[3]: ابن عمك، إلا بفضلي، ولا قامت هذه الدولة إلا بنا، أما[4] كفى أني تركته لا يهتم بشيء من أمر نفسه وولده وحاشيته ورعيته؟ ولا ينفذ أمر الخاصة والعامة إلا أنا وقد ملئت بيوت أمواله مالا، ونصبت نفسي للأمور الجليلة والحقيرة أدبرها حتى مد عينه إلى ما اذخرته لولدي، واخترته لعقبي من بعدي، قد أخذه حسد بني هاشم ونذالتهم وبغيهم ودب فيه الطمع، والله لئن سأل شيئا من ذلك ليكونن وبالا عليه سريعا ولينتقضن[5] عليه ملكه، قال: فقلت: والله، يا سيدي! ما كان مما قد ظننت في حق أمير المؤمنين شيئا ولا تكلم في شيء من ذلك أبدا ولا بما يدل على الطلب لما قلت لك. قال: فأرى هذا الفضول منك؟ قال: فأقمت عنده هنيهة، ثم قمت إلى منزلي، ولم أركب إليه ولا إلى الرشيد لأني وقعت بينهما في حالة تهمة، فقلت في نفسي: هذا الخليفة، وهذا وزيره، ولا معنى لدخولي بينهما، ولا شك/ [304/أ] في زوال نعمة البرامكة. قال: وحدثني خادم أم جعفر زبيدة أن الخادم الذي وهبه الرشيد لجعفر كتب إلى الرشيد بما كان بيني وبينه وما تكلم به من الكلام الغليظ، فلما وقف الرشيد على كتابه احتجب عن الناس ثلاثة أيام متفكرا في إيقاع الحيلة على البرامكة، ثم دخل في اليوم الرابع على زبيدة فخلا بها وشكى إليها ما في نفسه

---

(1) ساقطة من: ب.

(2) الصلف: مجاوزة القدر في الظرف والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبرا. انظر اللسان: صلف.

(3) ساقطة من:هـ.

(4) أ، ب: وما.

(5) أ: لينتقص

من البرامكة وأقرأها الخبر الذي رفعه إليه الخادم.

[452/ج][334/هـ] وكان بين زبيدة وجعفر أمور كثيرة/ من تحمل الأنفس/ فلما تمكنت من الكلام أبلغت في المكروه في حق جعفر وكان الرشيد يتبرك بمشورتها فقال لها: ماذا تشيري علي برأيك الموفق؟ فإني خائف أن يخرج الأمر عن يدي إن تمكنوا من خراسان وتغلبوا عليها. فقالت له: مثلك مع البرامكة مثل رجل سكران غريق في بحر عميق فإن كنت قد أفقت من سكرتك، وتخلصت من غرقك أخبرتك بما هوأصعب عليك وأعظم من هذا عندك، وإن كنت على الحالة الأولى تركتك. قال لها: قد كان ما كان، فقولي أسمع منك، فقالت له: إن ها هنا أمرا قد جناه عليك وزيرك، وهوأصعب مما أنت فيه، وأقبح وأشنع فقال لها: ويحك! وما هو؟ فقالت: أجلك أن نلقاك به، ولكن أرجوان الخادم، هوخادم الحرم، يخبرك فأحضره وشدد عليه وأوهبه مالا فإنه يعرفك الخبر. وكان الرشيد قد أحل جعفر بن يحيى محلا عظيما لم يحله أخا ولا أبا وأمره أن يدخل على الحرم في الحضر والسفر، وأبرز إليه جواريه وبناته وسائر حرمه لأنه كان بينهما رضاع، سوى امرأته زبيدة فإنه لم يكن يراها ولا دخل عليها ولا قضى لها حاجة، وكانت هي أيضا لا تستقضيه حاجة أبدا، فلما فسد قلب الرشيد على البرامكة وجدت سبيلا إلى ذلك الذي في نفسها ورأت الفرصة في الحض[1] على البرامكة، وكان جعفر يدخل على الحرم في غيبة الرشيد ويقضي حوائجهم لأن ذلك كان بأمره ولا يستترون من جعفر، ولم يعلم أنه تقدم عليه فيهن، قال: فخرج الرشيد من عند[2] زبيدة واستدعى أرجوان [376/ب] الخادم وأحضر[3]/ السيف والنطع، وقال له: نفيت من المهدي ومن المنصور إن لم تصدقني حديث جعفر لأقتلنك. فقال له: الأمان. قال: نعم، ثلاثا. فقال: اعلم

---

(1) أ: الحض.

(2) هـ: عن.

(3) أ، ب: وحضر.

أن جعفر قد خانك في أختك ميمونة، وقد دخل بها منذ سبع سنين[1]، وولدت منه ثلاثة بنين، أحدهم له ست سنين والثاني له خمس سنين والثالث له سنتان ومات منذ قريب، والآن قد أنفذتها إلى المدينة المنورة وهي الآن حامل بالولد الرابع، وأنت أذنت له بالدخول عليهن وأذنت لي أن لا أمنعه أي وقت أراد الدخول عليهن ليلا أو نهارا. قال: أمرتك أن لا تحجبه، فحين حدث ما حدث، ألا ما كنت أخبرتني أول الأمر، ثم أمر بضرب عنقه فضربت، وقام من فوره ودخل على زبيدة وقال لها: أرأيت ما عاملني به جعفر وما ارتكب من هتك حرمتي وتخطى إلى حريمي ونكس رأسي وفضحني بين العرب والعجم؟ فقالت له: هذا بشهوتك وإرادتك، عمدت إلى شاب جميل الوجه/ حسن الثياب طيب الرائحة صلف[2] [453/ج] تائه معجب جبار في نفسه يستبد برأيه فأدخلته على جوار هاشميات عباسيات وفيهن بنت خليفة من خلفاء الله، أحسن منه وجها وأنظف ثوبا وأطيب رائحة لم تر قط رجلا غيره، فغلبها الشيطان وأزال رأيها حتى أهلكها فهذا جزاء من جمع بين النار والحلفا. قال: فقام الرشيد من عندها مكروبا فدعا بخادمه مسرور، وكان قاسي القلب فظا غليظا، قد نزع الله الرحمة منه، فقال له الرشيد: يا مسرور! إذا كان الليلة بعد العشاء فاتيني بعشرة من الفعلاء[3] أقوياء، ومعهم خادمان جلدان. قال: فلما كان بعد العشاء أتى مسرور ومعه المطلوب فقام الرشيد وهو بين يديه حتى وافى مقصورة ميمونة ونظرها وهي حامل فلم يكلمها ولم يعاتبها وأمر الخادمين/ بإدخالها في صندوق كبير كان في المقصورة وهي بحالها وحليها [305/أ] وثيابها وقفل عليها وهي ساكتة لا تتكلم ولا تعتذر لأنها سمعت بقتل أرجوان الخادم وأنها لاحقة به، فلما استوثق منها في الصندوق دعا الفعلة ومعهم المعاول

(1) الواو ساقطة من: ج.

(2) سبق شرحه.

(3) أظنه أراد الفعلة، وهي صفة عالية على عملة الطين والحفر. انظر اللسان مادة: فعل.

والزنابيل فحفروا في وسط المقصورة حتى بلغوا الماء والرشيد جالس فقال:

حسبكم[1] هاتوا الصندوق فنزلوا به في تلك الحفيرة ثم قال: ردوا التراب عليه فردوا المكان على حالته ثم واسوا الموضع حتى كأنه ما صار فيه شيء ثم أخرجهم وقفل الباب وجعل المفتاح معه ثم أمر مسرورا وقال له: خذ هولاء وأعطهم أجورهم فمضى بهم مسرور وجعلهم في الجواليق[2] ورمى بهم في الدجلة، ورجع من وقته ووقف بين يديه فقال: ما فعلت؟ قال: وفيت القوم أجورهم فدفع[3] إليه المفتاح وقال: احتفظ به[4] إلى أن أسألك عنه وامض الآن فانصب[5] في وسط دار القصر قبة تركية ففعل ووفاه قبل الصبح، ولم يعلم أحد ما يريد. فلما جلس في مجلسه وكان يوم الخميس يوم الموكب فقال: يا مسرور! لا تتأخر عني فدخل الناس يسلمون عليه/ ووقفوا في مراتبهم. ودخل جعفر بن يحيى فسلم عليه فرد [335/هـ] عليه أحسن رد وضحك له وأجلسه في مرتبته وهي أقرب الناس إليه، فحدثه وضاحكه وأخرج له الكتب الواردة عليه من النواحي فقرأها عليه فأمر ونهى ووقع ونفذ الأمور وقضى حوائج الناس، ثم استأذنه في الخروج إلى خراسان من يومه ذلك، فادعى الرشيد بالمنجم وهوجالس بحضرته، ثم قال له الرشيد: كم مضى من النهار فقال له: ثلاث ساعات ونصف، فحسب الرشيد ونظر في نجمه ثم قال: يا أخي/ !هذه الساعة نحيسة والتي بعدها أنحس منها ولا أرى أن [454/ج] تحدث فيها حدثا، ولكن صل الجمعة وارحل في ساعة سعودك، وتبيت بالنهروان وتبكر/ نهار السبت فتناول الطريق أول النهار فإنه أصلح، فما رضي جعفر بما قاله [377/ب]

(1) أحسبكم.

(2) الجواليق: من الأوعية. انظر اللسان: جلق.

(3) أ، ب: فرفع.

(4) أ، ب: عليه.

(5) أ، ب: وانصب.

الرشيد حتى أنه أخذ الأسطرلاب من المنجم وقام فأخذ الطالع فحسب لنفسه وقال: صدقت يا أمير المؤمنين، إن هذه الساعة ساعة نحس و ما رأيت نجمي أشد احتراقا ولا أضيق مجرى في البروج أكثر من هذا اليوم، ثم قام وانصرف إلى منزله والناس والقواد والخاصة والعامة يعظمونه إلى أن وصل إلى قصره في جيش عظيم، فأمر ونهى وانصرف الناس عنه، فلم يستقر به المجلس حتى بعث الرشيد إليه مسرورا وقال: امضي واتيني به الساعة بالعجل وقل له: وردت كتب من خراسان فإذا دخل في الباب الأول والثاني والثالث فلا تدع أحدا يدخل معه من غلمانه بل يدخل وحده فإذا صار في صحن الدار فمل به إلى القبة التركية التي أمرتك بنصبها فاضرب عنقه وآتيني برأسه ولا توقف أحدا من خلق الله تعالى على ما أمرتك به ولا تراجعني في أمره، اذهب وافعل ما أمرتك به وإلا أمرت من يأتيني برأسك معه، وفي دون هذا كفاية، فبادر قبل أن يبلغه الخبر، فمضى مسرور واستأذن على جعفر فدخل عليه وقد نزع ثيابه فقال له: يا سيدي ! أجب أمير المؤمنين، ففزع وارتاع وقال: يا مسرور! في هذا الوقت خرجت من عنده فما الخبر؟ فقال: يا سيدي! وردت كتب من خراسان يحتاج إلى قراءتها، فطابت نفسه ودعا بثيابه فلبسها وتقلد سيفه فلما دخل [من][1] الباب الأول وقف الجند وفي الباب الثاني وقف الغلمان، فلما دخل من الباب الثالث التفت فلم ينظر غلاما ولا خادما فندم على ركوبه في تلك الساعة، وأراد الرجوع فلم يمكنه، فلما صار بإزاء القبة المذكورة مال به[2] إليها وأنزله عن دابته فيها[3]، فلم ير بها فرجة وفي زاوية[4] فيها سيف ونطع فأحس بالبلاء وقال لمسرور: يا أخي ما الخبر؟ ما القصة؟

(1) زيادة من: ب، هـ

(2) هـ: بها.

(3) ساقطة من: ج.

(4) أ، ب: رواية

فقال له مسرور: أنا الساعة أخوك وفي منزلك تقول ويلك ما الخبر؟ ما كان الله
[306/أ] ليمهلك ولا يغفل عنك قد أمرني أمير/ المؤمنين بضرب عنقك وحمل رأسك إليه
الساعة، فبكى جعفر وجعل يقبل يدي مسرور ورجليه ويقول: يا مسرور! قد
علمت كرامتي لك على جميع الغلمان والحاشية، وحاجتك عندي مقضية في سائر
الأوقات، وأنت تعلم موضعي ومحلي من أمير المؤمنين ومرتبتي عنده، ولعله بلغه
عني الباطل وهذه مائة ألف دينار أحضرها لك الساعة قبل الخروج من موضعي
[455/ج] هذا وخلني أمضي على وجهي. قال/ مسرور: لا سبيل إلى ذلك. قال: فاحمل لي
إليه رقعة. قال: مالي إلى ذلك من سبيل. هوأمير المؤمنين ولا يمكنني مراجعته ولا
سبيل لك إلى الحياة أبدا، قال: فتوقف عني ساعة وامض إليه ولا تكلمه وقل له:
قد فرغت مما أمرتني به واسمع ما يقول لك. وعد فافعل ما تريد فإن فعلت ذلك
وحصلت لي السلامة فإني أشهد الله وملائكته أني أشاطرك في ملكي وما ملكت
يدي: وأجعلك أمير الجيش وأملكك إمرة الدنيا، فلم يزل به وهويبكي فحل
عنه مسرور سيفه ومنطقته ووكل به أربعين غلاما من السودان يحفظونه ومضى
مسرور فوقف بين يدي الرشيد وهوجالس يقطر غضبا وفي يده قضيب ينكث به
في الأرض فلما رأى مسرورا قال له: ثكلتك أمك، ما فعلت في أمر جعفر؟ فقال:
قد نفذت أمرك فيه قال: فأين رأسه؟ قلت في القبة قال: فاتيني برأسه الساعة
فرجع مسرور وجعفر يصلي وقد صلى ركعة فلم يمهله حتى يصلي الثانية حتى
[378/ب] سل سيفه الذي أخذه منه وضرب به عنقه/ وأخذ رأسه بلحيته فطرحه بين يدي
الرشيد وهويشجب دما قال: فتنفس الرشيد الصعداء ثم بكى بكاء شديدا طويلا
[336/هـ] وجعل ينكث في الأرض ويخاطب الرأس ويقول: جعفر! ألم أصلك محل/ نفسي؟
جعفر، أما كفيتني ولا عرفت حقي؟ ولا حفظت عهدي، ولا ذكرت نعمتي، ولا
نظرت في عواقب الأمور، [ولا تفكرت في صروف الدهر][1]، ولا حذرت من

(1) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

تقلب الأيام والليالي، واختلاف أحوالها. جعفر! خنتني في أهلي وحريمي ولا تفكرت في فضيحتي بين[1] العرب والعجم. جعفر! أسأت إلي وإلى نفسك، ولم تفكر في عاقبة أمرك. قال مسرور: وأنا واقف بين يديه وهويكرر الكلام ويخاطب الرأس ويبكي في أثر كل كلمة. قال: فبينما هو كذلك، إذ أذن المؤذن لصلاة[2] الظهر فدعا بماء فتوضأ وخرج إلى المسجد فصلى بالناس جماعة، ثم وجه إلى قصر جعفر ودوره وقصر أخيه وأبيه وجميع جماعة[3] البرامكة ومواليهم وغلمانهم وأشياعهم وأتباعهم وكل من يلوذ به فاستباح ما في دورهم ومنازلهم ووجه مسرورا المذكور إلى العسكر فأخذ كل ما كان فيه من مضارب وخيام وسلاح وأثاث وغير ذلك وقبض على جميعهم. قال: فلما أصبح يوم السبت فإذا هو قتل من البرامكة نحو مائة رجل، وقتل ما بين خادم وغلام نحو ألف إنسان، وترك من بقي منهم في السجن. البعض والبعض[4] لا يملك طارفا ولا تليدا، وحبس من جملة من حبس يحيى وابنه الفضل في مطمورة. قال: وأمر بجثة جعفر أن تصلب على الجسر ببغداد، ثم بعث إلى خراسان علي بن عيسى ورد/ مضارب الناس وخيامهم لما ولي على [456/ج] خراسان بن عيسى المذكور قال: ثم وجه إلى مدينة النبي ﷺ فأتى بالصبيين ولدي جعفر من ميمونة بنت المهدي أخت الرشيد، فأدخلا في بيت فلما رآهما الرشيد أعجب بهما وكانا في غاية الحسن والجمال ثم استنطقهما فإذا لغتهما مدنية، فصاحتهما هاشمية وفي ألفاظهما عذوبة وبلاغة فقال للكبير منهما: ما اسمك؟ قال: حسن. وقال للصغير: ما اسمك؟ قال: حسين: فنظر إليهما ثم بكى بكاء شديدا طويلا ثم قال: يعز علي حسنكما وجمالكما لا رحم الله من ظلمكما، وهدر

(1) ب، ج، هـ: في

(2) عبارة ج: مؤذن الصلاة للظهر.

(3) ساقطة من: ج.

(4) هكذا ورد هذا السياق في جميع النسخ.

دماءكما قال: ولم يدريا ما يراد بهما، ثم قال: يا مسرور! ما فعل المفتاح الذي دفعت
[307/أ] إليك؟ قال: هو معي./ قال: فأتيني به، ثم دعا بجماعة من الغلمان والخدم وأمرهم
أن يحفروا في تلك المقصورة حفرة عميقة ودعا بحطب فألقاه في الحفيرة وأمر
بالوقد عليه حتى ابيض الحطب ثم دعا بالغلامين المذكورين فأقعد أحدهما على
فخذه الأيمن والآخر على الأيسر وجعل يقبلهما ويبكي حتى ظننت أنه يرحمهما،
ثم قال: لا رحم الله من أهلككما، قال مسرور: وأنا واقف وقد تقطع قلبي على
ما عندي من القساوة رحمة لهما وهما يبكيان ويتضرعان، وهويبكي لبكائهما، حتى
ظننت أيضا أنه يرحمهما ثم مسح عينه من الدموع وقال: والله يا مسرور ليس إلى
تركهما من سبيل ولا أقدر والله ان أسمع بذكرهما، ويلك يا مسرور ! غم ساعة
خير من تنغيص الدهر، خذ إليك هذا الكبير فافعل به مثل ما أنا فاعل بالصغير
قال: مسرور فأخذ واحدا، وأخذت واحدا فقذفناهما في النار، فوالله ما سمعت
لهما حسا ولا حركة، فلما كان بعد أيام خمدت النار، وأمر بذلك الرماد فطرح في
الدجلة في يوم ريح عاصف وأمر أن لا أحد يذكر البرامكة في مجلسه ولا يستعان
[379/ب] بمن بقي منهم، وأن لا يبقى معه في المدينة منهم أحد فخرجوا على وجوههم في/
البلاد مشردين منكرين، وقطع دابرهم، فلما كان بعد مدة من انقطاع البرامكة
والإيقاع بهم وجد الرشيد رقعة تحت مصلاه وأبياتا من الشعر فسأل عنها من
طرحها؟ فقيل: لا نعلم. ويقال: إن ذلك من فعل زبيدة ليهلك من بقي من
البرامكة، فعملت الرقعة في الرشيد وحركته وزادت[1] في غيظه فاستدعى في
الوقت بالفضل بن يحيى وضربه سياطا حتى كادت نفسه تتلف وزاد في حديده
[457/ج] وأغلاله واستدعى يحيى بن خالد وكان شيخا كبيرا[2] فزاد في حديده وأغلاله/

(1) أ: وزاد.

(2) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

وكان قد نشأ في النعيم ما عرف بؤسا قط، فلما أضر به الغم والسهر والقيد[1] وزوال النعمة وفقد الولد وتشتيت الأهل كتب كتابا إلى الرشيد يستعطفه أن يخفف عنه[2] من القيد والغل وفيه، أي الكتاب، يقول:

بسم الله الرحمان الرحيم لأمير المؤمنين وخلف المهديين وخليفة رب العالمين من عبد أسلمته ذنوبه، وأوثقته عيوبه، وخذله شقيقه، ورفضه صديقه، وخانه الزمان وأخنى عليه الحدثان فصار إلى الضيق بعد السعة، وعالج البؤس بعد الدعة، وشرب الأمرين/ بكأس مترعة فافترش السخط بعد الرضى والسلام، [337/هـ] واكتحل السهر بعد المنام، فليله سهر وأرق، ونهاره فكر وقلق، قد عاين الموت مرارا، وشارفه جهارا. يا أمير المؤمنين!اذكر خدمتي، وارحم ضعفي وشيبتي، ووهن قوتي وهب لي رضى منك عني، فهو لي عن كل شيء يغني فمني الزلل ومنك الإقالة، وأنت الرشيد وفي الضلالة، ولست أعتذر ولكني أقر، ولقد رجوت أن يظهر عند رضاك عني عذري، وما كان مني، وصدق نيتي وظاهر طاعتي، ويلوح من حجتي ما يكتفي به في براءتي، وترى الحقيقة فيه تفصيلا وإجمالا، ويبلغ المراد في ذلك إن شاء الله تعالى ثم قال:

[مجزوء الكامل]

قل للخليفة ذي الصنا	ئع والأيادي البادية
وابن الخلائف من	قريش والملوك الهادية
وابن الملوك وخير من	سلك الأمور الماضية
إن البرامكة الذين	رموا لديك بداهية
عمتهم لك سخطة	لم تبق منهم باقية
فكأنهم مما بهم	أعجاز نخل خاوية

(1) هـ: القيود.

(2) زيادة من: ج، هـ. ب: عليه.

صفر الوجوه عليهم ... حلل المذلة باديه
مستضعفون مطرودو ... ن بكل أرض قاصيه
من دون ما يلقون من ... عتب يشيب الناصيه
أضحوا وجُلُّ مُناهم ... منك الرضى والعافيه
ألقى[1] الزمان جرانه ... متفننا[2] بفنائيه
فرمى سوى[3] مقاتلي[4] ... فأصاب حين رمانيه
[ج/458] يا من يود بي الردى ... يكفيك مني ما بيه/
[أ/308] يكفيك أني مستبا ... ح معشري ونسائيه/
يكفيك ما أبصرت من ... ذلي وسوء مقاميه
وذهاب مالي كله ... فقد الخليفة ماليه
إن كان لا يكفيك إلا ... أن أذوق حماميه
فلقد رأيت الموت من ... قبل الممات علانيه
أوَ ما سمعت مقالتي ... يا ذا الفروع الزاكيه
اليوم قد سلب الزما ... ن كرامتي وبهائيه
وفجعت أعظم فجعة ... وفنيت قبل فنائيه
وهويت في قعر السجون ... ولم يكن بمكانيه
ما زلت أرجو رحمة ... فاليوم خاب رجائيه
[ب/380] فانظر بعينك هل ترى ... إلا قصورا خاليه/
وذخائر مقسومة ... قسمن قبل مماتيه
ومصارعا وفجائعا ... ومصائبا متواليه
ونوادبا يندبنني ... تحت الدجى ببكائيه:

(1) ب: ما لقي.
(2) هـ: منفننا
(3) ج، هـ: سواد.
(4) أ: مقاتلتي.

يا أبا علي البرمكي فلا أجيب سؤاليه
اذكر سياستي الأمو ر وخدمتي وعنائيه
واذكر عهودا قبل ذا يا ذا العهود الوافيه
ولقد دعوتك سيدي فاسمع لديك دعائيه
أخليفة الرحمان أنك لو رأيت ثيابيه
وبكاء فاطمة الكبيرة والمدامع جاريه
ومقالها بتوجع: يا حسرتي وشقائيه!
من لي وقد عتب الزما ن على جميع رجاليه
وعدمت صفوة عيشتي وتغيرت حالاتيه
يا عطفة الملك الرضي عودي علينا ثانيه[1]

[قال][2] فلما وقف الرشيد على الرقعة وقع على ظهرها يقول:

يا آل برمك إنكم كنتم ملوكا عاتيهْ
أَجْرَى القَضَاءَ عَلَيْكُم مَا خُنْتُمُوهُ عَلانِيهْ
من ترك نُصح إمامكم عند الأمور البادية/ [459/ج]
فَكفرتُم وبَطِرتُم وجَحَدْتُم نَعْمائِيَّهْ
[هَذِي عُقُوبةُ من عَصَى رَبَّ السَّما وعَصَانِيَهْ][3]

قال الراوي: وكتب تحت ذلك: بسم الله الرحمان الرحيم. ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة[4] يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾[5].

(1) القصيدة ورد منها 11 بيتا في العقد بترتيب مختلف. انظر ج 5/ 32-328 /7.
(2) زيادة من:هـ.
(3) ما بين معقوفين زيادة من: ج. سورة النمل: 16.
(4) ساقطة من: ج.
(5) ما بين معقوفين ساقط من:هـ.

قال: فلما قرأها يحيى أيس من الحياة وعلم أنه ليس له مخلص مما هو فيه فبقي في السجن مدة، وكان الرشيد قد نذر الحج فخرج وخرج معه العسكر وكان خروجه في شهر رمضان قال فلما تحقق يحيى وفاته بالسجن كتب رقعة بخطه وأوصى ولده [358/هـ] الفضل/ أن يوصلها إلى الرشيد وكتب فيها هذه الأبيات وهي:

[الوافر]

ستعلم في الحساب إذا التقينا ... غدا عند الإلاه مَنِ الظلوم

وينقطع التلذذ عن أناس ... من الدنيا وتنقطع الهموم

تنام ولم تنم عنك المنايا ... وكم قد رام قبلك ما تروم

إلى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم[1]

فلما قدم الرشيد من الحج أنفذها إليه الفضل، فلما قرأها علم بموته، وكان يحيى مات في غيبته، فبكى ثم قال: مات والله، الجود والكرم والسخاء، والله لو كان حيا لفرجت عنه وأطلق ابنه الفضل بن يحيى وأعطاه هدايا، وهذا ما وقفت عليه بخط بعض أهل الفضل[2].

حُكي أن محمد بن بقية ولد أبي طاهر[3] كان مزارعا وله أربعة إخوة وأبوهم وكل منهم اسمه محمد، وتقدم محمد هذا حتى وزر لعضد الدولة واجتمع بالخليفة وخلع عليه وقربه وشافهه بالوزارة ولقبه بنصر الدولة وعظم محله وارتفع شأنه،

(1) الأبيات ورد البيت الأول والثاني في المستطرف 17 /1 9 في حكاية الحجاج والرجل الذي حبسه فقالها.

(2) العيون والحدائق: 307 ومروج الذهب 4/ خبر البرامكة.

(3) هو أحمد بن محمد بن بقية، وزير عز الدولة، وكان عضد الدولة قد بعث إليه بميله من عز الدولة، فقال: الخيانة والغدر ليستا من أخلاق الرجال. فلما قتل عز الدولة قبض عليه عضد الدولة وأمر به أن يطرح تحت أرجل الفيلة، ولم يشفع فيه الخليفة الطائع لأمر كان في نفسه منه أيام عز الدولة. وبقي مصلوبا إلى أن توفي عضد الدولة وقد رثاه صديقه أبو الحسن بن الأنباري بمرثيته المشهورة. انظر تاريخ بغداد 3/ 35. والنجوم الزاهرة 4/ 130.

وكان وظيفة مطبخه[1] في كل يوم ألف رطل من اللحم، ومن الشمع ألف من[2] وكان يجلس وخلف مسندته شمعتان مشرفتان عليه وبين يديه عدة أطباق فيها الشمع [الموكبيات، والغلمان قيام بين يديه بأيديهم الشمع][3] فمن خرج خرجوا بين يديه بالشمع وكان يخلع في الليلة أكثر من مائتي فرجية وثوب ولما عاد إلى واسط خلع ما يزيد على عشر من ألف ثوب وبلغ من أمره/ أن كتب إليه عضد [309/أ] الدولة الوزير الناصح، فلما وقف على العنوان،/ غضب ورماه إلى صحن الدار [381/ب] وقال: يلقبني الخليفة بنصر الدولة شفاها ووصلت حيث لم يصل ودخلت مجلس الخليفة/ ولم يصل إليه فرجع الرسول إلى عضد الدولة وأخبره بذلك فكتب إليه [460/ج] ولقبه بنصر الدولة وأضمر له الشر حتى قبض عليه وسلب نعمته ثم صلبه، فقال: فيه[4] أبوالحسن الأنباري[5] يرثيه لم يقل في مصلوب مثلها وهي:

[الوافر]

علو في الحياة وفي الممات	لحق أنت إحدى المعجزات
كأن الناس حولك إذا قاموا	وفود نداك أيام الصلات
كأنك قائم فيها خطيبا	وكلهم قيام للصلات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن	يضم علاك من بعد الممات
أصاروا الجو قبرك واستنابوا	عن الأكفان ثوب السافيات[6]
لعظمك في النفوس بقيت ترعى	بحراس وحفاظ ثقات

(1) أ، ب: مطبخته.

(2) المن: لغة في المنا الذي يوزن به. اللسان: منن.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: ب.

(4) ب: فيه. أ: إليه.

(5) محمد بن عمر بن يعقوب أبو الحسن ابن الأنباري، شاعر مقل، من الكتاب، توفي بعد سنة 390هـ انظر تاريخ بغداد 3 /3 5 والوفيات 5 :120، والنجوم الزاهرة 4:130.

(6) السافيات ج: سافية وهي الريح التي تحمل ترابا كثيرا على وجه الأرض تهجمه على الناس. اللسان: سفا.

وتشعل عندك النيران ليلا ... كذالك كنت أيام الحيات
ولم أر قبل جذعك قط جذعا ... تمكن من عناق المكرمات
ركبت مطية من قبل، زيد[1] ... علاها في السنين الغابرات
وتلك فضيلة فيها تأس ... تباعد عنك أسباب الدنات
وكنت لمعشر سعدا فلما ... مضيت تفرقوا بالمنحسات
وكنت تجير من صرف الليالي ... فعاد مطالبا لك بالتراث
أسأت إلى الوائب فاستثارت ... فأنت قتيل ثأر النائبات
وصير دهرك الإحسان فيه ... إليه من عظيم السيئات
غليل باطن لك في فؤادي ... يخفق بالدموع الجاريات
ولوأني قدرت عى قيام ... بغرضك في الحقوق الواجبات
ملأت الأرض من نظم المراثي ... ونحت بها مكان النائحات
ولاكني أصبر[2] عنك نفسي ... مخافة أن أعد من الجناة
ومالك تربة فأقول تسقى ... لأنك نصب[3] هطل الهاطلات
عليك تحتية الرحمان تترى ... برحمات غواد[4] رائحات[5]

حُكي أن سبب انتقال الدولة من بني أمية إلى بني العباس كان آخر ملوك[6] بني أمية مروان بن محمد الجعدي الملقب بالحمار، وكانت شيعة بني العباس بن عبد المطلب وغيرهم يقولون: إن رسول الله ﷺ، قبض وإن أحق الناس بالإمامة العباس رضي الله عنه، لأنه عمه/ ووارثه وعصبته ﷺ، ولقوله تعالى: ﴿وأولوا [461/ج]

(1) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الذي صلب في خلافة هشام بن عبد الملك. سبق ذكره.

(2) أ: أبصر.

(3) أ، ب: تصبو.

(4) أ، ب: ورائحات.

(5) القصيدة وردت في الوفيات 5/ 120 والنجوم الزاهرة 4/ 130-131 مع اختلاف قليل بين الروايات.

(6) ساقطة من: ب.

الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ الآية[1] وأن الناس اغتصبوه حقه فظلموه أمره وقد صنفوا كتبا/ في ذلك، وكان موجودا في عصر مروان المذكور، [382/ب] إبراهيم بن محمد الإمام[2] من بني العباس وكان أبومسلم الخراساني قهرمانا لإدريس بن محمد العجلي[3] ثم آل/ أمره وتمت به الأقدار واتصل بإبراهيم بن [339/هـ] محمد الإمام، المشار إليه فأنفذه إبرهيم إلى خراسان ومدنها وأمر شيعته أي شيعة بني العباس بطاعته والانقياد إليه وإلى أمره ونهيه فتراءى أمر أبي مسلم من هناك، وظهر سلطانه وأظهر لبس السواد وجعله شعارا لبني العباس، ثم ظهر ذلك في خراسان، وكان عامل مروان على خراسان/ نصر ابن سيار[4] فتراءى أمر أبي مسلم [310/أ] وضعف أمر نصر بن سيار، صاحب مروان، وكانت له مع أبي مسلم الخراساني حروب كثيرة أكثر فيها أبومسلم الحيل والمكائد وقلب الدولة عليه وطالت مكاتبة نصر بن سيار إلى مروان وإعلامه بما هوفيه من الحروب وظهور الدولة العباسية وأمر أبي مسلم، وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله العباس وكان في بعض ما كتب إليه أبياتا وهي:

[الوافر]

أرى بين الرماد وميض نار   ويوشك أن يكون لها ضرام

---

(1) الأنفال: 75.

(2) إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام (-210هـ): أمير عباسي ثار على المأمون وسعى في البيعة لإبراهيم بن المهدي فظهر عليه المأمون سنة 210هـ حين استتب له الأمر وطلبه فاستتر، لكنه جد في طلبه حتى قبض عليه وحبسه ثم قتله وصلبه. انظر الطبري 10/ 269. ومروج الذهب 4/ 78. والأعلام 1/ 59.

(3) لعله إدريس بن مَعقل الذي ذكره المسعودي في تاريخه انظر ج 7 8 / 4.

(4) نصر بن سيار بن رافع بن حري بن ربيعة الكناني (46-131) أمير شجاع، ولي إمرة خراسان، قويت الدولة العباسية في أيامه، كانت له مع أبي مسلم الخراساني حروب كثيرة أكثر فيها أبو مسلم الحيل والمكائد إلى أن قتل. مروج الذهب 4/ 78-79. الوفيات 3/ 149-150 تاريخ ابن خلدون 3/ 179.

فإن النار من عودين تذكى ... وإن الحرب أولها[1] كلام
فإن لم يطفئوها تذكي حربا ... مشمرة يشيب لها الغلام
أقول من التعقب: ليت شعري ... أأيقاظ أمية[2] أم نيام
فإن يك قومنا أضحوا نياما ... فقل: قوموا فقد حان القيام
تعزوا في بلادكم وقولوا: ... على الإسلام والعرب السلام[3]

فلما ورد الكتاب[4] على مروان، وكان مشتغلا بحروب الخوارج بالجزيرة وغيرها، فلم يدر كيف يصنع في أمر نصر بن سيار وخراسان وإنجاده[5] مع ما هو عليه من الحروب والفتن، فكتب مروان يعتذر إليه باشتعال هذه الحروب وأن الحاضر يرى ما لا يرى الغائب فقال حينئذ نصر بن سيار لأصحابه: أما صاحبكم فاعلموا أن لا نصر عنده، واضطرب أمر خراسان ورجت بأمر نصر بن سيار وأبي مسلم، ولما يئس نصر بن سيار من إنجاد مروان له كتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة[6] يستنجده ويسأله النصر على عدوه وضمن كتابه أبياتا وهي:

[462/ج] أبلغ يزيد وخير القول أصدقه ... وقد تبينت أن لا خير في الكذب/
ففي خراسان أرض قد رأيت لها ... بيضا وقد أفرخوا، يبدون بالعجب
فراخ عامين إلا أنها كبرت ... فما يطرن وقد سربلن بالزغب

---

(1) أ، ب، ج: أوله.

(2) أ: أم ميت.

(3) الأبيات وردت في مروج الذهب 4/ 79. والطبري، ووردت الأبيات 1، 2، 4. في الوفيات 3/ 150 وفي العيون والحدائق: 189. وبين الروايات اختلاف قليل.

(4) هـ: الكتب.

(5) ب: إيجاده.

(6) أبو خالد يزيد بن أبي المثنى عمر بن هبيرة بن معية (87-132 من ولاة الدولة الأموية. وجهه مروان بن محمد وليا على العراق، ثم جمعت له ولاية العراقين (البصرة والكوفة). وفي زمن إمارته استفحل أمر الدعوة العباسية فقاتل أشياعها مدة إلى أن قضي عليه فاستسلم لأبي جعفر المنصور بواسط التي كان قد تحصن بها، فأنفذه إلى أبي العباس السفاح الذي أمر بقتله بعدما أمنه فقتل ساجدا. الوفيات 6/ 313. الطبري 9/ 142 وما بعدها.

فإن يطرن ولم يحفل بها أحد ... يلهبن نار الحروب أيما لهب[1]

فلم يجبه يزيد عن كتابه وتشاغل بدفع الفتن في العراق وتواترت الحروب على مروان وكثر اشتغاله واستفحل أمر أبي مسلم وغلب على أكثر خراسان وضعف أمر نصر بن سيار فخرج عن خراسان حتى أتى الري، ثم خرج منها ونزل بالقرب من همذان والري فمات كمدا وقد كان نصر بن سيار وهوبين الري وخراسان كتب كتابا إلى مروان يذكر فيه خروجه من خراسان وأن/ الأمر الذي أزعجه [382/ب] سينمو حتى يملأ البلاد وضمن ذلك أبياتا وهي:

[السريع]

إنا وما يكتم من أمرنا ... كالنور قد قرب للناخع
أو كالتي يحسبها أهلها ... عذراء بكرا وهي في التاسع
نرقعها كنا فقد مزقت ... واتسع الخرق على الراقع
كالثوب إذا أنهج فيه البلى ... أعيا على ذي الحيلة الصانع[2]

فلم يستتم مروان قراءة الكتاب حتى مثل أصحابه بين يديه ممن كان قد وكل بالطريق، رسولا من خراسان[3] بكتاب من أبي مسلم إلى إبراهيم بن محمد الإمام يخبره فيه خبره وما هو فيه، فلما تأمل مروان كتاب أبي مسلم قال للرسول: لا ترع، كم دفع إليك صاحبك؟ قال: كذا وكذا، قال: هذه[4] عشرة آلاف درهم لك، وإنما دفع إليك شيئا يسيرا، وامض بهذا الكتاب إلى إبراهيم ولا تعلمه بشيء مما جرى، وخذ جوابه وائتني به[5]، ففعل الرسول ذلك، فتأمل مروان جواب إبراهيم إلى

---

(1) الأبيات وردت في الطبري 9/ 92، ومروج الذهب 4/ 81، 82. مع اختلاف الروايات.
(2) الأبيات وردت في مروج الذهب 4/ 83.
(3) ج: بخراسان.
(4) أ: فها.
(5) أ، ب، هـ: بجوابه.

[340/هـ] أبي/ مسلم بخطه يأمره فيه بالجهد والاجتهاد والحيلة على عدوه وغير ذلك من [311/أ] أمره وفهمه، وفيه يقول/ :

[الرجز]

دونك أمرا قد بدت أشراطه إن السبيل واسع خراطه
لم[1] يبق إلا السيف واختراطه[2]

ثم إن مروان احتبس الرسول وكتب إلى الوليد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان[3] يأمره أن يكتب إلى عامل البلقاء فيسير إلى القرية المعروفة بالكراد الحميمة فيأخذ إبراهيم بن محمد فيشده وثاقا ويبعث به إليه في خيل كثيرة، ففعل ووجه الوليد إلى عامل البلقاء فأتى إبراهيم وهو جالس في مسجد القرية فأخذوه وأوثقوه بالحديد، فلما مثل بين يديه أغلظ عليه مروان، وقال له الكلام الغليظ فأنكر كلما ذكر له من أمر أبي مسلم، فقال له مروان: يا منافق! أليس هذا كتابك بخطك إلى [463/ج] أبي مسلم جوابا عن كتابه إليك؟ وأخرج إليه الرسول وقال: أتعرف هذا؟/ فلما رأى إبراهيم ذلك أمسك وعلم أنه قد أُخذ من مأمنه، وسجن إبراهيم بن محمد الإمام بخراسان فلما تحقق إبراهيم القتل علم أنه لا نجاة له من يدي مروان كتب وصية وجعلها لأخيه أبي العباس عبد الله بن محمد وأوصاه بالقيام بالدولة والجد والحركة وأن لا يقيم بالحميمة بعده، وأن يتوجه إلى الكوفة، فإن هذا الأمر صائر إليه لا محالة وأوصاه بوصايا ورسم له رسما وأمره أن يعمل به ولا يتعداه، ودفع الوصية إلى سايف الخوارزمي غلامه وأمره يسير ليلا ونهارا حتى يدفع وصيته إلى أخيه أبي العباس بن السفاح ففعل ذلك، وقام أبو العباس مقام إبراهيم وبلغه قتله فبويع له بالخلافة عوضا عن أخيه إبراهيم بعد أمور جرت اختصرناها، ثم

---

(1) هـ: فلم.

(2) الأبيات وردت في مروج الذهب 4/ 85.

(3) كذا في الطبري 9/ 92 وفي مروج الذهب: إلى الوليد بن معاوية بن مروان.

سار مروان حتى نزل الزاب الصغير[1] فوجه إليه أبوالعباس عبد الله بن علي السفاح فوقعت بينهم حروب وانهزم مروان يوم السبت لإحدى عشر ليلة خلت من جمادى الآخرة[2] سنة اثنين وثلاثين ومائة. ومضى مروان في فزعته حتى أتى الموصل فمنعه أهلها من الدخول إليها وأظهروا شعار بني العباس فأتى/ مروان [384/ب] المذكور حران[3] فأقام[4] بها وبنى له فيها قصرا أنفق عليه عشرة آلاف [ألف][5] درهم، ثم وقعت أمور أخافت مروان فخرج من حران فهدم أهلها القصر، وسار بأهله وسائر بني أمية فعبر الفرات ونزل عبد الله بن علي على حران، ويقال: إنه هدم[6] القصر الذي عمره مروان واحتوى على خزائنه وأمواله، ولحق مروان بمصر وتبعه السفاح فلحق جماعة من بني أمية فقتل منهم بضعا وثمانين رجلا، ثم وجه خلف مروان صالح بن علي[7] إلى مصر في طلب مروان فلحقه بمصر وقد نزل ببوصير[8] قرية من قرى الصعيد فهجموا عليه ونادوا: بالثارات إبراهيم! فقتل مروان ثم قصد المكان الذي فيه بناته ونساؤه وإذا بأسود شاهر سيفه داخلا عليهم، فقبضوا عليه وقالوا: ما الذي كنت تريد أن تفعل؟ فقال: إن مروان أمرني، أنه إذا قتل، أن أدخل فأضرب رقاب نسائه وبناته فأخذوه، فقال لهم: لا تقتلوني

---

(1) لعله الزاب الأعلى وهو بين الموصل وإربل، ويوم مروان الجعدي به يسمى يوم الزاب، انظر معجم البلدان: زاب.

(2) ب، ج، هـ: الثانية.

(3) يقال هي أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان. معجم البلدان 3/ 241.

(4) ج: وأقام.

(5) زيادة من: ب، ج، هـ.

(6) ج، هـ: هو.

(7) صالح بن علي بن عبد الله بن عباس (96-151هـ). أول من ولي مصر من العباسيين. انظر النجوم الزاهرة 1/ 324. والولاة والقضاة: 9 102/ 7.

(8) بوصير: اسم لأربع قرى بمصر، وهي: بوصير قوريدس وهي التي قتل بها محمد بن مروان الجعدي، وبوصير السدر، وبوصير دفدنو، وبوصير بنا. انظر معجم البلدان: بوصير.

فإن لكم في بقائي خيرا، قالوا وما هو؟ فقال: عندي ميراث رسول الله ﷺ. فقالوا: وأين هو؟ فخرج إلى خارج القرية في رملة فحفر فيها فوجدوا برد رسول الله ﷺ وقضيبه وقعبه ومخصفه[1] قد دفن ذلك مروان كي لا يصير ذلك إلى بني هاشم، فأخذوه ووجهوا به إلى السفاح، ثم أُخذت بنات مروان ونساؤه والأسارى من بني أمية فدخلوا بهم إلى صالح بن علي، فتكلمت ابنة مروان الكبرى، فقالت: يا عم! حفظ الله لك من أمرك ما تحب/ حفظه، وأسعدك في الأمور كلها بخواص [341/هـ] نعمه، وعمك بالعافية/ في الدنيا والآخرة، نحن بناتك وبنات أخيك وابن عمك [464/ج] فليسعنا من عفوكم ما وسعكم من جورنا، فقال: إذا لا أستبقي منكم أحدا، لا رجلا ولا امرأة، ألم يقتل أبوك بالأمس ابن أخي إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الإمام في مجلسه بحران؟ ألم يقتل فلانا وفلانا؟ وأخذ يعدد ما قتل مروان من بني العباس، ألم يقتل الداعي عبيد الله بن زياد بن أبيه[2] مسلم بن عقيل بن أبي طالب[3] بالكوفة؟ ألم يقتل يزيد[4] الشقي الحسين[5] بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[6] مع من قتله من أهل بيته؟ ألم يخرج[7] بحرم رسول الله ﷺ سبايا حتى ورد بهن على يزيد، وبعث إليه برأس الحسين على رمح به يطاف[8]

(1) القعب: القدح الضخم وقيل: هو قدح إلى الصغر. والمخصف: المثقب والأشفى. اللسان: مادتا: قعب، وخصف.

(2) في مروج الذهب: ألم يقتل عبيد الله بن زياد بن أبيه الداعي مسلم بن عقيل بن أبي طالب؟ انظر الجزء 4/ 89.

(3) مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، من ذوي الرأي والشجاعة، قبض عليه عبيد الله بن زياد بن أبيه وقتله. انظر ابن الأثير 3/ 195 وج4/ 19. ومروج الذهب 3/ 248-256.

(4) هو يزيد بن معاوية. سبق ذكره.

(5) أ، ب: الحسن.

(6) ما بين معقوفين ساقط من: ج، هـ.

(7) أ: يقتل.

(8) الصواب: يطاف به.

على[1] كور هشام ومدائنها حتى/ وصلت إليه كأنه بعث إليه برأس رجل من أهل [312/أ] الشرك، ثم أوقف حرم رسول الله ﷺ موقف السبي يتصفحن جنود الشام الطغاة البغاة يطلبون منه أن يهبهم حرم رسول الله ﷺ، استخفافا بحقه ﷺ، وجرأة على الله عز وجل، وكفرا لأنعمه، فما الذي استبقيتم منا أهل البيت أوعدلتم فيه علينا؟ فقالت يا عم! فليسعنا عدلكم إذا. فقال: أما العفوعنكم فقد وسعكم، فإن أحببت زوجتك من الفضل بن صالح[2] وأختك من عبد الله بن صالح[3] فقالت: يا عم! وأي أوان عرس هذا؟ بل تلحقنا بحران، فقال: افعل ذلك فألحقهن بحران، فلما دخلن إليها علت أصواتهن عند دخولهن بالبكاء على مروان وشققن جيوبهن وأعولن بالصياح والنحيب حتى ارتج العسكر[4] ثم استمت الخلافة للسفاح وظهرت دولة بني العباس وذهبت دولة بني أمية/ ويقال: إن [385/ب] الذي قتل مروان واحتز رأسه واحتوى على العسكر دخل المكان على بناته ونسائه وجلس في فراشه وأكل من طعامه فخرجت إليه امرأة مروان[5] وقالت له: إن دهرا أزال مروان عن ملكه وأقعدك على فراشه وأطعمك من طعامه لقادر أن يفعل بك مثله، فلما بلغ السفاح ذلك وما فعله لامه على ذلك، واغتاظ، وكتب إليه: أما كان لك من أدب الله عز وجل يزجرك أن تدخل بيت مروان وأن تجلس على فراشه وتأكل من طعامه وتتمكن من وساده؟ أما والله لولا أن أمير المومنين

(1) ساقطة من: ج، هـ.

(2) هو الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس (122-172هـ). ولاه المهدي إمرة مصر على صلاتها وخراجها، وكان أمرها مضطربا، فأخضع عصاتها وقتل زعيمهم دحية بن مصعب الأموي، وكانت ولايته أقل من سنة، وقد عزل بعد قتله لدحية بمدة يسيرة، وكان شجاعا مقداما شاعرا وفصيحا أديبا صاحب خطب وشعر. انظر النجوم الزاهرة 2/ 60. والولاة والقضاة: 129.

(3) لعله أخو الفضل بن صالح سابق الذكر.

(4) الحكاية في سراج الملوك: 54، ومروج الذهب 4/ 76-90. وشرح نهج البلاغة 2/ 669 والشهب اللامعة: 415.

(5) في مروج الذهب 4/ 100: ابنة مروان الكبرى. وكذا في شرح النهج 2/ 670.

تأول ذلك منك أحسن تأويل، لنالك من غضبه وأليم عذابه ما يكون لك جازرا، ولغيرك واعظا، فإذا أتاك كتاب أمير المومنين فتقرب إلى الله تعالى بصدقة تطفئ غضبه وصلاة تظهر الاستكانة وصم ثلاثة أيام ومر جميع من معك أن يصوموا مثل صومك والسلام[1].

وقال شاعر بني العباس[2] في مقتل[3] مروان بن محمد الجعدي:

[المتقارب]

[465/ج] وكانت أمية في فعلها تجور وتظهر عصيانها/
فلما رأى أنها قد طغت ولم تطق الناس طغيانها
رماها بسفاح آل الرسول واخبث[4] بالسيف أعيانها

قلت: ولما أوتي السفاح برأس مروان ووضع بين يديه سجد لله شكرا فأطال السجود ثم رفع رأسه وقال: الحمد لله الذي لم يبق ثأري قبلك ولا قبل رهطك، والحمد لله الذي أظهرني بك وأظهرني عليك، ثم قال: ما أبالي[5] متى طرقني الموت بعد ذلك، ثم توجه إلى القبلة ثم سجد شكرا فأطال السجود ثم سلم وجلس وتمثل بقول العباس بن عبد المطلب[6] من أبيات له يقول:

[342/هـ] أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت قواطع في إيماننا تقطر الدما/
تورين من أشياخ صدق فقدموا بهن إلى يوم الوغى متقدما[7]

---

(1) ورد ذلك في مروج الذهب 4/ 100 وشرح النهج 2/ 670.

(2) ب: أمية.

(3) ب، ج، هـ: قتل.

(4) هـ: وأخبث

(5) أ، ما بالي.

(6) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، من أكابر قريش في الجاهلية. أسلم قبل الهجرة. انظر ترجمته في الإصابة 2/ 271. تاريخ الخميس 1/ 165.

(7) البيتان وردا في مروج الذهب 4/ 102 وسقط البيت الثاني من شرح النهج. انظر ج 2/ 670.

وقالت الشعراء في مقتل مروان بن محمد الجعدي فأكثروا والله تعالى أعلم.

حكى الربيع(1) قال: اجتمع عند المنصور يوما جماعة من بني العباس فتذاكروا أيام بني أمية وخلفائهم وسيرهم وتدبيرهم والسبب الذي أزيل به عزهم، فقال المنصور: أما عبد الملك، فكان جبارا لا يبالي ما صنع. وأما سليمان، فكان همه بطنه وفرجه، وأما عمر بن عبد العزيز، فكان أعور بين عميان، وكان أرجل القوم هشام، ولم يزل بنو أمية ضابطين لما يهولهم من السلطان يحوطونه ويحفظونه ويصوبون ما وهب الله تعالى لهم مع ما كانوا عليه من عالي الأمور حتى انتهى الأمر إلى بنيهم المترفين، فكانت همتهم قصد الشهوات وركوب الإناث من معاصي الله تعالى، جهلا منهم باستدراجه تعالى، وأمنا منهم مكره مع إطراحهم صيانة الخلافة واستخفافهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة، فسلبهم الله تعالى العز وألبسهم الذل، ونفى عنهم النعمة، فتعالى الله. فقال له بعض الحاضرين(2): إن عبد الله بن مروان لما هرب/ دخل إلى بلاد النوبة(3) هاربا فوقع له مع ملكها [313/أ] أمور كنت [قد](4) عرفتها لكنها ذهبت عني فإن رأى أمير المؤمنين أن يدعوه وأن يجلسه/ في مجلسه فيحدثه(5) بها فطلبه المنصور، وسأله عن ذلك فقال ابن مروان: [386/ب] قدمت النوبة فأقمت بها ثلاثا، فأتاني ملكها، فبسطت له بساطا حسنا مليحا، فتركه وجلس على الأرض فقلت له: ما يمنعك من الجلوس على البساط؟ فقال: إني ملك وحق على كل ملك أن يتواضع لله إذ رفعه، ثم قال لي: لم تشربون الخمر

---

(1) الربيع أبو الفضل بن يونس بن محمد بن عبد الله، كان حاجب أبي جعفر المنصور توفي حوالي 169هـ. انظر ترجمته في الوفيات 2/ 294.

(2) في مروج الذهب: فقال صالح بن علي: وهوعم السفاح. سبق ذكره.

(3) النوبة: بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر، وهم نصارى أهل شدة في العيش. انظر معجم البلدان: النوبة.

(4) زيادة من: ب، ج، هـ.

(5) ب، ج: يوانسه.

وهومحرم عليكم في كتابكم ودينكم؟ فقلت له: [اجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا بجهلهم. فقال: لِمَ تَلْبِسُونَ الحرير والديباج والذهب والفضة وهومحرم عليكم في كتابهم ودينكم؟ فقلت له:][1] ذهب[2] منا المماليك وانتصرنا بقوم من الأعاجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا، فأطرق مليا يقلب يده مرة وينكث في الأرض أخرى، وهويقول: عبيدنا وأتباعنا وأشياعنا، وأعاجم دخلوا في دينه ثم رفع رأسه وقال: ليس كما ذكرت، بل أنتم قوم استحللتم ما حرم الله تعالى عليكم، وارتكبتم ما عنه نهيتم، وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز وألبسكم الذل بذنوبكم ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها فيكم. وأنا خائف أن يحل بكم عذاب وأنتم ببلدي فينالني معكم وإنما الضيافة ثلاثة أيام فتزود ما احتجت إليه وارتحل عن أرضي، ففعلت.

قلت: وقد تقدم ذكر ذلك مختصرا[3].

حُكي عن سبب مقتل أبي مسلم الخراساني، قيل: كان عبد الله بن علي[4] خالف المنصور ودعا الناس إلى بيعة نفسه من أهل الشام وغيره وزعم أن السفاح جعل الخلافة من بعده لمن انتدب لقتل مروان بن محمد الجعدي. فلما بلغ ذلك المنصور بعث إليه بأبي مسلم فوقعت بينهما حروب كثيرة ببلاد الصين وصبرالفريقان شهورا واحتفروا الخنادق ثم انهزم عبد الله بن علي فيمن كان معه وظفر أبو مسلم بما كان في عسكر عبد الله بن علي، فبعث إليه المنصور بيقطين بن موسى[5] لقبض الخزائن، فلما دخل يقطين على أبي مسلم قال له: السلام عليك، فقال له: لا سلم

(1) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، هـ.

(2) ج: ذهبوا.

(3) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 130-132.

(4) سبق ذكره.

(5) داعية عباسي قام بدور هام في الدعوة العباسية. انظر أخباره في البداية والنهاية 10/ 188. والنجوم الزاهرة 2/ 120.

الله عليك يا ابن الخنا، جئت تقبض الأموال أوتمن علي الدماء، فقال له يقطين: لم يكن ذلك أيها الأمير، فقال أبو مسلم: بلى قد أرسلك صاحبك لتقبض[1] ما في يدي من الأموال. فقال له يقطين: امرأتي طالق ثلاثا، إن كان أرسلني إليك إلا لأمر/ يسألك بالظفر فاعتنقه أبومسلم وأجلسه إلى جانبه[2]، فلما انصرف، قال[3] [343/هـ] أبو مسلم لأصحابه: والله إني لأعلم أنه طلق امرأته ثلاثا، ولكنه وفي[4] لصاحبه، ثم سار أبو مسلم من الجزيرة وقد أجمع على خلاف المنصور، وسار المنصور إلى المدائن ونزل برومية[5]، وكتب لأبي مسلم، إني أريد مذاكرتك بأشياء لم يخلصها الكتاب فاقبل فإن مقامك عندي قليل، فقرأ الكتاب ومضى مستمرا على الخلاف فسرح إليه المنصور جرير بن جرير بن عبد الله البجلي[6] وكان أوحد زمانه وداهية عصره، وكان بينه وبين أبي مسلم معرفة قديمة بخراسان فأتاه، فقال له: أيها الأمير، ضربت الناس وصرفتهم لأهل هذا البيت، ثم انصرفت عن هذا الحال فأخاف أن يقال بايعت قوما ثم نقضت بيعتهم فيخالفك من تأمن مخالفته، وإن الأمر لم يبلغ خليفتك، وأرى أن/ تنصرف عن هذا الحال يعني الخلاف، فأجابه [467/ج] عن ذلك، فقال له مالك ابن الهيتم[7]: لا تفعل. فقال أبومسلم لمالك: ويلك، قد بليت بإبليس، وما بليت بمثل هذا قط، يعني جرير بن جرير بن عبد الله، فلم يزل به حتى أقبل به على المنصور فلما دخل على المنصور رحب به وعانته وقال له: كدت أن تميتني قبل أن أفضي إليك بما أريد، فقال: قد أتيت يا أمير المؤمنين!

(1) أ، ب، ج: تقبض.

(2) ج: جنبه.

(3) ساقطة من: ج، هـ.

(4) أ، ب: في.

(5) مدينة بنيت وسميت باسم ملك. انظر معجم البلدان: رومية.

(6) في مروج الذهب: جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي. راجع ج 4/ 139.

(7) مالك بن الهيتم الخزاعي: من نقباء بني العباس، كان مع أبي مسلم الخراساني. انظر البيان والتبين: 2/ 96. والنجوم الزاهرة 1/ 344.

[387/ب] مر بأمرك، فأمره بالانصراف إلى منزله وانتظر به الفرص/ والغوائل، وركب أبو مسلم إلى موسى بن عيسى وكان له فيه رأي جميل فسأله الركوب معه إلى المنصور ليصلح حاله عنده، فأمره أن يتقدمه إلى المنصور فأتاه وهوعلى دجلة، فاستأذن عليه فأعلم أنه يتوضأ للصلاة وتقدم المنصور إلى صاحب حرسه قابوس وعدة من الشجعان، وأمرهم أن أبا مسلم إذا دخل عليه أن يقوموا خلف سريره مختفين، فإذا صفق بيد على يد فليظهروا فيضربوا عنقه وما أدركوا منه بسيوفهم، [314/أ] وجلس المنصور وحادثه/ ساعة، ثم أقبل يعاتبه ويقول له: فعلت وفعلت، فقال أبو مسلم: ليس يقال هذا لي بعد بلائي وما كان مني. فقال له: يا ابن الخبيثة ما فعلت ذلك إلا بجدنا و حظوظنا، ولوكانت مكانك أمة سوداء لأجرت، ألست الكاتب إلي تبدأ بنفسك وتقدمها وتخطب إلي بنت علي وتزعم أنك ابن سليط بن عبد الله بن العباس؟ لقد ارتقيت لا أم لك! مرتقى صعبا، وأخذ أبو مسلم بيديه ورجليه يقبلهم[1] ويعتذر إليه، فكان آخر كلامه[2]: قتلني الله إن لم أقتلك، وذكر له قتله لسليمان[3] بن كبير[4]، ثم صفق بإحدى يديه على الأخرى فخرج القوم وضربوه بالسيوف فاختلطت أجزاؤه فأتوا عليه والمنصور يصيح: اضربوا! قطع الله أيديكم! وقد كان أبو مسلم قال عند أول ضربة أصابته: استبقني لعدوك. فقال: لا أبقاك الله وأي عدوأعدى منك؟ وكان قتله في شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة ودخل جعفر بن حنظلة[5] فرآه قتيلا، فقال: يا أمير المؤمنين عد هذا اليوم أول يوم من خلافتك ثم قال المنصور يخاطبه:

---

(1) ج، هـ: يقبلها.

(2) ب، ج، هـ: ما كلمه.

(3) أ، ج، هـ: سليمان.

(4) من نقباء بني العباس. انظر الطبري 9/ 98 ومروج الذهب 4/ 141.

(5) نقيب عباسي. انظر الطبري 9/ 167 ومروج الذهب 4/ 142.

[السريع]

زعمت أن الدين لا يقتضى فاستوف بالسيف أبا مسلم
اشرب بكأس كنت تسقي بها أمر في الحلق من العلقم[1]

ثم اضطرب أصحاب أبي[2] مسلم ففرقت فيهم الأموال، وعلموا بقتله فأمسكوا ثم خطب المنصور بعد قتل أبي مسلم فقال: أيها الناس! لا تخرجوا عن أنس الطاعة إلى وحشة المعصية، ولا تسروا غش الأئمة فإن من أستر غش إمامه أظهر الله سريرته على فلتات لسانه وسقطات أفعاله، وأبداها الله لإمامه الذي يأذن/ بإعزاز حرمته ما لم يبخسكم حقوقكم ولم يبخس المدين حقه، إنه من نازعنا [468/ج] عروة هذا القميص أوطأناه ما في هذا الغمد، وإن أبا مسلم بايعنا وبايع لنا على أن من نكث بيعتنا فقد أباح دمه لنا، ثم نكث فحكمنا/ عليه لأنفسنا حكمه على [344/هـ] غيره لنا، ولم يمنعنا رعاية الحق، له من إقامة الحق عليه، ثم صب على أصحاب أبي مسلم الأموال وعلقت رأسه فسكنت الفتنة[3].

حكى القاضي أبو بكر بن قريض قال: كنت عند الوزير أبي محمد الحسن المريني بالأهواز فاتفق أن حضرت عنده يوما في شهر رمضان ونحن في يوم شديد الحر، فسمعنا صوت رجل ينادي "الناطف واليوم[4] صائف"، فقال لي: ألم تسمع صوت هذا المسكين في مثل هذا الوقت والشمس على رأسه والحر تحت قدميه؟ ثم أمر بإحضاره فرأى شيخا ضعيفا عليه قميص رث وعمامة وسخة، وهوبغير سراويل، فقال له: أيها الشيخ ! لِمَ لا تبيع في طرفي النهار فإنه أرفق بك من هذا

(1) البيتان وردا في الطبري 9/ 167، ومروج الذهب 4/ 143.
(2) هـ: أبا.
(3) الحكاية في الطبري حوادث سنة 137 هـ ومروج الذهب 4/ 139-143.
(4) الناطف: هوالقبيط لأنه يتنطف قبل استضرابه أي يقطر قبل خثورته. اللسان: نطف.

الوقت؟ فتنفس وقال: ما أهون على الراقد[1] سهر الساهر، ثم أنشد وجعل يقول:

[الكامل]

[388/ب] ما كنت بائع ناطف فيما مضى لكن قضا لي ذاك أسباب القضا/

فإذا المقل تعذرت أسبابه رام المعاش ولو على جمر الغضى

فقال له الوزير: أرى لك أدبا فمن أين لك ذلك؟ فقال[2]: أيها الوزير إني من [أهل][3] بيت لم يكن من صنيعنا ما ترى وأسر إليه أنه من ولد معن بن زائدة قال: فأعطاه مائة دينار وخمسة أثواب وجعلها له رسما في كل سنة.

(1) ب: الرقاد.

(2) ج: فقال له.

(3) زيادة من: ج.

الباب الثامن والعشرون

في غرائب الاتفاق الواقعة في الآفاق

حُكي عن الصاحب شمس الدين ابن السلعوس[1] أنه لما صارت إليه الوزارة وتمكن منها أرسل بطلب أقاربه وأهل صحبته ومودته فكلهم أجابوه وحلوا أبوابه إلا شخصا واحدا من أقاربه فإنه خاف على نفسه، ولم يوافق في الحضور وكتب إليه يقول:

[الوافر]

تثبت يا وزير الأرض واعلم ... بأنك قد وطئت على الأفاعي/ [315/أ]
فكن بالله معتصما فإني ... أخاف عليك من نهش الشجاعي[2]

فاتفق أن الملك الأشرف قتل واستقر الشجاعي وزيرا لأخيه الناصر وقبض على ابن السلعوس، عذبه حتى مات، فكان الأمر كما قال قريبه والله أعلم[3].

حكى الشيخ عماد الدين ابن كثير أن رجلا كان بمكة المشرفة/ [469/ج] نزع ثيابه ليغتسل من ماء زمزم، وأخرج من عضده دملج من ذهب فوضعه مع ثيابه، فلما فرغ من اغتساله لبس ثيابه ونسي الدملج ومضى وسار بعد ذلك إلى بغداد، بقي مدة سنين وأيس منه، ولم يبق معه سوى شيء يسير، فاشترى زجاجا ليكتسب فيه. فبينما هو يطوف إذ سقط من على رأسه فتكسر جميعه. فوقف يبكي فاجتمع الناس عليه

---

(1) أ، ب، ج: الساموس، وهو محمد بن عثمان بن أبي الرجاء، شمس الدين الصاحب الوزير، مات تحت العقوبة عام 693هـ انظر الوافي بالوفيات 4/ 64.

(2) ج: الأفاعي. هـ: السجاعي، والبيتان لأخ الوزير شمس الدين المذكور، كتب بهما لينبهه، انظر الدرر الكامنة 1/ 234.

(3) الحكاية وردت في المرجع السابق

يتأملون كلامه فقال من جملة كلامه: والله يا جماعة الخير، لقد ذهب مني منذ سبع سنين عند بئر زمزم دملج ذهب، زنته خمسون مثقالا فما باليت لفقده كما باليت لفقد هذا الزجاج، وما ذلك إلا أنه جميع ما أملك. فقال له رجل من الجماعة: أنا لقيت الدملج، وأخرجه من عضده ودفعه إليه فتعجب الحاضرون من هذا الاتفاق[1].

حكى ابن الساعاتي[2] أن رجلا كان ببغداد في سنة إحدى وخمسين وستمائة على رأسه زبادي قشاني فزلق فتكسرت، فصار يبكي فتألم لفقده، وأنه لم يملك غيرها، فأعطاه رجل من الحاضرين/ دينارا فنظر[3] إليه[4] طويلا، ثم قال[5]: هذا والله ديناري[6] أعرفه، وقد ذهب عني عام أول، فشتمه بعض الحاضرين. فقال له الرجل: وما علامته؟ قال: زنته كذا وكذا. وكان معه ثلاثة وعشرون دينارا فأخرجها الرجل وقال له: هذه دنانيرك وكان الرجل وجدها حين سقطت منه. وهذا من العجب[7]. [345/هـ]

حُكي عن الأمير عز الدين أيدمر[8] أنه أنشد للقاضي تاج الدين أحمد بن سعيد بن محمد الحلبي كاتب السر[9] عندما خدم بديوان الإنشاء في الدولة الظاهرية أول

(1) الحكاية وردت في الجواهر المضية 1/ 80، والبداية والنهاية والسكردان: 392.

(2) أحمد بن علي بن ثعلب، مظفر الدين ابن الساعاتي، عالم بفقه الحنفية (-694هـ). انظر الجواهر المضية 1/ 80 وهدية العارفين 1/ 100.

(3) أ، ب، ج: ثم نظر.

(4) ج: فيه.

(5) أ، ب: فقال.

(6) أ، ج: وأعرفه.

(7) الحكاية وردت في البداية والنهاية والسكردان: 392، والمغلاة: 268

(8) علي بن محمد بن أيدمر الجلدكي عز الدين. اختلف في اسمه واسم أبيه. نسبته إلى جلدك من قرى خراسان توفي حوالي 842هـ. انظر بروكلمان 2/ 173. وهدية العارفين 1/ 723.

(9) ذكره ابن أبي حجلة في السكردان بلقب تاج الدين ابن الأثير الحلبي: 392 والزركلي في ترجمة ابنه إسماعيل. انظر ج 1/ 309.

اجتماعه به ولم يكن يعلم اسمه ولا اسم أبيه يقول:

[البسيط]

كانت مسائلة الركبان تخبرني ... عن أحمد بن سعيد أطيب الخبر
ثم اجتمعنا فلا والله ما سمعت ... أذني بأحسن مما قد رأى بصري[1]

فقال له القاضي تاج الدين: يا مولانا الأمير أتعرف من هو أحمد بن سعيد؟ فقال: لا والله./ فقال: أنا المملوك أحمد بن سعيد فتعجب من غرابة هذا الاتفاق [389/ب] والبيتان المذكوران لابن هاني الأندلسي وقال بعضهم: إنهما لجعفر بن فلاح[2] والله تعالى أعلم.

حكى ابن خلكان في تاريخه قال: أخبرني بعض الفضلاء أنه رأى في مجموع أن بعض الأدباء اجتاز بدار الشريف الرضي وهو لا يعرفها وقد أخنى عليها الزمان وأذهب بهجتها وأخلق ديباجها، وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة، فوقف عليها متعجبا من صروف الزمان وتمثل بهذه الأبيات وأنشأ يقول:/ [470/ج]

[الكامل]

ولقد وقفت على ربوعهم ... ورسومها بيد النوى نهب
فبكيت حتى لج من لغب ... نضوي ولج بعذلي الركب[3]
وتلفتت عيني فمذ خفيت ... عني الرسوم تلفت القلب[4]

فمر به شخص وهو ينشد الأبيات فقال له: أتعرف هذه الأبيات لمن؟ فقال:

---

(1) البيتان وردا في "المثل السائر" 3/ 260، وصبح الأعشى 2/ 336، والمحاضرات والمحاورات 248.

(2) لعله جعفر بن فلاح أبوعلي الكتامي أحد قواد المعز العبيدي، من الشجعان (ت 360هـ). انظر النجوم الزاهرة 20 4/ 3 والحكاية وردت في السكردان: 392.

(3) النضو هنا: البعير المهزول، وقيل المهزول من جميع الدواب. اللسان: نضا.

(4) الأبيات وردت في إعراب القرآن وبيانه 3/ 519، والجدول في إعراب القرآن 9/ 159، والوفيات 4/ 417، وشذرات الذهب 5/ 45 مع اختلاف قليل بين الروايات.

لا. فقال له: والله إنها لصاحب هذه الدار فتعجب من غريب هذا الاتفاق[1].

حكى ابن الجوزي عن درة الغواص أن عبيدة الجرهمي[2] دخل على معاوية فقال: حدثني بأعجب ما رأيت في عمرك. فقال: مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتا لهم فلما انتهيت إليه اغرورقت[3] عيناي بالدموع وتمثلت بقول الشاعر[4]:

[316/أ] فبينما المرء في الأحياء مغتبطا ... إذ صار في الرمس تعلوه الأعافير[5]/

يبكي غريب عليه ليس يعرفه ... وذو قرابة في الحي مسرور[6]

فقال لي رجل: أتعرف هذا الشعر لمن؟ فقلت: لا فقال: إن قائله هذا الذي دفناه الساعة وأنت الغريب الذي يبكي[7] عليه ولا يعرفه، وهذا الذي على قبره أقرب الناس له رحما وأسرهم بموته. فقال له معاوية: لقد حدثتنا عجيبا[8].

حكى سبط ابن الجوزي في "مرآت الزمان" أن المعتصم ولد سنة ثمانين ومائة في ثامن شهر منها ومات لثماني عشرة ليلة خلت من شهر رمضان وهو ثامن الخلفاء من بني العباس وفتح ثمان فتوحات ووقف ببابه ثمان ملوك وقتل ثمانية أعداء وكان عمره ثمان وأربعين سنة، وخلافته ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، وخلف ثمانية بنين وثمان بنات وثمانية آلاف دينار وثمانين ألف ألف درهم، وثمانين ألف

---

(1) الحكاية وردت في المرجعين السابقين.

(2) عبيد بن شرية الجرهمي قيل إنه عاش ثلاثمائة سنة وقد يكون عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام وقدم على معاوية فسأله عن عمره. انظر معجم الأدباء 12/ 42.

(3) أ، ب، هـ: اغروقت.

(4) حسب ما جاء في معجم الأدباء هو: حريث بن جبلة.

(5) الرمس: القبر. اللسان: رمس.

(6) البيتان وردا في درة الغواص، ومعجم الأدباء 12/ 75-77 والسكردان: 393 وورد البيت الأول منهما في اللسان: مادة رمس.

(7) أ: يبكي.

(8) الحكاية وردت في المراجع السابقة.

فرس وثمانين ألف جمل وبغل ودابة وثمانين ألف خيمة وثمانية آلاف عبد وثمانية آلاف جارية وبنى ثمانية قصور ونقش فص خاتمه، الحمد لله وهو ثمانية حروف، وكانت غلمانه/ الأتراك ثمانية عشر ألفا وطالعه الثمانية من كل شيء ويدعى بالثماني [346/هـ] والثمانيني[1].

حكى أبو الفرج المعافي[2] قال: حججت سنة وكنت بمنى أيام التشريق فسمعت مناديا ينادي: يا أبا الفرج فقلت: لعله يريدني. ثم قلت في نفسي في الناس خلق كثير يكنى بأبي الفرج فلم أجبه فقال: يا أبا الفرج المعافى فهممت[3] أن أجيبه ثم قلت: قد يتفق ذلك أن أحدا اسمه المعافي ويكنى بأبي الفرج فلم أجبه، فنادى يا أبا الفرج المعافي ابن زكرياء فقلت: قد يتفق ذلك فنادى يا أبا الفرج [المعافي][4] ابن زكرياء النهراوني فقلت/ : لم يبق/ شك في مناداته إياي إذ ذكر اسمي وكنيتي [471/ج][390/ب] واسم أبي وبلدي الذي أنتسب إليها فقلت: نعم، [ها أنا][5]! فما تريد؟ فقال: لعلك من نهروان الشرق قلت: نعم. فقال: أريد نهروان الغرب. فعجبت من ذلك واتفاق الاسم والكنية والأب والبلد. وما علمت أن بالغرب موضعا يسمى النهروان[6].

حكى بعضهم أن ابن السكيت[7] كان مؤدبا لأولاد المتوكل فأنشدهم يوما:

---

(1) الحكاية وردت في غرر الخصائص: 108. السكردان: 394-395ه.

(2) أبو الفرج المعافي بن زكرياء بن يحيى بن حميد المعروف بابن طرار النهرواني توفي سنة 390هـ. كان أديبا شاعرا فقيها، ولي القضاء ببغداد. انظر ترجمته في الوفيات 5/ 221-224.

(3) هـ: ففهمت.

(4) زيادة من: ب، ج.

(5) عبارة أ، ب، هـ: هذا أنا.

(6) الحكاية وردت في الوفيات 5/ 223 والسكردان: 421.

(7) أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، المعروف بابن السكيت إمام في اللغة والآداب، توفي سنة 244هـ. انظر ترجمته في تاريخ بغداد 14/ 273. الوفيات 6/ 395.

[الطويل]

يموت[1] الفتى من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرِّجل[2]

ثم دخل عليه المتوكل فقال له: أيها أحَب إليك أولادي أم الحسن والحسين فقال: قبر مولاي علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندي خير منك ومن أولادك فأمر بسل لسانه فسل فمات من ليلته[3].

حُكي أنه كان لابن الجوزي امرأة تسمى نسيم الصبا فاتفق أنه طلقها ثم ندم وهام بها فحضرت مجلس وعظه في بعض الأيام فلما رآها بين النساء عرفها واتفق أن امرأتين وقفتا أمامها فحجبتاها عنه فقال:

[الطويل]

أيا جبلي نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص إلي نسيمها[4]

حُكي أنه كان بحجلة العقيبة[5] بظاهر دمشق خان يجتمع فيه أسباب الملاهي والملاذ، ويتفق فيه من بين الفسق والفجور ما لا يوصف ولا يحد، وكان عليه ضمانا للديون فرفع ذلك إلى أبي الفتح موسى بن أبي بكر العادل بن أيوب[6] الملك الملقب بالأشرف فهدمه وعمره جامعا وأبطل ضمانه وسماه الناس: «جامع التوبة»، كأنه تاب إلى الله تعالى وأناب مما كان فيه، وجرت في خطابته نكتة غريبة

(1) ج: يصاب.

(2) البيت ورد في ديوان أبي تمام وفي شرح البلاغة 4/ 325. ومحاضرة الأدباء 1/ 56 والوفيات 6/ 399 والبداية والنهاية 11/ 17.

(3) الحكاية وردت في المراجع السابقة.

(4) البيت أورده ابن خلكان في ترجمة أبي نصر الأرغياني، وتفسيره لقوله تعالى «إنني لأجد ريح يوسف». الوفيات 4/ 221. وهو لقيس بن الملوح، ورد في الديوان: 82 والدميرى 26 1/ 6

(5) لم أقف عليها.

(6) سبق ذكره.

وهي: أنه كان بمدرسة ست الشام التي خارج البلد إمام يعرف بالجمال[1] قيل إنه كان في صباه يلعب بشيء من الملاهي يسمى بالجغانة[2]، فلما تاب وحسنت سيرته وحمدت طريقته صار من الأخيار فلما احتاج الجامع المذكور إلى خطيب رشح هذا للخطابة لكثرة الثناء عليه فتولاها فلما مات تولى مكانه العماد الواسطي الواعظ[3] وكان مهتما باستعمال الشراب وكان صاحب دمشق يومئذ الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك العادل[4] بن أيوب فكتب إليه الشيخ جمال الدين عبد الرحيم، وهو المعروف بابن الزويتينة[5] الشاعر المشهور[6]، أبياتا وهي:

[مجزوء الرمل]

يا مليكا[7] أوضح[8] الحـ ـق لدينا وأبانه/ [317/أ]

جامع التوبة قد حـ ـمَّلتني منه أمانه

قال: قل للملك الأشـ ـرف[9] عَلَّى الله شأنه

يا عماد الدين ! يا من حمد الناس زمانه!

كم إلى كم أنا في بؤ س وضر وإهانه

(1) ذكره ابن خلكان في تاريخه باسم 'الجمال السبتي'، ولم أجد فيما رجعت إليه من كتب التراجم من يسمى بهذا الاسم.

(2) لم أجد هذا الاسم في كتب اللغة. إلا أن الدكتور إحسان عباس ذكره في هامش من الفوات قائلا: إن «جغانة» عصا تشبه الصولجان يثبت فيها أجراس صغيرة وتحرك فتحدث نوعا من الموسيقى ج 2/ 388.

(3) أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمان بن مسعود الواسطي (657-711هـ). انظر الدرر الكامنة 1/ 96 والشذرات 6/ 24.

(4) إسماعيل (الصالح، عماد الدين، أبو الجيش بن محمد العادل بن أيوب، انظر الأعلام 1/ 324.

(5) عبد الرحيم بن علي، جمال الدين بن الزويتينة الرحبي، توفي بعد 650هـ. انظر ترجمته في فوات الوفيات 2/ 318، وذكره ابن خلكان في تاريخه 5/ 334 كذا الحنبلي في الشذرات 5/ 148.

(6) أ، ج، هـ: المذكور.

(7) أ، ب: ملك.

(8) أ: وضح.

(9) أ، ب: الذي أعلا.

[472/ج] لي خطيب واسطي يعشق الشرب ديانه/
والذي قد كان من قبل يغني بجغانه
فكما كنت ولا زلت ولا أبرح خانه
[347/هـ] ردني للنمط الأول واستبق ضمانه[1]/

حُكي أن المهدي العباسي اشترى فصا[2] بمائتي ألف درهم وسبعين ألف درهم وعمله في خاتم ولبسه فرآه ابنه الرشيد وجعل يكرر النظر إليه فوهبه له، فلما توفي المهدي وولي الهادي موسى ابنه، فقيل له عن ذلك الفص، أنه لا يصلح إلا [391/ب] للخليفة فأرسل يحيى/ البرمكي يطلبه من الرشيد فامتنع من ذلك فألح عليه فرماه الرشيد في الدجلة، فأمر الهادي أن يغوصوا عليه فاجتهدوا فلم يقدروا، ثم مات الهادي وولي الرشيد، فمر يوما ويحيى بن خالد البرمكي على الدجلة فقال ليحيى: يا أبا الفضل! رميت به ها هنا ورمى بخاتم كان في يده فأمر الغواص وقال له: انزل لعلك تجده يعني القريب العهد، فغاص وخرج بالخاتم الأول الذي فيه الفص الثمين، فكانت للرشيد أعجوبة. وقال الناس له: هذا دليل ثبوت دولتك.

حُكي في تاريخ ابن خلكان أن بويه[3] كان صيادا، ليست له معيشة إلا صيد السمك وكان له ثلاثة أولاد عماد الدولة[4] أكبرهم ثم ركن الدولة [5] الحسن ثم معز الدولة [6] والجميع ملكوا وكان عماد الدولة سبب سعادتهم وانتشار صيتهم،

(1) الأبيات وردت مع الحكاية في الوفيات 5/ 335 وفوات الوفيات 2/ 319 والشذرات 5/ 148.

(2) الفَصُّ: فص الخاتم بالكسرة والفتح أي المركب فيه. اللسان: فصص.

(3) أبو شجاع بويه بن فناخسرو بن تمام. انظر الوفيات ترجمة معز الدولة بن بويه 1/ 174-175.

(4) أبو الحسن علي بن بويه بن فناخسرو عماد الدولة توفي سنة 339هـ. انظر المنتظم 6/ 365. والوفيات 3/ 399. والشذرات 2/ 346.

(5) أبو علي الحسن بن بويه بن فناخسرو ركن الدولة صاحب أصبهان والري وهمذان، توفي بالري سنة 366هـ انظر الوفيات 2/ 118.

(6) أبو الحسين أحمد بن أبي شجاع بويه بن فناخسرو (توفي سنة 356هـ) ببغداد. انظر الوفيات 1/ 174.

ملكوا العراقين والأهواز وفارس وساسوا أمر الرعية أحسن سياسة. ومن عجيب[1] ما اتفق لعماد الدولة أنه لما ملك أول ملكه اجتمع إليه الجند يطالبونه[2] بالأموال، ولم يكن عنده ما يرضيهم به، وأشرف أمره على الانحلال فاغتم لذلك، فبينما هو مغموم لذلك[3]، استلقى على ظهره في مجلس قد خلا فيه للتدبير والفكر، إذ رأى حية قد خرجت من موضع من سقف ذلك المجلس ودخلت موضعا آخر فيه فخاف أن تسقط عليه فدعا الفراشين وأمرهم بنصب سلم وأن يخرجوا[4] الحية فلما صعدوا ونبشوا عنها وجدوا ذلك السقف يفضي إلى غرفة بين سقفين فعرفوه بذلك فأمرهم بفتحها ففتحت فإذا فيها صناديق فيها خمسمائة ألف دينار فحمل ذلك ووضع بين يديه فقسمه بين رجاله وثبت أمره بعد أن كان أشرف على الانحلال، ثم جهز ثيابا وسأل عن خياط حاذق فوصف له خياط كان لصاحب البلد قبله فأمر بإحضاره وكان أطروشا فوقع في نفسه أنه قد سعي به إليه في وديعة كانت لصاحب البلد وأنه طلبه لهذا السبب، فلما جاء حلف أنه لم يكن عنده سوى اثنا عشر صندوقا لا يدري ما فيها، فتعجب عماد الدولة من كلامه ووجه من حملها فوجد فيها أموالا وثيابا بجملة عظيمة وكانت هذه الأسباب من أقوى دلائل سعادته[5]/ . [473/ج]

حُكي عن عبد الله بن عمير الليثي[6] قال: دخلت على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سرير وقد وضع بين يديه رأس مصعب بن الزبير، رضي الله عنه، فلما رأيته قلت متعجبا: لا إله إلا الله، لقد رأيت في هذا اليوم عجبا تذكرت به

(1) هـ: عجب.

(2) أ: يطالبوه.

(3) ب: ولذلك.

(4) هـ: يخرجوه.

(5) الحكاية وردت في الوفيات 3/ 399-400.

(6) عبد الله بن عمير بن قتادة الليثي. انظر الإصابة 3/ 138.

عجائب قال: فما ذاك؟ قلت: رأيت عبيد الله بن زياد في هذا المجلس على هذا السرير وبين يديه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، ثم دخلت بعد ذلك على المختار[1] في هذا المجلس وهو على هذا السرير وبين يديه رأس عبيد الله بن زياد ثم دخلت على مصعب بن الزبير في هذا المجلس [وهو على هذا السرير وبين يديه رأس المختار وقد دخلت عليك يا أمير المؤمنين في هذا المجلس الآن][2] وها أنت على هذا السرير وبين يديك رأس مصعب بن الزبير قال: فبادر عبد الملك بالقيام ونزل على السرير وأمر بإحراقه وهدم[3] المجلس وهذا اتفاق عجيب[4]/. [318/أ]

حكى بعض التجار قال: تجهزت إلى بلاد الصين فبينما أنا جالس إذ أتاني شيخ فسلم/ فرددت عليه السلام، فقال: لي إليك حاجة. قلت: وما هي؟ قال: لا أذكرها [348/هـ] [لك][5] حتى تحلف لي وتضمن لي أنك تفعلها/ قلت: نعم. وأخذ علي العهد [392/ب] والميثاق، وأكد في ذلك فقلت: اذكر حاجتك، فأحضر لي[6] رصاصة كبيرة نحو مائتي من[7] وقال: إذا صرتم في لجة البحر فاطرحها في موضع كذا، وهو موضع في البحر عميق القعر كثير الرياح والأمواج قلما تسلم فيه النفوس من الغرق من كثرة أمواجه ورياحه، قال: فلما صرنا لذلك الموضع عصفت علينا الرياح وهاجت الأمواج وأشرفنا على الغرق من كثرة أمواجه، فمن هول ذلك نسيت حاجته من أن ألقي الرصاصة في البحر فلما نجانا الله تعالى وتجاوزنا ذلك الموضع وصلت

---

(1) المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، أبو إسحاق، ولد عام الهجرة ولم تكن له صحبة، وتوفي سنة 67هـ. انظر الإصابة 3/ 518.

(2) ما بين معقوفين ساقط كله من: ه.

(3) ا، ج: وهم.

(4) هذه الحكاية وردت برواية مختلفة عن أبي مسلم النخعي. انظر مروج الذهب 3/ 312.

(5) زيادة من: ج.

(6) هـ: فأحضرني.

(7) المن: سبق شرحه.

إلى الصين وبعت ما صحبني، جاءني رجل فقال لي: معك رصاص؟ فقلت لم أحمل رصاصا معي فقال غلامي: معنا رصاصة الشيخ فقلت: لم أفعل فيها ما طلب وسأعيدها إليه فلا زال يؤكد علي فأحضرتها فساومني ببيعها فبعتها بمائتي وثلاثين دينارا وابتعت بها من طرائف الصين على اسم الشيخ، ثم جئنا إلى البصرة وهي بلاد الشيخ، فسألت عن داره فجئت إليها فإذا هي مغلقة وقيل لي: قد مات فقلت: هل له من وارث؟ فقيل: له ابن أخ وهو مسافر في البحر المالح وله سنين، فأقام ذلك المال عندي ما شاء الله، فبينما أنا جالس إذ وقف علي رجل فقال لي: أنت فلان؟ قلت: نعم، قال: كنتَ خرجتَ إلى الصين؟ قلت: نعم، قال: بِعتَ أحداً بها رصاصا؟! قلت: نعم قال: أتعرف الرجل؟ فتأملته فقلت: هو أنت. قال: نعم، أنا هو. إني قطعت تلك/ الرصاصة فوجدتها مجوفة وفيها اثنا عشر ألف دينار [474/ج] وقد جئتك بمالك بارك الله لك فيه، فقلت له: والله ما المال مالي وقصصت عليه القصة فتبسم الرجل تبسم المتعجب وصار كالواله وقال: الله! الله! أتعرف هذا الشيخ؟ قلت: لا. والله. فقال: هذا الشيخ عمي وليس له وارث غيري وكانت بيني وبينه عداوة وكان يهرب مني وأراد أن يزوي[1] هذا المال عني فأبى الله إلا ما ترى على رغمه فأعطيته ما عندي مما ابتعته من الصين بثمن الرصاصة وولى وهو في غاية التعجب وكذلك الفقير.

---

(1) زوى الشيء يزويه زيا وزويا فانزوى، نحاه فتنحى. انظر اللسان: زوي.

الباب التاسع والعشرون[1]

في أشياء عجيبة ونوادر غريبة

حكى المسعودي قال: رأيت في بلاد سرنديب[2] بلدة[3]، وهي في جزيرة من جزائر البحر إذا مات ملكهم يسير على عجلة قريبة من الأرض صغيرة البكر[4] معدة لهذا المعنى، وشَعْره ينجر على الأرض وامرأة بيدها مكنسة تحث[5] التراب على رأسه وتنادي: أيها الناس !هذا ملككم وحائز أمركم والجائز أمره فيكم قد صار إلى ما ترون من أمر الدنيا وقد قبض روحه ملك الملوك، الحي القيوم الذي لا يموت، فلا تغتروا بعده بالحياة وكلام هذا معناه من الترغيب والترهيب والتزهيد في هذا العالم، ويطاف به كذلك في جميع الشوارع، ثم يفصل أربع قطع ثم يخلط بالصندل والكافور وسائر أنواع الطيب، ثم يحرق بالنار ويذرى في الرياح، وكذلك يفعل أهل الهند بملوكهم وخواصهم لغرض يذكرونه ونهج يممونه في المستقبل[6].

---

(1) أ، ب، ج: العشرين.

(2) ج: سرنديبا.

(3) سرنديب: جزيرة عظيمة في بحر الهند، وفيها جبل الراهون الذي يقال أنه هبط عليه آدم عليه السلام. معجم البلدان 3/ 216.

(4) الصواب البكر: لعله أراد جمع بَكَرة، وهي التي يستقى عليها، وهي خشبة مستديرة في وسطها محز للحبل. انظر اللسان: بكرة.

(5) أ: نحث.

(6) الحكاية وردت في مروج الذهب 1/ 93.

[393/ب] حُكي أن بين بلاد الروم وبلاد طبرستان[1] جبل يقال له[2] دنيا[3]/ وقد يُرى من مائة فرسخ لعلوه وذهابه في الهوى، يرتفع من أعاليه الدخان والثلج عليه مترادف غير خال من أعاليه، ويخرج من أسفله نهر كثير الماء أصفر كبريتي حسن اللون، [349/هـ] مسافة الصعود إليه ثلاثة/ أيام بلياليها، ومن علا عليه وصار في قبته وجد فسحة رأس القبة نحوألف ذراع في مثل ذلك مفروشة برمل أحمر تغوص فيه الأقدام وهذه القبة لا يدخلها شيء من الوحش ولا من الطير لشدة الرياح وسموها في [319/أ] الهوا وشدة/ البرد وفي أعاليه نحوا من ثلاثين ثقبا يخرج منها الدخان الكبريتي العظيم ويخرج مع الدخان دوي هائل كأشد ما يكون من الرعد وذلك أصوات النيران في أجواف الثقوب، ويتصاعد من أفواه تلك الثقوب كبريت أصفر كأنه [475/ج] الذهب، وهذه من عجائب الدنيا ذكرها صاحب مروج/ الذهب[4].

حُكي أن في جزائر بحر الصين فواكه كثيرة وجبال تظهر فيها النيران بالليل والنهار ففيها نار سوداء وفي الليل تحمر وتلحق بعنان السماء وتذهب في الجو، وتقذف بأشد ما يكون من الرعد والصواعق، وربما يظهر منها صوت عجيب مفزع ينذر بموت ملكهم وربما يكون أخفض من ذلك فينذر بموت بعض رؤسائهم قد عرف ذلك من طول العادات والتجارب[5].

حُكي من[6] تاريخ المسعودي أن ببلاد الصين إقليما يعرف بإقليم التبت[7] له

(1) طبرستان: هي بلدان واسعة كثيرة، تغلب عليها الجبال. انظر معجم البلدان 4/ 13.

(2) أ، هـ: إنه.

(3) أظنه مُصَحَّف من «دنياوند» فصارت دنيا وقد ذكره ياقوت في معجم البلدان في معرض حديثه عن طبرستان.

(4) مروج الذهب 1/ 106.

(5) مروج الذهب 1/ 182-183.

(6) ج: عن.

(7) التبت: إقليم متاخم لبلاد الهند من جهة وللصين من جهة أخرى، ومن جهة الغرب لبلاد الترك فيه مدن وعمائر كثيرة. انظر معجم البلدان: التبت.

خواص عجيبة في مائه وأرضه وسهله وجبله[1] ولا يزال الإنسان به ضاحكا فرحا مسرورا لا تعرض له الأحزان ولا الهموم [ولا الأفكار][2] ولا تحصى عجائب أنواع ثماره وزهره ومروجه وأنهاره وهو إقليم تقوى فيه طبيعة الدم على الحيوان الناطق ولا تكاد ترى في هذا الإقليم شيخا ولا عجوزا ولا حزينا بل فيه الطرب في الشيوخ والكهول والأحداث عامة، وفي طبع أهله بشاشة وأريحية تبعث على استعمال الملاهي والأغاني وأنواع من الرقص حتى إن الميت إذا مات عنهم لا يكاد يداخل أهله كثير من الحزن كما يلحق غيرهم من سائر الناس عند فقد محبوب أوفوت مطلوب[3]. وفي جزائر بحر الصين جزيرة يسمع فيها على دوام الأوقات أصوات الطبول والعيدان وسائر أنواع الملاهي المطربة المستلذة ويسمع فيها أنواع الرقص والتصفيق، ومن يسمع ذلك يميز بين كل نوع من الملاهي وغيرها، والبحريون ومن اجتاز بتلك الديار يزعمون أن الدجال بتلك الجزيرة. وهذا من العجائب والله تعالى أعلم[4].

حُكي في تاريخ الإسلام أنه ورد كتاب إلى القاهرة من السلطان محمود بن سبكتكين[5] في سنة أربع عشرة وسبعمائة يذكر فيه أنه أوغل في بلاد الهند حتى جاء إلى قلعة فيها ستمائة صنم. قال: وأتيت قلعة ليس لها نظير في الدنيا، قال: وما الظن بقلعة تسع خمسمائة وقيل: وعشرين ألف دابة، وما يقوم لها من الأكل والشرب وأعانني الله تعالى حتى طلبوا الأمان فأمنت ملكهم وأقررته على ولايته بخراج ضرب عليه، وأنفذ إلي هدايا كثيرة من جملتها طائر على شكل القمري إذا

(1) أ، هـ: وجباله.

(2) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، هـ.

(3) مروج الذهب 1/ 137. ومعجم البلدان 2/ 10 وتحفة الألباب للغرناطي: 73.

(4) مروج الذهب 1/ 183. ومعجم البلدان 2/ 10 وتحفة الألباب للغرناطي: 73.

(5) سبق ذكره.

حضر على المائدة وكان فيها شيء من السم دمعت عيناه، وجرى منها ماء فيتحجر وَيَـحُكّ، ويطلى مما يتحلل منه الجرح فيبرأ على الفور بإذن الله تعالى، وهذا من العجائب[1].

[394/ب] حُكي أن في بحر الأندلس جبلا منقورا فيه/ كنيسة مشروط على من لها من [476/ج] الرهبان ضيافة الزوار وتعرف بكنيسة[2]/ الغراب، لأن في أعلاها قبة كبيرة وعليها غراب لا يبرح ولا يدرى من أين مأكله، فإذا قدم زائر أدخل الغراب رأسه في روزنة القبة وصاح بعددهم فإن كان الزائر واحدا صاح مرة واحدة وإن كان أكثر من ذلك صاح بعددهم والله أعلم[3].

حُكي عن جبل الطير[4] أنه جبل بصعيد[5] مصر الأدنى مطل[6] على النيل فيه [350/هـ] أعجوبة لم ير مثلها في سائر البلاد وهي باقية إلى يومنا/ هذا، وذلك أنه إذا كان آخر فصل الربيع قدم إليه في يوم معلوم طيور كثيرة بلق سود الأعناق وهي مطوقات الحواصل سود أطراف[7]، في صوتها بحاحة، يقال لها طير البحر[8]، لها صراخ يسد الآفاق، فتقصد موضعا في ذلك الجبل فيفرد منها طائر فيضرب بمنقاره في مكان مخصوص في شعب الجبل عال لا يمكن الوصول إليه، فإن علق نفرت عنه الطيور وإن لم يعلق تأخر وتقدم واحد غيره وضرب بمنقاره في ذلك الموضع، وهكذا واحد بعد واحد إلى أن يعلق منها واحد فيبقى معلقا بمنقاره في ذلك الموضع إلى

---

(1) الحكاية وردت في السكردان: 357. أما تاريخ الإسلام فلم ترد الحكاية في الأجزاء المطبوعة منه.

(2) لم أقف عليها.

(3) الحكاية وردت في آثار البلاد وأخبار العباد: 179. والسكردان: 358-359.

(4) جبل بصعيد مصر شرقي النيل. انظر معجم البلدان 2/ 102 وآثار البلاد وأخبار العباد: 271.

(5) أ، هـ: بصعد.

(6) أ، هـ: مظل.

(7) ساقطة من: ج.

(8) أ، ب، هـ: البحر.

أن يموت فيضمحل في العام القابل ويسقط فتأتي الطيور في العام المقبل فتعمل العمل المذكور، وقد أخبر بهذا غير واحد ممن شاهد ذلك وهومشهور إلى يومنا هذا[1].

[320/أ] حكى أبو الفرج/ بن المعافي[2] في كتاب "الجليس والأنيس" عن محمد بن مسلم السعدي قال: توجهت إلى القاضي يحيى بن أكثم يوما، فصرت إليه فإذا عن يمينه قمطرة مجلدة، فجلست، فقال لي: افتح القمطرة ففتحتها، فإذا بشيء قد خرج منها، رأسه رأس إنسان، ومن رأسه إلى أسفله زاغ[3]، وفي صدره سلعة وفي ظهره سلعة، فهللت وكبرت، والقاضي يحيى يضحك. فقال لي بلسان فصيح طلق يقول:

[الهزج]

أنا الزاغ أبو عجوه	أنا ابن الليث واللبوه
أحب الراح والريحا	ن والنشوة والقهوه
فلا عدوى بدي يخشى	ولا يحذر لي سطوه
ولي أشياء تستطرف	يوم العرس والدعوه
فمنها سلعة في الظهر	ولا تسترها الفروه
وأما[4] السلعة الأخرى	فلو كان لها عروه
لما شك جميع النا	س فيها أنها ركوه[5]

ثم قال لي: يا كهل! أنشدني غزلا. فقال لي القاضي يحيى: قد أنشد فأنشده. قال:

(1) الحكاية وردت في معجم البلدان 2/ 102-103 وآثار البلاد وأخبار العباد للقزويني: 271. والسكردان: 362 مع اختلاف الروايات.

(2) سبق ذكره.

(3) الزاغ: نوع من الغربان صغير. اللسان: زيع.

(4) أ، ب: وما.

(5) الأبيات وردت في السكردان: 358.

فأنشدته أقول:

[الطويل]

[477/ج] أغـرك[1] إن أذنبـت ثـم تتابعـت ذنـوب علـى آثارهـن ذنـوب
وأكثـرت حتـى قيـل ليـس بصارمي وقـد يصـرم الإنسـان وهوحبيـب[2]

ثم صاح زاغ ! زاغ ! [زاغ][3] ! ثلاث مرات ونزل في القمطرة[4]. فقلت للقاضي يحيى: وعاشق أيضا؟ فضحك القاضي يحيى ثم قلت: أيها القاضي! ما هذا؟ فقال: وجه به صاحب اليمن إلى أمير المؤمنين وما رآه بعد، وكتب إليه ذلك [395/ب] في مكتوب لم أفضه وأظن/ أنه ذكر فيه شأنه وحاله، والله تعالى أعلم[5].

حكى ابن خلكان أن بعض الأمراء اصطاد حمار وحش في سنة ستين وستمائة فطبخوه فلم ينضج ولم يؤثر فيه كثرة الوقود، ثم افتقدوا أمره فإذا هوموسوم على أذنه بهرام جور[6] وهذا يقتضي أن لهذا الحمار ثمانمائة سنة، فإن بهرام جور كان قبل البعثة بمدة متطاولة وحمر الوحش تعيش دهرا طويلا[7].

حُكي في كتاب "ربيع الأبرار" أنه كان بأرض بابل مدائن في كل مدينة منها أعجوبة في أحدها صورة تمثال الأرض، فإذا قصر بعض رعية الملك عن حمل الخراج خرق أنهار بلادهم عليهم في التمثال فلا يستطيعون سد الخروق حتى يؤدوا ما وجب عليهم من الخراج، وفي المدينة منها حوض إذا أراد الملك أن

---

(1) أ، ب، ج: أعزك.

(2) البيتان وردا في السكردان: 358.

(3) زيادة من: ج، هـ.

(4) هـ: القمصرة.

(5) الحكاية وردت في السكردان: 357. وحياة الحيوان للدميري.2/ 2-3

(6) من ملوك الفرس، كان قبل مبعث النبي ﷺ بزمان طويل. الوفيات 6/ 354.

(7) الحكاية وردت في الوفيات 6/ 354 والسكردان: 387.

يجمعهم على طعامه وشرابه أتى كل واحد منهم بما اختار من الطعام والشراب فيضعه في الحوض فيختلط ثم يقف من يناولهم فلا يتناول إلا من الذي جاء به، وفي مدينة أخرى طبل إذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب منهم قرعوه، فإن كان حيا صوت وإن كان ميتا لم يصوت والله تعالى أعلم[1].

حُكي أنه وجد في بعض مدائن/ الهند مرآة إذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب [351/هـ] نظروا فيها على أي حالة كان كأنه حاضر، وفي بعض مدنها أوزة من نحاس إذا دخل غريب صوتت [صوتا][2] يسمعه أهل المدينة، وفي بعضها قاضيان من خشب جالسان على الماء فيأتي الخصمان إليهما فيمشي المحق ويرسب المبطل، وفي بعضها شجرة عظيمة لا تظل ساقها فإن جلس تحتها واحد أظلته إلى الألف فإن زادوا زاد الظل ولو كان الزائد واحدا وجلسوا في الشمس[3].

حُكي أن الدابة التي تخرج قبل قيام[4] الساعة لها رأس ثور، وعين خنزير وأذن فيل، ولون قمر، وصدر أسد، وخاصرة هرة، وقرن أيل، وذقن كبش وقوائم بعير، بين كل مفصلين اثني عشر ذراعا، وقيل لها وجه رجل وسائرها طير، وقيل لها زغب وريش وجناحان، رأسها يمس السحاب ورجلاها في الارض[5]. وفي الحديث الشريف: «بينما عيسى يطوف بالبيت فينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة وأول[6] ما يخرج منها رأسها/ ذات وبر وريش لا يدركها طائر ولا يفوتها [478/ج] هارب معها عصا موسى وخاتم سليمان[7] تختم وجه الكافر وتجلو وجه المؤمن

(1) الحكاية في ربيع الأبرار للزمخشري، والسكردان: 434.
(2) زيادة من: ج، هـ.
(3) الحكاية وردت في ربيع الأبرار والسكردان: 434.
(4) ساقطة من: ج، هـ.
(5) الحكاية وردت في السكردان: 439.
(6) أ، ب: فأول.
(7) ساقطة من: هـ.

بالعصا» أو كما قال ﷺ[1].

حكى الشيخ علم الدين الرازي[2] في تاريخه قال: في وسط شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ورد كتاب من صاحب حماه يذكر فيه أنه وقع في هذه الأيام ببارين[3]، بلد من أعمال حماة، برد على صور حيوانات مختلفة منها سباع وحيات/ وعقارب وطيور ومعز ورجال في أوساطهم حوائص[4] وأن ذلك ثبت بمحضر شرعي عند قاضي الناحية، ثم نقل ثبوته إلى قاضي حماة[5]. [321/أ]

حُكي أنه في أيام سليمان[6] ورد كتاب من ابن هبيرة[7]، فيه أن ببخارى[8] وقت السحر، سمع قعقعة عظيمة وذوي شديد كالرعد القاصف، بحيث أسقطت منه الحوامل، فنظروا فإذا قد انفرج في السماء فرجة [عظيمة][9] ونزل أشخاص عظام رؤوسهم في السماء وأرجلهم في الارض، وقائل يقول: يا أهل الأرض! اعتبروا[10] بأهل[11] السماء. هذا الملك صفوائيل عصى الله تعالى فعذب./ قال: فلما [396/ب]

(1) الحديث أورده السيوطي في الدر المنثور 5/ 116 والبغوي في شرح السنة 5/ 158. وابن الجوزي في زاد المسير 6/ 191 وورد كذلك في السكردان: 439.

(2) لعله تصحيف لعلم الدين البرزالي وهوالقاسم بن محمد بن يوسف الإشبيلي، أبو محمد محدث ومؤرخ أصله من إشبيلية (665-739هـ).انظر طبقات السبكي 6/ 246 وفوات الوفيات 3/ 196 والنجوم الزاهرة 9/ 319 والشذرات 6/ 122.

(3) بارين: مدينة حسنة بين حلب وحماة من جهة العرب. معجم البلدان: بارين.

(4) حوائص: لعله أراد به جمع حياصة وهي سير يشد به حزام الدابة. اللسان: حيص.

(5) الحكاية وردت في السكردان: 452.

(6) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان. سبق ذكره.

(7) لعله عمر بن هبيرة بن سعد بن عدي، أمير من الدهاة الشجعان (- نحو110 هـ). انظر الأعلام 5/ 68.

(8) بخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، وهي مدينة قديمة ذات بساتين واسعة وفواكه جيدة. انظر معجم البلدان: بخارى.

(9) زيادة من: ب.

(10) ج: استعبرو.

(11) أ، ب: يا أهل.

طلع النهار أتى الناس إلى ذلك الموضع فوجدوه خسفا هائلا عظيما لا يدركه قرار، يصعد منه دخان أسود، وكل ذلك ثبت على يد قاضي بخاري بأربعين عدلا والله أعلم[1].

حُكي أنه[2] في سنة خمس وأربعين وخمسمائة طلعت سحابة على بلد الموصل فأمطرت نارا أحرقت ما أمطرت عليه، وظهر بالعراق عقارب طيارة قتلت خلقا كثيرا، وفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة مطرت السماء في اليمن دما فبقي أثره في الأرض وفي ثياب الناس وهو ظاهر[3].

حُكي أنه في سنة اثنين وخمسين وخمسمائة وقعت زلازل عظيمة بالشام وحلب وأنطاكية وطرابلس وهلك خلق كثير حتى أن معلما بحماة قام من المكتب ثم عاد، فوجد المكتب قد وقع على الصبيان فماتوا جميعا، ولم يأت أحد من آبائهم يسأل عن ولده، فكان آباؤهم ماتوا أيضا، وهلك كل من في شيريز[4] إلا امرأة وخادما، وانشق تل حران[5] وظهر منه صنم قائم على الماء، وخربت صيدا[6] بيروت وطرابلس وجميع قلاع الفرنج وانفلق البحر إلى قبوس[7] وقذف بالمراكب إلى ساحله وتعدى إلى ناحية الشرق، ومات خلق عظيم. قال صاحب مرآة الزمان: مات في هذه السنة بسبب الزلزلة نحو من ألف ألف ومائة ألف إنسان. وفيها وقع

(1) الحكاية وردت في السكردان: 452.

(2) أ: أن وساقطة من: ب.

(3) الحكاية وردت في المرجع نفسه وفيه أن السحابة التي أمطرت نارا كانت سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

(4) لعله أراد شيراز وهو بلد عظيم مشهور وسط بلاد فارس. انظر معجم البلدان: شيراز، ومراصد الإطلاع 2/ 624.

(5) تل حران: قرية بالجزيرة. انظر معجم البلدان: تل حران.

(6) صيدا: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق، شرقي صور. انظر معجم البلدان: صيدا.

(7) لعله أراد قبرس. وهي جزيرة في بحر الروم. انظر معجم البلدان: قبرس.

[352/هـ] وباء عظيم بالحجاز/ واليمن، وكانوا يسكنون في اثنين وعشرين قرية، ولم يبق من عشرين قرية ديار ولا نافخ نار. وبقيت أنعامهم وأموالهم لا قاني لها. ولا يقدر أحد أن يسكن هذه القرى ولا يدخل إليها ومن دخل مات من ساعته وأما القريتان الباقيتان فلم يبق منهما أحد، ولا عند أهلها شعور بما جرى على من حولهم[1] من [479/ج] القرى بل هم على ما كانوا عليه ولم يفقد منهم أحد والله أعلم[2]/ .

حكى الشيخ عماد الدين ابن كثير في كتابه البداية والنهاية في سنة ثمان وثلاثين وستمائة ورد من ملك التتار كتاب إلى ملوك[3] الإسلام يدعوهم إلى طاعته ويأمرهم بتخريب أسوار بلادهم، وعنوان كتابه: من نائب رب السماء ماسح[4] الأرض ملك[5] الشرق والغرب. وكان الكتاب مع رجل مسلم من أصفهان لطيف الأخبار قارئ، فأول ما ورد على شهاب الدين غازي[6] بن العادل فأخبره بعجائب في أرضهم منها: أن البلاد المقاربة للسند فيها أناس أعينهم في مناكبهم، وأفواههم في صدورهم يأكلون السمك وإذا رأوا أحدا من الناس هربوا منه، ومنها أن عندهم بزواسات[7] الغنم، يعيش الخروف منها شهرين وثلاثة أشهر ولا يتناسل، ومنها: أن في بعض البلاد عينا يطلع منها في كل ثلاثين سنة خشبة عظيمة مثل المنارة تقيم طول النهار فإذا غربت الشمس غاصت في العين فلا ترى إلا لمثل ذلك الوقت، وأن بعض الملوك احتال عليها لنشلها وربطها بسلاسل

(1) ب: حولها.

(2) الحكاية وردت في الروضتين لأبي شامة 1/ 104-105 والسكردان: 452-453. مع اختلاف قليل بين الروايات.

(3) ب: ملك.

(4) هـ: ماسيح.

(5) أ، ب: مالك.

(6) سبق ذكره.

(7) هذه الكلمة لعلها مُصَحَّفة من: «بزرا ينبت الغنم» وهو ما جاء في السكردان. والبزر: هو الحب عامة. انظر اللسان: بزر.

الحديد فغارت وقطعت تلك السلاسل وهي إلى الآن كذلك[1].

حُكي أنه ورد في سنة ثمان عشرة وأربعمائة كتاب من السلطان محمود للخليفة يذكر فيه ما افتتحه من بلاد الهند، فمن ذلك صنم افتتنوا به وكانوا يعتقدون أنه يحيي ويميت ويقصدونه للحج من كل فج عميق، ويتقربون إليه بالأموال حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف ضيعة مشهورة وامتلأت خزائنه بالأموال، ورتب له ألف رجل للخدمة وثلاثمائة يحلقون رؤوس حجاجه ولحاهم عند القدوم، وثلاثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون ويرقصون عند بابه وكان العبد/ يتمنى قلع [397/ب] هذا الصنم فيوصف للعبد بالمفاوز وكثرة الحر فاستخار العبد الله للانتداب لهذا الواجب طلبا للأمر ونهض في هلال شعبان في ثلاثين ألف فارس سوى المتطوعة وصرف العبد/ في المتطوعة خمسين ألف دينار معونة، وقضى الله تعالى بالموصل [322/أ] إلى بلد الصنم وأعان حتى ملك البلد وقلع الوثن وأوقد عليه النار حتى تقطع وقتل خمسين ألفا من أهل الناحية. قال الشيخ عماد الدين المذكور، وقال الذهبي في تاريخه: وحوله أصنام كثيرة من الذهب والفضة مرصعة بالجواهر محيطة بعرشه يزعمون أنها الملائكة، ووجدوا في أذنه نيفا وثلاثين حلقة فسألوا عن ذلك فزعموا أن كل حلقة بألف سنة[2].

حُكي أنه ورد كتاب آخر من السلطان المذكور محمود يذكر فيه أنه وافى مدينة لم يعاين قط[3] مثلها، فيها زهاء عن ألف قصر مشيد وألف بيت للأصنام، ولهم صنم يؤرخون مدته بجهالتهم ثلاثمائة ألف سنة[4] وقد بنوا حوله تلك الأصنام/ [480/ج] المنصوبة عشرة آلاف بيت فأمر العبد بتخريب تلك المدينة اغتناما للأجر، وعمها

(1) الحكاية في البداية والنهاية 13/ 155-156 والسكردان: 453. وأسرار البلاغة: 266.

(2) الحكاية وردت في البداية والنهاية 12/ 22 والسكردان: 453.

(3) أ، هـ: قد.

(4) ج، هـ: عام.

المجاهدون بالإحراق حتى لم يبق منها إلا الرسوم، وأفرد خمس الرقيق فبلغ خمسا وخمسين ألفا واستعرض ثلاثمائة ألف[1] وخمسين ألف قتيل[2].

[353/هـ] حُكي أنه في سنة أربع وخمسين وستمائة في خامس جمادى/ الأخيرة[3] ظهرت نار بأرض الحجاز قال الشيخ الإمام شيخ الحديث إمام المؤرخين شهاب الدين أبوشامة[4] في تاريخه: إنها ظهرت في التاريخ المذكور واستمرت شهرا أوأزيد منه، ووردت كتب كثيرة من أهل المدينة الشريفة في كيفية ظهورها شرقي المدينة من ناحية وادي شظا[5] تلقاء أحد، وأنها ملأت تلك الأودية، وأنه يخرج منها شرر يأكل الحجارة، وذكر أن المدينة المنورة زلزلت بسببها وأنهم سمعوا أصواتا مزعجة قبل ظهورها بخمسة أيام، أول ذلك مستهل جمادى الأخيرة يوم الإثنين، لم تزل ليلا ونهارا حتى طلعت اليوم الخامس فانبجست تلك الأرض عند واد شظا عن نار عظيمة جدا، حتى صارت ملء الوادي العظيم الذي طوله أربع فراسخ في عرض أربعة أميال، وعمقه قامة ونصف، فبقي يسيل الصخر حتى يصير مثل الأنك[6] وهوالرصاص، ثم يصير مثل الفحم الأسود، وذكر أن من الناس من كتب على ضوئها بالليل، فكان في كل بيت مصباح منها، ورأى الناس ضياءها من مكة. قال الشيخ عماد الدين[7] أخبرني الشيخ صدر الدين قاضي القضاة علي التميمي[8] قال: أخبرني والدي وهوالشيخ صفي الدين مدرس بصرى، أنه

(1) عبارة: ثلاثمائة ألف قتيل وخمسين ألف قتيل.

(2) الحكاية وردت في السكردان: 434 وفيه: ثلاث مائة وخمسين فيلا.

(3) أ، ج، هـ: الاخرة.

(4) سبق ذكره في «الإعلام» للزركلي.

(5) شظا: جبل بمكة أوقرب مكة. انظر اللسان شظا.

(6) الأنك: قيل هو الرصاص الأبيض، وقيل الأسود، وقيل هو الخالص منه. اللسان: أنك.

(7) لعله عماد الدين ابن كثير.

(8) صدر الدين علي بن أبي القاسم التميمي، ولد سنة 642هـ. كان والده مدرسا للحنفية ببصرى، ولي قضاء القضاة فكان مشكور السيرة في الأحكام، انظر البداية والنهاية 13/ 191-192.

أخبره غير واحد من الأعراب صبيحة تلك الليلة ممن كان ببلد بصرى، أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز. قال أبو شامة: إن أهل المدينة جاءوا في هذه الأيام إلى المسجد النبوي، على الحال به الصلاة والسلام، وتابوا إلى الله تعالى من ذنوب كانوا عليها، واستغفروا الله تعالى عند قبر رسول الله ﷺ مما سلف منهم وأعتقوا عبيدهم وتصدقوا على فقرائهم، وقال شاعرهم في هذه النار أبياتا منها:

[البسيط]

بحر من النار تجري فوقه سفن ... من الهضاب لها في الأرض إرساء

ترمي لها شررا كالقصر طائشة[1] ... كأنها ديمة تنهل هطلاء

فيا لها معجزات من رسول إله الخلق يعقلها[2] ... القوم الألباء[3]/ [398/ب]

يشير بالبيت الأخير إلى ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي، صلى الله/ عليه وسلم[4] قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء بها أعناق الإبل ببصرى»[5] أوكما قال ﷺ. [481/ج]

حكى المسعودي فقال في صفة الأهرام: إن طول كل واحد منهم وعرضه أربعمائة ذراع، وأساسها في الأرض مثل طولها في الهواء، وفي كل هرم تسعة بيوت مقفله، على عدد الكواكب السيارة، كل بيت منها باسم كوكب وبرسمه، وفي جانب كل بيت منها صنم من ذهب وإحدى يديه موضوعة على فمه، وعلى

---

(1) ج: طائرة.

(2) أ، ب، هـ: يعلقها.

(3) هـ: الأنباء. والأبيات متفرقة في قصيدة مطلعها:

يا كاشف الضر صفحا عن جرائمنا ... لقد أحاطت بنا يارب بأساء

وردت مع حكاية النار في ذيل الروضتين: 189 والبداية والنهاية أحداث 654 هـ والسكردان: 453.

(4) ساقطة من: ج.

(5) الحديث ورد في فتح الباري بشرح صحيح البخاري 78/ 13.

جبهته كتابة غريبة إذا قرئت فتح فاه وخرج منه مفتاح ذلك القفل. ولتلك الأصنام بخورات في أيام/ وأوقات السعادات، لها أرواح موكلة بها، مسخرة لحفظ تلك [323/أ] البيوت والأصنام وما فيها من التماثيل والعلوم والعجائب والجواهر والأموال، وفي كل هرم قبة فيها نار ووسن[1] من الحجارة يطبق عليه ومعه صحيفة فيها اسمه وحكمته مطلسم عليه، لا يوصل إليه إلا في الوقت المحدود فيه الفساد، وهي على فرسخين من الفسطاط[2]، مبنية بالحجارة وهي منقولة من مسافة أربعين فرسخا من موضع يعرف بدار الحمام[3] فوق الأسكندرية، ولا يزال ينخرط حتى يرجع دورها إلى مقدار خمسة أشبار، وليس على وجه الأرض بناء أرفع منها، وفيها مكتوب: من ادعى قوة في/ ملكه فليهدمها، فإن خراج الأرض لا يافي بهدمها، [354/هـ] والهدم أيسر من البناء، وقالوا: لا يعرف من بناها، وفيها مسارب يجري فيها الماء من النيل وفيها مطامير تسع من الماء بقدرها، وفيها مكان ينفذ إلى بحر الفيوم[4] وهومنها مسيرة يومين.

وروي في بعض جهاتها مكتوب: بنيانها في ستين سنة، فليهدمها من أراد [ذلك][5] في ستمائة سنة، والهدم أيسر من البناء، وكنا نكسوها حريرا فليكسها من يأت بعدنا حصرا[6]

قيل: إنه دخل جماعة، في أيام أحمد بن طولون، الهرم الكبير فوجدوا في إحدى

---

(1) الوسن: لعله يريد الوثن، أي الصنم.

(2) الفسطاط: أرض بمصر لها قصة في سبب تسميتها بذلك. انظر معجم البلدان: فسطاط ومراصد الإطلاع 3/ 1036.

(3) لم أقف عليه.

(4) بحر الفيوم: يسمى خليج الفيوم وهو الخليج الذي حفره يوسف عليه السلام بوحي من الله تعالى، وسبب تسميته بذلك أن يوسف حفره في سبعين يوما، فلما خرج الملك ووزراؤه، نظر إليه فقال: هذا عمل ألف يوم فسمي بذلك. انظر اللسان: الفيوم.

(5) زيادة من: ج، هـ.

(6) أ، ب: حصورا.

بيوته جاما من زجاج عجيب اللون فحين خرجوا فقدوا منهم واحدا، فدخلوا في طلبه فخرج إليهم عريانا وهويضحك، وقال لهم: لا تتعبوا في طلبي ورجع هاربا إلى داخل، فعلموا[1] أن الجن استهوته وشاع أمرهم، فحضروا عند أحمد بن طولون فحكوا له القصة فمنعهم من الدخول إلى الهرم بعده، وأخذ منهم ذلك الجام فقال له إنسان عارف بأمور الهرم[2] وأحواله: هذا لابد فيه من سر. فأخذه وملأه ماء ووزنه ثم صب ذلك الماء ووزنه فوجد زنته وهوملئان زنته وهوفارغ سواء، لا يزيد ولا ينقص، فتعجبوا من ذلك غاية العجب.

ويقال لما فتح المأمون بن الرشيد الثلمة/ الموجودة في الهرم الكبير وانتهى إلى مقدار عشرين ذراعا وجدوا مطهرة[3] خضراء، فيها ذهب مضروب، وزن كل دينار منها أوقية وكانت ألف دينار، فتعجب من جودة ذلك الذهب وحسن حمرته، وقال لهم: ارفعوا إلي حساب ما انفقتموه على هذه الثلمة فرفعوه فوجدوه بقدر المال لا يزيد ولا ينقص فتعجب من معرفتهم مقدار ما أنفق عليه غاية العجب، وقال: كان هؤلاء القوم بمنزلة لا توازى ولا تدرك ولا نحن ندركها ولا أمثالنا. قال: ودخل جماعة من المصريين إلى الهرم الكبير فوجوا فيه بيوتا فيها تماثيل من ذهب فأخذوا منها ما قدروا عليه فلما خرجوا فقدوا واحدا منهم، فبينما هم مفكرون وإذا قد خرج إليهم من أقصى البيت وهو عريان صائل كالأبله وهو يقول: صلصلبو صلصلبو[4]، ورجع إلى داخل الهرم فكان آخر العهد به. [482/ج]

ويقال:/ إن الذي بناها وكل بها روحانية يحفظونها، فوكل بالهرم البحري المفتوح الآن، روحانيا في صورة إمرأة عريانة مكشوفة الفرج، ولها ذوائب تصل [399/ب]

(1) ج: وعلموا.

(2) ج، هـ: الأهرام.

(3) المطهرة: الإناء الذي يتوضأ به ويتطهر به. انظر اللسان: طهر.

(4) هكذا وردت في جميع النسخ.

إلى الأرض، فإذا أرادت أن تستفز «الإنسي» ضحكت في وجهه وأفهمته أنها تطمعه في نفسها وكل من رآها عند الهرم عريانة امتلأ قلبه رعبا منها وهرب منها، فلم تكلمه ولم يكلمها.

قال: ووكل بالهرم الذي إلى جانبه روحانيا في صورة غلام أمرد أصفر اللون عريانا ويرى إلى جانبه امرأة أخرى ثم تغيب عنهم، ووكل بالثالث وهو الصغير روحانيا في صورة شيخ في يده مبخرة يبخر بها وعليه ثياب الرهبان.

قال: وذكر قوم من أهل الجيزة[1] أنهم رأوا مرات[2] امرأة في أطراف النهار، فإذا تقربوا منها تغيب عنهم ولم تظهر لهم، فإذا بعدوا رأوا غلاما فإذا قربوا منه غاب، وإذا بعدوا عنه عاد إلى حالته التي كان عليها. وأحوال الأهرام عجيبة[3] وحكاياتها غريبة، وللناس فيها كلام كثير، وهي من عجائب البلدان وغرائب البنيان، والله سبحانه وتعالى أعلم[4].

حكى جماعة من المؤرخين أنه[5] وجد بالأندلس، حين فتحت، في مدينة منها يقال لها مدينة الملوك[6]، في قصر المملكة أربعة/ وعشرون تاجا، بعدة من ملكها، لا يدرى قيمة كل تاج/ منها، وعلى كل تاج اسم صنم صاحبه، وكم ملك من السنين، ووجد فيها مائدة سليمان بن داوود، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وهي من الذهب، وقيل من الياقوت، وعليها أطواق الجواهر الثمينة

[324/أ] [355/هـ]

(1) هـ: الجبرة. والجيزة: بليدة في غربي فسطاط مصر. لها كورة واسعة من أفضل كور مصر. معجم البلدان: الجيزة وآثار البلاد وأخبار العباد: 182.

(2) ج: مرة بل مرات.

(3) أ، ب: عجوبة.

(4) حكاية الأهرام وردت في مروج الذهب 2/ 90 - 91 والسكردان: 459-460.

(5) ب: أنها.

(6) لعلها طليطلة وهي المدينة الوحيدة التي كانت قاعدة الملوك القرطبيين، وقال ياقوت:: كانت تسمى مدينة الأملاك. انظر معجم البلدان: طليطلة.

قال: فحملت إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان قال: ووجد فيها، أي المدينة، باب مغلق عليه أربعة وعشرون قفلا، لا يعلمون ما وراء ذلك. قال: ولما ملك لذريق[1] وهوآخر ملوكها قال: لا بد لي أن أعرف/ ما وراء هذا الباب، فاجتمع [483/ج] إليه الأساقفة والرهبان وسألوه ألا يفعل وأن يقتدي بمن سلف قبله من الملوك، ولا يتعرض لفتح هذا الباب فلم يقبل وفتحه فإذا فيه تصاوير العرب على خيولهم بعمائمهم ونعالهم ورماحهم، فلم يلبث أن وصلت العرب إلى بلده في تلك السنة وملكوها[2].

حكى ابن الجوزي عن عبد الله بن عمرو بن العاص[3] رضي الله عنه أنه قال: كان بالهند والصين بطة من نحاس على عمود من نحاس فإذا كان يوم عاشوراء مدت عنقها إلى نهر تحتها، فشربت منه، ثم عادت إلى ما كانت عليه، ثم تفتح منقارها فتسكب منه من الماء ما يكفي سكان تلك البلاد وزروعهم ومواشيهم إلى يوم عاشوراء من السنة القابلة، فتفعل كما فعلت في العام الماضي وهذا من العجب[4].

حُكي أنه في البلاد الموصلية جبل قريب من ناحية المشرق عليه دير يقال له: دير الخنافس[5] للنصارى فيه عيد في ليلة من السنة، قال سبط بن الجوزي: إن جماعة من أهل الموصل حكوا له أن في تلك الليلة يصعد إليه جميع الخنافس التي

(1) لذريق كان آخر ملوك الأندلس، وهو الذي قتله طارق مولى موسى بن نصير حين افتتح الأندلس. ذكره المسعودي في تاريخه. انظر الجزء 1/ 191.

(2) الحكاية وردت في السكردان: 460-461.

(3) هو عبد الله بن عمر بن العاص، صحابي من النساك توفي سنة 65هـ انظر طبقات ابن سعد 2/ 372 والإصابة 2/ 352.

(4) الحكاية وردت في السكردان: 462.

(5) هو دير صغير لا يسكنه أكثر من راهبين فقط، يقصده أهل الضياع في كل عام مرة، وفيه طلسم شريف. انظر معجم البلدان: دير ، وآثار البلاد وأخبار العباد: 370.

في الدنيا وفيه ألوف من الناس يبيتون تلك الليلة[1] طول ليلتهم، وتلك الخنافس تمشي عليهم فإذا طلع النهار لم يوجد[2] للخنافس أثر[3].

حُكي أن[4] في بلاد الغرب بأرض رومية[5] ديرا إذا كان في يوم معلوم في السنة قصده كل زرزور على وجه الأرض ومع كل زرزور ثلاث زيتونات واحدة في منقاره واثنتان في رجليه فيطرح ذلك الزيتون جميعه في الدير فيعصر منه[6] الرهبان ما يكفيهم لسرجهم وإدامهم ويبيعون منه ما يقوم بكلفتهم إلى العام الآتي، وهذا الدير في رومية وفي/ تلك البلاد قردة منهم صنف يقف على رأس الملك فإذا قدم [400/ب] إليه الطعام فإن كان مسموما غمز القرد الملك بعينه فيعرف أنه مسموم فلا يتناول منه شيئا والله تعالى أعلم[7].

حكى الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار أن تُبّع بنى مدينة وسماها باسمه وهي ببلاد الترك وهي بلد ينسب إليها المسك، من أقام بها أصابه سرور ما يدري ما سببه، ولا يزال ضاحكا مبتسما حتى يخرج منها، وتلك البلاد موصوفة بالصناعات الدقيق: والتصاوير العجيبة يفرق مصورهم في تصويره بين من يضحك خجلا ويضحك مسرورا ويضحك مستهزءا[8].

---

(1) أ، ب: تلك الليلة.

(2) هـ: توجد.

(3) الحكاية وردت في معجم البلدان 2/ 508 وآثار البلاد وأخبار العباد: 370. والسكردان: 462.

(4) ج، هـ: أنه.

(5) رومية: مدينة من مدن الروم وهي شمالي وغربي القسطنطينية. انظر معجم البلدان رومية. وآثار البلاد: 591.

(6) أ، ب: منها.

(7) الحكاية وردت في المرجعين السابقين.

(8) الحكاية وردت في ربيع الأبرار 1/ 321 والسكردان: 462.

حكى القاضي شهاب الدين بن فضل الله[1] عن علي بن محمد الأنصاري أنه رأى في نهاوند وردا أصفر، في الوردة الواحدة ألف ورقة. قال: فعددتها فكانت كذلك. وقال القاضي شهاب الدين أيضا: ورأيت وردة/ نصفها أحمر قاني الحمرة [484/ج] ونصفها أبيض ناصع البياض حتى لو وقع الخيط بينهما لوجدتها كأنما قسمت بقلم وهذا من العجب.

حكى الشيخ كمال الدين الدميري[2] في «حياة الحيوان» أن حيوانا بريا يقال له الشادهور له قرن واحد بين عينيه أملس، فإذا كمل له ستتان طلع في ذلك القرن اثنان وسبعون/ شعبة فيقف في مهب الريح فيخرج منها صوت مطرب بحيث ينام سامعه، [356/هـ] وإذا جاع تعرض للريح فيخرج الصوت المذكور فتجتمع الوحوش لسماعه فتنام عند سماعه فيثب عليها فيأخذ منها حاجته، وأنه أهدي إلى ملك من الملوك قرن منها فكان يضعه في مهب الريح[3] فيخرج منه صوت مضحك إذا وقع منكوسا خرج منه صوت محزن بحيث يغلب على الإنسان البكاء[4].

حُكي أن الخضر[5] عليه الصلاة والسلام سئل عن أعجب[6] ما رأى في الدنيا[7] طول سياحته وكثرة خلواته ومدة/ قطعه القفار والفلوات. فقال: أعجب ما رأيت [325/أ] أنني مررت على مدينة لم أر على وجه الأرض أحسن منها، فسألت بعض أهلها

---

(1) أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي، شهاب الدين، مؤرخ حجة في معرفة الممالك والمسالك عارف باخبار رجال عصره (700-749هـ). انظر فوات الوفيات 1/ 157 والنجوم الزاهرة 10/ 234.

(2) هو كمال الدين محمد بن موسى الدميري الشافعي المصري (742-808هـ). انظر الضوء اللامع 10/ 59 ومفتاح السعادة 1/ 213.

(3) ب، ج: الرياح.

(4) حياة الحيوان الكبرى 2/ 40.

(5) ب، ج، هـ: الخاضر.

(6) ب: أعجاب.

(7) ج، هـ: في طول.

متى بنيت هذه المدينة فقال: سبحان الله ! ما يدر آباؤنا وأجدادنا متى بنيت ولا زالت كذلك من عهد الطوفان، ثم غبت عنها خمسمائة عام وعبرت عليها بعد ذلك فإذا هي خاوية على عروشها، ولم أر أحدا أسأله، فإذا رعاة غنم فسألتهم، فقلت: أين المدينة التي كانت ها هنا؟ فقالوا: سبحان الله ما يذكر آباؤنا وأجدادنا أنه كان ها هنا مدينة، فغبت عنها خمسمائة عام وعبرت عليها بعد ذلك فإذا موضع تلك المدينة بحر وإذا به غواصون يغوصون فيخرجون الحلية فقلت لبعض الغواصين: منذ كم هذا البحر ها هنا؟ فقالوا: سبحان الله! ما يذكر آباؤنا وأجدادنا إلا أن هذا البحر هنا منذ بعث الله الطوفان، ثم غبت عنها خمسمائة عام ثم انتهيت إليها فإذا ذلك البحر قد غاض ماؤه وإذا مكانه غيضة[1] عظيمة ملتفة القصب والبردي، وبها السباع، وإذا صيادون يصيدون السمك حولها فقلت لبعضهم: أين البحر الذي كان هاهنا؟ فقال: سبحان الله! ما يذكر آباؤنا ولا أجدادنا أنه كان هنا بحر قط، فغبت عنها خمسمائة عام ثم أتيت إلى ذلك الموضع، فإذا هي مدينة على حالها الأول والدور والحصون والأسواق قائمة، فقلت لبعضهم: أين الغيضة التي كانت ها هنا ومتى بنيت هذه المدينة؟ فقال: سبحان الله! ما يذكر آباؤنا وأجدادنا إلا هذه المدينة على حالها منذ بعث الله الطوفان، فغبت عنها خمسمائة عام ثم انتهيت إليها فإذا عاليها سافلها/ وهي تدخن بدخان/ شديد، فلم أر أحدا أسأله، [485/ج401I/ب] ثم رأيت راعيا فسألته: أين المدينة التي كانت ها هنا؟ ومتى حدث هذا الدخان؟ فقال: سبحان الله! ما يذكر آباؤنا وأجدادنا إلا هذا الموضع هكذا منذ كان، فهذا أعجب شيء رأيته في سياحتي في الدنيا، سبحان مبيد العباد ومفني البلاد ووارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

(1) الغيضة: مغيض ماء ينبت فيه الشجر. اللسان: غيض.

حكى إبراهيم بن[1] درهم قال: كانت أرض مصر أرضا مستديرة حتى أن الماء ليجري تحت منازلها وأفنيتها فيحبسونه[2] كيف شاءوا ويرسلونه كيف[3] شاءوا، ومتى شاءوا[4]، وذلك قول فرعون ﴿أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون﴾[5]. وكان ملك مصر ملكا عظيما لم يكن في الأرض أعظم منه [وكانت الجنان بحافتي النيل متصلة لا ينقطع فيها شيء. والزرع كذلك من بلاد أسوان[6] إلى رشيد،][7] وكانت أرض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا كما دبروه من جسورها وحافاتها، والزرع بين الجبلين من أولها إلى آخرها، وذلك قوله تعالى: ﴿كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين﴾ الآية[8]. والمقام الكريم: المنابر. وكان فيها ألف منبر. وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: استعمل فرعون هامان على حفر خليج/ فأخذ حفره وتدبيره أموالا [357/هـ] كثيرة، فجعل أهل القرى يسألونه أن يجري الخليج تحت قريتهم ويعطونه مالا وهو يذهب به من قرية إلى قرية من الشرق إلى الغرب ومن القبلة إلى الشمال فليس في خلجان مصر أكثر عطوفا منه، فاجتمع له من ذلك أموالا كثيرة فحملها إلى فرعون وأخبره الخبر فقال فرعون: ينبغي للسيد أن يعطف على عبيده، ويغبط عليهم من خزائنه وذخائره ولا يرغب فيما بأيديهم، رد على أهل القرى ما أخذته منهم فرد عليهم جميع أموالهم، فهذه سيرة من لا يعرف الله تعالى ولا يرجو لقاءه،

(1) ج: ابن أبي درهم.
(2) ج: فيحبسوها.
(3) ساقطة من:ه.
(4) ساقطة من: ب.
(5) الزخرف: 51.
(6) مدينة كبيرة وكورة في آخر صعيد مصر شرقي النيل. انظر معجم البلدان: أسوان.
(7) بليدة على ساحل البحر والنيل قرب الإسكندرية. انظر معجم البلدان: رشيد.
(8) الدخان: 24-26.

ولا يخاف عقابه، ولا يؤمن بيوم الحساب والثواب والعقاب، ويقال إن ذلك الخليج هوخليج بني ملجا[1].

حكى هارون بن عمر بن الرغيب قال: كنت مجاورا بالمدينة المنورة وشيخ الحرام إذ ذاك شمس الدين صواب الملطي، وكان رجلا صالحا كثير البر بالفقراء والشفقة عليهم، وكان بيني وبينه أنس، فقال لي يوما: أخبرك بعجيبة: كان لي صاحب يجلس عند الأمير ويأتيني من خبره بما تمس حاجتي إليه، قال: فبينما أنا ذات يوم إذ جاءني فقال: أمر عظيم حدث اليوم، جاء قوم من أطراف حلب/ [326/أ] ويذلوا للأمير، أمير المدينة المنورة، مالا كثيرا وسألوه أن/ يمكنهم من فتح [486/ج] الحجرة[2] الشريفة وإخراج أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، قال: فأجابهم إلى ذلك. قال صواب: فاهتممت لذلك هما عظيما، فلم ألبث أن جاء رسول الأمير يدعوني إليه فأجبته فقال لي: يا صواب! يدق عليك الليلة أقوام المسجد فافتح لهم ومكنهم مما أرادوا ولا تعارضهم ولا تعترض عليهم. قال: قلت له: سمعا وطاعة. قال: وخرجت ولم أزل يومي خلف الحجرة[3] الشريفة أبكي لا ترقى لي دمعة ولا يشعر بها بي أحد، حتى إذا كان الليل وصلينا العشاء الأخيرة وخرج الناس من المسجد وغلقت[4] الأبواب، فلم أشعر أن دق الباب الذي بحذاء باب الأمير. قال: ففتحت الباب فدخل أربعون رجلا أعدهم واحدا بعد واحد ومعهم المساحي والمكاتل[5] والشموع وآلات الهدم والحفر. قال: وقصدوا الحجرة فوالله ما وصلوا نحو المنبر حتى ابتلعت الأرض جميعهم وجميع ما كان معهم من اللآلات

(1) لعله يريد بني ملحان، لأني لم أعثر، فيما رجعت إليه من المراجع المختصة، على قبيلة بني ملجا. انظر العقد الفريد6/ 32 ومعجم قبائل العرب113 3/ 6.

(2) أ، ج، هـ: الحجارة.

(3) هـ: الحجر.

(4) ج، هـ: وغلقنا.

(5) المكاتل: جمع مكتل وهو شبه الزنبيل يحمل فيه التمر أو العنب. اللسان: كتل.

والشموع وغير ذلك، ولم يبق لهم أثر فاستبطأ الأمير خبرهم فدعاني وقال لي: يا صواب! ألم يأتك القوم/ ؟ قلت: بلى، ولكن اتفق لهم كيت وكيت، فقال: انظر ما [402/ب] تقول، فقلت: هو ذاك، فقم وانظر هل ترى لهم من باقية أو ترى لهم أثرا؟ فقال لي: هذا موضع الحديث ولئن ظهر منك كان بقطع رأسك[1].

قال الراوي: فلما وعيت هذه الحكاية عن هارون حكيتها لبعض الأصحاب فقال لي: بعض من أثق به: إنه سمع الخادم صواب يحكيها للشيخ أبي عبد الله القرطبي بأذنه من فيه، رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

حكى المؤلف رحمه الله قال: ومما كتبت من خط بعض الفضلاء وذكر أنه نقل ذلك من خط بعض الفضلاء العلامة محيي الدين ابن النحاس الدمشقي الشهيد نزيل ثغر دمياط المحروس. قال: قطع القرود الطريق في زمن معاوية رضي الله عنه وعظمت بلية الناس بهم وكثر فسادهم وامتنع الناس من العبور والخروج فنفذ عامل اليمن إليها جيشا ليقتلها. قال: فقاتلته القرود وهزمته. قال: فخرج هو إليها في جيش كثيف ورتب العسكر ميمنة وميسرة فظهر منها ما ملأ الفضاء وأتت من السهل والجبل حتى هَمَّ العامل بالرجوع. قال: فبينما هم كذلك، وإذا بقرد كبير راكب على كتف قرد آخر/ فوقف بين الصفين وأشار إلى نحوالعسكر [358/هـ] كأنه يطلب الأمان، فلما حضر بين يدي العامل أشار إلى لوح في عنقه قد غاب في شعره لكبره، فإنه قرد هرم فأمر الأمير بنزعه فإذا هو لوح من نحاس مكتوب فلم يحسنوا قراءته لأنه بالقلم المسند[2] فجيء بشيخ حمير يعرف ذلك/ القلم فقرأه [487/ج] فقال: فيه مكتوب، هذا كتاب سليمان ابن داوود عليهما الصلاة[3] والسلام، أنه أمر القرود بالنزول في هذا المكان وأن لا يعارضها أحد من خلق الله تعالى، وشرط

(1) الحكاية ذكرها السخاوي في التحفة اللطيفة 1/ 460.

(2) هـ:السند

(3) ساقطة من: ج، هـ.

عليها ألا تتعرض لأحد من الناس في نفسه ولا في[1] دوابه ولا تقطع سبيلا ولا تضر مارا، فقال لها الأمير سمعنا وأطعنا ولكن نقضتم[2] العهد، فأشار ذلك القرد إليهم أنني لم أعلم بذلك، ثم قام عنهم وأحضر عدة قرود كل قرد مع قرد آخر وأشار إليهم أن هؤلاء الذين أفسدوا وسلمهم للأمير. فقال له الأمير: إن أنتم بقيتم على العهد وما شرطه نبي الله عليه الصلاة والسلام رحلنا عنكم وإن عدتم فما ندع منكم أحدا. قال فحرك القرد رأسه وكلما كلموه بكلام وفهمه حرك رأسه فقال العامل: انصرفوا، ونحن نستأذن أمير المؤمنين فما أتانا منه اعتمدنا عليه فانصرف القرد ورحل الناس. قال: وكتب إلى معاوية رضي الله عنه بذلك فأعاد عليه القول أن يشرط عليها ما شرط نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام وأن تقر مكانها ولا يتعرض لها أحد ولينتقش ذلك في اللوح ويسلم إليها قال ففعلوا ذلك وأخذت القرود اللوح وانصرفت ولم تتعرض بعد ذلك لأحد من خلق الله تعالى[3].

حُكي أن المأمون لما زوج ابنته أم الفضل[4] لعلي بن موسى الرضي[5] رضي الله عنه اجتمع أهل بيته عند عقد نكاحها، وَأَوْلَمَ وليمة عظيمة، وجلس الناس على مراتبهم، فبينما هم كذلك إذ سمعوا أصوت الملاحين يجرون سفينة، فلما/ [327/أ] دنت منهم إذا بسفينة جميعها بجميع عددها فضة بيضاء وقلاعها وحبالها إبريسم، وملاحوها خدام والسفينة جميعها موسوقة[6] غالية فأخذ كل من الحاضرين

(1) ساقطة من: ج.

(2) هـ: نقطتين.

(3) الحكاية وردت في آثار البلاد وأخبار العباد بتصرف. انظر الصفحة 67 - 68.

(4) في الوفيات أن المأمون زوج ابنته أم حبيب لعلي بن موسى، وأم حبيب هذه هي بنت الرشيد بن المهدي كما في أعلام النساء 1/ 238.

(5) علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن الرضا، أحد الأئمة الإثني عشر 159-202هـ). انظر ترجمته في الوفيات 3/ 269.

(6) هذه الصيغة لم ترد في اللسان، وأظنه أراد الاتساق: أي الانتظام. انظر اللسان: وسق.

ومسح وجهه ولحيته ثم قال للعامة: دونكم هذا الزورق فهونصيبكم فتبادروا إليه بالفؤوس يقطعونه فأخذ كل واحد منهم ما قدر على قطعه والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

حُكي عن عبد الله بن عمرو بن العاصي[1] أنه قال: من عجائب الدنيا فرس من نحاس بأرض الأندلس باسطة يديها/ أي: ليس خلفي مسلك، فلا يتعدى أحد [403/ب] وراءها إلا هلك، قال: ومنارة من نحاس [عليها فارس من نحاس][2] إذا كانت الأشهر الحرم هطل منها ماء يشرب منه الناس، وإذا انقضت الأشهر الحرم انقطع ذلك الماء. ويقال[3]: إن في الهند نارا[4] تشتعل في حجارة[5] لا تطفيء ليلا ولا نهارا، ويقال في أقصى بلاد الروم إقليم كثير المطر في الشتاء والصيف لا ينقطع أبدا وأهله لا يقدرون على دراسة زرعهم وإنما يجمعونه في البيوت بسنبله ويخرجون منه كل يوم على قدر حاجتهم/ فيعركونه ويطحنونه. [488/ج]

حُكي أن من العجائب، بناء رومية، يقال: إن فيها ألف كنيسة ومائة كنيسة وشوارعها وأسواقها مفروشة بالرخام الأبيض، ويقال إن فيها نحو أربعين ألف حمام وفيها أيضا كنيسة شبهت ببيت المقدس في بنائها، طولها ميل، وفيها مذبح للقربان من زمرد أخضر طوله ذراع، محمول على اثنى عشر تمثال من ذهب، طول كل تمثال نحوالذراعين ونصف، وعيناه من ياقوت أحمر تضيء منه الكنيسة، ولها ثمانية وعشرون بابا من الذهب الخالص، ولها ألف باب من النحاس/ الأصفر [359/هـ] سوى أبواب الأبنوس منقوشة كأحسن ما يكون، ولها ثلاثة جوانب في البحر

(1) سبق ذكره.

(2) ما بين معقوفين ساقط من: ب.

(3) أ، ب: وقال.

(4) أ، ب: سورين.

(5) ساقطة من:ه.

وجانب في البر وعرضها من الجانب الغربي ثمانية وعشرون ميلا ولها سوران من حجارة، وبين السورين ستون ذراعا، ونهر بينهما يجري، مغطى ببلاط من نحاس، طول كل بلاطة نحوخمسة وأربعين ذراعا[1] والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

حُكي أن في البحر الشرقي، وهوبحر جدة[2]، سمك عظيم طول السمكة مائتي ذراع، يخاف على السفن منها، وفيه أيضا سمك، طول السمكة عشرون ذراعا، وفيه أيضا سمك على خلقة البقر تلد وترضع أولادها ويعمل من جلودها الدرق الجياد[3]، ومن هذا البحر إلى البحر الذي يقرب سرنديب[4] ثمانون فرسخا عرضا وفيه الجبل الذي أهبط عليه آدم عليه السلام، وهوجبل صاعد إلى السماء، يراه من ركب في البحر [من][5] مسيرة أيام كثيرة، وذكرت البراهمة[6] وهم عباد الهند، أن على هذا الجبل أثر قدم آدم عليه السلام، وهي قدم واحدة مغروزة في الحجر وطولها سبعون ذراعا، وعلى هذا الجبل [نار تشتعل لا تزول ليلا ولا نهارا، وذكروا أن آدم عليه السلام خطا[7] الخطوة الأخرى في البحر بالقدم الثانية، وهي مسيرة يومين أوثلاثة، وعلى هذا الجبل][8] الياقوت الجيد وفيه ثبت العود وجميع الأفاويه[9] من الطيب والعطر، وفيه من دواب المسك والزباد[10] شيء كثير ومن

---

(1) الحكاية وردت في معجم البلدان: رومية، مع اختلاف الرواية.

(2) لعله بحر القلزم، حيث يمر بساحله الشرقي على بلاد اليمن وجدة. انظر معجم البلدان: بحر القلزم.

(3) الدرق: واحدتها درقة وهي الترسة تتخذ من الجلود. اللسان: درق.

(4) سبقت الإشارة إليه.

(5) زيادة من: هـ.

(6) قوم لا يجوزون على الله تعالى بعثة الرسل. لسان العرب: برهم.

(7) أ، ب: خط.

(8) ما بين معقوفين ساقط من:ه.

(9) الأفاويه: ما يعالج به الطيب كما أن التوابل ما تعالج به الأطعمة. اللسان: فوه.

(10) أ: الرياد.ج: الرجاد.

جوانبه يغاص على اللؤلؤ[1]، وهذا من العجائب.

حُكي أن في بحر سرنديب جزيرة تعرف بجزيرة الراضي[2] وبها الحيوان المعروف بالكركدن[3] [وهو دون الفيل وأكبر من الجاموس][4]، وبها أيضا جواميس لا أذناب لها، وبها ينبت الخيزران. والكركدن المذكور له قرن واحد في جبهته طوله ذراع فإذا انشق القرن رأيت فيه صورة، إما صورة إنسان أو صورة سمكة أو صورة طائر، وفي لسانه شوك غليظ إذا أراد ملوك الهند تعذيب إنسان طرحوه للكركدن فلحسه فيزول لحمه عن عظمه، وإذا ولد له ولد يخرج بعضه من بطن أمه ويبقى بعضه في فرجها يرعى من الشجر حتى يكبر فإذا خرج/ خرج [489/ج] مثل البرق لا يدركه الطالب خوفا من أن تلحسه أمه[5].

حُكي أن في بعض جزائر الروم ناس لا يفهم كلامهم، طول الإنسان منهم أربعة أشبار، في رؤوسهم زغب أشقر، يصعدون إلى الأشجار بأيديهم من غير أن يضعوا أرجلهم عليها. وفيها أناس يعومون، يسبقون المراكب/ وهي مقلعة [404/ب] في شدة الريح، يبيعون العنبر بالحديد، يأكلون الناس أحياء من غير طبخ ولا نار، وفيها حيات،/ عظام تبلع الفيل، وفيها من شجر الكافور شيء كثير، تظل [328/أ] الشجرة منه المائة رجل وأكثر، يثقب أعلاها فيسيل منها الماء فيتساقط قطعا قطعا كالصمغ، فهو الكافور الجيد الخالص، وهو الذي يكون في خزائن الملوك، ويتوصل من هذه الجزيرة إلى جزيرة أخرى، طعام أهلها التوت والسمك الطري، ويتعاملون بالحديد، ومنها إلى جزيرة أخرى تعرف بكلة ومنها الرصاص القلعي،

---

(1) الحكاية في معجم البلدان، مع اختلاف الرواية. انظر مادة: سرنديب.

(2) جزيرة الرامني في بحر الصين. انظر آثار البلاد والعباد: 29.

(3) الكركدن: دابة عظيمة الخلق يقال إنها تحمل الفيل على قرنها. اللسان: كركدن.

(4) الجاموس: نوع من البقر، ج جواميس، فارسي معرب. اللسان: جمس.

(5) أول هذه الحكاية ورد في آثار البلاد وأخبار العباد: 29. وتحفة الألباب للغرناطي:132.

وفيها منابت الخيزران وعلى يسارها جزيرة، أهلها يأكلون الناس ويبيحون الزنا ويحرمون الخمر، ومنها إلى جزيرة أخرى يسمع منها الطبل والمزمر في الليل كله وكثير من أهل تلك الديار يزعمون أن فيها الدجال، ويخرج هناك من البحر خيل لها أذناب ومعارف[1] وفيها قردة مثل/ الحمير[2]، وفي مشارق بلاد الصين بلاد [360/هـ] منها الأبنوس الجيد، من دخلها من المسلمين اختارها على أهله وولده وأقام بها، وبلاد الصين ثلاثمائة مدينة عامرة، وأطواق كلابها من الذهب الأحمر.

حُكي [أنه][3] لما فتحت مدائن كسرى بعث مقدم الجيش لعمر بن الخطاب رضي الله عنه بخمس الفيء مما وجد، فقسمه عمر رضي الله عنه بين الناس بالمدينة، فأخذ علي رضي الله عنه حصته من ذلك، ومن جملتها قطعة بساط كسرى طولها شبر في شبر فباعها علي رضي الله عنه بعشرين ألف دينار، وكان طول البساط ستون ذراعا وعرضه كذلك، وكان مفصلا بالياقوت، والدر والزبرجد وقضبان الذهب، وكان كالأرض المزروعة اليانعة النبات، وكان يفرش له في الشتاء ويشرب عليه الشراب فيقوم مقام الرياحين والأزهار وأنواع الملاهي.

حكى الواقدي[4] في أخبار فتح السند أن عبد الله بن شداد كان عاملا على السند لمعاوية وأنه غزى بلاد القنقار فأصاب منها مغانم كثيرة، وأن ملكها[5] صالحه على أداء الجزية وحمل إليه هدايا كثيرة لم ير مثلها، ومن أعجبها قطعة مرآة ذكروا أن الله تعالى أنزلها على آدم عليه السلام حين كثرت ذريته وتفرقت في البلاد، فشكا

---

(1) أ، ب، ج: معازف والأصل: أعراف وعروف.

(2) ساقطة من:هـ.

(3) زيادة من: ب.

(4) أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي (130-207هـ)، إمام عالم له التصانيف في المغازي وغيرها. انظر ترجمته في تاريخ بغداد: 3-20 ،ومعجم الأدباء 18/ 277. ووفيات الأعيان 4/ 348.

(5) أ، ب: مالكها.

إلى الله تعالى وحشته لرؤية من بَعُدَ عنه من أولاده فأنزل الله تعالى عليه/ المرآة من [490/ج] السماء، فكان ينظر فيها فيرى من بعد عنه من ذريته على الحالة التي هو عليها، فلما مات، آدم عليه السلام، أخذها مارد من المردة فغاص بها في الأرض وكسرها فلما كان أيام سليمان بن داوود، على نبينا وعليهما الصلاة والسلام، طلبها من المارد فأحضرها إليه وضم بعضها إلى بعض وكان يرى فيها من بعد عنه من رعيته في سائر البلاد على اختلاف أحوالهم. ولما مات سليمان، عليه السلام وقعت المردة عليها فأخذتها وبقي منها قطعة توارثها بنو إسرائيل، وصارت هذه القطعة في بني أمية فلما استخلف المنصور كان علمها عنده فطلبها حتى ظفر بها من جملة ما أخذ لبني أمية، ثم فقدت من خزائن بني العباس[1] والله تعالى أعلم بذلك وصحته.

حكى الخطيب[2] في ترجمته عن زيد بن أسلم[3] رضي الله عنه أن صنما كان يقال له شراحيل بالاسكندرية على البحر، مستقبلا بأصبع من أصابع يده اليمنى نحو القسطنطينية لا يدري أكان مما عمله سليمان، عليه الصلاة والسلام أو[4] عمله الاسكندر، تصاد عنده الحيتان/ وكانت تدور[5] حوله وحول الإسكندرية، وكان [405/ب] هذا الصنم طول قدمه طول قامة الرجل إذا انبطح ومد يداه[6] قال: فكتب أسامة بن زيد[7] هذا وهو عامل مصر للوليد بن عبد الملك، أن[8] عندنا بالإسكندرية

(1) هذه الحكاية لم أقف عليها.
(2) لعله الخطيب البغدادي صاحب تاريخ بغداد.
(3) زيد بن أسلم العدوي العمري أبو أسامة ويقال أبو عبد الله توفي حوالي 136هـ. انظر تهذيب التهذيب 3/ 395. والشذرات 1/ 194.
(4) ب: أم.
(5) أ، ب: تدرو.
(6) ج، هـ: يده.
(7) أظنه أراد أبو أسامة زيد بن أسلم.
(8) ساقطة من: ج.

صنها يقال له شراحيل من نحاس، وقد قَلَّتِ الفلوس علينا فإن رأى أمير المؤمنين أن ننزله ونجعله فلوسا فعلنا، وإن رأى غير ذلك فليكتب إلينا في أمره، فكتب إليه لا تنزله حتى أبعث إليك أمناء يحضرونه قال: فبعث إليه رجالا أمناء حتى أنزله فوجد عينيه ياقوتتين حمراوتين ليس لهما قيمة وضربه فلوسا. قال: فانطلقت الحيتان ولم ترجع إلى ذلك المكان[1].

حكى اليافعي[2] في حوادث سنة تسع وخمسمائة أن بعض الملوك قال له منجموه: إنه يموت في الساعة الفلانية من اليوم الفلاني من الشهر الفلاني من سنة كذا من عقرب تلذغه. فلما كان قبل الساعة المذكورة تجرد من جميع لباسه سوى ما يستر به عورته/ وركب فرسا بعد أن غسله ونظفه وسرح شعره، ودخل [361/هـ] به البحر حذرا مما ذكر له،/ فبينما هوكذلك إذ عطست فرسه فخرجت عقرب من [329/أ] أنفها فلذغته فمات، فما أغنى الحذر عن القدر شيئا[3] فسبحان القادر القاهر.

حكى بعضهم قال كنا نتردد لبعض الأولياء، نحن وجماعة من الفقراء، فقال لنا يوما: إني كوشفت بأن ثعبانا يلذغني فأموت من لذغته، وقد كشف لي عنه فهو الآن بالصعيد الأقصى/ وإني لأنظر إليه الآن، فلما كان في اليوم الثاني حضرنا [491/ج] إليه على عادتنا. فقال: قد نزل الثعبان إلى مركب، وقد انحدرت به المركب، وإني لأنظر إليه وهومنها بالمكان الفلاني، وكلما حضرنا عنده يقول: وصلت السفينة اليوم إلى البلاد الفلاني. قال: فحضرنا عنده يوما فقال: قد دخلت السفينة هذا البلد وكنت أرى بها الثعبان فلما وصلت هذه البلاد طلع منها الثعبان وغيب عني فتعجبنا من ذلك، ثم قال: لا تقوموا عني حتى تتغذوا عندي. قال: فأدخل يده في

---

(1) الحكاية. وردت في حياة الحيوان 1/ 272-273.

(2) عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، عفيف الدين مؤرخ وباحث متصوف من شافعية اليمن (698-768هـ). انظر ترجمته في الدرر الكامنة 2/ 352 شذرات الذهب 6/ 210.

(3) الحكاية وردت في مرآة الجنان وعبر اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان للشيخ اليافعي: 3/ 199. وحياة الحيوان: 138/ 2.

سلة يخرج لنا منها خبزا فلذغه الثعبان. فقال لنا: قد وصل الغريم المذكور وقضى الحاجة، فلا تذهبوا حتى تجهزوني. قال: فمات من ساعته فما برحنا حتى جهزناه ودفناه رحمه الله.

حُكي عن معروف الكرخي[1] قال: بلغنا أن ذا[2] النون المصري[3] خرج ذات يوم لغسل ثيابه، وإذا هوبعقرب قد أقبلت عليه من أعظم ما يكون من الأشياء. قال: ففزع منها فزعا شديدا واستعاذ بالله تعالى منها يكفي[4] شرها، فأقبلت حتى وافت النيل فإذا بضفضع خرج من الماء فاحتملها على ظهره وعبر بها نحو الجانب الآخر، قال ذو[5] النون: فاتزرت بمئزر ونزلت الماء ولم أزل أراقبها إلى الجانب الآخر، فصعدت وسعت وأنا أتبعها إلى أن أتت إلى شجرة [كثيرة][6] الأغصان كبيرة الظل، وإذا بغلام أمرد نائم تحتها وهومخمور، فقلت: لا حول ولا قوة إلى بالله العلي العظيم! أتت العقرب من ذلك الجانب لتقتل هذا الغلام، فبينما هي تسعى إليه إذ أقبل تنين[7] عظيم يريد قتل الغلام فالتقت العقرب بالتنين فاقتتلا فظفرت العقرب ولزمت دماغ التنين حتى قتلته ورجعت إلى النيل وعبرت على ظهر الضفضع إلى الجانب الآخر فأنشد ذوالنون رحمه الله يقول:

[المنسرح]

يا راقدا والجليل يحفظه   من كل سوء يدب في الظلم

(1) أبومحفوظ معروف بن فيروز، الكرخي، الصالح المشهور، كان أبواه نصرانيين، أسلم على يد علي بن موسى الرضا، توفي حوالي 201هـ ببغداد. (انظر ترجمته في تاريخ بغداد 13/ 199 والوفيات 5/ 231 والشذرات: 335)-.

(2) أ: ذو.

(3) سبق ذكره.

(4) ب، ج: فكفى.

(5) أ، ب: ذا.

(6) زيادة من: ج، هـ.

(7) التنين: ضرب من الحيات، من أعظمها. انظر اللسان: تنن.

[406/ب] كيف تنام العيون عن مالك يأتيك منه فوائد النعم؟[1]/

قال: فانتبه الغلام على كلام ذي النون فأخبره بذلك فتاب ونزع ثياب العصيان والكبر ومات على تلك الحالة الحسنة[2]، رحمه الله.

حُكي أن الرشيد فكر ليلة في مملكته وعظمتها فقال: هل في الدنيا الآن مثلي وهل يقاويني أحد في الدنيا؟ ثم غلبته عيناه فنام فرأى في المنام كأن قائلا يقول:

[مجزوء الكامل]

[492/ج] يا راقد الليل انتبه إن الخطوب لها سرى/
ثقة الفتى بنفسه ثقة محللة العرى[3]

فانتبه فزعا، فإذا المصابيح قد طفيت، فنادى بالفراشين فأوقدوا المصابيح فوجدوا بين ثيابه أسود سالخ[4] فقتل[5].

حكى أبو عمر بن عبد البر[6] في «كتاب[7] الأمم»، قال: أشَرفُ حُلِيِّ أهل الصين من قرن الكركدن[8] فإن قرونها إذا قطعت ظهرت منها صور عجيبة مختلفة يتخذون منها مناطق تبلغ قيمة المنطقة منها أربعة آلاف مثقال من الذهب،

(1) البيتان وردا في حياة الحيوان 2/ 138.

(2) الحكاية وردت في روضة الرياحين في حكاية الصالحين، الذي يتضمنه كتاب العرائس: 493 دون ذكر الشعر. وكذا في حياة الحيوان 2/ 138.

(3) البيتان وردا في تاريخ بغداد 10/ 188، وحياة الحيوان الكبرى1: 391.

(4) السالخ: الأسود من الحيات شديد السواد، وأقتل ما يكون منها إذا سلخت جلدها. اللسان: سلخ.

(5) الحكاية في تاريخ بغداد وهي مروية عن أكثم القاضي في المأمون العباسي انظر. الجزء 10/ 188.

(6) أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، إمام عصره في الحديث، توفي سنة 463 هـ، انظر ترجمته في الوفيات 7/ 66. وتذكرة الحفاظ، 1128. شذرات الذهب 3/ 314.

(7) العنوان الكامل للكاتب هو القصد والأمَم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم. انظر معجم المؤلفين 13/ 315.

(8) ب: الكركدان.

والذهب عندهم هين عليهم، حتى أنهم يتخذون منه لجما[1] لدوابهم وسلاسلا لكلابهم. قال: وأهل الصين بيض إلى صفرة، فطس الأنوف يبيحون الزنى، ولا ينكرون/ شيئا منه، ويورثون الأنثى أكثر من الذكر، وعند نزول الشمس إلى برج [362/هـ] الحمل لهم عيد يأكلون فيه ويشربون سبعة أيام، وأقليمهم واسع، فيه نحو ثلاثمائة مدينة، وفيه عجائب كثيرة، والأصل في ذلك أن عامور بن[2] يافث نزل بها وابتنى بها المدائن هووأولاده وعملوا فيها العجائب، وكانت مدة ملك عامور ثلاثمائة سنة[3]، ثم ملك بعده ابنه صائن[4] مائتي سنة وبه سميت الصين، فجعل ابنه تمثالا من ذهب [على سرير من ذهب][5] وعكفوا على عبادته، وفعل جميع ملوكهم ذلك، فهم على دين قوم صائن. قال ووراء الصين أمم عراة منهم أمة يلتحفون بشعورهم، وأمم لا شعر لهم، وأمم حمر الوجوه صفر الشعور، وأمم إذا طلعت عليهم الشمس دخلوا إلى المغارات، يأوون إليها إلى أن تغرب وأكثر ما يأكلون نباتا يشبه/ الكمأة[6] وسمك البحر فقط[7]. [330/أ]

حُكي أن الحارث بن صعصعة[8] كان له ندماء وكان لا يفارقهم وهو شديد المحبة إليهم وله كلب في داره فخرج في بعض متنزهاته ومعه الندماء، فتخلف واحد منهم فدخل على زوجته فأكلا وشربا واضطجعا فوثب الكلب عليهما

(1) أ: لجوما.

(2) ذكره المسعودي في مروج الذهب، انظر فقرات الجزء الأول: 21، 311، 312...وفي أخبار الزمان هو عامر بن يافث، انظر ص:71.

(3) ساقطة من: ب.

(4) في أخبار الزمان هوصاني بن عامر.

(5) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، هـ.

(6) الكمأة: واحدها كمء، وهونبات ينقص الأرض فيخرج كما يخرج الفطر. اللسان: كمأ.

(7) الحكاية وردت في «القصد والأمم».

(8) هو الحارث بن صعصعة بن طابخة بن لحيان أبوقلابة أول شعراء هذيل، انظر جمهرة أنساب العرب: 197.

فقتلهما، فلما رجع الحارث إلى منزله وجدهما قتيلين فعرف الأمر فأنشأ يقول:

[الطويل]

وما زال يرعى ذمتي ويحوطني ويحفظ عرسي والخليل يخون

فواعجبا للخِلِّ يهتك حرمتي ويا عجبا للكلب كيف يصون[1]

حُكي أن يحيى بن بكير[2] كما ذكره المسعودي، قال: كان عبد العزيز بن مروان[3] عاملا على مصر لأخيه عبد الملك، فأتاه رجل متنصح فسأله عبد العزيز عن نصيحته، فقال: بالقبة الفيلانية كنز عظيم، قال عبد العزيز: وما مصداق/ [493/ج] ذلك؟ قال: هو أن يظهر لنا بلاط من أنواع المرمر[4] والرخام عند يسير من الحفر، ثم ينتهي بنا الحفر إلى باب من نحاس، تحته عمود من الذهب، على أعلاه ديك من الذهب، عيناه ياقوتتان[5] يساويان الدنيا وما فيها، وجناحاه متضرجان بالياقوت والزمرد، برأسه صفائح الذهب على أعلا ذلك العمود، فأمر عبد العزيز بنفقة ألوف من الدنانير لأجرة من يحفر من الرجال في ذلك الوقت ومن يعمل فيه، وكان هناك تل عظيم فاحتفروا حفرة[6] عظيمة من الأرض والدلائل المتقدم ذكرها من الرخام والمرمر[7] تظهر فازداد عبد العزيز حرصا على ذلك وأوسع النفقة، وأكثر من الرجال ثم انتهوا في حفرهم/ إلى ظهور رأس الديك، فبرق عند [407/ب]

(1) البيتان وردا في «فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب» لمحمد بن خلف المحولي المتوفى عام 309 هـ، انظر ص: 59، وحياة الحيوان الكبرى2: 380 والمستطرف: 370.

(2) هو يحيى بن عبد الله بن بكير أبو زكرياء المصري المخزومي توفي سنة 231هـ. انظر تهذيب التهذيب 11/ 237. وذكره ابن حزم في جمهرته: 142.

(3) عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي والد الخليفة عمر بن عبد العزيز: توفي حوالي 85هـ انظر الكامل في التاريخ 4/ 189. وجمهرة أنساب العرب: 105

(4) هـ: المزمر.

(5) أ، ب، هـ: ياقتتان.

(6) ب، ج: حفيرة.

(7) هـ: المزمر.

ظهوره لمعان عظيم كالبرق الخاطف، لما في عينه من الياقوت وشدة نوره واتساق ضيائه، ثم بان جناحاه، ثم بان رأسه، ثم ظهر حول العمود عمود من البنيان بأنواع الحجارة والرخام وقناطر مقنطرة، وطاقات على أبواب معقودة لاحت منها تماثيل وصور وأشخاص من الذهب، وصناديق من الأحجار قد أطبقت عليها أغطيتها وشبكت، وثقل عليها بأعمدة من الذهب، فركب عبد العزيز وأشرف على الموضع ونظر إلى ما ظهر من ذلك فتعجب منه ثم ظهر درج من نحاس موصل لذلك، فتسرع بعضهم فوضع قدمه واحدة من المدرج النحاسي الذي ينتهي إلى ما هنالك، فلما استقرت قدمه على المرقاة الرابعة ظهر سيفان عظيمان عاديان عن يمين الدرجة وشمالها فالتقيا على الرجل فقطع قطعا وهوى جسمه سفلا، فلما استقر بعض جسمه على بعض الدرج اهتز العود وصفر الديك صفرة عجيبة قوية مزعجة أسمع من كان بالبعد وحرك بجناحيه فظهرت من تحته أصوات عجيبة وعمليات باللوالب والحركات ينزل ما يقع على ذلك الدرج إلى أسفل، فتهاوى من كان بالحفيرة من الرجال إلى أسفل/ تلك الحفيرة وكان فيها [363/هـ] ممن يحفر وينقل التراب ويشرف ويحوط ويأمر وينهي نحو ألف رجل فغاصت بهم الأرض وذهبوا فهلكوا جميعا فجزع عبد العزيز وقال: هذا ردم عجيب الأمر ممنوع النيل نعوذ بالله تعالى منه، وأمر جماعة من الناس فطرحوا ما أخرج هنالك من التراب على من هلك من الناس، فكان الموضع قبرا لهم، وهذا ما جرى من أمره، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1].

حُكي أنه وصف موضع على أذرع يسيرة من بعض الأهرام التي بمصر، أن فيه مطلبا عجيبا، فأخبروا محمداً الإخشيد[2]/ بذلك فأذن في حفره وأباحهم إعمال [494/ج]

(1) الحكاية وردت في مروج الذهب 2/ 80.

(2) هو محمد بن طغج، أبو بكر، جُف بن يلتكين بن فوران، الفرغاني صاحب سرير الذهب، المنعوت بالإخشيد، انظر النجوم الزاهرة 3/ 251 وشذرات الذهب: 2/ 337. وذكر المسعودي في تاريخه 2/ 80.

الحيلة[1] في استخراجه، فحفروا حفرا عظيما إلى أن انتهوا إلى أزج[2] وهو عقد عظيم و[3] حجارة مجوفة في صخر منقور، فيه تماثيل قائمة على أرجلها، من نوع الخشب، قد طلي بالأطلية المانعة من سرعة البلى وتفرق الأجزاء، والصور مختلفة منها صور شيوخ وشباب ونساء وأطفال، أعينهم من أنواع الجوهر والياقوت والزمرد والفيروزج[4] والزبرجد، ومنها ما وجوهها من ذهب وفضة، فكسر بعض التماثيل فوجد في أجوافها رمم[5] بالية وأجسام فانية، وإلى جانب كل تمثال منها نوع من الآنية كالبراني[6] وغيرها من الزمرد والرخام، وفيه نوع من الطلاء الذي طلي منه ذلك الميت الموضوع في التمثال وما بقي من الطلاء/ متروك في ذلك [313/أ] الإناء، وهو دواء مسحوق، وأخلاط معمولة لا رائحة لها، فجعل منه على النار فظهرت منه روائح طيبة مختلفة لا تعرف في نوع من أنواع الطيب، وقد جعل لكل تمثال من الخشب على صورة ما فيه من الناس على اختلاف أحوالهم ومقادير أعمارهم وتباين صورهم بإزاء كل تمثال من كل التماثيل، تمثال من الحجر المرمر والرخام الأخضر على هيئة الصنم على حسب عبادتهم للتماثيل، والصور عليها من أنواع من الكتابات لم يقف على استخراجها أحد من الناس، وزعم قوم من ذوي الدراية منهم أن لهذا القلم المكتتب به على هذه الصور منذ فقد من أرض مصر أربعة آلاف سنة ولم يقدروا على أكثر مما رأوه من التماثيل وكان ذلك في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة[7].

---

(1) أ: الجيلة.

(2) أ، ب: أدرج. والأزج: بيت يبنى طولا. اللسان: أزج.

(3) ب: من حجارة.

(4) الفيروزج: حجر كريم أزرق.

(5) الرمم: مفردها رمة ورمة: وهي قطعة من الحبل البالية: انظر اللسان: رمم.

(6) البراني: آنية واسعة الأفواه كالقوارير وتكون من الخزف. اللسان: برن.

(7) الحكاية وردت في مروج الذهب 2/ 97-98.

حكى أكثر أهل الأخبار عن منارة الإسكندرية وأهل مصر وأهل الإسكندرية يقولون: هي بناء الإسكندر ونسبت إليه، وهي بناء الملكة دنوكة[1] وقيل: بناء العاشر من فراعنة مصر، وقيل: باني رومية بناها وبنى أيضا الأهرام/ [408/ب] والإسكندرية، وأضيفت للاسكندر لشهرته واستيلائه على الأكثر من ممالك العالم، واحتج من قال: إنها ليست ببناء الإسكندر لأن[2] الإسكندر لم يطرقه عدو[3] في بر ولا بحر ولا هاب ملكا ولا أتاه ملك[4] محارب. والذي بناها جعلها على كرسي من رخام[5] على هيئة السرطان، وجعل على أعلاها تماثيل من النحاس وغيره، وفيها تمثال قد أشار بالسبابة من يده اليمنى نحو الشمس أين كانت من الفلك، وإذا علت في الفلك فأصبعه تشير إليها، وإذا انخفضت انخفضت يده سفلا، تدور معها حيث دارت، ومنها تمثال يدور بيده في البحر إذا صار العدومنه على نحومن ليلة، فإذا دنا وصار بحيث يرى بالنظر لقرب المسافة سُمع لذلك التمثال صوت هائل يسمع من ميلين/ أو ثلاثة، فيعلم أهل المدينة أن العدو قد دنا [495/ج] منهم فيرمقونه بأبصارهم، ومنها تمثال كلما مضى من الليل والنهار ساعة سمعوا له صوتا مطربا بخلاف ما صوت في الساعة التي قبلها، وقد كان ملك الروم في ولاية الوليد بن عبد الملك بن مروان هاله أمر هذه المنارة فأعمل الفكرة في هدمها فأنفذ خادما من خواص خدمه ذا رأي ودهاء، مستأمنا إلى بعض الثغور بآلة حسنة، ومعه جماعة، فحمل إلى الوليد/ وسأله عن سبب دخوله هذا البلد فأعلمه [364/هـ] أنه من خواص الملك وأنه تغير عليه بسبب كذب عليه لم يكن له أصل، فخاف

---

(1) ذكرها المسعودي باسم دلوكة العجوز، كذا في معجم البلدان: دلوكة.

(2) ج، هـ: أن.

(3) أ، ب: عذر.

(4) هـ: منك.

(5) ج، هـ: الزجاج.

وهرب منه، ورغب في الإسلام فأسلم على يد الوليد وتقرب من قلبه وتنصح إليه في دخائر ودفائن استخرجها له من بلاد الشام ودمشق وغيرها بكتب كانت معه، فيها صفات تلك الدفائن، فلما صارت إلى الوليد تلك الأموال والجواهر شرهت نفسه واستحكم طمعه فقال له الخادم: إن ها هنا أموالا وجواهر و دفائن للملوك فسأله الوليد عن الخبر فقال له: في منارة الاسكندرية أموال الأرض وذلك أن الإسكندر احتوى على الأموال والجواهر التي كانت لشداد بن عاد وملوك العرب بمصر والشام فبنى له الآزاج تحت الأرض وقنطر لها القناطير والسراديب[1] والأقباء وأودعها تلك الذخائر من العين والورق والجواهر والذخائر، وبنى المنارة فوق ذلك وكان طول المنارة في الهواء ألف ذراع والمرآة على علوها وعليها تلك التماثيل المنذرة بقرب العدو من البلد، فيستعد له الناس فلم يكن لعدوعليها سبيل. قال: فبعث الوليد مع الخادم جماعة من خواصه وثقاته فهدم نصف المنارة من أعلاها وأزال المرآة وما كان عليها من التماثيل فضج الناس من أهل الإسكندرية وغيرها وعلموا أنها مكيدة وحيلة في أمرها، فلما علم الخادم استفاضة ذلك من الناس وأنهم سينموا به إلى الوليد، وأنه بلغ ما أراده منها، هرب بالليل في مركب قد كان أعده له وواطئ قوما على ذلك، فتمت حيلته، وكان حول المنارة في البحر [مغاص][2] يوجد فيه قطع من الجواهر والمعادن، فيقال إن ذلك كان من الآلات التي اتخذها الإسكندر للشراب، فلما مات كسرتها[3] أمه ورمت بها[4] في البحر في هذا الموضع، وقد ذكر أن المغاربة لما جاؤوا لأخذ مصر، في دولة المقتدر بالله، دخلها جماعة منهم على خيولهم فتاهوا فيها، وفقد منهم خلق

(1) السراديب: وأحدها سرداب وهوخباء تحت الأرض، اللسان: سردب.

(2) زيادة من: ب، ج، هـ. والمغاص: المكان الذي يغاص فيه. اللسان: غوص.

(3) أ، ب: كسرته.

(4) أ، ب:به.

كثير، وفيه طرق تؤول إلى مهاو تهوى إلى السرطان الزجاج[1] وفيها مخاريق إلى البحر، وهي من عجائب/ البلدان. [496/ج]

حُكي أن ببلاد الهند نوع من الحيوان/ يسمى بالزبرق[2] وهي دابة أصغر [332/أ] من الفهد أحمر، ذو زغب وعينين براقتين، عجيب المنظر، سريع الوثب، يثب[3] كالبرق أو السهم السريع من الرامي المجيد فتبلغ وثبته الخمسين أو الأربعين ذراعا وأكثر من ذلك،/ وإذا رأى الفيل رشش عليه بذنبه من بوله فيحرقه ويهلك من [409/ب] ساعته، إذا ظفر بالإنسان أهلكه، وبالهند من إذا أشرف عليه هذا الحيوان تعلق بشجر الساج وهو أكبر ما يكون من الشجر وأعظم، وهو أطول من النخل طول الشجرة كالمنارة الطويلة تظل الشجرة منه الخلق الكثير من الناس وغيرهم من الحيوان، فإذا تعلق وعجز عن إدراكه لطئ بالارض ووثب علوا إلى أعلا الشجرة فإن ظفر به أهلكه وإلا بال على ذنبه ورشه علوا فما أصابه من الشجرة أحرقه، وإذا أصاب الإنسان أو غيره من الحيوان أتلفه، وإن لم يظفر بشيء غضب ووضع رأسه بالأرض وصاح صياحا عجيبا مزعجا مهولا فيخرج من فمه قطع دم فيموت من ساعته، وملوك الهند يدخرون في خزائنهم مرارة هذا الحيوان ومذاكير هذه الدابة ومواضع من أعضائها معروفة فهي السم القاتل من ساعته، ويسقى به السلاح فيقتل جرحه من فوره.

حكى العلامة ابن النجار[4] في الذيل على تاريخ بغداد عن القاضي عبد

---

(1) لم أقف عليه.

(2) لم أقف عليه.

(3) ساقطة من: ج.

(4) هو محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن، أبو عبد الله، مؤرخ، حافظ للحديث، من أهل بغداد (578-643هـ). (انظر معجم الأدباء 19/ 49، فوات الوفيات 4/ 36 وشذرات الذهب 5/ 226.

الوهاب[1] أنه قال: زوجت، في أيام عضد الدولة، بعض غلمانه الأتراك صبية في جوارنا، وكان لها ولوالدتها أنس بجوارنا، وكانت من الموصوفات بالجمال والستروالعفاف، ومضت بعد ذلك سنتان، وحضر إلي الغلام التركي فقال: يا سيدي! هذه المرأة التي زوجتني بها[2] قد ولدت مني ابنا/ وما أشك شيئا من أمرها ولا أنكره، غير أنها ما أرتني[3] ولدي منذ ولدته كلما طالبتها به دافعتني عنه، وأريد أن تستدعيها وتسألها عن ذلك. قال[4]: فاستدعيت والدتها فحضرت وخاطبتها من وراء الستر على ما قاله زوج ابنتها، فأسرت إلي وقالت: [يا سيدي!][5] صدق فيما حكاه، وإنما دفعناه عن هذا لأنا قد بلينا ببلية قبيحة، وهي أن زوجته ولدت منه ولدا أبلق من رأسه إلى سرته، وبقية بدنه أسود. قال: فسمع التركي قولها: أبلق، فصاح: ابني! ابني! هكذا كان جدي ببلاد الترك، وقد رضيت ففرحت المرأة بقوله وقبوله، وانصرفت وأحضرت الولد فسر به[6]. [365/هـ]

حُكي أنه كان على شاطئ الفرات حصن عظيم كالمدينة وكان ملكه يدعى ساطرون[7] جد النعمان بن المنذر فنزل عليه سابور[8] فحاصره مدة/ طويلة فأشرفت يوما بنت ساطور[9] فنظرت إلى سابور عليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من الذهب المكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ، وكان جميلا فدست عليه: [497/ج]

(1) هو عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الوهاب بن جبلة، أبو الفتح، انظر فهارس ذيول تاريخ بغداد: 106.

(2) زيادة: ب، ج، هـ.

(3) ب: راتني.

(4) هـ: قالت.

(5) زيادة من: ج.

(6) الحكاية وردت في كتاب الحيوان 1/ 34.

(7) ساطرون بن أسيطرون ملك السريانيين في رستات، يقال له أياجر، من بلاد الموصل. انظر مروج الذهب 2/ 402.

(8) لعله سابور بن أردشير أول ملوك الفرس الساسانيين، ذكره المسعودي في تاريخه 2/ 403.

(9) في مروج الذهب: هي النضيرة بنت الضيزن. انظر ج 2/ 403.

أتزوجني إن فتحت لك باب الحصن؟ فقال: نعم. فلما أمسى أبوها ساطرون شرب حتى سكر، وكان لا يبيت إلا سكرانا فأخذت مفاتيح الحصن من تحت رأسه فبعثت بها إلى سابور مع مولى لها، ففتح الأبواب ودخل سابور، فقتل ساطرون المذكور، واستباح الحصن وخربه وسار بها معه فتزوجها. فبينما هي نائمة على فراشها ليلا إذ جعلت تتململ فدعا لها بالشمع ففتش فراشها فوجد فيه ورقة آس، فقال لها سابور: أهذا الذي أسهرك؟ قالت: نعم. قال: فما كان أبوك يصنع بك؟ قالت: كان يفرش لي الديباج ويلبسني الحرير ويطعمني المخ، ويسقيني الراح. قال: أفكان جزاؤك لأبيك ما صنعت به؟ أنت بذلك وإلي أسرع، ثم أمر بها فربطت بشعرها في ذنب فرس، ثم ضربت الفرس حتى قتلتها[1].

حكى أبو سعيد بن الحسين[2] قال: دخلت على المعتضد فرأيت بين يديه سفطا مبطنا بالحرير وفيه جوهر قد نظم سبحا، فرأيت منظرا عظيما، فوقع/ في نفسي [410/ب] أن عدد السبح تجاوز العشرين، فقلت: جعلني الله فداءك، ما عدد ما في كل سبحة؟ قال: مائة حبة، وأن كل حبة كوزن صاحبتها لا تزيد حبة ولا تنقص حبة، قد عدلت كل سبحة على وزن واحد، مختومة كل سبحة منها بياقوتة خضراء، وكل واحدة قيمتها أكثر مما[3] تحتها، وبين يديه سبائك[4] ذهب توزن كما يوزن الحطب[5]./ [333/أ]

---

(1) الحكاية وردت في مروج الذهب: 2/ 402-404 مع اختلاف الرواية.

(2) أظنه أحمد بن الحسين، أبو سعيد البرذعي، عالم من العلماء، وشيخ الحنفية ببغداد توفي سنة 317هـ. (الشذرات 2/ 275). وفي مروج الذهب هو أحمد بن الحسين بن منقذ من أصدقاء ابن الجصاص. ولم أعثر في أبناء منقذ عمن اسمه أحمد بن الحسين.

(3) أ: ما.

(4) السبائك: مفردها سبيكة، وهي القطعة المذوبة من الذهب والمفرغة في المسبكة. اللسان: سبك.

(5) الحكاية وردت في مروج الذهب 5/ 140. بنفس الرواية ما عدا «دخلت على المعتضد» في المروج «دخلت على ابن الجصاص».

حُكي أن في أيام المعتضد وردت عليه هدايا من قبل عمرو بن الليث بن الصفار[1] منها مائة دابة من مهاري خراسان وصناديق كثيرة وأربعة آلاف ألف[2] درهم، وصنم من صفر على مثال امرأة عليها وشاحان من فضة مرصعان من جوهر وياقوت[3] أحمر[4] وتاج من ذهب، وبين يدي التمثال أصنام صغار لها أيد ووجوه وعليها اليواقيت والجواهر، وكان هذا التمثال عجل، عمل على عجل، قد عمل على مقداره فأرسل المعتضد التمثال إلى دار الشرطة لينظره الناس، فاشتغل به الناس عن أشغالهم فسماه العامة شغلا لأجل ذلك، ثم رد إلى دار المعتضد، وهذا الصنم ظفر به عمرو بن الصفار من مدن افتتحها من بلاد الهند[5].

حكى ابن العديم في تاريخه[6] مسندا إلى علي بن عبد الله الرياشي[7] الرقي[8] أنه قال: رأيت في بعض قرى الهند وردة كبيرة طيبة الرائحة/ سوداء، عليها مكتوب [498/ج] بخط أبيض: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق. قال: فشككت في ذلك وقلت: إنه معمول، فعمدت إلى ورقة منها لم تفتح ففتحتها

---

(1) عمرو بن الليث، الصفار، ثاني أمراء الدولة الصفارية. أقره المعتمد على أعمال أخيه يعقوب بن الليث، وبعد مضي ست سنوات عزله فامتنع. توفي سنة 289هـ. انظر المنتظم 6/ 17.

(2) ساقطة من: ب، ج.

(3) ج، هـ: بالياقوت.

(4) ج، هـ: الأحمر.

(5) وردت حكاية الهدية في مروج الذهب 5/ 142. وفي الكامل بدون تفصيل، في حوادث سنة 286هـ. وكذا في المنتظم في حوادث السنة نفسها. انظر 6/ 1 18/ 7.

(6) عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (588-660هـ) وسنة الولادة والوفاة من الأعلام للزركلي 5/ 40. كان محدثا حافظا مؤرخا صادقا فقيها مفتيا، من مؤلفاته «بغية الطلب في تاريخ حلب» ومختصره «زبدة الحلب في تاريخ حلب»... انظر فوات الوفيات 3/ 126. والأعلام للزركلي 5/ 40-41.

(7) أظنه أراد به العباس بن الفرج بن علي بن عبد الله الرياشي البصري أبو الفضل، لغوي راوية وعارف بأيام العرب توفي سنة 257هـ. انظر الوفيات 3/ 27. تهذيب التهذيب 5/ 124

(8) الرقي: نسبة إلى الرقة وهي مدينة مشهورة على الفرات. معجم البلدان: رقة.

فكان فيها مثل ذلك. وفي البلد منه شيء كثير، وأهل تلك القرية يعبدون الحجارة لا يعرفون الله عز وجل[1].

قلت: قال الشيخ عبد الله اليافعي[2] في كتابه «روض الرياحين»[3]، قال بعض الشيوخ: دخلت/ بلاد الهند فرأيت في مدينة منها شجرا يحمل ثمرا يشبه الموز، [366/هـ] وله قشران إذا كسر خرجت منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة: لا إله إلا الله، وهم يتبركون بها ويستشفون بها[4] ويستسقون بها إذا منعوا الغيث ويتضرعون عندها، فحدثت بهذا الحديث أبا يعقوب الصياد فقال: ما استعظم هذا: كنت أصطاد على نهر الأبلة[5] فاصطدت سمكة مكتوب على جنبها الأيمن: «لا إله إلا الله» وعلى جنبها الأيسر: «محمد رسول الله»، فلما رأيتها قذفتها في الماء احتراما لما عليها[6].

حُكي أنه وقف نحوي على قصاب[7] فقال له: هذا اللحم من الضأن الفتي أم من الماعز الثني؟ فقال: هو من جيد الضأن، فقال النحوي: ذبحته لغرض أم لمرض؟ فقال: ذبحته لأكتسب أنا وعيالي منه. فقال النحوي: أفكان ذكرا ذا خصيتين[8] أم

(1) الحكاية لم أقف عليها.

(2) انظر الهامش 104 من الباب نفسه.

(3) روضة الرياحين في حكايات الصالحين، الملقب بنزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواضر». انظر معجم المطبوعات ليوسف سركيس 2/ 1955

(4) ما بين معقوفين ساقط من: ج، هـ.

(5) الأبلة: بضم الهمزة والباء، واللام المشددة. مدينة بالعراق، والنهر في شمالها. (راجع الروض المعطار للحميري: 3

(6) القول لم أقف عليه.

(7) القصاب: الجزار وحرفته القصابة. اللسان: قصب.

(8) ب، ج: خصيين.

أنثى ذات[1] حلمتين[2]؟ قال[3]: كان ذكرا ينطح الحائط يرميه، أو الحجر يدميه، فقال: أو كان يمج الماء بشدقيه أم يمصه بشفتيه؟ قال: كان يدلي زلومته في الماء ويشرب حتى يشبع. قال: أو كان مرعاه الشيح والغبيران[4] أم العصفر والريحان؟ قال: كان يرعى من النبات أي شيء كان. قال: أسننت شفرتك -وقيل مديتك-؟ قال: جعلتها لو نزلت على رقبتك لقطعتها. قال: أفبدأت بالبسملة وأظهرت الحمدلة التي على وزن فَعللة -وقيل فُعللة والصحيح الأول-. فقال القصاب: اذهب عنا فقد قطعت في هذا اليوم رزقنا.

حكى المقريزي[5] أن محمد بن إسحاق بن محمد قاضي مدينة مقدسرة[6] ووصفه بالعلم مع العبادة والنسك، وأنه لقيه بمكة في سنة تسع وثمانمائة وقال: [411/ب] إن القردة غلبت على مدينة مقدسرة من نحو سنة ثمانمائة/ وضايقت الناس في مساكنهم وأسواقهم، وصارت تأخذ الطعام من الأواني وغيرها، وتهجم الدور على أهلها، وتأخذ ما تجد من آنية حتى أن صاحب تلك الدار يتبع القرد ويتلطف به في رد الإناء فيرده بعد ما أكل ما فيه، وإذا وجد امرأة منفردة وطئها قال: ومن عادة ملكها[7]، أن أرباب دولته يقفون تحت قصره، فإذا تكاملوا فتحت طاقة [499/ج] فيقبلوا الأرض له،/ ثم يرفعون رؤوسهم فيجدون الملك قد أشرف عليهم من

---

(1) هـ: ذا.

(2) أ، هـ: حلبتين.

(3) الحلمة. رأس الثدي وهما حلمتان. اللسان: حلم. والخصيتان والخصيان: من أعضاء التناسل وهم البيضتان تكون في الفحل، في الناس والدواب والغنم. اللسان: خصي.

(4) أظنه أراد الغبيراء، وهو نبات سهلي، قيل إن الغبراء ثمرته. انظر اللسان: غبر. والعصفر: نبات بأرض العرب. اللسان: عصفر.

(5) أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس، تقي الدين المقريزي: مؤرخ الديار المصرية (766-845هـ).

(6) لم أقف عليها.

(7) هـ: مالكها.

تلك الطاقة فيأمر وينهى، فلما كان في بعض الأيام[1] كان المشرف[2] عليهم قردا غير ذاك[3]. قال: والقردة طوائف بعد طوائف، كل طائفة لها كبير يقدمها، وهي تابعة له في جميع ما يأمرها به، طائعة له. قال: فكان أهل البلد يرون ذلك عقوبة من الله تعالى لهم[4].

حُكي أن الجراد كثر بأعمال دمشق في سنة ستة وستين وسبعمائة وأضر بمزارعها فبعث الأمير نائب الشام لإحضار ماء السمرمر[5] فقدم البريد به في ذي القعدة من ناحية المشرق في قماقم[6] فيها هذا الماء وهوماء عين هناك ومن خاصيته أن يتبعه طائر يسمى السمرمر في قدر/ الزرزور ولونه، وفيه ريش أصفر فأكل جميع [334/أ] ما كان من الجراد هناك، حتى لم يبق منه شيء، وأقامت قماقم الماء معلقة بتلك الأماكن إلى أن جف ما فيها والطير موجود.

حكى القزويني[7] قال: في سنة سبع وسبعين وسبعمائة عرضت رسل صاحب القسطنطينة بهدية فيها صندوق عمل بحركات هندسية، فإذا مضت ساعة من الليل أوالنهار خرجت منه تماثيل بني آدم وضربت بصنوج بأيديها، وأنواع من الآلات والملاهي، وإذا مضت درجة سقطت تنذره.

حُكي أنه في سنة اثنين وتسعين وأربعمائة أخذت الفرنج بيت المقدس ضحى

(1) ب: أيام.

(2) أ، ب:أشرف.

(3) أ، ب: ذلك.

(4) لم أقف عليها.

(5) السمرمر: نوع من الزرازير أحمر الجسد عدا الرأس والجناحين فهي سود، يفتك بالجراد. هامش اللسان: سمرمر.

(6) القماقم: مفردها قمقم وهي الجرة، وقيل هي ما يسقى به من نحاس. اللسان: قمم.

(7) سبق ذكره.

يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان، وكانوا نحو ألف ألف مقاتل قال ابن الجوزي: وأخذوا من حول الصخرة اثنين وأربعين قنديلا من فضة، زنة كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة مثقال، وتنورا من فضة زنته أربعون رطلا بالشامي، وثلاثة وعشرين قنديلا من ذهب، وذهب الناس على/ وجوههم هاربين من الشام إلى العراق[1] فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. [367/هـ]

حُكي أنه في سنة تسع وسبعين[2] وأربعمائة ظهر ببرية[3] واسط رجل يقطع الطريق وهو مقطوع اليد اليسرى وكان يفتح القفل[4] في أسرع لحظة ويقطع مسافة دجلة في غوصتين، ويقفز القفزة[5] نحو خمسة وعشرين ذراعا ويتسلق الحيطان المكلسة ولا يقدر عليه أحد، ولم يزل على ذلك حتى خرج من العراق سالما[6].

حكى ابن الجوزي قال: في سنة إحدى وخمسمائة ظهرت امرأة عمياء تتكلم على أسرار الناس، وبالغ الناس في الحيل ليعلموا حالها فلم يقدروا، قال ابن الجوزي: وأشكل أمرها على العلماء والخواص من العوام حتى أنها كانت تسأل عن نقوش الخواتم وألوان الفصوص المختلفة والخرز، ووضع بعضهم يده على ذكره فقيل لها: ما الذي في يده؟ فقالت: يحمله إلى أهله وعياله[7]./ [500/ج]

حكى ابن خلكان قال: مات أبو القاسم محمد ملك القان شاه[8] بن أمير الجيوش فوجد عنده من الذهب العين/ ستمائة ألف ألف دينار ومن الدراهم مائتان [412/ب]

(1) الحكاية في المنتظم 9/ 108 مع اختلاف في قليل من الروايتين.

(2) أ، ب، هـ: وأربعين.

(3) أ، ب: سرية.

(4) أ: القفلة.

(5) أ: القفز.

(6) الحكاية وردت في المنتظم مع شيء من الاختلاف في الروايتين.

(7) الحكاية في المرجع السابق. 9/ 157

(8) الصواب هو: شاهنشاه الملقب بالملك الأفضل ابن أمير الجيوش. انظر الوفيات 2/ 428.

وخمسون أردبا وسبعون ألف ديباج أطلس، وثلاثون راحلة قماش، وأحقاق من ذهب عراقي، ودواة من ذهب فيها جواهر تساوي مائتي ألف دينار، ومائة مسمار ذهبا، وزن كل واحد مائة مثقال، وخمسمائة صندوق. وخلف من الرقيق والخيل والبغال والمراكب والحلي والطيب مالا يعلم قدره إلا الله تعالى، وخلف من البقر الجواميس ما يستحيى من ذكره، وبيع ضمان ألبانها في السنة بثلاثين ألف دينار، وترك صندوقين كبيرين فيهما أير ذهب برسم النساء[1] والله سبحانه وتعالى أعلم.

حكى المؤلف قال: كنت أتعجب من حكاية حكاها لي والدي محمد بن محمد بن يحيى ابن الخلطة المالكي وهي: أني سقطت في بئر سانية مقبية بزاوية برأس حائط زويلة، في سنة سبع وعشرين وثمانمائة، وكان سني إذ ذاك نحوا من ثلاث سنين، فمكثت في البئر بين مياهها غارقا لا يبصرني أحد، ولا يصادفني من نزل في البئر من الغطاسين الذين غطسوا حتى يطلعوا بي من قرار البئر، من قبل العصر إلى بعد الغروب إلى أن أحس بي عبد لشخص يقال له: القزويني، وكان ساكنا بالخطة، فطلع بي كالزق المملوء، والحمد لله على السلامة، إلى أن سافرت إلى جهة ثغر الإسكندرية بالبحر، فشاهدت غريقا فتجاذبت أنا وبعض الرفقة أطراف الأحاديث المتعلقة بالغرقى[2] فحكى لي الصاحب عز الدين أحد أعيان الموقعين المعروف بالتقوى، مسندا عن شخص يسمى، الشيخ أبا حسين علي الهواشي أحد مشايخ العربان بالزبيريات[3] أنه شاهد سمكة مقلوبة بالنيل فجذبها الناس إلى الشاطئ فوجدوا[4] في فمها سنارة فجذبوها[5] فإذا بشعرها قصبة فجذبوا القصبة

---

(1) الحكاية وردت في الوفيات 2/ 451.

(2) هـ: بالغرق.

(3) لعله أراد الزبيرتان وهما ماءتان لطهية. انظر معجم البلدان: الزبيرتان.

(4) أ، ب، هـ: فوجد.

(5) ج: فذبحوها.

فإذا بها مفتلة فألفوا بآخرها كف شخص غريق قابض على القصبة فطلعوا[1] به وهيئوا له كفنا وأرادوا أن يغسلوه فإذا به قد تحرك فرجعوا عن ذلك، ثم أنشقوه الخل الحاذق[2]/ فأفاق وسأل عن المكان فقالوا: إنك بالزبيريات، ثم سأل عن اسم اليوم. فقالوا له: الخميس فقال: لا إله إلا الله الملك القادر على كل شيء، فاستخبروه عن حاله، فحكى أنه كان في يوم الإثنين بطراوة العدوية[3] برسم الصيد، وإذا سمكة جذبتني بالسنارة فقويت عليها بالمسك والجذب ثم قويت علي، ومن هنا لا أعلم ما وراء ذلك، فسبحان الله المحيي المميت، لا إله إلا هو، فصارت الواقعة الأولى أقل عجبا من الثانية. انتهى./ [335/أ] [501/ج]

(1) ب: فاطلعوا.

(2) الحاذق: الخبيث الحموضة. اللسان: حذق.

(3) العدوية: قرية ذات بساتين قرب مصر على شاطئ شرقي النيل، تلقاء الصعيد. معجم البلدان: العدوية.

الباب الثلاثون

في ذكر صنائع فائقة ومصانع رائقة

حُكي/ أن وليمة الرشيد عند دخوله بابنة عمه، زبيدة[1] بنت جعفر بن أبي [368/هـ] جعفر المنصور، كانت من الغرائب، قال أحمد بن عامر بن أبي طاهر[2]/ صاحب [413/ب] تاريخ بغداد: لما زوج المهدي زبيدة من ابنه هارون[3]، استعد لها بها[4] لم يستعد به أحد قبله، من الآلات والفرش والمتاع والثياب والطيب والجواهر[5] والخدم والوصائف، وعمل لها درع در، لم يقف المقومون له على قيمة، يقال إنه الدرع الذي كان لعبدة[6] ابنة عبد الله بن يزيد بن معاوية، امرأة هشام بن عبد الملك، ودخل بها في المحرم سنة خمس وستين ومائة في قصر الخلد[7]، وحشد لهذه الوليمة الناس من الآفاق، وفرق على الناس الفرش والأموال ما لم يتوهم أن بيوت الأموال تحويه، وكانت أواني الذهب تملأ بالدراهم والفضة، وأواني الفضة تملأ بالدنانير، ويدفع ذلك لوجوه الناس إلى ما يتبع ذلك من نوافح المسك وقطع العنبر، ويخلع عليهم خلع الوشي. قال: ويقال: إن العود القماري والعود الهندي في هذه الوليمة لما امتحنا جميعا فوجد الهندي أطيبهما وأبقاهما في الثياب. قال: ونظمت الشعراء في

---

(1) سبق ذكرها.

(2) أحمد بن عامر بن أبي طاهر هو أول من صنف تاريخا لبغداد، ثم تلاه الخطيب البغدادي، انظر كشف الظنون 1/ 288.

(3) ج: واستعد.

(4) أ، ب: ما.

(5) ج، هـ: الجوهر.

(6) هي عبدة المذبوحة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية. انظر جمهرة أنساب العرب: 92.

(7) سبق ذكرها.

هذه الوليمة، وكتب المهدي إلى سائر البلاد تحضرها، قال أبو ياسر وبلغت النفقة من بيت المال خاصة سوى ما أنفقه الرشيد من ماله خمسين ألف ألف دينار والله تعالى أعلم.

حُكي عن وليمة بوران واسمها خديجة بنت الحسن بن سهل أنها كانت تقارب تلك الوليمة، وذلك لما أعرس بها المأمون فعل الحسن في تلك الوليمة ما لا يفعله ملك في جاهلية ولا إسلام، نثر على الهاشميين والكُتَّاب والقواد بنادق مسك، فيها رقاع بأسماء ضياع، وأسماء جواري، وتعيين صلات وغير ذلك من كل شيء نفيس، فكان إذا وقع شيء من ذلك في يد من نثر عليه فتحه وتوجه إلى الجهبذ[1] فاستوفى قبض ما فيه، ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافح المسك وقطع العنبر، وأقام الحسن بالنفقات لجميع ما اشتمل عليه عسكر المأمون، لكل رجل على قدره، فيقال إن العسكر اشتمل يومئذ على ستة وثلاثين ألفا[2] ملاح سوى أهل العسكر من سائر الناس، وقال أبو الفرج ياسر[3] البغدادي حاكيا عن الحسن بن رجاء[4]: إن الملاحين كانوا يومئذ نيفا[5] وسبعين ألف ملاح. قال أبوالحسن: ولما حليت[6] بوران فرش لها حصير من ذهب وجيء بإناء عظيم من ذهب/ مملوء درا فنثر على الحصير، وكان فيمن حضر زبيدة وحمدونة بنت الرشيد [502/ج] وغيرهما من بنات الخلفاء، فلم تلتقط واحدة منهن شيئا من الدر. فقال لهن

(1) الجهبذ: كاتب مختص بتحصيل الأموال وكتابة الإيصالات وتدوينها في السجلات، انظر حاشية اللسان: جهبذ.

(2) هـ: آلاف.

(3) أ: فاسر.

(4) الحسن بن رجاء: في فهرس مروج الذهب، أنه الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك، أبوعلي كاتب عباسي، وذكره ابن النديم في الفهرست: 166، وكذا في الوفيات 2/ 167.

(5) أ، ب:: نيف.

(6) أ، ب: هـ: جليت.

المأمون: أكرمنها بالتقاطكن فأخذت كل واحدة واحدة وبقي الدر ظاهرا على الحصير الذهبي. فقال المأمون: قاتل الله الحسن بن هاني يعني أبا نواس كأنه كان حاضرا حيث قال:

[البسيط]

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها حصباء در على أرض من الذهب[1]

قال: أبو ياسر وأوقد في تلك الليلة شمعة عنبر وزنها ثمانون رطلا، فأنكر المأمون ذلك، وقال: هذا إسراف، فأمرت زبيدة برفعها وجاءوا بالشمع المستعمل. قال: وسأل المأمون زبيدة عن تقدير مقدار النفقة في هذه الوليمة فقالت: ما بين خمسة وثلاثين ألف ألف دينار. وسبعة وثلاثين ألف ألف دينار، فبلغ ذلك الحسن بن سهل فقال: يالله العجب!/ كأن النفقة كانت على يدها، والله لقد حضرتها فكانت [336/أ] ثمانية وثلاثين ألف ألف دينار، قال وأقامت البغال، وعدتها أربعة آلاف بغل تنقل الحطب قبل الوليمة بأربعة أشهر، وفي أثناء/ الوليمة أعوزهم الحطب فكانوا [414/ب] يوقدون بالكتان عوضا عن الحطب، كذا ذكره/ أبو ياسر في تاريخ بغداد[2]. [369/هـ]

حكى الهيثم بن عدي[3] قال: لما زوج الحجاج ابنه محمد قال: لأصنعن في عرسه طعاما لم يعمل أحد مثله، لا قبله ولا بعده، فقيل له: لو بعثت إلى من أدرك كسرى أنو شروان فيصف لك ما عمل في بعض أيامه لتعمل على رسمه، فإن معهم المعرفة والسياسة، فأرسل إلى شيخ ممن أدرك كسرى وقال له: صف لي أطيب الطعام عمله كسرى وأكثره وأشهره. فقال: نعم، لما أراد كسرى أن يزوج

---

(1) لم يرد في الديوان، وورد في العقد 7/ 83 وشرح ديوان المتنبي للعكبري 4/ 274 ونهاية الأرب 4/ 117 وخزانة الأدب8/ 315، ومجمع الأمثال 1: 78، وصبح الأعشى 1: 218.

(2) انظر الحكاية في ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: 166، ط القاهرة.

(3) سبق ذكره.

ابنه فلان، بعث إلى عماله في ممالكه كلها. فأشخص من كل بلد عامله وكاتبه مع رجلين من وجه البلد، فاجتمع عنده منهم أربعة آلاف، فبسط لهم بسط الديباج المنسوجة بالذهب[1] عليها وسائدها منها، ثم أتوا بأخاوين الفضة، عليها صحائف الذهب فيها من غريب[2] الطعام، فإذا فرغ كل رجل من طعامه أعطي مثقال مسك لغسل يده أو[3] يصنع به ما يشاء، فصنع بهم ذلك ثلاثة أيام، ثم قسمت بينهم الفرش التي كان فرشها لهم والآنية، وأعطيت لهم الجوائز وردهم إلى بلدهم، فقال الحجاج: أفسد علينا هذا العلج ما أردناه[4].

حُكي أن أحمد بن طولون صاحب مصر، لما زوج ابنته للمعتضد بالله صير معها كل طرفة[5] غريبة وملحة عجيبة، وكان مما صيره معها عقد جوهر مشتراه ثمانون ألف ألف دينار، ومائة هاون[6] ذهبا وفضة، وأمر أن يبنى لها/ في كل [503/ج] مرحلة منظرة[7] تنزل فيها من مدينة مصر إلى مدينة بغداد، وفيها كل ما يحتاج إليه، وصيرت إليه قهرمانتيها[8]: إنا نسينا التكك[9] فصير إليها أثنى عشر ألف تكة أقل تكة فيها بمائة دينار. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

حُكي أنه لما تزوج عمر بن عبد العزيز بابنة عمه فاطمة بنت عبد الملك بن مروان أنفق على عرسها ما لا يحصى، وذبح من البقر والغنم ما لا يدخل تحت

(1) هـ: من الذهب.

(2) ج، هـ: غرائب.

(3) ساقطة من: ب، ج، هـ.

(4) انظر الحكاية في التذكرة الحمدونية 8/ 96.

(5) أظنه أراد بالطرفة: العطاء. وهي اسم لما يعطى. يقال: أطرفت فلانا شيئا أي أعطيته شيئا لم يملك مثله. وقد يراد به الطريق من المال والاسم، انظر اللسان: طرف، اللسان: أطرف.

(6) لعل الصواب هو هاوون وهو الذي يدق به. اللسان: هون.

(7) المنظرة: موضع الربيئة، المرقبة. اللسان: نظر.

(8) سبق شرح القهرمان فيما سبق.

(9) التكك: واحدتها التكة. وهي رباط السراويل. انظر اللسان: تكك.

حصر، وأوقد من الشمع ما جعل الليل نهارا، وأوقد في جميع المسارج الغالية[1] فكان جملة ما أسرج تلك الليلة من الغالية نحوعشرين ألف دينار.

حُكي أن الرشيد عرض له ناسور[2] فوصف له الطبيب شرب دواء في مكان نزه، وكان محمد بن خالد ويقال يحيى بن خالد حاضرا، فقال له: عندي مكان يصلح لذلك، وكان له دار لم يكن في بغداد لها نظير. فقال لجارية أبيه دنانير: تولي خدمة أمير المؤمنين وافعلي كل ما يحتاج إليه، ففعلت ذلك، فكان مما صنعته أن أخذت أربعة آلاف مثقال من المسك الخالص فسحقته وطلت به جميع الحيطان والسقف والأرض والفرش والآنية، ثم عمدت إلى ثمانية آلاف مثقال من الصندل الخالص فسحقته بماء الورد وطلت به الأشجار والأزهار فكانت عين الرشيد ويده لا يقعان إلا على طيب، فجاءت جملة النفقة على الرشيد في ذلك اليوم ستة عشر ألف دينار.

حُكي أن خمارويه[3] ابن أحمد بن طولون صنع بمصر بستانا لم يكن في الدنيا له نظير، غرس فيه سائر الأشجار وسائر الرياحين، ونقل إليه النخيل المثمر، وجعلها صفوفا متساوية، بحيث ينال القائم ما يحتاج إليه من ثمرها بيده، وكساها النحاس الأصفر، وجعل بين النخلة والنخلة ميازيب[4] رصاص وسيق إليها[5] الماء، ورخم أرضه بالرخام الملون [وأحضر][6] من سائر الأقطار[7] من الأشجار

---

(1) الغالية: نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن. انظر اللسان غلا.

(2) ناسور: علة تحدث في مآقي العين، يسقي فلا ينقطع، اللسان: نسر.

(3) أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون توفي سنة 282هـ. انظر ترجمته في الوفيات2/ 249. والبداية والنهاية.

(4) هـ: ميزاب.

(5) أ، ب: إليه.

(6) زيادة من:هـ.

(7) أ: ومن.

[415/ب] كل شيء غريب، ومن صنوف/ الرياحين كذلك، وزرع الزعفران والورد الأحمر والأصفر والأزرق والأسود وجميع الأصناف الغريبة من الهند والسند واليمن والشام والعجم والمغرب، ومن سائر بلاد مصر وغيرها،

وجمع أصناف الطيور على اختلاف لغاتها وألوانها، وجعلها في موضع من [370/هـ] البستان ومن فوقها شبكة إبريسم، وصنع بيتا من الذهب الذي/ لا يُرى مثله، وصور فيه صورته وصور خواصه بأبدع تصوير بالذهب واللازورد[1] وفي [337/أ] وسطه/ بركة مربعة ملئانة زنبقا[2]، وكان يفرش عليه جلد منفوخ ويجلس عليه، [504/ج] وصنع قبة عظيمة بديعة الصنعة غريبة الشكل، عالية البناء، وزينها بأحسن/ زينة وفرشها بأحسن فرش، وكان راتب مطبخه في كل شهر ثلاثة وعشرين ألف دينار، وكان موكبه مهيبا، وكان يمشي بين يديه ألف عبد أسود، كلهم يلبس السواد، على رؤوسهم الخود الفولاذ كالمرآةالمصقولة.

حُكي أن الوزير محمد بن علي المارداني[3] كان كثير الخير والمعروف والصدقة والبر والإحسان، حبس على مكة المشرفة والمدينة المنورة ضياعا كثيرة ارتفاعها في كل سنة نحومائة ألف دينار، من ذلك بركة الحبش وكورة[4] أسيوط وبساتين الوزير[5] وحبس بالشام عدة أماكن، وكتب بذلك كتبا فقرئت عليه بحضرة القاضي والشهود، فلما فرغوا كتب على الكتاب بخطه: من غَيَّر شيئا من ذلك فرسول الله ﷺ خصمه وحجيجه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

---

(1) اللازورد: معدن شهير، أجود أنواعه الشفاف الصافي.

(2) الزنبق: دهن الياسمين. اللسان: زبق.

(3) لعله محمد بن علي بن أحمد بن رستم أبو بكر الماذرائي وليس المارداني كما في جميع النسخ، الكاتب، كان وزيرا لأبي الجيش خمارويه به أحمد بن طولون توفي سنة 345هـ. انظر تاريخ بغداد 3/ 79. البداية والنهاية 11/ 231.

(4) قرية فيها عدة مساكن وبساتين كثيرة، مشرفة على النيل خلف القرافة. معجم البلدان 1/ 401.

(5) هذه البساتين في الجهة القبلية من بركة الحبش. انظر خطط المقريزي 1/ 53.

وعمل بذلك نسخا وترك عنده نسخة واحدة وجعل في جامع مصر كذلك وجامع دمشق كذلك وفي الحرمين الشريفين كذلك، رحمه الله.

حُكي أن أحمد بن طولون كانت نفقته على الجامع المعروف الآن [به][1] بمصر مائة ألف وعشرين[2] ألف دينار، وعمره في سنة تسع وخمسين ومائتين، وحبس عليه سوق الرقيق وغيره، وكانت نفقته على المصنع ببركة الحبش مائة ألف دينار [وأربعة وأربعين ألف دينار][3]، وكانت نفقته على المارستان ستين ألف دينارا [ولم يكن بمصر بيمارستان غيره قبله، وكانت نفقته على الصدقات في كل يوم ثلاثة وعشرين ألف دينار][4]، ومات أحمد بن طولون وترك أربعة وعشرين ألف غلام مملوك، وخمسة وأربعين ألف عبد سود، وسبعة آلاف حر أصحاب جرايات مسترزقة، وسبعة آلاف وثلاثمائة وثلاثين حصانا من خيل العرب المعينة للمهمات والحروب، وستمائة بغلة ملونة، وألفي جمل ومائة جمل وترك الأموال ما لا يحصى[5]، والله تعالى أعلم بالصواب.

حُكي لما قدم المأمون مصر سنة ثماني عشرة ومائتين وأراد أن يخرج من مصر إلى دير النجوم[6] وكان يبني له في كل قرية دكة، لينزل عليها ويترك القواد والأمراء والوزراء والقضاة أسفل الدكة، فلما مر على كورة دمشق مر على الضيعة المعروفة بيطا، فخطر له أن لا ينزلها لضعف أهلها، فتجاوزها، فخرجت له عجوز منها قبطية: اسمها مارية مسرعة فتعرضت له في الطريق وكلمته، فقال لترجمانه: ما

---

(1) زيادة من: ب، ج، هـ.

(2) أ، ج، هـ: عشرون.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(4) ما بين معقوفين ساقط من: ب، هـ.

(5) الحكاية وردت في سيرة أحمد بن طولون للبلوي: 349-350 مع اختلاف الرواية.

(6) لعله دير أبي النجوم: وهو بصعيد مصر، له حرمة عند المصريين. انظر معجم البلدان: 2/ 496.

تقول هذه العجوز؟ فقال له: إنها تقول لك إنك نزلت كذا وكذا ضيعة وإن لم تنزل بهذه الضيعة تعيرنا بنو القبط بذلك إلى آخر الزمان، فأعجب المأمون عقلها وعدل بدابته إلى الدكة ونزل معه العسكر فذهبت/ إلى ولدها فخرج إلى وكيل المطبخ [505/ج] وسأله أن يكتب له جميع ما يحتاج إليه المطبخ من الكباش والدجاج والإوز والحمام والشمع والطيب والسكر واللوز وذهب إلى مطبخ الوزراء والأمراء والقضاة وأرباب المطابخ/ فكتب منهم جميع ما يحتاجون إليه من الأطعمة والحلاوات [416/ب] وأرسل إليهم جميع ذلك حتى العليق[1] والحطب، وكان مع المأمون يومئذ أبو العباس وولده وأخوه، ومعه أولاد أخيه الواثق والمتوكل، والقاضي أحمد بن أبي داوود[2] وقاضي القضاة ببغداد، والقاضي يحيى بن أكتم ومع كل واحد من هؤلاء جمع كثير من الجند والخدم[3] الغلمان و[من][4] الأتباع ما لا يحصى كثرة، فأحضر لهم [جميع][5] ذلك، وأقاموا ثلاثة أيام لم يحتج أحد/ منهم إلى شيء، وقال، [371/هـ] من حضر هذه الوليمة: إنه كان على سماط المأمون، خاصة، ثلاثة آلاف دجاجة ما عدا اللحوم والأطعمة والحلاوات. فلما عزم المأمون على الرحيل خرجت إليه مارية لتشكره على تشريفه لهم وتودعه ومعها عشرة جوار وصائف أبكار، وهن مولدات عليهن الحلي والحلل، ويحملن عشر صواني عليهن أغطية من الديباج وقناديل الذهب. فقال/ المأمون لمن حضره: جاءت لنا مارية بطرائق الريف من [338/أ] الفطير والخبز والكعك، ولقد أحسنت إذ أتت به في آخر الأمر بعد الاهتمام بنا. فلما وضعت الصواني بين يديه كشفها فوجد فيها عشرين ألف دينار فاستعظم المأمون ذلك واستكثره وقال للترجمان: قل لها هل وجدت كنزا؟ قال: فأخذت

---

(1) العليق: الشراب. انظر اللسان: علق.

(2) الواو ساقطة من: ج.

(3) أ، ب: ومن الغلمان.

(4) زيادة من: ج.

(5) زيادة من: ج.

قطعة من الطين ورفعتها وقالت: إن ذلك من الزراعة ومن عدل الخليفة، فبلغه الترجمان ما قالت: قال: فأقطعها مائتي فدان في بلدها وكتب لها بذلك توقيعا بخطه وركب إلى مكانه رحمه الله.

حُكي أن باني القاهرة المعزية جوهر القائد[1] غلام المعز العبيدي لما مات وجد في خزانته قطعة خشب كأعظم ما يكون من الصواري[2]، من العود الصيني وهو أرقى وأحسن من العود القماري، ووجد غير ذلك من التحف ما لا نهاية له.

حُكي أن بدر المستنصري[3] استعمل في مطبخه في شهر رمضان سكرا فكان ثمنه عشرين ألف دينار. قلت: ووجدت في بعض التواريخ أنه وجد لأحمد بن عبد العزيز حين قبض عليه، ألف ثوب ديباج وثلاثمائة سفط من ورق تنيس دمياط[4] وإحدى وعشرون صندوقا مملوءة ذهبا.

وقيل: وجد في مخلفات أخت/ الحاكم بأمر الله العبيدي[5] لما ماتت بعد الحاكم، [506/ج] ثمانية آلاف جارية منهن ألف جارية من الأبكار، ووجد اثنان وثلاثون زيرا[6] من الصيني وهي مملوءة من المسك المسحوق ما عدا الأموال، ووجد من التحف ما لا يحصى كثرة، ووجد في تركة[7] أخيها قبل ذلك، ثلاثمائة سفط مطروز بالذهب[8]،

(1) سبق ذكره.

(2) الصَّوار والصُّوار: الرائحة الطيبة، وقيل القطعة من المسك. اللسان: صور.

(3) لعله بدر بن عبد الله الجمالي، أبو النجم: أمير الجيوش المصرية، تقدم في الخدمة حتى ولي إمارة دمشق للمستنصر صاحب مصر، وأصبح الحاكم في دولته. (405-487هـ)، انظر الزاهرة 5/ 141.

(4) تنيس: جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط انظر معجم البلدان: تنس.

(5) سبق ذكره.

(6) الزير: الجب الذي يعمل فيه الماء. اللسان: زير.

(7) أ، ب: تريكة.

(8) ج: بها بالذهب.

وثلاثة آلاف شقة[1] من الحرير الأصفر، ووجد من الجوهر والزمرد نحو إردب، ووجد طست وإبريق وطبق من البلور الأبيض يضيء كالسراج، ووجد مدهن من[2] الياقوت وزنه سبعة وعشرون مثقالا لا يعرف له قيمة.

حُكي أن ابن طولون كان يركب في موكب عظيم، وكان يمشي في مقدمة موكبه[3] ألف عبد أسود، كل عبد منهم أطول ما يكون من الرجال، عليهم أقبية سود من الديباج، ومع كل واحد منهم ترس من حديد ومزراق[4] من حديد، وكل عبد منهم يقتنص الأسد، هذا ما عدا غلمان الروم والترك مع ما يضاف له من القواد والوزراء والأمراء وأصحاب الدواوين. وجرد بستانا في الميدان [٤١٦/ب] المعروف به وهوقريب من الجامع،/ وأشياء لم يسمع بمثلها، حمل إليه الأشجار من سائر الأرض والبلاد حتى من خراسان ووزع فيه ميادين الزعفران وسائر الرياحين، وزرعها سطورا تقرأ، وكان عليها قوم موكلون بها بأيديهم المقاريض يصلحون بها ما يبرز من الورق من حد الاعتدال، واتخذ في البستان فسقية كأكبر ما يكون وملأها من الزنبق، يفرش له عليها أنعم ما يكون من الأديم وينام عليها، وكان قد اتخذ قوائم الشجر جميعها من النحاس الأصفر الأندلسي المنقوش المغشى بالذهب، فكانت قوائم الشجر لا يكاد الإنسان ينظر إليها لشدة البريق، و كان يسحق المسك والكافور وينثره على تلك الرياحين، وكان يحب الجياد من الخيل حتى ملأ بها الإصطبلات وكان عنده خيل لها أنساب كأنساب الناس مثبوتة في [372/هـ] الدواوين، ويسمى ذلك ديوان/ الكراع.

---

(1) الشقة: من الثياب المستطيلة، انظر اللسان: شقق.

(2) ساقطة من:هـ.

(3) هـ: موكب.

(4) المزراق: رمح قصير ويقال: زرقه بالمزراق أي طعنه أورماه به. اللسان: زرق.

حُكي أن الإسكندر لما أراد بناء الإسكندرية طلب الصناع من سائر البلدان وحمل إليها العمد والرخام وآنية المراكب، فيها الرخام وأنواع الأحجار المرمر من جزيرة صقلية[1] وبلاد إفريقية وأقريطش[2] وأقاصي بحر الروم ورودس[3]،غيرها من البلاد، وأراد أن يضعها في طالع سعيد لا يتطرق إليها الخراب إلا في الوقت الذي يريده الله تعالى فيه، بخراب الدنيا، وعمل في موضع الأساس ما تقدم في بناء القاهرة المعزية. وخانه ما قصده، ووضع أساسها على خلاف مراده. فقال: أردت أمرا وأراد الله تعالى غيره، ويأبى الله تعالى إلا ما يريد، أردت بقاء بنائها وأراد الله تعالى سرعة فنائها وخرابها. وتداول الملوك إياها/ وشرع في بنائها [فكان كلما أحكم بناءها][4] وثبت أساسها وجن الليل، خرجت دواب البحر فخربت جميع ذلك/ البنيان، فلما أصبح قال الإسكندر[5] هذا بدء الخراب في عمارتها. وتحقق مراد الباري سبحانه وتعالى في زوالها وتطير[6] من فعل الدواب، فلم يزل يبني كل يوم ويحكم البناء ويوكل به من يمنع الدواب إذا خرجت من البحر فلا يفيد شيئا، ويصبحون[7] وقد خرب البنيان، فقلق الاسكندر لذلك وراعه ما رآى فأقبل يفكر ما الذي يصنع؟ وأي حيلة تنفع؟ فتنجع في دفع ذلك، فسنحت له الحيلة في ليلته عند خلوته بنفسه وإيرادها وإصدارها، فلما أصبح دعا الصناع واتخذ له تابوتا من الخشب طوله عشرة أذرع في عرض خمسة أذرع، وجعل فيه جامات

[507/ج]

[339/أ]

(1) من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية. انظر معجم البلدان: صقلية.

(2) اقريطش: اسم جزيرة في بحر المغرب. انظر معجم البلدان: اقريطش.

(3) جزيرة مقابل الإسكندرية وهي أول بلاد أفرنجة. معجم البلدان: رودس.

(4) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(5) ساقطة من:ه.

(6) أ، ب: ونظير.

(7) ب: ويصلحون.

من الزجاج وأمسك ذلك بالقار والزفت وغير ذلك من الأطلية الدافعة للماء حذرا من دخوله إلى التابوت، وجعل فيه مواضع للحبال وقعد فيه ورجلان من كتابه ممن له علم بإتقان التصوير ومبالغة فيه وأمر أن يسد عليهم باب التابوت وأن يطلى بالأطلية أيضا وأتى بمركبين عظيمين فأخرجا إلى لجة البحر وعلق في التابوت من أسفله مثقلات الرصاص والحديد والأحجار لتهوي بالتابوت سفلا، وجعل بين المركبين رباطا ليلا يفترقا، وشد حبال التابوت إلى المركبين وطول حبالهما، وجعل التابوت في البحر فغاص التابوت إلى قرار البحر فنظر إلى دواب البحر وحيواناته من تلك الجامات، الزجاج الشفاف، في صفاء البحر، فإذا هوبصور شياطين على مثال الناس رؤوسهم على مثال رؤوس السباع وفي أيدي بعضهم القسي وفي أيدي بعضهم المناشير والقوادم يحكون بذلك صناع المدينة [418/ب] والفعلة، وما في أيديهم من آلات/ البناء، فأثبت الإسكندر ومن معه تلك الصور وحكوها بالتصوير في قراطيس على اختلاف أنواعها وتشوه خلقتها وقدودها وأشكالها، ثم حرك الحبال فلما أحس بذلك من في المركبين جذبوا التابوت فلما خرج الإسكندر من التابوت ودخل إلى الإسكندرية هو وصاحباه أمر صناع الحديد والنحاس والرصاص والحجارة يعملوا تماثيل تلك الدواب على ما صوره الإسكندر وصاحباه. فلما فرغوا منها وضع الصور على العمد بشاطئ البحر ثم أمرهم أن يبنوا فلما جن الليل وظهرت تلك الدواب والآفات من البحر فنظرت إلى صورها على العمد مقابلة للبحر فرجعت إلى البحر ولم تعد بعد، فعند ذلك بنى الإسكندر الإسكندرية وشيدت، وأمر الإسكندر أن يكتب على أبوابها: هذه الاسكندرية أردت أن أبنيها على الصلاح والفلاح والنجاح والسرور واليمن [508/ج] والثبات على الدهور، فلم يرد/ الباري سبحانه وتعالى، ملك السموات والأرض ومفني الأمم أن أبنيها كذلك فبنيتها وأحكمت بناءها وشيدت سورها وآتاني الله

تعالى من كل شيء علما وحكما، وسهل لي الأسباب[1] فلم[2] يتعذر في العالم علي شيء مما أردته، ولا امتنع/ عني[3] شيء مما طلبته، لطفا من الله عز وجل وصلاحا [373/هـ] لعباده من أهل عصره، والحمد لله رب العالمين، لا إله إلا هو رب كل شيء. ورسم الإسكندر بعد هذه الكتابة كلما يحدث بها من الأحداث بعده في مستقبل الزمان من الآفات والعمران والخراب، وما يؤول أمرها إليه إلى وقت دثور العالم.

وكان بناء الإسكندرية طبقات وتحتها قناطير[4] مقنطرة كالمدينة، يسير تحتها الفارس بيده رمح لا يضيق به حتى يدور جميع تلك الأزاج والقناطير والعقود ومخاريق للضياء ومنافذ للهواء، وكانت الإسكندرية تضيء بالليل من غير مصباح لشدة بياض الرخام والمرمر، أسواقها وشوارعها وأرضها مقنطرة كلها، لا يصيب أهلها شيء من المطر، وقد كان عليهاسبعة أسوار من أنواع الأحجار المختلفة الألوان، بينها خنادق، بين كل خندق وسور فصول، وربما تعلق بالمدينة شقاق الحرير الأخضر خوف اختطاف بياض الرخام أبصار الناس من شدة بياضه، فلما أحكم بناءها وسكنها الناس كانت آفات البحر وسكانه على ما زعم الأخباريون تخطف بالليل أهل المدينة فيصبحون، وقد فقد منهم العدد الكثير، فلما علم الإسكندر بذلك اتخذ الطلسمات على أعمدة هناك وهي باقية، كل واحد من هذه الأعمدة عليه هيئة الصورة، وطول كل واحد منها/ ثمانية عشر ذراعا على عمد [340/أ] من النحاس، وجعل تحتها صورا وأشكالا وكتابة مرصودة مانعة للمؤذيات، ذكر ذلك جميعه المسعودي[5] رحمه الله.

(1) زيادة من: ج، هـ.

(2) هـ: فلا.

(3) أ: علي.

(4) أ، ج: قناطر.

(5) انظر مروج الذهب 2/ 99-104.

الباب الحادي والثلاثون

في الأذكار والأدعية المجرب نفعها وعواقب فعل الخير والمعروف

حكي بعض الصالحين أنه سأل الله تعالى أن يعلمه الاسم الأعظم منذ ثلاثين سنة فرأى في منامه قائلا يقول له[1]: قم وخذ هذه البطاقة التي تحت رأسك فإن فيها اسم الله الأعظم. قال: فانتبهت فوجدت عند رأسي ورقة فيها أحرف مقطعة فجمعتها فإذا/ هي هذه الأبيات، فدعوت الله بها فاستجيب لي. وهي خمسة أبيات. [419/ب]

وقد نظم عليها الشيخ شمس الدين القادري/ فسح الله في مدته أبياتا عشرة، على وزنها وأحسن فيها وأقحم منها تسعة بعد البيت الأول من الأصل [ثم أتى بأربعة من[2] الأصل][3] وختم بالعاشر. وقد عرفت كلا من أبيات القادري بقاف وكل بيت من الأصل بصاد كما ترى، والجميع في غاية من جودة الشعر والفصاحة والرقة والسهولة والانسجام، وصحة المعنى وحسن السبك، وهي هذه: [509/ج]

[الخفيف]

<ص>

بخشوع القلوب عند السجود　　　لك يا سيدي! بغير جحود

وقال القادري وهي تسعة أبيات:

---

(1) زيادة من: ج، هـ.

(2) ساقطة من: ب، هـ.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

<ق>

بصليل السيوف والحرب فرض   بشهود الملاد ماء الشهيد

<ق>

بصيام الأبرار في الحر نرجو   بالظما في الهجير برد الخلود

<ق>

بضجيج الحجيج شعثا وغبرا   مدني قرع بابك المقصود

<ق>

بين راج جدواك طولا وجار   دمعه في رضاك فوق الخدود

<ق>

وبإيجادك الوجود لجود   عم كل الوجود منك بجود

<ق>

[374/هـ] وبدات تقدست وصفات   ثابتات الوجود قبل الوجود/

<ق>

يا لها من صفات رب تعالى   عن حدوث منزه عن حدود

<ق>

صمد لم تلد ولا لك كفء   قط، خلق، ولست بالمولود

<ق>

وبما أنت عالم ولك   الحمد به بين أحمد المحمود

<ص>

وبك الله يا جليل فلا شي   ء يدانيك في غليظ العهود

<ص>

وبكرسيك المكلل بالنو   ر إلى عرشك العظيم المجيد

<ص>

وبما كان تحت عرشك حقا قبل خلق السما وصوت الرعود

<ص>

ذاك إذ كنت مالكا لم تزل قط إلها عرفت بالتوحيد

<ق>

أعطني السؤال يا إلهي تعاليت علوا عن قول كل جحود

حُكى عن أبي حنيفة[1] رحمه الله تعالى، أنه رأى رب العزة سبحانه وتعالى في المنام تسعة وتسعين[2] مرة، ثم قال: إن رأيته تمام المائة لأسألنه، فرآه تمام المائة فقال: بما ينجو الخلائق يوم القيامة؟ فقال الله سبحانه وتعالى: ينجو الخلائق يوم القيامة بقولهم عند الصباح والمساء: سبحان الأبدي الأبد، سبحان الفرد الصمد، سبحان من رفع السماء بغير عمد، و﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولدا﴾[3]، ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد﴾[4].

حكى عبد الله/ بن مالك الخزاعي[5] وكان صاحب شرطة الرشيد قال: [510/ج] أتاني رسول الرشيد في وقت ما جاءني فيه قط، فنزعني عن موضعي ومنعني من تغيير ثيابي، فراعني ذلك/ فلما صرت إلى دار الخلافة استؤذن علي فدخلت [420/ب] على الرشيد،/ فسلمت عليه فسكت. قال: فطار لبي وتضاعف جزعي فقال [341/أ] لي: يا عبد الله! أتدري لم طلبتك في هذا الوقت؟ قلت: لا والله. فقال: إني رأيت الساعة في منامي كأن حبشيا أتاني ومعه حربة، فقال لي: إن خليت عن موسى بن

(1) أ: ابن منيعة.

(2) أ: وتسعون.

(3) الجن: 3.

(4) الإخلاص: 3/ 4.

(5) عبد الله بن مالك بن الهيثم الخزاعي، تولى شرطة المهدي والهادي والرشيد. ذكره المسعودي في تاريخه 4/ 177، 187، 206، 207.

جعفر[1] فلم تطلقه الساعة وإلا نحرتك بهذه الحربة فاذهب فاطلقه. فقلت: يا أمير المؤمنين! أطلق موسى بن جعفر؟ فقال: نعم. قال: فكررت عليه ذلك ثلاثا وهو يقول: نعم، أطلقه الساعة، وادفع إليه ثلاثين ألف درهم، وهويقول لك: إن أحببت المقام عنده فلك ما تحب منه، وإن أحببت العود إلى المدينة فالإذن لك ومعك في ذلك، قال: فأعطيته الدراهم وخليت سبيله، وقلت له: والله، لقد رأيت من أمرك عجبا فاخبرني بأمرك. فقال: فبينما أنا نائم إذ أتاني رسول الله، ﷺ، فقال لي: يا موسى: حبست مظلوما فقل هذه الكلمات، فإنك لا تنام الليلة في السجن. فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما أقول؟ فقال: قل يا سامع كل صوت! ويا سابق الفوت! ويا كاسي العظام لحما ومنشرها بعد الموت! أسألك بأسمائك الحسنى وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون، الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين، يا حليم ذا الأناة، لا يقوى على أناته أحد، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا ولا يحصيه غيرك، يا أرحم الراحمين! يا حي يا قيوم! اجعل لي من كل أمر فرجا ومخرجا، إنك على كل شيء قدير. فكان ما رأيت من قدرة الله عز وجل[2].

حكى قاضي القضاة وشيخ الإسلام زكرياء الأنصاري[3] فسح الله في مدته في شرحه للمنفرجة[4] أن شارحها قاضي القضاة شيخ الإسلام تاج الدين

---

(1) هو موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، أحد الأئمة الإثنى عشر. انظر ترجمته في الوفيات 5/ 308.

(2) الحكاية أوردها المسعودي في تاريخه 4/ 206، وابن خلكان في الوفيات 5/ 309.

(3) زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، أبو يحيى شيخ الإسلام مفسر وقاضي، من حفاظ الحديث (823-926هـ)، انظر ترجمته في الكواكب السائرة 1/ 196.

(4) المنفرجة قصيدة مشهورة لابن النجوي، وهو يوسف بن محمد بن يوسف أبو الفضل المعروف بابن النحوي (ت 513هـ) كان على سنن السلف الصالح مجاب الدعوة. انظر ترجمته في البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم التلمساني: 299.

السبكي[1] قال في شرحه لها: إن بعضهم يسميها الفرج بعد الشدة، ويزعم أن/ [375/هـ] فيها اسم الله الأعظم، وهي مجربة لكشف الكروب قال[2]: وكان والدي يعني شيخ الإسلام تقي الدين السبكي[3] إذا أصابته[4] أزمة ينشدها. وحكى ولدي المدعو جلال الدين أنه لما امتحن في أيام خاله قاضي القضاة صلاح الدين بن كميل[5] الكمالي[6] ومسك عنه وحبس بسجن الرحبة بمصر في الدولة الأشرفية قايتباي الملك الأشرف، تودد إليه جماعة من العلماء وأصحابه من طلبة[7] العلم، وأنه كان/ من جملتهم، كما قال شيخنا الشيخ نور الدين المحلي[8] فسح الله في مدته [511/ج] فأوصاني بقراءتها وتأمل معانيها، وأحضر إلى السجن شرحا لها، لسيدنا قاضي القضاة زكرياء المشار إليه، فأخذت في كتابته، فلما كتبت منه نحو الكراس، فرج الله تعالى عني، فخرجت من السجن، ونقطت في الموضع الذي حصل عنده الفرج، نقطة حمراء، ثم أكملت الشرح المذكور خارج السجن. وهي قصيدة عظيمة مشتملة على جزالة اللفظ وحسن الصنعة، ورقة المعنى، وقوة السبك وهي من بديع الشعر وأحسنه، اعتنى جماعة من العلماء بشرحها، ولقاضي القضاة زكرياء المشار إليه عليها شرحان، مختصر وأبسط منه، وقد استعملتها في المهمات وجربت بركتها فإذا هي كما قيل. وهي:

(1) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبونصر (727-771هـ)، انظر ترجمته في الدرر الكامنة 3/ 39.

(2) ج: وقد.

(3) علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي (513-756هـ)، انظر ترجمته في طبقات الشافعية 6/ 146

(4) أ، ب: أصاب.

(5) أ: كيل.

(6) لم أقف عليه.

(7) هـ: صلبه.

(8) نور الدين المحلي ذكره الغزي في الكواكب السائرة 1/ 12، 177.

[الخفيف]

اشتدي أزمة تنفرجي قد آذن ليلك بالبلج[1]
وظلام الليل له سرج حتى يغشاه أبو السرج
[421/ب] وسحاب الخير لها مطر فإذا جاء الإبان تج/
وفوائد مولانا جمل لسروح الأنفس والمهج
ولها أرج مضيء أبدا فاقصد محيا ذاك الأرج[2]
فلربتما فالمحيا ببحور الموج من اللجج
والخلق جميعا في يده فذو سعة وذو حرج[3]
ونزولهم وطلوعهم فإلى درك وعلى درج
ومعائشهم وعواقبهم ليست في المشي على عوج[4]
حكم نسجت بيد حكمت ثم انتسجت بالمنتسج
[342/أ] فإذا اقتصدت ثم انعرجت فبمقتصد وبمنعرج/
شهدت بعجائبها[5] حجج قامت بالأمر على الحجج
ورضى بقضاء الله حجى فعلى مركوزته فعج
وإذا انفتحت أبواب هدى فاعجل لخزائنها ولج
وإذا حاولت نهايتها فاحذر إذ ذاك من العرج
لتكون من السباق إذا ما جئت إلى تلك الفرج
فهناك العيش وبهجته فلمبتهج وللمنتهج

(١) البلج: البلجة: ضوء آخر الليل عند انصداع الفجر. اللسان: بلج.
(2) الأرج: نفحة الريح الطيبة. اللسان: أرج.
(3) هـ: جرح.
(4) ب: نهج.
(5) أ، ب، هـ: لعجائبها.

فهج الأعمال إذا ركدت ... فإذا ما هجت إذا تهج/ [512/ج]

ومعاصي الله سماجتها ... تزدان لذي الخلق السمج

ولطاعته وصباحتها ... أنوار صباح[1] منبلج/ [376/هـ]

من يخطب حور الخلد بها ... يظفر بالحور وبالغنج

فكن المرضى لها بتقى ... ترضاه غدا وتكون تج

واتل القرآن بقلب ذي ... حزن وبصوت فيه شج

وصلاة الليل مسافتها ... فاذهب فيها بالفهم وج

وتأملها ومعانيها ... تأتي الفردوس وتفترج

واشرب تسنيم مفجرها ... لا ممتزجا وبممتزج

مدح العقل لا يته هدى ... وهوى متول عنه هج

وكتاب الله رياضته ... لعقول الخلق بمندرج

وخيار الخلق هداتهم ... وسواهم من همج الهمج[2]

وإذا كنت المقدام فلا ... تجزع في الحرب من الرهج[3]

وإذا أبصرت منار هدى ... فاظهر فردا فوق الثبج[4]

وإذا اشتاقت نفس وجدت ... ألما بالشوق المعتلج/ [422/ب]

وثنايا الحسنى ضاحكة ... وتمام الضحك على الفلج[5]

---

(1) ج: صلاح.

(2) الهمج: الرعاع من الناس، وقيل: هم الأخلاط. اللسان: همج.

(3) الرهج: الغبار. اللسان: رهج.

(4) الثبج: ثبج كل شيء: معظمه، وهوهنا ما بين الكاهل إلى الظهر. اللسان: ثبج.

(5) الفلج في الأسنان: هوتباعد ما بين الثنايا. اللسان فلج.

وعياب[1] الأسرار قد[2] اجتمعت بأمانتها تحت الشرج[3]
والرفق يدوم لصاحبه والخرق يصير إلى الهرج[4]
صلوات الله على المهدي الهادي الناس إلى النهج
وأبي بكر في سيرته[5] ولسان مقالته اللهج[6]
وأبي حفص وكرامته في قصة[7] سارية الخلج[8]
وأبي عمرو ذي النورين المستحيي المستحيا البهج[9]
وأبي الحسن في العلم إذا وافى بسحائبه الخلج[10]

قلت: وفيها بيتان زائدان مختلف فيهما، هل هما من الأصل أم لا؟ وهما:

وقرابته وصحابته وقفاة الأثر على عوج
وإذا بك ضاق الأمر فقل اشتدي أزمة تنفرج

---

(1) هـ: وغياث.

(2) ساقطة من: ب.

(3) العياب: جمع عيبة وهي وعاء من جلد تصان فيه الأمتعة وتطلق على من يكتب الأسرار. والشرج: هي عرى الشيء كالخباء وغيره. اللسان: شرج. وفي الشطر الأول من البيت اضطراب في الوزان.

(4) الخرق: الحرمان. والهرج: من هرج يهرج هرجا: البهر من شدة حر أو مشي أو غيرها. اللسان:حرف، هرج.

(5) أ، ب، ج: يسرته.

(6) اللهج: لعله أراد به: الفصيح.

(7) ب: مضة.

(8) الخلج بفتح اللام هي شكوى العظام من تعب وغيره، وبكسر اللام تعني الذي يشتكي من الخلج فإذا قلنا سارية الخلج يكون كقولنا طلحة الجود وطلحة الندى...وإذا قلنا سارية الخلج تكون صفة لسارية. انظر شرح المنفرجة للشيخ كنون.

(9) يريد بأبي حفص، عمر بن الخطاب، وقصته مع سارية أن عمر بن الخطاب كان يخطب فوق المنبر فرأى سارية الديلمي بنهاوند وقال: يا سارية اصعد الجبل، فصعد سارية الجبل هو وجنوده وقاتل المشركين وهزمهم. انظر شرح المنفرجة للشيخ كنون.

(10) الخلج: يقال سحابة خلوج: كثيرة الماء شديدة البرق. اللسان: خلج. وفي ذيل دلائل الخيرات 232 – 236 طبعت المنفرجة بالترتيب نفسه مع زيادة تسعة أبيات.

قلت: وفيها بيت فيه زحاف، وهو الذي أوله: «وغياب الأسرار قد اجتمعت» وإذا زالت/ منه قد صح الوزن، ولكني رأيتها مثبتة في الشرح والأصل فأثبتها/ [343/أ][513/ج] وكرهت حذفها لما قيل إن فيها الاسم الأعظم، وخشيت أن يكون لتلك اللفظة علاقة بهذا المعنى، وهو أربعون بيتا والبيتان المختلف فيهما قد اختلف في ناظمهما.

حُكي أنه كان بين قاضي القضاة صلاح الدين بن كميل وبين ابن عمه القاضي بدر الدين بن كميل تنازع عظيم وكراهة كل منهما لصاحبه، وكان صلاح الدين المشار إليه لا يقاوم بدر الدين المذكور لطول لسانه وكثرة السعاية به عند أركان الدولة، وحصل له منه ضرر كثير فكان صلاح الدين المذكور كثير الأذكار والدعوات ليتحصن بها من شره، وله في كل يوم ورد بعد الصبح وينشد/ أبياتا [377/هـ] يعني بها ابن عمه إلى أن ظهر أثرها كما شوهد من حاليهما أولها يقول:

[الكامل]

يا من تجلى نوره فتدكدكت ... شم الشوامخ هيبة لجلاله

وتصدعت إذ خر[1] موسى رهبة ... صعقا[2] وظل يحول في أوحاله

أدعوك مبتهلا وأنت ملاذ من ... ناداك مضطرا بذل سؤاله

وإليك أشكو عانتا[3] قد فوقت ... من كيده نحوي نبال نكاله[4]

وببأسك اللهم أدرأ ضارعا ... في نحره وأكف شر فعاله

فاكففه عني وأكفني من أمره ... ما قد أضر النفس من أثقاله

واجعل هباء حاله ومثاله ... كالال حالا بالنبي وآله

---

(1) أدكر.

(2) هـ: ضعفا.

(3) ب، هـ: عابثا.

(4) عانت: من العنت، يقال فلان عنت وتعنت على فلان أي أوصل به الأذى وحمله ما لا يطيق. انظر اللسان: عنت.

وقيل إن هذه الأبيات للشيخ شمس الدين القادري وإنه ألفها لصلاح[1] المشار إليه حين سأله ذلك.

[423/ب] حكى عمرو بن دينار[2] قال: كان رجلا ينادي في بني/ إسرائيل ألا من رآني فلا يظلمن أحدا، وإذا هو رجل قد ذهب ذراعه من عضده، فسئل عن حاله فقال: بينما أنا أسير على شاطئ البحر إذ مررت بصياد قد اصطاد سمكة فأخذتها منه وهوكاره بعد أن ضربت رأسه، قال: فعضت السمكة على إبهامي عضة يسيرة فوقعت الأكلة في إبهامي فاتفقت الأطباء على قطعها فقطعتها فوقعت في كفي ثم ساعدي ثم عضدي فمن رآني فلا يظلمن أحدا. قال: فخرجت أسيح في البلاد وأريد قطع عضدي إذ رفعت لي شجرة فآويت إلى ظلها، فنمت فقيل لي في المنام: لأي شيء تقطع أعضاءك؟ رد الحق إلى أهله، فجئت إلى الصياد فقلت له: يا عبد الله! أنا في رقك فاعتقني. فقال: أنا ما أعرفك، فأخبرته الخبر فبكى وتضرع وقال: أنت في حل، فلما قالها تناثرت الدود وسكن الوجع من عضدي فقلت له: ماذا دعوت؟ قال: متى؟ قلت: لما ضربت رأسك، قال: لما ضربت رأسي وأخذت [514/ج] السمكة، نظرت إلى السماء وبكيت وقلت: يا رب!/ أشهد أنك عدل وأنك الحق وتحب الحق وخلقتني وخلقته وجعلتني ضعيفا وجعلته قويا، فأسألك أن تجعله عبرة لخلقك.

حُكي أن هذا الدعاء مبارك لدفع الطاعون، جمعه قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني وهو: **اللهم صل على سيدنا محمد الحبيب الشفيع الرؤوف الرحيم الذي أخبر عن الرب العظيم أن لله ما بين طرفة عين مائة ألف فرج قريب، يا لطيف لم تزل أنت اللطيف بنا فيما نزل، إنك لطيف لم تزل، الله**

(1) أ، ج، هـ: الصلاح.

(2) عمرو بن دينار أبو محمد الأشرم، كان مفتي أهل مكة توفي حوالي 126 هـ. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب 8/ 28.

حي صمد باق، وله كنف واق، بسم الله، بسم الله، ربي الله، حسبي الله، توكلت على الله، اعتصمت بالله، وأفوض أمري إلى الله، ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، تحصنت بلطيف لطف الله، وبلطيف صنع الله، وبجميل لطف الله، ودخلت في كنف الله واستغثت برسول الله، ﷺ، من شر ما يسوءني في هذا اليوم، وفي هذا الشهر، وفي هذه السنة، وفي مدة عمري، اللهم إني وديعتك فسلمني من المعاطب والمعاصي والطعن والطاعون، وعظيم[1] البلاء يا أرحم الراحمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، اللهم/ بك أحاول، وبك أصاول، ولا [344/أ] حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. اللهم[2] سكن هيبة صدمة قهرمان الجبروت باللطيفة النازلة من فيضان الملكوت، وبالنور البارق وباللسان الناطق،/ حتى [378/هـ] نتشبث بأذيال لطفك ونعتصم بك من إنزال قهرك، يا ذا القوة الكاملة، والبركة الشاملة، يا أرحم الراحمين، اللهم إني أعوذ بك من الطعن[3] والطاعون، وعظيم البلاء، وسوء المنقلب في الأهل والمال، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر[4]. مما أخاف وأحذر، الله أكبر، الله أكبر، الله اكبر عدد ذنوبنا حتى تغفر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، اللهم صل على سيدنا محمد صاحب الكوثر، اللهم كما شفعت نبينا محمد ﷺ فينا فامهلنا وعمر بنا منازلنا، ولا تهلكنا بذنوبنا يا أرحم الراحمين، محي دائم، واحد سلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين/ والحمد لله رب العالمين. اللهم إنا ندعوك بأفضل [424/ب] ما دعاك به الداعون أن ترفع عنا الوباء والطاعون، لا ملجأ من دفعها إلا إليك،

(1) هـ: عظم.

(2) ساقطة من: ج.

(3) ب: الطعين.

(4) ساقطة من: هـ.

ولا نعول في العافية منهما إلا عليك. نعوذ بك يا رب الفلق من الضرب بهذه العصا ونسألك برحمتك التي وسعت كل شيء، فإنها أوسع من ذنوبنا ولوكانت عدد الرمل والحصا، ونسألك ونستشفع إليك بأكرم/ الشفعاء عندك، محمد نبي [515/ج] الرحمة، أن تكشف عنا هذه الغمة، وأن تجيرنا من الوباء والتنكيل، وأن تعصمنا فإنك حسبنا ونعم الوكيل، محي دائم واحد سلام، الله لي عدة، عند كل شدة، حسبي الله وحده ﴿أليس الله بكاف عبده﴾[1] اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، ونجنا بجاهه من طغيان الطاعون، وسلم باسمك اللهم سلم، أنت أتممت فاتمم نعمتك علينا اللهم بقدرتك الكافية، أسألك اللطف والعافية، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

حُكي أن محمد بن واسع[2] كان يقول كل يوم بعد صلاة الصبح: اللهم إنك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا، مطلعا على عوراتنا، يراناهووقبيله من حيث لا نراه، اللهم أيسه منا كما أيسته من رحمتك، وقنطه منا كما قنطته من عفوك، وأبعد بيننا وبينه كما أبعدت بينه وبين جنتك، إنك على كل شيء قدير. فتمثل له إبليس يوما في طريق المسجد فقال له: يا ابن واسع! هل تعرفني؟ فقال: من أنت؟ قال: هو إبليس، قال وما تريد؟ قال: أريد ألا تعلم أحدا هذه الاستعاذة ولا أتعرض لك أبدا. فقال: والله لا أمنعها ممن[3] أرادها فاصنع الآن ما شئت. وقد قلت في المعنى:

[البسيط]

يا رب أنت إلى الخيرات تهديني	منا، وإبليس بالوسواس يغويني

(1) الزمر: 36.

(2) محمد بن واسع بن جابر الأسدي، أبو بكر، فقيه ورع من الزهاد توفي حوالي 123هـ. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب 9/ 499.

(3) ج، هـ: من.

خصم يراني وإني لا أراه ولم ... يزل بأسهم كيد منه يرميني
يجري مع الدم في الأعضاء مسلكه ... ممكن من فؤادي أي تمكين
محاول[1] لبعادي عنك مجتهدا ... ومن جهنم بالإغواء يدنيني
ولست أطمع منه في مصالحته ... بل مستمر على إفساده ديني
ولم أرج له موتا وكيف وقد ... أنظرته أزلا يبقى إلى حين
وقد علمت بأني لا أقاومه ... إني لمثلي ضعيف الحال مسكين
هواي والنفس أعوان علي له ... فكيف لي حيلة منه تنجيني
كفاية منك تكفيني مكائدة ... أولا فمن يا غياثي منه يكفيني[2]

حكى القاضي إسماعيل بن إسحاق[3] قال: ما عرض لي هم فادح وذكرت[4] هذه الأبيات إلا رجوت/ من الله عز وجل ما يحل عقالي وينعم بالي، لم تؤل عاقبة [379/هـ] ما أحذره إلى خاتمة ما أوثره وهي:

[مجزوء الكامل]

لا تعتبن على النوائب ... فالدهر يرغم كل عاتب/ [516/ج]
واصبر على حدثانه ... إن الأمور لها عواقب/ [345/أ]
ولكل صافية قذى ... ولكل خالصة شوائب[5]
كم فرجة مطوية ... لك بين أثناء النوائب/ [425/ب]
ومسرة قد أقبلت ... من حيث تنتظر المصائب

(1) أ، ب: محول.

(2) ب: تكفيني.

(3) إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الأزدي، فقيه على مذهب مالك ولي قضاء بغداد والمدائن. انظر ترجمته في تاريخ بغداد 6/ 254، والوافي بالوفيات 9/ 56.

(4) أ: كثرت.

(5) القذى: سبق شرحه.

يا رب! من يرجو رضاك فليس يرجع قط خائب[1]

حكى الحافظ أبو نعيم[2] بسنده إلى الفضل بن الربيع صاحب الرشيد، أنه قال: أرسل إلي الرشيد ليلة فحضرت عنده فقال: يا فضل! علي بهذا الحجازي، يعني الشافعي رحمه الله، الساعة، الساعة، ورأيته متغيظا وبين يديه جماعة يضربون الأعناق، وبين يديه أنواع العذاب، فخرجت وعندي من الهم والغم ما لا يوصف لمحبتي للشافعي، لفصاحته وبراعته [وبلاغته][3] وعقله، فجئت إلى بابه، فأمرت من دق الباب عليه، وعلمت أنه يصلي فوقفت حتى فرغ من صلاته، فسلمت عليه لما خرج إلي وقلت له: أجب أمير المؤمنين فقال: سمعا وطاعة، وجدد الوضوء وصلى ركعتين وخرج يمشي، فمن[4] شفقتي عليه قلت له: يا أبا عبد الله! قف لتستريح بينما استأذن، فدخلت على الرشيد. فإذا هو على حاله في غضبه فقال لما رآني: أين الحجازي؟ قلت: عند الستر فقال[5]: مره بالدخول، فدخل يمشي مطمئنا غير فزع ولا خائف ولا قلق ولا منزعج، ثم بدأ يحرك شفتيه ووجهه مستتر، فلما دخل وبصر به الرشيد قام إليه واستبشر وجعل يقبله بين عينيه وهش وبش له، وقال: مرحبا بأبي عبد الله، لم لا تزورنا وتكون عندنا؟ فإني إليك بالأشواق، وأجلسه[6] مكانه وجلس إلى جنبه وتحدث معه ساعة ثم أمر له ببذرة[7] من الذهب، فقال الشافعي: لا أرى لي فيها. فسأله أن يقبلها فقبلها غير

(1) الأبيات ورد منها أربعة في ربيع الأبرار 3/ 94.

(2) أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى، الإصبهاني الحافظ (336-430هـ)، انظر ترجمته في ميزان الاعتدال 1/ 52 والوفيات 1/ 91 والشذرات 3/ 254.

(3) زيادة من: ج، هـ.

(4) هـ: من.

(5) أ، ج: فقل.

(6) ب: إلى.

(7) البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف. انظر اللسان: بدر.

مكثرث بها، ثم قال له الرشيد: يا أبا عبد الله! ما طلبناك إلا لننال من بركتك ونحظى بمشاهدتك، قال الفضل: ثم أمرني أن أرده إلى داره، وأن تحمل البدرة بين يديه. قال: فلما خرجنا جعل يعطي كل من رآه وكل من سأله يمينا وشمالا حتى وصل إلى منزله وما معه شيء منها، فلما دخل منزله واطمأن به الجلوس قعدت بين يديه وقلت: يا أبا عبد الله! قد عرفت محبتي لك، وشفقتي عليك، وإني شاهدت غضب الرشيد في ابتداء طلبه إياك أولا، ثم لما دخلت عليه رأيت منه من التواضع والتودد والإجلال والإكرام لك/ ما سرني، وكنت رأيتك حركت [517/ج] شفتيك عنده وعند دخولك معي إليه فقال: حدثني مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ ذلك يوم الأحزاب، فهزمهم الله تعالى ونصره على أعدائه وهذا هو الدعاء: اللهم تقبله وأول ذلك قوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، إن الدين عند الله الإسلام﴾[1]. ثم قال: وأنا أشهد بما شهد الله به، وأستودع الله هذه الشهادة، وهذه الشهادة وديعة عنده إلى يوم القيامة، اللهم إني أعوذ بنور وجهك وعظيم بركتك، وعظمة طهارتك، وبركة جلالك من كل آفة وعاهة، ومن طوارق الليل والنهار من الجن، إلا طارقا يطرق بخير. يا رحمان! اللهم أنت غياثي فبك أستغيث، وأنت مَلاذي فبك ألوذ وأنت عياذي فبك أعوذ، وأنت مجيري فبك أستجير، يامن ذلت له رقاب الجبابرة، وخضعت له أعناق الفراعنة[2]، أعوذ بك من خزيك، ومن كشف سترك، ومن نسيان ذكرك والانصراف عن شكرك، أنا في حرزك، وتحت كنفك، ليلي ونهاري، ونومي وقراري وظعني وأسفاري[3]،

(1) آل عمران: 18، 19.

(2) ب: الجبابرة.

(3) واصهاري.

[380/هـ] وحركاتي وسكناتي، وحياتي ومماتي، وجميع/ ساعاتي وأوقاتي [ذكرك شعاري][1]
[426/ب] وثناؤك دثاري،/ أشهد أن لا إله إلا أنت ولا إله غيرك، ولا معبود سواك، تشريفا لعظمتك وتكريما لسبحات وجهك، وإقرارا لصمايديتك[2]، وتنزيها لك عما يقول الكافرون والظالمون الجاحدون، تعاليت عن ذلك علوا كبيرا، اللهم أجرني من خزيك ومن شر عبادك، واضرب علي سرادقات حفظك وعنايتك، وجد علي منك بخير يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين واسبل علي سترك الجميل الحسن الواقي، واكفيني يا كافي كل شيء، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. كيف أخاف وأنت أملي؟ أم كيف أضام وعليك توكلي؟ أم كيف أقهر وأنت عمادي؟ أم كيف أغلب وعليك في كل الأمور اعتمادي؟ صرفت وجه كل حاسد حسد، وراصد رصد، وظالم عند ب ﴿قل هوالله أحد، الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد﴾[3].

قال الفضل: فحفظت ذلك من الشافعي رحمه الله، ولم أزل أتردد إلى بيته حتى [346/أ] حفظته حفظا جيدا، وما دخلت على الرشيد إلا وقرأته ودعوت به بكرة وعشيا/ فوالله ما رأيت منه ما أكره ولا حرد علي ولا غضب ببركة هذا الدعاء. اللهم أمنا به مخاوف الدنيا والآخرة[4].

حكى المؤلف قال: ومما جربته وانتفعت به أنه إذا همني أمر نزلت بباب سيدنا ونبينا محمد ﷺ ثم بآله وأصحابه رضي الله عنهم، ثم بالإمام أبي عبد الله محمد [518/ج] بن إدريس الشافعي رحمه/ الله، ثم بسيدي القطب الغوث عبد القادر أبي صالح

(1) ما بين معقوفين ساقط من:ه.
(2) ج: لصمدانيتك.
(3) سورة الإخلاص.
(4) الحكاية لم أقف عليها.

الكيلاني رحمه الله، ثم بسيدي الشيخ الإمام القطب، ولي الله أبي العباس أحمد أبي اللثامين البدوي رحمه الله[1] ثم بسيدي القطب الرباني أبي إسحاق إبراهيم الدسوقي رحمه الله[2]، ثم بسيدي وجدي لوالدي الشيخ الإمام القطب الغوث الباز الأشهب منصور رحمه الله وأعاد علينا من بركاتهم وقد نظمت معنى ذلك:

[الطويل]

بباب رسول الله أنزلت حاجتي	وبالآل والصحب الكرام أولي الهمم
وبالخمسة الأقطاب ذخري ومن هم	غياثي إذا كرب الحوادث بي ألم
أبي صالح والشافعي وأحمد	ومنصور جدي والدسوقي[3] إبراهم

حُكي أن الوزير أبا الحسن بن الفرات كان يكره أبا جعفر بن بسطام[4] فقال له يوما: ما قصة أمك في الرغيف؟ قال: لا أدري. قال: قولك لا أدري ليس بجواب، لا بد أن تصدقني فقال له: إن لي أُمّاً صالحة تجعل تحت رأسي كل ليلة[5] رغيفا، فإذا أصبحت تصدقت به فالتفت الوزير إلى جلسائه وقال: إني أبغض هذا الرجل وأنا شديد الانحراف عليه أتوقع له المكروه وأضمر[6] له السوء ولا تمضي ليلة حتى أبيت على قبضه ومصادرته فأراه في النوم يحاربني ويمانعني فأرميه بالسهام فيتقيها مني برغيف كالدرقة فلا يقع فيه شيء من سهامي، فلما سألته الساعة سمعتم ما قال. وأشهدكم علي أني قد وهبته لله تعالى ولصدقته وأزلت

(1) أحمد بن علي بن إبراهيم الحسيني أبو العباس البدوي، المتصوف، أصله من المغرب ولد بفاس (596-675هـ)، انظر ترجمته في النجوم الزاهرة 7/ 252 وشذرات الذهب 5/ 345.

(2) إبراهيم بن أبي المجد بن قريش بن محمد الدسوقي (633-676هـ) من كبار المتصوفين، انظر ترجمته في طبقات الشعراني 1/ 143.

(3) ب: والدي سوفني.

(4) أ، ب، ج: بسطم. ولعله ابن بسطام صاحب الخراج الذي ذكره ابن خلكان في تاريخه.

(5) هـ: كل يوم ليلة.

(6) هـ: أخذ.

ما في خاطري منه فاكب أبوجعفر على قدميه يقبلهما، وحسن حاله عنده، وقدمه وصار من خواصه.

حكى الشيخ العلامة أبو بكر بن فهد الفهري الطرطوسي في كتاب التسبيح[1] عن مطرف بن عبد الله أبي مصعب[2] المدني أنه قال: دخلت على المنصور فرأيته مغموما حزينا وقد امتنع/ عن الكلام لفقد بعض أحبته، فقال لي: يا مطرف [427/ب] طرقني من الهم ما لا يكشفه إلا الله تعالى عني. قلت له: حدثني محمد بن ثابت[3] عن عمرو بن ثابت البصري[4] قال: دخلت في أذن رجل من البصرة بعوضة حتى وصلت إلى صماخه فأسهرته/ وأتعبته ليله ونهاره. فقال له رجل من أصحاب [381/هـ] الحسن[5]: ادع الله بدعاء العلاء الحضرمي[6] رضي الله عنه صاحب رسول الله، ﷺ، الذي دعا به في المغارة وفي البحر فخلصه الله تعالى فقال: وما هو رحمك الله؟ قال: فقلت له: بعث العلاء الحضرمي رضي الله عنه إلى البحرين فسلكوا مفازة وعطشوا عطشا شديدا حتى خافوا الهلاك، قال: فنزل فصلى ركعتين ثم قال: يا حليم[7] يا عليم، يا علي! يا عظيم! اسقنا/ قال: [8] فجاءت سحابة كأنها جناح[9] [519/ج]

(1) لعله أراد كتاب الدعاء للشيخ العلامة... وهذا الكتاب ذكره حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون 2/ 1417، والدميري في حياة الحيوان 1/ 130.

(2) مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار، أبو مصعب المدني اليساري من كبار الفقهاء مات سنة 220هـ. انظر ميزان الاعتدال 4/ 124 - 125.

(3) ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ولم يترجمه انظر ج 3/ 495.

(4) لعله عمرو بن ثابت بن هرمز أبو ثابت، فيه كلام بين العلماء، منهم من قال: ليس شيء، ومن قال: ليس بثقة... قيل إنه توفي سنة 172هـ. انظر ميزان الاعتدال 3/ 249.

(5) لعله أراد الحسن البصري، كذا في حياة الحيوان.

(6) العلاء بن عبد الله الحضرمي، صحابي من رجال الفتوح (ت حوالي21هـ)، انظر ترجمته في الإصابة 2/ 497.

(7) هـ: عليم.

(8) زيادة من: ج.

(9) أ: جنائح.

طائر، فقعقعت عليهم وأمطرتهم حتى ملأوا الأواني وسقوا الركاب قال: ثم انطلقنا حتى أتينا على خليج من البحر ما غيض[1] قبل ذلك اليوم ولا بعده، ولم نجد سفنا. قال: فصلى ركعتين ثم قال: يا حليم! يا عليم! يا علي! يا عظيم ! أجرنا مما نجد، فإذا هاتف يقول: امشوا على الماء فوالله ما ابتل لنا قدم ولا خف ولا حافر قال: وكان الجيش أربعة آلاف إنسان. قال: فدعا الرجل به فوالله ما خرجنا حتى خرجت من أذنه ولها طنين حتى حكت الحائط، وبرأ بإذن الله تعالى. قال فاستقبل المنصور القبلة ودعا ساعة ثم انصرف بوجهه وقال: يا مطرف! قد كشف الله تعالى عني ما أجده من الهم والغم ثم دعا بالطعام فأجلسني وأكلت معه. قال صاحب الكتاب: ومما جربته أيضا لكشف الكرب الثابت عن النبي ﷺ وهو لا إله إلا الله العظيم الحكيم. لا إله إلا الله رب العرش العظيم. لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم قال: فما لازمته في كرب إلا كشفه الله تعالى عني ببركة هذا الدعاء العظيم وبإذن الله تعالى[2].

حكى يحيى بن عبد الحميد[3]/ قال: كنت في مجلس سفيان بن عيينة[4] رحمه الله، [347/أ] فاجتمع عنده ألف إنسان أويزيدون، فالتفت في آخر مجلسه إلى رجل عن يمينه. فقال: قم حدث القوم بحديث الحية فقال الرجل: اسندوني فأسندوه وشال[5] جفون عينيه، ثم قال: ألا فاسمعوا وعوا، حدثني أبي عن جدي أن رجلا كان

---

(1) ج: ضيض.

(2) الحكاية وردت في حياة الحيوان 1/ 130.

(3) يحيى بن عبد الحميد بن عبد الله بن ميمون بن عبد الرحمان الحماني، أبو زكرياء الكوفي (ت 228هـ)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب 11/ 243.

(4) سفيان بن عيينة بن أبي عمران، أبو محمد (107-198هـ)، انظر ترجمته في تاريخ بغداد 9/ 174 وتهذيب التهذيب 4/ 117 والوفيات 2/ 391.

(5) شال جفون عينيه: رفع جفونه. انظر اللسان: شول.

يعرف بابن الحمير وله ورع، يصوم النهار ويقوم الليل، وكان مبتلى بالقنص، فخرج ذات يوم يتصيد، إذ عرضت له حية، فقالت له[1]: يا محمد بن الحمير! أجرني أجارك الله تعالى، فقال لها: ومن أي أمة أنت[2]؟ قالت: من أمة محمد ﷺ، قال: ففتحت ردائي وقلت لها: ادخلي فيه، فقالت[3]: يراني عدوي. قال: فأسبلت[4] طمري وقلت لها: ادخلي بين طمري وبطني، قالت يراني عدوي، قال: فقلت: وما أصنع بك؟ قالت: إن أردت اصطناع المعروف فافتح لي فاك حتى أنساب فيه، قال: فقلت: أخشى أن تقتليني قالت: لا والله، لا أقتلك، والله شاهد علي بذلك وأنبياؤه وملائكته ورسله وحملة عرشه وسكان سماواته، إن أنا قتلتك. قال محمد:

[428/ب] ففتحت فمي فانسابت فيه ثم مضيت فعارضني رجل وبيده/ صمصامة فقال: يا محمد! قلت: وما تشاء؟ قال: لقيت عدوي؟ فقلت ومن عدوك؟ قال: حية. قال: قلت: اللهم لا، واستغفرت ربي من قولي لا، مائة مرة، وقد علمت أين هي. قال:

[520/ج] ثم/ مضيت قليلا فأخرجت رأسها من فمي وقالت: انظر، هل مضى هذا العدو؟ فالتفت فلم أر أحدا. قال: فقلت: إن أردت أن تخرجي فاخرجي، فلم أر إنسانا. قال: فقالت: الآن يا محمد! اختر واحدة من اثنتين، إما أن افتت كبدك وإما أن أثقب فؤادك فأدعك بلا روح. قال: فقلت سبحان الله أين العهد الذي عهدت إلي، واليمين الذي حلفت؟ ما أسرع ما نسيت. فقالت: يا محمد! لم نسيت العداوة التي بيني وبين أبيك آدم حتى أخرجته من الجنة على أي شيء أردت اصطناع

[382/هـ] المعروف مع غير/ أهله؟ قلت لها: ولا بد أن تقتليني؟ قالت: لا بد قال: فقلت لها: امهليني حتى آتي هذا الجبل فأمهد لنفسي موضعا قال: فقالت: شأنك. قال محمد:

---

(1) ساقطة من: ج، هـ.

(2) ساقطة من: ج، هـ.

(3) ب، ج، هـ: قالت.

(4) أ، ب، هـ: فبثلت.

فمضيت أريد الجبل وقد آيست من الحياة فرفعت طرفي إلى السماء فقلت: يا لطيف يا لطيف يا لطيف الطف بي بلطفك الخفي، يا لطيف بالقدرة التي استويت بها على العرش فلم يعلم العرش أين مستقرك منه، إلا كفيتني هذه الحية، ثم مشيت فعارضني رجل صبيح الوجه طيب الرائحة نقي من الدرن، فقال: السلام عليك فقلت: وعليك السلام يا أخي. فقال: مالي أراك قد تغير لونك؟ قال: فقلت: من عدو ظلمني، قال: فقال لي: وأين عدوك؟ قال: فقلت: في جوفي قال[1]: افتح فاك [قال:][2] ففتحت فمي فوضع فيه ورقة خضراء مثل ورق الزيتون الأخضر ثم قال [لي][3]: امضغ وابلع[4]. قال: فمضغت وبلعت. قال: فلم ألبث إلا يسيرا حتى مغصني بطني، ودارت في باطني فرميت بها من أسفل قطعا قطعا. قال: فتعلقت بالرجل فقلت: يا أخي! من أنت الذي من الله تعالى علي بك؟ فضحك ثم قال: ألا تعرفني؟ فقلت: اللهم لا. فقال: يا محمد! إنه لما كان بينك وبين الحية ما كان ودعوت الله تعالى بذلك الدعاء ضجت ملائكة السماوات السبع إلى الله عز وجل، فقال الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي بعيني كلما فعلت الحية بعبدي، وأنا يقال لي المعروف، مستقري في السماء الرابعة، فقال لي الله تعالى: انطلق إلى الحية فخذ ورقة خضراء فالحق بها عبدي محمد بن الحمير. يا محمد! عليك باصطناع المعروف، فإنه يقي مصارع السوء، إن صنيعة المصطنع إليه لم تضع عند الله تعالى[5].

أقول: لعل محمد بن الحمير هذا كان من أولياء الله تعالى حتى كلمته الحية المذكورة.

---

(1) ج، هـ: فقال.

(2) زيادة من: ج، هـ.

(3) زيادة من: ج، هـ.

(4) أ، ب: وابلغ.

(5) الحكاية وردت في حياة الحيوان 1/ 278-279.

حكى ابن السني[1] بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف أن أقصد أنس بن مالك رضي الله عنه، خادم رسول الله ﷺ فادن مجلسه وأحسن جائزته وأكرمه. قال: فأتيته فقال ذات يوم: يا أبا حمزة! إني أعرض عليك خيلي/ فتعلمني أين هي من الخيل التي كانت [348/أ] مع/ رسول الله ﷺ، فعرضها فقلت: شتان ما بينهما، تلك كانت أرواثها وأوبارها [521/ج] وأبوالها وأعلافها أجرا، وهذه اقتنيت للرياء والسمعة. فقال: قاتلك الله! لولا كتاب أمير المؤمنين فيك لضربت الذي فيه عيناك. فقلت: ما تقدر على ذلك فقال: ولم؟ فقلت: لأن رسول الله ﷺ علمني دعاء أدعوبه لا أخاف معه من شيطان ولا من سلطان ولا سبع. فقال: يا أبا حمزة! علمه إلى ابن أخيك محمد بن الحجاج. قال: فأبيت عليه، فقال لابنه: ايت عمك أنس فاسأله أن يعلمك ذلك، قال أبان[2]: فلما حضرته الوفاة دعاني فقال: يا أبا أحمد إن لك إلي انقطاع، وقد وجبت حرمتك، وإني معلمك الدعاء الذي علمنيه رسول الله، ﷺ فلا تعلمه لمن لا يخاف الله أو نحو ذلك/ قال: تقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، بسم[3] الله على [429/ب] نفسي وديني، بسم الله على كل شيء أعطانيه[4] ربي، بسم الله خير الأسماء، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، [وهو السميع العليم][5]، بسم الله افتتحت، وعلى الله توكلت، الله ربي لا أشرك بربي شيئا. اللهم إني أسألك من خيرك بخيرك[6] الذي لا يعطيه غيرك، عز جارك، وجل ثناؤك، ولا إله غيرك،

(1) هو أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم، أبو بكر الدينوري: يعرف بابن السني محدث توفي حوالي 364هـ. انظر طبقات الشافعية 2/ 96 وشذرات الذهب 3/ 47 ومعجم المولفين 2:80.

(2) أظنه أراد أبان بن عثمان بن عفان القرشي، وهو أول من كتب في السيرة. توفي حوالي 105هـ. انظرترجته في الأعلام 1/ 27.

(3) هـ: عبارة الله أكبر أربع مرات.

(4) ج، هـ: أعطاني.

(5) ما بين معقوفين زيادة من:ه.

(6) ج، هـ: بخيرك من خيرك.

اجعلني في عياذك من شر جميع ذي شر خلقته، ومن الشيطان الرجيم. اللهم إني أحترس من شر كل ذي شر خلقته وأحترز بك منهم. بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قل هوالله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد﴾ من أمامي ذلك ومن خلفي مثل ذلك. وعن يميني مثل ذلك، وعن يساري مثل ذلك، ومن فوقي مثل ذلك[1].

[383/هـ] حُكي/ عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من قال إذا ركب دابة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهوالسميع العليم سبحانه ليس له سمى، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم قالت له الدابة: بارك الله فيك وعليك من مؤمن، خففت عن ظهري وأطعت ربك، وأحسنت إلى نفسك بارك الله في سفرك وأنجح حاجتك»[2].

حكى ابن بشكوال[3] بسنده إلى أحمد بن العطار عن أبيه قال: كان لنا جار فأسر وأقام في الأسر نحو عشرين سنة، وأيس أن يرى أهله، قال: فبينما أنا ذات ليلة أفكر فيمن خلفت من أولادي وعيالي وأبكي، إذا أنا بطائر سقط فوق حائط السجن، وهو يدعو بهذا الدعاء. قال: فحفظته من الطائر، ثم دعوت الله تعالى به ثلاث ليال متتابعات، ثم نمت/ فاستيقظت فإذا أنا في بلدي فوق سطح داري. [522/ج] قال: فنزلت إلى عيالي وأولادي فسروا بي بعد اليأس مني، وقد استقام حالي بعد ذلك. قال: ثم حججت من هذا العام، فبينما أنا أطوف وأدعو بهذا الدعاء وإذا

---

(1) الحكاية وردت في حياة الحيوان 1/ 312.

(2) الحديث ورد في كنز العمال: 24993 وتاريخ أصبهان لأبي نعيم 1/ 162 وحياة الحيوان 1/ 320.

(3) ابن بشكوال هو خلف بن عبد الملك بن مسعود الخزرجي، من أهل قرطبة (494-578هـ)، انظر ترجمته في الوفيات 2/ 240.

بشيخ[1] قد ضرب على يدي، وقال: من أين لك هذا الدعاء؟ فإن هذا الدعاء[2] لا يدعوبه إلا طائر من بلاد الروم متعلق بالهواء، قال: فحدثته أني كنت أسيرا في بلاد الروم وتعلمت الدعاء من الطائر. فقال: صدقت فسألت الشيخ [عن اسمه][3] فقال: أنا الخضر. وهذا هوالدعاء [المذكور][4]:

اللهم إني أسألك يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيره الحوادث والدهور، يعلم مثاقيل الجبال، ومكائيل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما يظلم عليه الليل ويشرق عليه النهار، ولا تواري منه سماء سماء، ولا أرض أرضا، ولا جبل إلا يعلم ما في وعره وسهله، ولا بحر إلا يعلم ما في قعره. اللهم إني أسألك أن تجعل خير عملي آخره، وخير آيامي يوم ألقاك فيه، إنك على كل شيء قدير، اللهم من عاداني فعاده، ومن كادني فكده، ومن بغي علي بهلكة فاهلكه، ومن أرادني بسوء فخده، واطف عني نار من أشب علي ناره، واكفني هم من أدخل علي همه، وادخلني في درعك الحصين، واسترني بسترك الواقي، يا كافي كل شيء، أكفني ما أهمني من أمر الدنيا والآخرة. وصدق قولي وفعلي بالتحقيق، يا شفيق يا رفيق، فرج عني كل ضيق، ولا تحملني ما لا أطيق، أنت إلهي الحق الحقيق، يا مشرق البرهان، يا قوي الأركان،/ يا من رحمته في كل مكان، وفي هذا المكان، يا من لا يخلومنه مكان، [349/أ] احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بكنفك الذي لا يرام، إنه قد تيقن قلبي أن لا إله إلا أنت، وأني لا أهلك وأنت معي يا رجائي، فارحمني بقدرتك علي يا قدير يا عظيم يرجي لكل عظيم، يا عليم يا حليم، أنت بحالي بصير وعلى خلاصي قدير

---

(1) أ، ب: شيخ.

(2) ساقطة من: هـ.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: ب.

(4) زيادة من: ج، هـ.

وهوعليك يسير وبحاجتي عليم فامنن/ علي بقضائها يا أكرم الأكرمين، يا أجود [430/ب] الأجودين ويا أسرع الحاسبين، يا رب العالمين، ارحمني وارحم جميع المذنبين من أمة محمد خاتم النبيئين، إنك على كل شيء قدير.

اللهم استجب لنا كما اسجبت لهم يا أرحم الراحمين، عجل علينا بفرج من عندك بجودك وكرمك وارتفاعك في علوسمائك. يا أرحم الراحمين، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

حكى الإمام مالك في الموطأ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي عفريتا من الجن يطلبني بشعلة من نار، كلما التفت رأيته فقال/ لي جبريل [عليه السلام:][1] ألا أعلمك كلمات تقولهن/ [348/هـ][523/ج] فتنطفأ شعلته ويخر لوقته؟ قلت[2] بلى، فقال جبريل: قل أعوذ بوجه الله الكريم، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر وفاجر، من شر ما نزل[3] من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن فتن الليل والنهار، ومن طوارق الليل إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن»[4].

حكي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: «كنا عند رسول الله ﷺ إذ دخل أعرابي جوهري الصوت، على ناقة حمراء، فأناخها بباب المسجد ثم سلم على رسول الله، ﷺ، ثم جلس بعد[5] ما قضى تحيته، فأقبل جماعة فقالوا: يا رسول الله إن الناقة التي تحت الأعرابي سرقة، فقال رسول الله ﷺ: « أثم بينة؟» قالوا نعم يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «يا علي خذ حق الله تعالى من الأعرابي، إن

(1) ساقطة من: ب، ج، هـ.

(2) ب، ج، هـ: فقلت.

(3) ج، هـ: ما ينزل.

(4) الحديث ورد في الموطأ والحكاية كلها وردت في المرجع السابق وحياة الحيوان 2/ 123.

(5) هـ: لما.

قامت عليه البينة، وإن لم تقم فرده إلي» قال فأطرق الأعرابي ساعة. فقال له النبي ﷺ: «قم يا أعرابي لأمر الله تعالى، وإلا فادل بحجتك»، قال: فقالت الناقة من وراء الباب: والذي بعثك بالكرامة إن هذا الأعرابي ما سرقني ولا ملكني أحد سواه، فقال النبي ﷺ: «يا أعرابي! بالذي أنطقها بحجتك مالذي قلت؟» قال: قلت: اللهم إنك لست برب استحدثناك، ولا معك إله أعانك على خلقنا، ولا معك رب فنشك في ربوبيتك، أنت ربنا كما نقول وفوق ما نقول وفوق ما يقول القائلون، أسألك أن تصلي على محمد وأن تبرئني ببراءتي. فقال النبي ﷺ: «لقد رأيت الملائكة يبتدرون أفواه الأزقة يكتبون مقالتك، فأكثر الصلاة علي»[1]. أوكما قال ﷺ.

حكى الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين قال: من ضاق عليه الأمر ومسه حاجة إلى صلاح حاله ودينه ودنياه، أو لأمر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة، فقد روى وهب بن الورد[2] أنه قال: من الدعاء الذي لا يرد، أن يصلي العبد اثنى عشر ركعة يقرأ في كل ركعة «بأم القرآن» و«آية الكرسي» و«قل هوالله أحد» فإذا فرغ خر ساجدا ثم قال[3]: [سبحان الذي لبس العز وقال به، سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به، سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه][4] سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له، سبحان ذي المن والفضل، سبحان ذي العزة والتكرم سبحان ذي الطول، أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك، وباسمك الأعظم وجدك الأعلى، وكلماتك التامات التي لايجاوزهن[5] بر ولا

---

(1) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك 2/ 619-620.

(2) هو وهيب بن الورد بن أبي الورد المخزومي، أبو أمية، من العباد الحكماء توفي حوالي 153هـ. انظر ترجمته في حلية الأولياء 8/ 140، وتهذيب التهذيب 11/ 170.

(3) هـ: فقال.

(4) ما بين معقوفين ساقط من:ه.

(5) أ، ب: يزاولهن.

فاجر، أن تصلي على محمد وعلى آل محمد، ثم يسأل حاجته التي لامعصية فيها. فتجاب إن شاء الله تعالى.

قال وهيب: وبلغنا أنه كان يقال: لا تعلموها سفهاءكم فيتعاونوا بها على/ [524/ج][431/ب] معصية الله تعالى[1].

حَكى ابن هشام في سيرته بالسند إلى محمد بن كعب القرطبي[2] رضي الله عنه قال: لما انتهى النبي ﷺ إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم إخوة ثلاثة[3] فدعاهم إلى الله تعالى، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال أحدهم: يمزق ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحدا يرسله غيرك! وقال الثالث: والله لا أكلمك/ أبدا، إن كنت رسولا من الله كما تقول، لأنت أعظم [350/أ] قدرا أن أرد عليك الكلام وإن كنت كاذبا على الله فلا ينبغي لي أن أكلمك. فقام رسول الله ﷺ وقد يئس من خير ثقيف، فقال لهم رسول الله ﷺ: إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ ذلك قومه، فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجأوه إلى بستان لعتبة بن ربيعة [وشيبة بن ربيعة][4] وهما فيه، ورجع سفهاء/ ثقيف ممن [385/هـ] كان يتبعه، عليه الصلاة والسلام فعمد إلى شجرة من عنب فجلس تحتها عليه الصلاة والسلام وابنا ربيعة يريان ما لقي من سفهاء ثقيف.

(1) الحكاية وردت في إحياء علوم الدين 1/ 213.

(2) لعله محمد بن كعب القرظي كما في السيرة 1/ 419 والوفيات 5/ 218.

(3) هؤلاء الإخوة هم: عبد ياليل بن عمرو بن عمير، ومسعود بن عمرو بن عمير، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف. انظر سيرة ابن هشام 1/ 419.

(4) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، كبير قريش في الجاهلية مات حوالي 2هـ انظر ترجمته في الروض الأنف 1/ 121 وذكره الألوسي في بلوغ الأرب 1/ 241. وشيبة بن ربيعة أحد زعماء قريش، قتل على الوثنية سنة 2هـ. انظر ترجمته في المحبر: 160 وبلوغ الأرب 1/ 241.

فلما اطمأن به الجلوس قال ﷺ: اللهم إني أشكو لك[1] ضعف قوتي، وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتهجمني[2]؟ أو إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك[3] هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك [العتبى][4] حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك[5]، أو كما قال ﷺ.

حُكي أن من الأدعية المستجابة ما جاء في الحديث الشريف مما روي عن أم المؤمنين رضي الله عنها عن أنس رضي الله عنه أن رجلا كان على عهد رسول الله ﷺ يتجر من بلاد الشام إلى المدينة المنورة ولا يصحب القوافل توكلا منه على الله تعالى، فبينما هو قادم من الشام إذ تعرض له لص على فرس فصاح به، أن قف بمالك، فوقف التاجر، فقال له: شأنك ومالي. فقال اللص: المال مالي وإنما أريد روحك، فقال له التاجر: انتظرني حتى أصلي. قال: افعل ما بدا لك فصلى أربع ركعات، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: يا ودود! يا ودود! يا ذا العرش المجيد! يا فعال لما يريد! أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك، وأسألك بقدرتك التي قدرت بها على خلقك، وبرحمتك التي/ وسعت كل شيء، لا إله إلا أنت. يا [525/ج] غياث المستغيثين أغثني، يا غياث المستغيثين! أغثني، يا غياث المستغيثين! أغثني، فإذا بفارس في يده حربة فلما رآه اللص ترك التاجر وولى هاربا فلحقه الفارس فطعنه فأرداه عن فرسه وقتله، وقال للتاجر: اعلم أني ملك من السماء الثانية،

---

(1) أ، ج، هـ: إليك.

(2) ب: يتهجمني.

(3) أ، هـ: عافيتك.

(4) زيادة من: ه.

(5) الحكاية وردت في سيرة ابن هشام 1/ 419.

دعوت أولا فسمعنا لأبواب السماء قعقعة، فقلنا: أمر حدث، ثم دعوت الثانية، ففتحت أبواب السماء، ثم دعوت الثالثة فهبط جبريل ينادي من لهذا المكروب؟ فدعوت الله تعالى أن يوليني قتله. واعلم يا عبد الله! أنه من دعا بدعائك في كل شدة أغاثه الله، ففرج عنه. ثم جاء التاجر سالما إلى النبي ﷺ فأخبره الخبر. فقال صلى الله عليه وسلم: «لقد لقنك الله أسماءه الحسنى التي إذا دعي بها أجاب، وإذا سئل أعطى»[1] أو كما قال ﷺ/ . [432/ب]

حُكي أن رجلا شكا إلى الحسين رضي الله عنه ظلم رجل ظلمه، فقال: إذا صليت الركعتين بعد المغرب وسلمت فاسجد وقل يا شديد[2] المحال، يا عزيزا! ذل لعزتك جميع خلقك، فصل على محمد واكفني مؤونة فلان بما شئت، ففعل ذلك فسمع ضجة في الليل فسأل عنها فقيل مات فلان فجأة.

حُكي عن أبي مسلم الخولاني[3] رحمه الله تعالى أنه كان[4] إذا همه أمر قال: يا مالك يوم الدين ! إياك نعبد وإياك نستعين، اقض حاجتي، وقالوا كلمات الفرج عند الكرب: لا إله إلا الله الحكيم الكريم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات ورب[5] الأرض[6] رب العرش الكريم الحمد لله رب العالمين.

وقال الإمام جعفر بن محمد رضي الله عنه لسفيان الثوري رضي الله عنه: إذا كثرت همومك، فاكثر من: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإذا ذرت

(1) الحديث أورده الأقفهسي عماد الدين في رسالته في أدب الأكل: 71.

(2) ج، هـ: يا شديد القوي.

(3) عبد الله بن ثوب، أبو مسلم الخولاني، فقيه عابد زاهد، توفي حوالي 62هـ. انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ 1/ 46 وحلية الأولياء 2/ 122

(4) هـ: قال.

(5) ساقطة من: م.

(6) أ، ب: ورب.

عليك النعم فاكثر من: الحمد لله رب العالمين، وإذا تطاول عليك الرزق فاكثر من الاستغفار.

حُكي أن بغا التركي كان يباشر من الحروب ما لم يباشره أحد، فما أصابته جراحة قط، وشهد الحروب العظام، ويباشرها بنفسه، ويخرج منها سالما، ويقول: الأجل جوشن ولم يلبس على بدنه حديدا فعذل في ذلك فقال: لا أموت إلا على فراشي/ ولا أصاب في بدني ما دمت حيا فقيل له: ولم ذلك؟ قال: كنت مملوكا [351/أ] حليلا للمعتصم فبينما أنا واقف بين يديه إذ أوتي برجل قد رمي بأمر، وكان في حلف، فجرت بينه وبين/ المعتصم كلمات فأغلظ الرجل على المعتصم بها فغضب [386/هـ] وقال لي: خذه وألقه في بيت السباع فخرجت به لألقيه فيها فسمعته يقول اللهم إنك تعلم أني ما تكلمت إلا فيك ولا نصرت إلا دينك/ ولم أرد بذلك غيرك، [526/ج] تقربيا إليك بطاعتك، وإقامة للحق على من خالفك، أفتسلمني قال: فارتعدت فرائصي من ذلك وداخلني له رقة، وملأ قلبي رعبا منه فرددته عن السباع بعد أن كدت ألقيه فيها، وأتيت به حجرتي فأخفيته فيها، ثم أتيت المعتصم فقال: ما وراءك؟ قلت: ألقيته للسباع. قال: فما سمعته يقول؟ قلت: أنا عجمي وتكلم بكلام عربي ما علمته، فلما كان السحر وجئت من عند المعتصم قلت للرجل ما قصتك؟ قال: كان في بلدنا، له عامل يهجم على ارتكاب المحارم والفجور وإهانة الحق ونصرة الباطل فسرى[1] ذلك على إفساد[2] الشريعة وهدم التوحيد، فلم أجد ناصرا فهجمت[3] عليه فقتلته فأخذت وأوتي بي إلى المعتصم. فكان ما رأيت. فقلت له: إني مخرجك[4] مع رجال الحرس وقد آثرتك على نفسي، ووقيتك

(1) أ، ب، هـ: فسار.
(2) ه فساد.
(3) هـ: فهمت.
(4) هـ: أخرجك.

بروحي فاجتهد أن لا تظهر أيام المعتصم فقال: نعم. فخليت سبيله فرأيت بعد ذلك في نومي رسول الله ﷺ ومعه جماعة من أصحابه رضي الله عنهم. فقال: يا بغا! أحسنت إلى رجل من أمتي فدعا لك بدعوات استجيبت له فيك. قال: يا رسول الله! سل ربك أن يطيل عمري فرفع صلى الله عليه وسلم يديه نحو السماء وقال: اللهم أطل عمره وأتم أجله فقلت: يا رسول الله، خمس وتسعون. فقال ﷺ: خمس وتسعون فقال رجل بين يديه: ويوقى من الآفات، فقال النبي ﷺ ويوقى من الآفات. فقلت للرجل/ : من أنت؟ فقال: أنا علي بن أبي طالب، قال [433/ب] فاستيقظت من نومي وأنا أقول: علي بن أبي طالب. وأنا لا أموت إلا على فراشي بعد بلوغي خمسا وتسعين سنة، وأنا موقى من الآفات وكان بغا هذا متدينا ينافي طباع الأتراك، محبا لعلي بن أبي طالب، كثير التعطف على الطالبيين، توفي سنة ثمان وأربعين ومائتين وقد نيف على التسعين [رحمه الله][1].

حُكي عن عبد الرحمان بن أبي ليلى[2] قال: كان شيطان يأتي النبي ﷺ وبيده شعلة من نار فيقوم بين يديه ﷺ وهو يصلي، يمنعه فلا يذهب، فأتاه جبريل، عليه السلام، فقال له: قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ذرأ في الأرض وشر ما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن شر فتن الليل والنهار، وطوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن. قال فطفئت شعلته وخر على وجهه[3]./ [527/ج]

(1) الحكاية وردت في مروج الذهب 5/ 72-73، مع شيء من الاختلاف بين الروايتين.

(2) هو محمد بن عبد الرحمان بن أبي ليلى ابن بلال الأنصاري الكوفي، توفي حوالي 148هـ. انظر تهذيب التهذيب: 9/ 301، والوفيات 1/ 126.

(3) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده 3/ 419 برواية عبد الرحمان بن جنبش.

الباب الثاني والثلاثون

في الرقى والخواص

حكى ابن عساكر بسنده عن كهيل الأزدي[1]، وكانت له صحبة رضي الله عنه، قال: أصيب [الناس][2] يوم أحد وكثرت فيهم[3] الجراحات فأتى رجل إلى النبي ﷺ فقال له[4]: إن الناس قد كثرت فيهم الجراحات فقال النبي، ﷺ: «انطلق فقم على الطريق، فلا يمر بك جريح إلا قل: بسم الله، شفاء الحي الحميد من كل حد وحديد أوحجر تليد، اللهم اشف إنه لا شافي إلا أنت. قال كهيل رضي الله عنه: فإنه لا يقيح ولا يدمى[5].

فائدة أخرى، مما جرب وصح: أن القرطاس المحروق يقطع الدم المنبعث من الجراحات الطرية الصعبة إلى الغاية. قلت: وكذلك براءة الأبنوس تسحق كالغبار وتذر على الجرح مجرب أيضا، وحجر النار وهو حجر القداحة، إذا سحق كالغبار وذر على القروح الخبيثة العسيرة الإندمال، أبرأها، مجرب أيضا. وإذا جعل على حرق النار الزيت الطيب والملح المسحوق ناعما سكن ألمه ومنعه أن ينفط/ مجرب، [387/هـ]

(1) كهيل الأزدي، ذكره ابن حجر في الإصابة 3/ 308، مع ذكر شيء من الحكاية مع اختلاف قليل في الرواية.

(2) زيادة من: ج، هـ.

(3) أ، ب: فيه.

(4) ساقطة م: ب، هـ.

(5) انظر الجامع الكبير 2/ 510.

ذكر ذلك كله السودي[1] في تذكرته.

[أ/352] حُكي عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال/ : رأيت في ذخائر بني أمية حقة من فضة وعليها قفل من ذهب، فيها: يكتب لكل علة وألم ويرقى به فيبرأ بإذن الله سبحانه وتعالى وهو: بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، أسكن أيها الألم سكنتك بالذي سكن له ما في الليل والنهار وهو السميع العليم، باسم الله أسكن أيها الألم بالله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾[2].

[بسم الله الرحمان الرحيم][3] اسكن باسم الله وبالله اسكن أيها الألم أسكنك[4] بالذي إن يشأ[5] ﴿يسكن الرياح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾[6] بسم الله الرحمان الرحيم بسم الله وبالله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. أسكن أيها الألم أسكنك بالذي ﴿يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا﴾[7] بسم الله الرحمان الرحيم، بسم الله أسكن أيها الألم أسكنك بـ ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولوشاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا﴾[8] بسم الله الرحمان الرحيم بسم الله وبالله

---

(1) لعله السويدي وهو إبراهيم بن محمد بن علي بن طرخان الأنصاري طبيب دمشقي (600-690هـ)، وتذكرته تسمى التذكرة الهادية، جمع فيها الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء. انظر شذرات الذهب 5/ 411. وكشف الظنون 1/ 386.

(2) الحج: 64.

(3) ما بين معقوفين ساقط من:ه.

(4) ج: اسكنتك.

(5) ساقطة من:هـ.

(6) الشورى: 30.

(7) فاطر: 41.

(8) الفرقان: 45.

أسكنتك أيها الألم بـ ﴿الآن/خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا﴾[1]. [434/ب]

حُكي أن في السواك فوائد، قال الحكيم الترميذي[2]: تجعل الخنصر من يمينك أسفل السواك، والوسطى تحته، والبنصر والسبابة فوقه واجعل الإبهام أول رأس السواك تحته، فذلك السنة، ولا تقبض عليه القبضة فإنه يورث البواسير وابلع ريقك أول ما تستاك فإنه ينفع من/ الجذام والبرص وكل داء سوى الموت ولا [528/ج] تبلع بعده شيئا فإنه يورث الوسوسة، ولا تمص السواك مصا فإن ذلك يورث العمى، ولا تضع السواك إذا وضعته على الأرض عرضا ولكن انصبه، فمن وضع سواكه على الأرض فجن فلا يلومن إلا نفسه، ولا تزد في طول سواكك عن شبر ولوقدر أصبع، فما زاد ركب عليه الشيطان، واقتصر على شبر ودونه، فإن ذلك السنة، وركعتان بالسواك خير من سبعين ركعة بلا سواك، وصلاة الجماعة بسواك بألف وثمان مائة وتسعين صلاة، ويستاك عرضا بخشب فيه قبض ومرارة[3] وأولاه الآراك، ويكره بالريحان والحلفا والقصب لما فيه من مضرة الأسنان. وهو يجلوالأسنان ويقويها ويشد اللثة[4]. ويرضي الرب، وتفرح به الملائكة وتتضاعف به الحسنات. وجاء في الحديث [الشريف][5] صلاة بسواك خير من ألف[6] صلاة بلا سواك[7].

---

(1) الأنفال: 67.

(2) محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي، باحث صوفي وعالم بالحديث وأصول الدين. توفي حوالي 320 هـ انظر ترجمته في لسان الميزان لابن حجر 5/ 308. وطبقات الشافعية للسبكي 2/ 20.

(3) القبض هنا هوالانقباض ويريد به أنه يتقبض منه لحم الأسنان لحموضته. انظر اللسان: قبض.

(4) اللثة: هي عمور الأسنان ومغارزها. اللسان: لثة.

(5) زيادة من: ج، هـ.

(6) ساقطة من: ب.

(7) الحديث، ورد في السنن الكبرى للبيهقي ومجمع الزوائد 27/ 4 بلفظ: ركعتان بسواك.

أهدى أبو الفتح كشاجم[1] سواكا لبعض القيان وكتب عليه يقول:

[الرمل]

قد بعثناه لكي يجلى[2] به ... وأضحى كاللؤلؤ الرطب أغر
طاب منه العرف حتى خلته ... كان من ريقك يسقى في الشجر
أوما والله لو يعلم ما ... حظه منك لأفضى وشكر
ليتني المهدي يروي عطشي ... برد أسنانك في وقت السحر[3]

وقال آخر:

[الكامل]

يا رب إن قدرته لمقبل ... غيري فللمسواك أو للأكؤس
وإذا قضيت لنا بعين مراقب ... يا رب فلتك من عيون النرجس
وإذا حكمت لنا بصحبة ثالث ... يا رب فلتك شمعة في المجلس[4]

وقال آخر:

[المجتث]

طلبت منك سواكا ... وما أردت سواكا
وما قصدت أراكا ... لكن قصدت أراك

وقال آخر:

---

(1) محمود بن الحسين أبو الفتح المعروف بكشاجم، هو من أهل الرملة من نواحي فلسطين (ت 350هـ). انظر ترجمته في فوات الوفيات 4/ 99، والشذرات 3/ 37.

(2) ب: يجلو.

(3) الأبيات وردت في الديوان: 150 برواية بيت زائد هو: وهو أغنى عنه من عودك عن رنة الناي إذا الناي زمر.

(4) الأبيات وردت في خزانة الأدب لابن حجة 1/ 465، مع اختلاف في الترتيب، وورد منها البيتان الأولان في المثل السائر 3/ 180.

[الكامل]

هنئت يا عود الأراك بثغرها ... ما أنت في الأقطار غير مفارق

إن كنت فارقت العقيق وبارقا ... ها أنت ما بين العقيق وبارق/ [388/هـ]

حُكي أن بعض العلماء من المحققين قال: ومما جرب لإذهاب الخوف والهم والغم أن يكتب هاتين الآيتين، فإن الله تبارك وتعالى له في جميع أحواله وينصره على أعدائه. وهما ينفعان من الأمراض الباطنة والظاهرة، وكل ألم في بدن الإنسان، وتحملا، وكل آية منهما تجمع حروف المعجم بأسرها/ ويكتبا في إناء نظيف ويمحيا [353/أ] بدهن ورد وزيت طيب أويشرج ويطلى به الألم كالضلوع والدمل والريح والحزاز والثآليل[1] والنفخ والقرحات بأسرها، فإنها تزول بإذن الله تعالى، ويبرأ من يومه/ في الغالب، إن شاء الله تعالى، وجرب ذلك مرارا وهو من الأسرار المخزونة [529/ج] كما قاله اليافعي،/ فالآية الأولى من سورة آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿ثم أنزل [435/ب] عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لوكان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا، قل لوكنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم، والله عليم بذات الصدور﴾[2].

والآية الثانية: من سورة الفتح[3] وهي قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله

(1) الثآليل: مفردها ثؤلول وهي الحبة تظهر في الجلد كالحمصة. اللسان: ثأل.

(2) آل عمران: 154

(3) أ، ب، هـ: القتال.

الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾[1].

حُكي في كتاب المجالسة للدينوري[2] بإسناد إلى عكرمة[3] عن ابن عباس رضي الله عنه قال: مر عيسى بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ببقرة قد اعترض ولدها في بطنها فقالت: يا كلمة الله ادع[4] الله أن يخلصني فقال: يا خالق النفس من النفس ومخرج النفس من النفس [خلصها][5] فألقت ما في بطنها[6].

وقال صاحب الكتاب: إذا عسر على المرأة ولدها فليكتب[7] لها ذلك وأسند أيضا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إذا عسر على المرأة النفاس فليكتب لها هذا وهو: بسم الله الرحمان الرحيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار، بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾[8] ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾[9]. اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة/ من كل إثم، والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة، والنجاة من [389/هـ]

---

(1) الفتح: 29.

(2) أحمد بن مروان الدينوري المالكي، أبو بكر، من رجال الحديث توفي حوالي 333هـ. له كتاب «المجالسة وجواهر العلم» انظر ترجمته في لسان الميزان 1/ 309 والأعلام للزركلي 1/ 256.

(3) عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس (25-105ه)- من أعلم الناس بالتفسير والمغازي. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب 7/ 263 وميزان الإعتدال 3/ 93، الوفيات 3/ 265.

(4) أ، ب: ادعوا.

(5) زيادة من: ب، ج، هـ.

(6) الحكاية وردت في المجالسة وجواهر العلم 5/ 169، وعيون الأخبار 4/ 120، وحياة الحيوان 1/ 214.

(7) هـ: فيكيب.

(8) الاحقاف: 35.

(9) النازعات: 46.

النار، لا تدع لنا ذنبا إلا غفرته ولا عيبا إلا سترته ولا هما إلا فرجته، ولا حاجة لك فيها رضى ولنا فيها صلاح إلا قضيتها[1].

حُكي لما حوصرت عمورية، وكان أمير السرية مسلم بن عبد الملك بن مروان[2]، حصل لمسلم صداع فلم يركب في الحرب، فقال أهل عمورية للمسلمين: ما لأميركم لم يركب؟ فقالوا لهم: عرض له صداع. قال: فأخرجوا له برنسا[3] وقالوا: لبسوه له يزول عنه ما يجد، فلبسه فشفي ففتقوه فلم يجدوا فيه شيئا، فشقوا أزراره/ فإذا فيه[4] بطاقة مكتوب فيها هذه الآيات الشريفة وهي: بسم [430/ج] الله الرحمان الرحيم ﴿ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾[5] بسم الله الرحمان الرحيم، ﴿يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا﴾[6] بسم الله الرحمان الرحيم ﴿حم عسق﴾[7] بسم الله الرحمان الرحيم ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾[8] بسم الله الرحمان الرحيم ﴿وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم﴾[9] فقال لهم المسلمون: من أين لكم هذا وإنما أنزل على نبينا محمد، ﷺ؟ قالوا: وجدنا هذا منقوشا في كنيسة قبل أن يبعث نبيكم بسبعمائة عام[10].

---

(1) الحكاية وردت في حياة الحيوان 1/ 148.

(2) أظنه أراد مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، قائد أموي من أبطال عصره توفي حوالي 120هـ. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب 10/ 144 نسب قريش: 165.

(3) البرنس: كل ثوب رأسه منه ملتزق به، وهو هنا قلنسوة طويلة كان النساك يلبسونها في صدر الإسلام. اللسان: برنس.

(4) ب، ج، هـ: فيها.

(5) البقرة: 177.

(6) النساء: 28.

(7) الشورى: 1.

(8) البقرة: 185.

(9) الأنعام: 14.

(10) الحكاية وردت في حياة الحيوان 1/ 187.

حكى ابن عساكر قال: ويكتب للصداع: بسم الله الرحمان الرحيم ﴿كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكرياء إذ نادى/ربه نداء خفيا﴾[1] ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا﴾[2] ﴿حم عسق﴾[3] كم لله من نعمة على عبد شاكر وغير شاكر وكم لله من نعمة في كل قلب خاشع وغير خاشع وكم لله من نعمة في كل عرق ساكن وغير ساكن، اذهب أيها الصداع بعز عز الله وبنور وجه الله ﴿وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم﴾ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين وعلى آله وأصحابه أجمعين يكتب ذلك/ ويجعل على الرأس[4].

[436/ب] [354/أ]

حُكي أن أبا عبد الله بن يحيى بن الهيتم[5] كان من أصحاب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وكان صالحا عالما من أهل اليمن. روى أن أناساً ضربوه بالسيوف فلم تقطع فيه، فسئل عن ذلك فقال: كنت أقرأ قوله تعالى ﴿ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾[6] ﴿فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين﴾[7] ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾[8] ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[9]

(1) مريم: 1، 2.

(2) الفرقان: 45.

(3) الشورى: 1.

(4) الحكاية وردت في حياة الحيوان 1/ 187.

(5) لعله أبو محمد عبد الله بن يحيى بن أبي الهيتم المصعبي، ذكره الذهبي في ميزان الإعتدال 2/ 525. والدميري في حياة الحيوان: 2/ 45.

(6) البقرة: 254.

(7) يوسف: 64.

(8) الرعد: 12.

(9) الحجر: 9.

﴿وحفظا من كل شيطان مارد﴾[1] ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾[2] ﴿إن ربي على كل شيء حفيظ﴾[3] ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾[4] ﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾][5] ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ ﴿إنه هو يبدئ ويعيد﴾ ﴿وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد﴾ ﴿هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود﴾ ﴿بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط﴾ ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾[6].

حُكي عن أبي زرعة[7] أنه قال: وقعت نار بجرجان[8] فأحرقت تسعة آلاف دار منها، فوجدوا فيها تسعة آلاف مصحف قد أحرقت إلا هذه الآيات لم تحرق في كل مصحف، وهي قوله تعالى: ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ ﴿وعلى الله فليتوكل المومنون﴾[9] ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾[10] ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾[11] ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾[12] ﴿تنزيلا ممن خلق الأرض

---

(1) الصافات: 7.

(2) ما بين معقوفين زيادة من: ج. سورة الحجر 17

(3) هود: 56

(4) الأنعام: 97.

(5) ما بين معقوفين ساقط من: ب. سورة الطارق: 4.

(6) البروج: 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21. والحكاية وردت في حياة الحيوان 2/45.

(7) لعله محمد بن يوسف بن الجنيد، أبو زرعة الجرجاني الكشي، كان عالما بالحديث، مات بمكة سنة 390هـ انظر تاريخ جرجان للسهمي: 412 واللباب في تهذيب الأنساب 3/ 101

(8) مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، ذات مياه وضياع عريضة. انظر معجم البلدان: جرجان.

(9) التغابن: 13.

(10) إبراهيم: 42.

(11) إبراهيم: 84.

(12) الإسراء: 23.

والسماوات العلى الرحمان على العرش استوى﴾[1] ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾[2] ﴿ايتيا طوعا أوكرها قالتا أتينا طائعين﴾[3]. ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾[4] قال: فما وضعت هذه الأيات في متاع أو[5] غيره إلا حفظه الله تعالى[6].

[531/ج] حكى الدميري[7] قال: أخبرني[8] بعض أهل الخير[9] أن أسماء الفقهاء الذين/ كانوا في المدينة المنورة إذا كتبت في رقعة وجعلت في القمح فإنه لا يسوس. وقال آخر: إذا كتبت وجعلت على من يشتكي الصداع سكن بإذن الله تعالى وكذا إذا قرئت أيضا على الرأس.

وهم مجموعون على القول الأول وهي هذه، والله أعلم:

[الطويل]

ألا كل من لا يقتدي بأئمة فقسمته ضيزى عن الحق خارجة[10]

(1) طه: 4، 5.
(2) الشعراء: 89.
(3) فصلت: 11.
(4) الذاريات: 22.
(5) ج: وغيره.
(6) ساقطة من: ج.
(7) سبق ذكره في الهامش 73 من الباب 29.
(8) ج: حدثني.
(9) أ، ب: الخبرة.
(10) ضيزى: أي جائرة.

فخذهم عبيد الله عروة سالم سعيد أبو بكر سليمان خارجة[1]

حكي بعضهم قال: من الرقى المجربة النافعة أن يسأل الراقي الملذوغ: إلى أين ينتهي الوجع من العضو، فيضع على أعلاه حديدة ويقرأ هذه العزيمة ويكررها وهويجرد موضع الألم بالحديدة حتى ينتهي في جرد السم إلى أسفل الألم فإذا اجتمع في أسفله جعل يمص ذلك الموضع حتى يذهب جميع الألم ولا اعتبار بفتور العضوبعد ذلك، وهذا ما يقول: سلام على نوح في العالمين وعلى محمد في المرسلين من حاملات السم أجمعين، لا دابة بين السماء والأرض إلا ربي آخذ بناصيتها أجمعين، كذلك يجزي عباده المحسنين، إن ربي على صراط مستقيم، نوح/ نوح قال [437/ب] لكم نوح: من ذكرني لا تؤذوه إن ربي بكل شيء عليم، وصلى الله على/ سيدنا محمد [437/ب] وآله وصحبه وسلم[2].

حُكي عن أمية بن أبي الصلت الثقفي أنه قرأ التوراة والإنجيل في الجاهلية وكان يأمر الناس ويعلم بأمر النبي ﷺ قبل بعثته فيطمع أن يكون هو، فلما بعث النبي ﷺ وخرجت النبوة عن أمية حسده وكفر، وهو أول من كتب: «باسمك

(1) هذا البيت يجمع فقهاء المدينة السبعة، أولهم فيه: عبيد الله وهو عبيد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، من التابعين توفي حوالي 38هـ. انظر ترجمته في حلية الأولياء 2/ 188. وتذكرة الحفاظ 1/ 78 والثاني: عروة بن الزبير بن العوام الأسدي (22-93هـ)، انظر حلية الأولياء 2/ 176 والوفيات 255/ 3. والثالث: سالم، وهو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب توفي حوالي 106هـ. انظر حلية الأولياء 2/ 193 وتهذيب التهذيب 3/ 436 والوفيات 2/ 349. الرابع: سعيد، وهو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب، أبو عبد الله القرشي من التابعين (13-94هـ)، انظر ترجمته في حلية الأولياء 2/ 161 والوفيات 2/ 375. والخامس: أبو بكر بن عبد الرحمان بن الحارث بن هشام المخزومي القرشي توفي حوالي 94هـ. انظر ترجمته في الوفيات 1/ 282 والشذرات 1/ 104. والسادس: سليمان، وهو سليمان بن يسار مولى ميمونة أم المؤمنين (34-107هـ)،انظر ترجمته في تهذيب التهذيب 4/ 228.والوفيات 2/ 399.والسابع خارجة: وهو خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري، أبو زيد انظر ترجمته في حلية الأولياء: 2/ 189 والوفيات 2/ 233 والبيتان أوردهما ابن خلكان في الوفيات في ترجمة أبي بكر بن عبد الرحمان ونسبهما لبعض العلماء. انظر الوفيات 1/ 283 وحياة الحيوان للدميري 2/ 39.

(2) الحكاية وردت في زهر الآداب 1/ 180 وحياة الحيوان 2/ 139.

اللهم» ومنه تعلمت قريش ذلك فكتبت به في الجاهلية ولتعلم هذه الكلمة نبأ عظيم عجيب ذكره المسعودي، وذلك أن أمية كان متبوعا تبدو له الجن، فخرج في عير [من][1] قريش، فمرت بهم حية فقتلوها فاعترضت لهم حية أخرى تطلب بثأرها وقالت [لهم:][2] قتلتم فلانا، ثم ضربت الإبل بقضيب معها فنفرت الإبل، فلم يقدروا عليها إلا بعد عناء شديد، فلما جمعوها جاءت فضربت ثانية فنفرتها فلم يقدروا عليها إلى نصف الليل، ثم جاءت فنفرتها حتى كادوا أن يهلكوا عطشا وعياء وهم في مفازة لا ماء فيها، فقالوا لأمية: هل عندك من غناء[3] أوحيلة؟ [355/أ] فقال: لعلها،/ ثم ذهب حتى جاوز كثيبا فرأى صورة نار على بعد فاتبعها حتى وصل إلى شيخ في خباء فشكا إليه ما نزل به وبأصحابه[4] وكان الشيخ جنيا فقال: اذهب فإذا جاءتكم فقل: باسمك اللهم سبعا، فرجع إليهم وقد أشرفوا على الهلكة، فلما جاءتهم الحية وقالوا لها ذلك قالت: تبًا لكم من علمكم هذا؟ فذهبت وأخذوا إبلهم وذهبوا، وكان فيهم حرب بن أمية جد معاوية فقتلته الجن بعد [532/ج] ذلك بثأر تلك الحية ودفن بالبادية. وقالت الجن فيه هذا:/

[الرجز]

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر[5]

حَكى المؤلف قال: رأيت الناس إذا أصاب فرسا أونحوه مغلة[6] يذهبوا به

---

(1) زيادة من: ج.

(2) زيادة من: ج.

(3) الغناء بالفتح: هو النفع. اللسان: غنا.

(4) ج: بصحبه.

(5) حكاية العير مع الحية في مروج الذهب 1/ 79 وبين الروايتين اختلاف كبير. أما خبر قتل الجن لحرب بن أمية والبيت الذي قالته فيه فقد ورد في المصدر نفسه 2/ 296-297 ووردت بالرواية نفسها في حياة الحيوان 2/ 178 ومعاهد التنصيص 1/ 34.

(6) يقال مغلت الدابة ومغلت: إذا أكلت التراب مع البقل فأخذها لذلك وجع في بطنها. اللسان: مغل.

ويمشوه في المقابر، وكنت أنكر ذلك إلى أن رأيت كلام ابن القيم[1] في كتابه المسمى «بالروح» ذكر فيه: أن الأموات المعذبة في قبورها يسمع ذلك كل شيء إلا الجن والإنس وإن البهائم تسمعه. قال: فمن أجل ذلك كان ما يصيبه المغلة من البهائم ثم يذهبون به إلى مقابر اليهود والنصارى والمعذبين فإذا سمعت العذاب هاجت من ذلك حرارة من شدة الفزع والخوف فتقابل البرودة فيحصل البرء من مرضها، هذا معنى كلامه[2] والله أعلم.

حُكي أن رجلا دخل على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعه ولد فقال الرجل[3] في بعض حديثه: يا أمير المؤمنين، هذا ولدته[4] أمه وهي ميتة بعدما دُفِنَت فاستوى عمر رضي الله عنه جالسا وقال[5]:حدثني حديثه. قال: خرجت إلى سفر وأمه حامل به فقالت: تتركني على هذه الحالة وأنا حامل؟ فقلت: أستودع الله ما في بطنك، ثم خرجت فغبت أعواما ثم قدمت فإذا بابي مغلق، فقلت: ما فعلت فلانة؟ قالوا: ماتت، فقلت: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ ثم انطلقت إلى قبرها فبكيت عنده، ثم رجعت فجلست جانب بني عمي، فبينما أنا جالس إذ ارتفعت نار من بين القبور، فقلت لبني عمي: ما هذه النار؟ فقالوا: تُرى على قبر فلانة زوجتك كل ليلة، قلت: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ أما والله إنها كانت صوامة قوامة عفيفة مسلمة، انطلقوا بنا إليه، فانطلقنا، قال: وأخذت الفأس وأتيت القبر فإذا القبر مفتوح وإذا هي جالسة وإذا الولد يدور حولها

---

(1) محمد بن أبي بكر بن أيوب، أبو عبد الله، ابن قيم الجوزية (658-750هـ)، انظر الدرر الكامنة 4/ 21 وبغية الوعاة 1/ 62 وشذرات الذهب 6/ 168.

(2) استماع البهائم لأصوات المعذبين في القبور أورده ابن القيم في كتاب «الروح»: 53.

(3) أ، ب، هـ: فقال الرجل له.

(4) أ: ولدت.

(5) هـ: تكررت كلمة «حدثني» مرتبة.

وإذا مناد ينادي أيها المستودع ربه وديعته خذ وديعتك، أما والله لو استودعت أمه لوجدتها. قال: فأخذت الولد وعاد القبر كما كان يا أمير المؤمنين[1]./ [438/ب]

حكى ابن بشكوال في «كتاب المستغيثين بالله» عن عبد الله بن المبارك[2] قال: خرجت إلى الجهاد ومعي فرس، فبينما أنا في الطريق إذ صرع الفرس فمر بي رجل حسن الوجه طيب الرائحة فقال لي: أتحب أن تركب فرسك؟ قلت: نعم. فوضع يده على جبهة الفرس حتى انتهى إلى مؤخره، وقال: أقسمت عليك أيتها العلة بعز عز الله وبعظمة عظمة الله، وبجلال جلال الله وبقدرة قدرة الله، وبسلطان سلطان الله، وبلا إله إلا الله، وبما جرى به القلم من عند الله، وبلا حول ولا قوة إلا بالله إلا انصرفت قال: فانتهض الفرس وأخذ الرجل بركابي وقال: اركب، فركبت ولحقت بأصحابي، فلما كان من غداة غد ظهر لي فقلت: ألست صاحبي بالأمس؟ قال: بلى. قلت: سألتك بالله: من أنت؟ فوثب قائما فاهتزت الأرض تحته خضراء فإذا هو/ الخضر على نبينا وعليه الصلاة والسلام/ قال ابن المبارك: [533/ج] فما قلت هذه الكلمات على عليل إلا شفي بإذن الله تعالى[3].

حُكي أن بعض أهل الخير والصلاح أفاد أنه من قرأ سورة الفيل ألف مرة في عشرة أيام متوالية، ويقصد من يريده بالضمائر يعني التي في السورة وفي اليوم العاشر يجلس على ماء جاري ويقول: اللهم أنت الحاضر[4] المحيط بمكنونات الضمائر، اللهم ذل الظالم وقل الناصر وأنت المطلع العالم. اللهم إن فلانا ظلمني وآذاني ولا يشهد بذلك غيرك، اللهم إنك مالكه فاهلكه، اللهم اقصمه [اللهم

(1) الحكاية وردت في حياة الحيوان الكبرى 2/ 246.

(2) سبق ذكره.

(3) الحكاية وردت في كتاب المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات لابن بشكوال: 11 9/120 وحياة الحيوان 2/ 219.

(4) هـ: الخاصر.

اقصمه، اللهم اقصمه][1] [اللهم احصبه[2]][3] ﴿فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾[4].

حُكي أيضا أنه إذا دخل إنسان على من يخاف شره فليقرأ قوله تعالى: ﴿كهيعص﴾ ﴿حم﴾ ﴿عسق﴾ وعدد حروف الكلمتين عشرة أحرف، يعقد لكل حرف أصبعا من أصابعه يبدأ بإبهام يده اليمنى ويختم بإبهام يده/ اليسرى فإذا فرغ من عقد جميع [356/أ] الأصابع قرأ في نفسه سورة الفيل، فإذا وصل إلى قوله تعالى: ﴿ترميهم﴾ كرر لفظ ترميهم عشر مرات يفتح في كل مرة أصبعا من أصابعه المعقودة فإذا فعل ذلك أمن من شره بإذن الله تعالى[5]. وقال صاحب[6] الكتاب المنقول منه هذه الفائدة: إنه مجرب صحيح غريب/ . [390/هـ]

حكى المؤلف قال: رأيت والدي رحمه الله وقد ظلمه بعض الظالمين يقرأ الأسماء الحسنى ثم يقول: اللهم إنك قلت وقولك الحق، على لسان نبيك الحق و﴿لله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ وها أنا أدعوك بها اللهم إن فلانا استعز علي بعز نفسه وقوته وغناه وجمعه، واستعززت بك وبقوتك وبعزك وغناك ووحدانيتك فبعزك وقوتك وغناك ووحدانيتك دمر عزه وقوته وغناه وجمعه وانصرني عليه، اللهم اجعل تدميره في تدبيره، وهلكته في حركته، واجعل اغتياله في احتياله، وقدر له شر عبادك وأجره على لسان خلقك لهلاكه، اللهم قدر هلاكه، اللهم قدر

---

(1) ما بين معقوفين ساقط من:ه.

(2) أحصبه: أراد أرسل عليه حاصبا أي عذابا يحصبهم بالحصباء وهي الحجارة أو الحصى. انظر اللسان: حصب.

(3) زيادة من: ج.

(4) غافر: 21. والحكاية وردت في حياة حيوان 2/ 233.

(5) الحكاية وردت في المرجع نفسه.

(6) لعله أراد به الدميري لأن عبارة «مجرب صحيح» وردت في حياة الحيوان بعد هذه الحكاية مباشرة.

هلاكه، اللهم اتركه كـ ﴿أعجاز نخل منقعر﴾[1] اللهم اتركه كـ ﴿أعجاز نخل خاوية﴾[2] اللهم خذه ﴿أخذة رابية﴾[3] ﴿فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين﴾[4] ﴿فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾[5] ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾[6].

حكى المؤلف قال: حدثني قريبنا الشيخ الإمام العلامة أبو البركات القرافي[7] بالمدرسة النابلسية [الكائنة][8] بالقرب من سعيد السعداء بالقاهرة المعزية في سنة اثنين وثمانمائة[9] أن جمال الدين يوسف[10] الاستادار بالدولة[11] [الناصرية][12] [439/ب] فرج/ بن برقوق[13] بلغه عن الشيخ الإمام العلامة شمس الدين البرماوي[14] [534/ج] شارح البخاري، قال: وكان ساكنا بهذه المدرسة، ما يكره، فأضمر له سوء/ فقال

(1) القمر: 20 وتمام الآية: تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر.

(2) الحاقة: 7 وتمام الآية: ترى القوم فيها صرعى كأعجاز نخل خاوية.

(3) الحاقة: 10 وتمام الآية: فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية.

(4) الأحقاف: 24.

(5) الأعراف: 77، 90.

(6) الأنعام 46.

(7) لعله محمد بن محمد الشيخ الإمام بن الشيخ شمس الدين القرافي المالكي توفي سنة 912هـ. انظر الكواكب السائرة 1/ 113.

(8) زيادة من: ب، ج، هـ.

(9) ب: اثنين وخمسين.

(10) هو يوسف بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن قاسم الأمير، جمال الدين أبو المحاسن (752-812هـ)، انظر ترجمته في الضوء اللامع 6/ 168.

(11) أ: الدولة.

(12) زيادة من: ب، هـ.

(13) فرج بن برقوق الملك الناصر بن أنس العثماني، أبو السعادات، من ملوك الجراكسة بمصر (791-815هـ)،انظر ترجمته في الضوء اللامع 6/ 168.

(14) محمد بن عبد الدائم بن موسى البرماوي أبو عبد الله شمس الدين، عالم بالفقه والحديث (763-831هـ)، انظر ترجمته في الضوء اللامع 7/ 280.

أصحاب الشيخ شمس الدين له: هذا رجل غني متمكن من السلطان ونخشى عليك منه، والرأي أن تذهب إليه وتعتذر له وتزيل ما عنده فامتنع الشيخ من ذلك، ثم إن السلطان توجه إلى الديار الشامية فصحب معه جمال الدين المذكور، ثم حضر السلطان وهو في ركابه، فلما وصلا إلى قطيات[1] أشار على الشيخ بعض أصحابه بملاقاته فامتنع، فلما وصل السلطان وجمال الدين المذكور إلى الزيدانية[2] بظاهر القاهرة خاف أصحاب الشيخ عليه منه، وتضرعوا إليه في التوجه إليه والسلام عليه اتقاء لشره فأجابهم لذلك، فركب إلى أن وصل إلى الزيدانية عند غروب الشمس فرأى خيمة السلطان ليس حولها من الناس إلا القليل ورأى خيمة جمال الدين المذكور محدقة بالخدم والغلمان والأمراء وأرباب الدولة، فلما رأى ذلك امتنع الشيخ من الدخول إليه ثم طلع فوق كثيب من الرمل مشرف على خيمة جمال الدين وصلى المغرب فوقه ووقف اتجاه الخيمة وهويقرأ سورة الفيل إلى آخرها حتى صلى العشاء، ثم قام وجعل يقرأها ويشير إلى الخيمة حتى طلع الفجر فعند طلوع الفجر ظهر في الخيمة حريق، فقال الشيخ: رب ليس هذا هو المقصود واستمر يقرأ سورة الفيل، وهو قائم يشير إلى الخيمة حتى طلعت الشمس فظهر بالخيمة كبكبة عظيمة أسفرت على أن السلطان قبض عليه، وكان أعداؤه سعوا به إلى السلطان أنه أفسد بعض حرمه، وأنه يريد خلعه من الملك، ثم ذهبوا به إليه قال الراوي:

ثم إن الشيخ دخل على السلطان المذكور فأنشده قول الشاعر:

[البسيط]

إن الملوك لتعفوا عند[3] قدرتها لكنها عن ثلاث، عفوها قبحا

---

(1) هضاب لبني جعفر بن كلاب. انظر معجم البلدان مادة: قطيات.

(2) أظنه أراد الزيدية.

(3) هـ: عن.

إفشاء أسرارهم فيما يضر وإفسـ ـاد الحريم ومن في الملك قد قدحا

قال: تشدد عليه ولم يطلقه [من تلك النكبة][1] وكان آخر العهد به.

حُكي في أواخر دلائل النبوءة للبيهقي عن أبي دجانة رضي الله عنه واسمه سماك بن خرشة[2] قال شكوت إلى النبي، صلى الله/ عليه وسلم، إذ بت في [391/هـ] فراشي فسمعت صريرا كصرير الرحا ودويا كدوي النحل ولمعانا كلمعان البرق فإذا بصل أسود يعلو ويطول في صحن داري فمسست جلده فإذا هو مثل جلد القنفذ[3] فرمى بها وجهي/ مثل شرر النار فقال رسول الله ﷺ: هذا عامر دارك [357/أ] [يا أبا دجانة][4]، ثم طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم دواتا وقرطاسا وأمر عليا رضي الله عنه أن يكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول رب العالمين إلى من طرق الدار من العمار/ والزوار إلا طارقا يطرق بخير أما بعد، [535/ج] فإنا لنا ولكم في الحق سعة فإن كان عاشقا مولعا أو فاجرا مقتحما فهذا كتاب الله بيننا وبينكم ينطق بالحق ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾[5] ﴿بلى ورسلنا لديهم يكتبون﴾[6] ﴿إن رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾[7] اتركوا صاحب كتابي هذا وانطلقوا إلى عبدة الأوثان والأصنام وإلى من يزعم أن مع الله إلاها آخر ﴿لا إله إلا هو/ [440/ب] كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون﴾[8] حم لا يبصرون حم عسق،

---

(1) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(2) سماك بن خرشة الخزرجي البياضي معروف بأبي دجانة، صحابي له آثار جيلة في الإسلام توفي حوالي 11هـ. انظر ترجمته في الإصابة: 4، 98.

(3) هـ: القنفوذ.

(4) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(5) الجاثية: 29.

(6) الزخرف: 80.

(7) يونس: 21.

(8) القصص: 88.

تفرقت أعداء الله، وبلغت حجة الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿فسيكفيكهم الله وهوالسميع العليم﴾[1] قال أبو دجانة، فأخذت الكتاب وأدرجته وحملته إلى داري وجعلته تحت رأسي فما انتبهت إلا من صراخ صارخ يقول: يا أبا دجانة أحرقتنا بهذه الكلمات، فبحق صاحبك إلا ما رفعت عنا هذا الكتاب قال أبو دجانة: قلت: لا أرفعه حتى أستأذن رسول الله ﷺ وقد طالت ليلتي لما سمعت من أنين الجن وبكائهم حتى أصبحت، فغدوت فصليت الصبح مع رسول الله ﷺ وأخبرته بما سمعت من الجن طول ليلتي وما قلت لهم، فقال ﷺ: يا أبا دجانة، ارفع عن القوم فوالذي بعثني بالحق نبيا إنهم يجدون ألم العذاب إلى يوم القيامة أوكما قال ﷺ[2].

حكى الشيخ البوني[3] في «اللمعة النورانية» [قال:][4] من السر البديع، إذا كان إنسان يخاف على نفسه من قتل أوعذاب أوغيره فليذبح كبشا سمينا سالما[5] من العيوب كما في الأضاحي يذبحه[6] في موضع خال ذبحا شرعيا موجها[7] للقبلة ويقول عند ذبحه: اللهم هذا لك، اللهم إني قد جعلته فدائي فتقبله مني ويحفر لديه حفرة ويردمها بالتراب حتى لا يطأ أحد على دمه ويبعضه ستين جزءا، والجلد جزء والرأس جزء والبطن جزء إلى أن يأتي على الستين ولا يأكل منه لا هو ولا من تلتزمه نفقته، ويفرقه على الفقراء والمساكين فإنه يكون له فداء ولا يناله

(1) البقرة: 137.

(2) الحكاية وردت في دلائل النبوة 7/ 120، مع اختلاف الرواية، وحياة الحيوان 2/ 265، واللآلئ المصنوعة للسيوطي 2/ 186، وخزينة الأسرار للنازلي: 75-76.

(3) أحمد بن علي بن يوسف، أبو العباس البوني، متصوف مغربي الأصل، توفي حوالي 622هـ. انظر ترجمته في كشف الظنون: 1062 وهدية العارفين 1/ 90 ومعجم سركيس 1/ 607.

(4) زيادة من: ب، ج، هـ.

(5) هـ: سليما.

(6) ج: يذبح.

(7) أ، ب: موجه.

مكروه من الأمر الذي يخشاه، وهومتفق عليه مجرب معمول به والله تعالى المحسن لعباده المنعم عليهم، وإن كان يخاف من أمر دون ذلك فليطعم ستين مسكينا من أفضل الطعام ويشبعهم ويقول: اللهم إني استكفي هذا الأمر الذي أخافه بهم هؤلاء وأحذر، فإنه يفرج عنه بإذن الله تعالى[1].

حُكي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إذا اشتكى أحدكم بطنه فليسأل أمرأته شيئا من صداقها فيشتري به عسلا ويشربه بماء السماء فيجمع له الهنيء والمريء والشفاء المبارك. وقال أيضا: من أكل رطبا وشرب ماء قرت عينه [536/ج] فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا/جنيا فكلي واشربي وقري عينا﴾[2].

حُكي أن هذه الفائدة الطبية ملحقة بما تقدم وهي: أما الشفاء، فقد قال الله تبارك وتعالى في العسل ﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾[3] [392/هـ] وأما المبارك فقد قال الله تعالى في الماء: ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا/ ﴾[4] وأما الهنيء: فقد قال الله تعالى: فيما تبرعت به المرأة لزوجها من صداقها: ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾[5].

حُكي أن هذه الفائدة للعطش وهي: من أراد ألا يعطش في المفازة فليأخذ حصاة ملساء صغيرة وليقرأ عليها قوله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾[6] إلى آخرها،

---

(1) الحكاية وردت في حياة الحيوان 2/ 270، ونهاية الأرب 13/ 32.

(2) مريم: 24-25 .

(3) النحل: 69.

(4) ق: 9.

(5) النساء: 4.

(6) الكوثر: 1.

ويضعها في فيه، فيحصل له[1] بذلك ري[2] إن شاء الله تعالى. ومن أراد أن يهون عليه المشي فليقرأ[3] قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم/ الله أكبر وأعلى وأقهر [441/ب] وأقدر وأرزق وأحفظ وأرحم وأعز مما أخاف وأحذر، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾[4] و﴿الأرض جميعا قبضته يوم القيامة و[5]السماوات مطويات/بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[6] وإن كتبه في ورقة وعلق عليه فهو آكد، [358/أ] ومشى ما يريد فلا يعيى، وإن أضيف إلى ذلك قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾[7] إلى آخرها وهو يمشي ويقرؤها فهو آكد في ذلك.

حُكي أن هذه الفائدة للحمى وهي أن يكتب على يد المحموم اليمنى باسم الله جبريل وعلى يديه اليسرى بسم الله، ميكائيل، وعلى رجله اليمنى بسم الله، إسرافيل وعلى رجله اليسرى بسم الله ﴿لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا﴾ وعلى كتفيه بسم الله العزيز الجبار.

قلت: ومما يكتب للحمى أيضا أن تأخذ قرطاسا فتكتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم أبجد هوز حطي، عن فلان بن فلان بإذن الله تعالى، وتكتب خاتم سليمان سبع مرات، ثم يطويه ويأخذ خيطا لم يصبه الماء ولا البصاق فتدنيه من فيك وتعقد عليه من أحد جانبيه أربع عقد، تقرأ على كل عقدة فاتحة الكتاب والإخلاص والمعوذتين وآية الكرسي، وعلى الجانب الآخر، ثلاث عقد تقرأ في كل عقدة مثل ذلك وتربط بها القرطاس، ثم تربطها على عضد المحموم وأنت تقرأ آية الكرسي

(1) ساقطة من:هـ.

(2) ساقطة من: ج.

(3) أ، ب، هـ: فليقل.

(4) الزمر: 67.

(5) ج: إلى قوله يشركون.

(6) القدر: 1.

(7) الإنسان: 13.

وتحمي المريض فلا يجامع فإنه يبرأ بإذن الله تعالى.

حكى ابن شهاب[1] قال: من قدم أرضا فأخذ من ترابها فجعله في مائها وشربه أمن من وبائها[2]. قال: وهذا مجرب والله سبحانه وتعالى أعلم.

(1) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، أول من دوَّن في الحديث ومن كبار الحفاظ، تابعي من أهل المدينة، توفي عام 124هـ انظر وفيات الأعيان 1/ 451.

(2) الحكاية وردت في عيون الأخبار بالرواية نفسها، انظر ج1/ 313، والعقد الفريد 7/ 278، وفيه: ابن شهاب الزهري.

الباب الثالث والثلاثون

في السحر والكهانة وشيء من علم الحدثان

حُكي عن أبي عبيدة[1] عمرو[2] بن المثنى[3] قال[4]: سمعت شيخا من العرب قد أناف عن المائة يقول: إنه خرج وافدا على بعض الملوك من بني أمية في/ ليلة حالكة [537/ج] كأن السماء برقت نجومها بطرائق السحاب، وضللت الطريق، ودخلت واديا لا أعرفه وأعمتني نفسي أن أطرحها حتى الصباح، ولم آمن عزيف الجن فقلت: أعوذ بالله وبعظيم هذا الوادي من شره، وأستجيره في طريقي هذا واسترشده، فسمعت قائلا يقول من بطن الوادي:

[المتقارب]

تيامن من تجاهك تلقى السبيل منيرا وتامن في المسلك

قال: فتوجهت حيث أشار، وقد أمنت بعض الأمن، فإذا أنا بنيران تلمع أمامي في خللها وجوه على قامات كالنخل السحوق[5]، فسرت فأصبحت في مكان بقرب دمشق.

حكى ابن خلكان في وفيات الأعيان أن الشيخ شهاب الدين السهروردي[6]

(1) هـ: عمير.

(2) هـ: عمر، ولعل الصواب: معمر.

(3) سبق ذكره.

(4) أ، ب، هـ: قد سمعت.

(5) النخلة السحوق: الطويلة التي بعد ثمرها على المجتني. اللسان: سحق.

(6) سبق ذكره.

المقتول بحلب، كان أوحد أهل زمانه في الأصول و الفلسفة و علم السيمياء قال: حكى بعض فقهاء العجم: أنه كان في صحبته، وقد خرجوا من دمشق قال: وصلنا إلى القابون[1] وجدنا غنما مع رجل تركماني قال: فقلت للشيخ: أريد من هذه الأغنام رأسا/ نأكله. فقال: معي عشرة دراهم خذوها واشتروا بها رأس غنم [393/هـ] [فأخذناها واشترينا بها من التركماني رأسا فأخذناه ومشينا فلحقنا رفيق له، فقال: ردوا رأس الغنم وخذوا الأصغر[2] منه، فإن هذا لا يعرف البيع. قال: فتشاجرنا معه فقال الشيخ:/ اذهبوا بالرأس وأنا أرضيه فذهبنا والشيخ يتحدث معه، فلما [442/ب] بعدنا قليلا تركه الشيخ وتبعنا فصار التركماني يمشي خلفه والشيخ لا يلتفت إليه فلما لم يكلمه قبض على يده اليسرى [وقال: تذهب إلى أين؟][3] وإذا بيد الشيخ قد انخلعت من كتفه وصارت في يد التركماني فتحير في أمره ورمى يد الشيخ من يده وهرب، فرجع الشيخ وأخذ اليد بيده اليمنى[4] ولحقنا[5]، وبقي التركماني هاربا وهو يلتفت إليه حتى غاب، فلما وصل إلينا الشيخ رأينا في يده منديلا لاغير[6].

حكى إبراهيم ابن أبي الفضل[7] أن الشيخ شهاب الدين السهروردي، وكان يعرف علم السيمياء، وله فيه خوارق. فمن ذلك ما اتفق لي معه أنا وجماعة من التلامذة، ونحن بباب الفرج[8] بمصر، وقد كنا بالقرب من الميدان الكبير[9]

---

(1) القابون: موضع بينه وبين دمشق ميل واحد في الطريق إلى العراق. معجم البلدان: قابون.

(2) هـ: أصغر.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(4) أ: اليسرى.

(5) ساقطة من: ج.

(6) الحكاية وردت في الوفيات 6/ 269 والسكردان: 368.

(7) لعله الحكيم بن إبراهيم بن أبي الفضل، انظر السكردان: 368.

(8) في السكردان: بباب الفرج بدمشق.

(9) الميدان الأخضر الكبير يوجد بالقاهرة وقد ذكره ابن خلكان في الوفيات 3/ 496.

إذ جرى بعض حكاية من الجماعة في ذكر العلم المذكور وعجائبه، وما للشيخ فيه من اليد الطولى وهويسمع، فمشى قليلا ثم قال: أيها أحسن دمشق أم هذا الموضع؟ قال: فنظرنا فإذا نحن في جهة المشرق بجواسق[1] عالية متدانية بعضها من بعض/ مضيئة، وهي من أحسن شيء يكون، مزخرفة الحيطان والسقوف، بها [359/أ] طاقات كبار وشبابيك، بها نساء عليهن أنواع الحلي والحلل، لم يُرَ مثلهن في الدنيا، وأصوات أغاني وملاهي وأشجار ملتفة بعضها على بعض، وأنهار جارية، فبقينا نتعجب من ذلك ساعة، ثم غاب عن ذلك وعدنا لما كنا نعرفه في الأول، إلا أني كنت عند رؤية ذلك الأمر العجيب كأني في سنة خفيفة، ولم يكن إدراكي كالحالة التي كنت أتحققها مني[2].

حُكي أنه كان بمصر كاهن اسمه مسلم، وكان يعمل الأعمال العجيبة والأمور الغريبة، وهوأول من عمل مقياسا لزيادة النيل بمصر، وعمل بِرْكة من نحاس عليها عقابان ذكر وأنثى وفيها قليل من الماء، فإذا كان أول شهر يزيد فيه النيل اجتمعت الكهنة فيتكلمو ن بكلام فَيُصَفر أحد العقابين، فإن كان الذكر كان النيل عاليا، وإن كانت الأنثى كان النيل ناقصا فيقدرون لذلك[3].

حُكي أنه كان بمصر أيضا[4] كاهن آخر يعمل الأعمال العجيبة، منها أنه عمل ميزانا في هيكل الشمس، وكتب في الكفة الأولى حق وفي الثانية باطل، وعمل تحته فصين، فإذا حضر الظالم والمظلوم أخذ كل[5] منهما فصا، ويسمي عليه ما يريد،

---

(1) الجواسق مفردها جوسق وهو القصر، وقيل هو الحصن. اللسان: جسق.

(2) الحكاية وردت في المرجع السابق: 368.

(3) الحكاية وردت في السكردان: 433، وفيه أن الكاهن اسمه: صيلم.

(4) ساقطة من: ج.

(5) ج: كلا.

[538/ج] ويجعل كل فص منهما في كفة/ فتثقل كفة المظلوم وترتفع كفة الظالم والله أعلم[1].

حُكي أنه كان بها أيضا كاهن آخر عمل مرآة من المعادن السبعة فينظر فيها الأقاليم السبعة، فيعرف ما أخصب منها وما أجذب وما حدث فيها من الحوادث، وعمل في وسط المدينة صفة المرأة في حجرها صبي وهي جالسة كأنها ترضعه فأي امرأة أصابها وجع في جسمها مسحت[2] ذلك من جسد تلك المرأة فتبرأ من ساعتها[3].

حُكي أنه كان بها أيضا كاهن آخر عمل شجرة [لها أغصان][4] من حديد بخطاطيف إذا تقرب منها ظالم اختطفته وتعلقت به، ولا تفارقه حتى يقر بظلمه، وعمل صنما من كذان[5] أسود سماه عبد زحل يتحاكمون إليه، فمن زاغ عن الحق يثبت مكانه ولم يقدر على الخروج حتى ينصف من نفسه ولو أقام سنين والله أعلم[6].

حُكي أيضا أنه كان بها كاهن آخرعمل شجرة من نحاس، فكل وحش وصل إليها لم يستطع الحركة حتى يؤخذ، فشبعت الناس في أيامه صيدا، وعمل أيضا [394/هـ][443/ب] صنمين/ عن يمين الباب ويساره فإذا دخل أحد من أهل الخير ضحك/ الذي عن يمينه، وإذا دخل أحد من أهل الشر بكى الذي عن يساره والله أعلم[7].

حُكي أيضا أنه كان بها كاهن آخر يعمل الأعمال العجيبة من جملتها أنه يجلس في

---

(1) الحكاية وردت في المرجع السابق، وفيه أن الكاهن اسمه: أغشامشر.

(2) هـ: فسحت.

(3) الحكاية وردت في المرجع نفسه.

(4) ساقطة من: ج.

(5) الكذان: الحجارة التي ليست بصلبة. اللسان: كذن.

(6) الحكاية وردت في المرجع نفسه.

(7) الحكاية وردت في المرجع نفسه.

السحاب في صورة إنسان عظيم وأقام مدة ثم غاب عنهم، وأقاموا مدة بلا ملك إلى أن رأوه عند صورة الشمس وهي في الحمل وأعلمهم أنه لايعود إليهم بعدها، وأنهم يملكون فلانا بعده، وصنع بها درهما إذا ابتاع به صاحبه شيئا يشترط أن يزن له بزنته من النوع الذي يشتريه به فإذا وضع في الميزان ووضع في مقابلته المأخوذ من النوع الذي يريد شراءه ثقل الدرهم حتى لايعد له شيء، ووجد هذا الدرهم في كنوز فرعون موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام[1].

حُكي في تفسير قوله تعالى ﴿وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾ الآية[2] أن الملائكة كانوا يرون ما يصعد من أعمال بني آدم الخبيثة في زمن إدريس، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فيعيرونهم ويقولون[3]: ربنا! هؤلاء الذين اخترتهم في الأرض يعصونك، فقال لهم الله عز وجل: لوأنزلتكم إلى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم من الشهوة لارتكبتم ما ارتكبوا، فقالوا: سبحانك ما ينبغي لنا أن نعصيك، فقال الله تعالى: اختاروا ملكين من خياركم وأهبطهما[4] إلى الأرض، فاختاروا هاروت وماروت وكانا[5] من أصلح الملائكة وأعبدهم، فركب الله تعالى فيهم الشهوة/ وأهبطهما إلى الأرض، وأمرهما أن يحكما بين الناس [539/ج] يومهما، فإذا أمسيا ذكرا[6] اسم الله الأعظم ثم صعدا فما مر عليهما شهر حتى افتتنا جميعا، وذلك أنه اختصمت إليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء، فلما شاهداها أخذت بقلوبهما فراوداها في نفسها فقالت لهما: لا، إلا أن تقتلا النفس وتصليا لهذا الصنم وتشربا الخمر، فامتنعا من ذلك وقالا: قد/ نهانا الله تعالى عن [360/أ]

(1) الحكاية وردت في المرجع نفسه.

(2) البقرة: 101.

(3) ج، هـ: قالوا.

(4) هـ: يهبطان.

(5) هـ: وكانوا.

(6) هـ: ذكروا.

ذلك، وانصرفت، ثم عادت في اليوم الثاني وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها، فراوداها عن نفسها، فقالت لهما: ما قالت بالأمس، فقالا: الصلاة لغير الله أمر عظيم، [وقتل النفس أمر عظيم][1] وأهون الثلاثة، شرب الخمر. فشربا، فانتشيا ووقعا على المرأة فزنيا بها، فلما فرغا رآهما إنسان فقتلاه، فمسخ الله الزهرة كوكبا، وخير هاروت وماروت بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، لأنه ينقطع، فهما معلقان بشعورهما إلى يوم القيامة، وقيل رؤوسهما مطوية تحت أجنحتهما، وقيل جعلا في بيت مملوء نارا، وقيل هما منكوسان يضربان بسياط من حديد، وقيل إن رجلا قصدهما ليتعلم منهما السحر فوجدهما معلقين بأرجلهما ممزقة أعينهما مسودة جلودهما ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلا أربعة أصابع، وهما يعذبان يعني بالعطش، فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال: لا إله إلا الله، فلما سمعا كلامه قالا: من أنت؟ قال: رجل من الناس، قالا من أي أمة؟ قال: من أمة محمد، ﷺ، قالا: أوقد بعث؟ قال: نعم، فقالا الحمد لله، وأظهرا البشاشة والبشر، قال لهما الرجل: بم استبشرتما؟ قالا لأنه نبي الساعة، وقد دنا انقضاء عذابنا والله تعالى أعلم[2].

حُكي أن بالقرب من روبيل[3] (اسم بلد)، جبل عظيم في أسفله [ضيعة يقال لها:][4] ضيعة الدروع [والحواشي، وذلك أن نساءهم وأولادهم وجميع من فيها ليس لهم شغل سوى عمل الدروع][5] وآلات الحرب، وليس/ لهم زرع ولا [444/ب] بساتين، وهم أكثر الناس مالا وخيرا يقصدهم الناس بجميع النعم من سائر

(1) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(2) الحكاية أوردها الطبري في تفسيره. انظر الجزء 1/ 362. ووردت أيضا في السكردان: 435.

(3) لعلها دربيك كما ورد في أسرار البلاغة للعاملي: 258.

(4) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(5) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، هـ.

الآفاق، ومن عجيب أمرهم إذا مات فيهم ميت فإن كان رجلا أسلموه لرجال عندهم تحت الأرض في بيوت يقطعون أعضاءه وينقون اللحم من العظم[1] والمخ ويجمعون لحمه ناحية ويطعمونه[2] الغربان السود ويقفون بالقسي يمنعون/ غيرها [395/هـ] من الحيوان أن تأكل منه شيئا، وإن كانت الميتة امرأة أسلموها لرجال آخرين تحت الأرض وينقون لحمها من عظامها ويطعمون لحمها للحدأة ويقفون بالنشاب يمنعون غيرها من الحيوان أن تدنو من لحمها، ولا يقدر أحد من الملوك على واحد منهم ولا يعطون لأحد طاعة، وحاصرهم الأمير سيف الدين محمد بن خليفة/ [540/ج] المسلمين صاحب روبيل[3] وكان في عسكر كالبحر الزاخر فحين رأوا العسكر قد أحاط بهم خرج من تحت الأرض منهم جماعة وعليهم الأسلحة المحكمة فوقفوا وأشاروا بأيديهم إلى الجبال وتكلموا بكلام لا يفهم ولا يفهمه أحد من العسكر، ثم غابوا تحت الأرض، وإذا ريح عظيمة وبرد شديد، وكادت السماء أن تنطبق على الأرض، فلم يبق في العسكر إلا من سقط على وجهه أوهرب فصدم صاحبه فقتله، فحين بعدوا عن القرية انكشفت تلك الرياح والبرد وفقد من العسكر خلق كثير، وكل ذلك من سحر أولئك الذين يجردون اللحم من العظام تحت الأرض وهذا أمر عجيب[4]

حكى الشيخ الأكبر رحمه الله في كتابه المسمى بإيقاظ الوسنان[5] أن رقعة وجدت بالمسجد النبوي تجاه الحجرة الشريفة على ساكنها الصلاة والسلام، وقد محيت كتابتها عدا هذه الأبيات وهي:

---

(1) ج، هـ: العظد من اللحم.

(2) ج: يقطعونه.

(3) لعلها دربيك كما ورد في المرجع السابق.

(4) الحكاية وردت في أسرار البلاغة للعاملي: 258-259.

(5) هو الشيخ أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن الجوزي صاحب كتاب «إيقاظ الوسنان في الموعظة». انظر كشف الظنون 1/ 215.

[مجزوء الوافر]

دع الأتـراك والعربـا وكـن فـي حـزب مـن غلبـا
فقـد قـال الذيـن مضـوا ففـي رجـب تـرى العجبـا
بعجلـون تـرى فتنـا تهيـج القتـل والوصبـا[1]
فـإن تعطـب فـأسـفا وإن تسـلم فواعجبـا

(1) الوصب: التعب الشديد، وقيل هو التعب والفتور في البدن. اللسان: وصب.

الباب الرابع والثلاثون

في الزجر والعيافة والتنجيم والفال والطيرة وما في معنى ذلك

حُكي أن المنقري[1] حدث عن العتبي[2] قال: وقف عبيد الراعي[3] ذات يوم مع ركب[4] بفيفاء قفر، وكانوا يريدون قصد رئيس من [بني][5] تميم فسنحت ظباء سنوحا منكرا، ثم اعترضت الركب[6] فأنكر ذلك عبيد وقال:

[الطويل]

ألم تر ما قال الظباء السوانح ... أطعن إمام الركب والركب رائح/ [361/أ]

فنكر من لم يعرف الزجر منهم ... وأيقن قلبي أنهن نوائح[7]

ثم شارفوا مقصودهم فالتقوا بالرئيس المذكور فرأوا الرئيس قد نهشته حية فقضي عليه[8].

---

(1) هـ: المقري. ولعله محمد بن سليمان بن داود البصري المنقري، أبو جعفر، من رواة الأخبار، روى عن العتبي وروى عنه المسعودي. انظر تاريخ بغداد 9/ 387.

(2) سبق ذكره.

(3) عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميري، شاعر من فحول المحدثين توفي حوالي 90هـ. انظر ترجمته في طبقات ابن سلام 1/ 502، والأغاني 24/ 168، والخزانة للبغدادي 1/ 504.

(4) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(5) زيادة من: ب، ج، هـ.

(6) ج، هـ: الراكب.

(7) البيتان وردا في مروج الذهب 2/ 305 مع اختلاف بين الروايتين.

(8) الحكاية وردت في مروج الذهب 2/ 305.

حُكي أنه لما مات كافور الإخشيدي[1] صاحب مصر جهز المعز[2] القائد جوهر[3] إلى مصر بعسكر عظيم، ومعه ألف جمل من السلاح، ومن الخيل/ ما لا [445/ب] يوصف، فلما انتظم حاله وملك مصر ضاقت بالجند فاختط سور القاهرة وبنى بها القصور وسماها المنصورية، وذلك في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، فلما/ [541/ج] قدم المعز من القيروان غير اسمها وسماها القاهرة، والسبب في ذلك أن جوهر لما قصد إقامة السور، جمع المنجمين وأمرهم أن يختاروا طالعا لحفر الأساس وطالعا لرمي الحجارة، فجعلوا قوائم من خشب وبين القائمة والقائمة حبل من أجراس، وأفهموا البنائين أنهم حالة تحريك الأجراس يرموا ما بأيديهم من الطين والحجارة ووقف المنجمون لتحرير الساعة وأخذ الطوالع، فاتفق وقوع غراب على خشبة من تلك الخشب فتحركت الأجراس فظن الموكلون أن المنجمين حركوها فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة في الأساس فصاح المنجمون: لا لا لا القاهر القاهر القاهر في الطالع، فمضى ذلك وخانهم ما قصدوه، وكان/ المقصود أن يختاروا [396/هـ] طالعا لا تخرج البلد عن نسلهم فوقع أن المريخ كان في الطالع والمنجمون يسمونه بالقاهر فعلموا أن الأتراك لا يزال البلد تحت حكمهم، وأنه لابد أن يملكوا هذا الإقليم، فلما قدم المعز أخبر بهذه القصة وكانت له خبرة تامة بالنجامة فوافقهم على ذلك وسماها القاهرة، فكان كما قال، وملكها الترك إلى يومنا هذا وهوسنة اثنين وتسعين وثمانمائة، وفي القاهرة أيضا، في قصور الفاطميين، قبة تسمى القاهرة يزعم بعضهم أن القاهرة سميت باسمها، والصحيح ما قلنا، والمعز هذا، هوأول من ملك مصر من الفاطميين وهذه القبة[4] بالقرب من دار الضرب[5] وحبس

(1) سبق ذكره.

(2) سبق ذكره.

(3) سبق ذكره.

(4) أ: الحقبة.

(5) دار الضرب: موضع بالقاهرة. ذكره ابن خلكان في الوفيات 5/ 417.

الرحبة وهي بينهما، وتسمى البلدة القاهرة المعزية. قال عبد العزيز صفي الدين بن سرايا الحلي[1]:

[الكامل]

لله قاهرة المعز فإنها بلد تخصص بالمسرة والهنا
أوما ترى في كل قطر منية من جانبيها نهي مجتمع المنا[2]

حُكي لما توفي وزير المأمون الفضل بن سهل[3] طلب المأمون من ولد الفضل ما خلفه والده فحملت إليه من ذلك سلة مقفولة ففتح قفلها فإذا فيها صندوق صغير مختوم، وإذا فيه درج وفي الدرج مكتوب: بسم الله الرحمان الرحيم، هذا ما قضى الفضل بن سهل على نفسه، أنه يعيش سبعا وأربعين سنة ثم يقتل بين ماء ونار [قال][4]: فعاش هذه المدة، وقتله غالب خادم المأمون بحمام سرخس[5]، وكان قد ثقل أمره على المأمون فدس عليه غالبا فقتله في سنة اثنين وثمانين ومائتين وكان له معرفة تامة بالنجامة[6].

حُكي أنه كان في[7] سادس شهر لقبيب[8] تطلع الشعرى اليمانية[9]، ويستدل بها على نيل مصر، فينظر في القمر تلك الليلة في أي البروج، فإن كان في برج مائي

(1) سبق ذكره.
(2) البيتان وردا في الديوان: 281 والسكردان: 365. والحكاية وردت في السكردان: 365-366.
(3) سبق ذكره.
(4) زيادة من: ب، ج، هـ.
(5) سرخس: مدينة قديمة من نواحي خراسان. انظر معجم البلدان 3/ 208.
(6) الحكاية وردت في الوفيات 4/ 42، وفيه: أنه يعيش ثمانيا وأربعين سنة. ووردت أيضا في المخلاة: 3/ 263.
(7) ساقطة من:ه.
(8) أ: عشرين لقبيب. ولم تتوجه لنا قراءة هذه الكلمة.
(9) الشعرى كوكب نير يقال له المرزم، يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر. انظر اللسان: شعر.

[542/ج] فاحكم/ بالغرق، وإن كان في برج هوائي فاحكم بالهواء وكثرة المنافع، وإن كان في برج ترابي فاحكم بالتوسط، وإن كان في برج ناري فاحكم بالخير، وذلك على طريقة القبط بالتجربة عندهم والله تعالى أعلم.

حُكي أن النجوم تساقطت في أيام أحمد بن طولون فتحدث الناس بزوال ملكه فأحضر المنجمون وسألهم في ذلك فما أجابوا بطائل، فدخل عليه بعض الشعراء فأنشده يقول:

[مجزوء الكامل]

[446/ب] قالوا تساقطت النجو م لحادث جم غفير/
فأجبت عند مقالهم بجواب مطلع خبير
[362/أ] هذي النجوم الساقطا ت رجوم أعداء الأمير[1]/

فأعجبه ذلك وأجازه إجازة[2] سنية. وفي الحديث الشريف أن النبي ﷺ لما دخل المدينة، فنزل على رجل من الأنصار فنادى الرجل بغلمانه، يا سالم! يا يسار! فقال ﷺ: «سلمت لك الدار في يسر»[3].

حُكي أن طاهر بن الحسين لما خرج لقتال عيسى بن ماهان[4] خرج وفي كمه دراهم يفرقها على الضعفاء، ثم إنه سها[5] وأسبل كمه فتبذرت الدراهم فتطير من ذلك فقام[6] إليه بعض الشعراء فأنشده يقول:

(1) الأبيات وردت في المخلاة: 269.
(2) ب، ج: جائزة.
(3) الحديث والحكاية وردا في المخلاة: 269.
(4) سبق ذكره.
(5) ب، ه ك سهى.
(6) أ: فقال.

[الكامل]

هذا تبدد شملهم لا غيره   وذهابها منا ذهاب الهم
شيء يكون الهم نصف حروفه   لا خير في إمساكه في الكم[1]/ [397/هـ]

فتفاءل بقوله وأحسن جائزته[2].

حُكي أن رجلا دخل على كافور الإخشيدي صاحب مصر وأثنى عليه ودعا له، وقال في دعائه له: أدام الله أيام مولانا وكسر الميم من أيام، فتحدث جماعة من الحاضرين في ذلك وعابوه، فقام رجل من وسط الناس وأنشد:

[البسيط]

لا غرو إن لحن الداعي لسيدنا   وغص من دهش بالريق و البَهَرِ
فتلك هيبته حالت جلالتها   بين اللبيب وبين القول بالحصر
وإن يكن خفض الأيام من غلط   في موضع النصب لا عن قلة النظر
وقد تفاءلت من هذا لسيدنا   والفال نورثه عن سيد البشر
بأن أيامه خفض بلا نصب   وإن أوقاته صفو بلا كدر[3]

فسر كافور بذلك وأجاز الشاعر جائزة سنية.

حكى أبو مسعود المسيحي[4] قال: قيل لبعضهم: ما اسمك؟ قال: سعد فقال: ابن من؟ قال: ابن/ مسعدة، فقال: من بني من؟ قال: من بني مسعود، قال: [543/ج] مسألتك هذه مثل أعرابي لقي آخر فقال: ما اسمك؟ قال: فياض فقال: ابن من؟ قال: ابن الفرات. فقال: أبو من؟ قال أبوالبحر. فقال: ينبغي أن لا نلقاك إلا في

---

(1) البيتان وردا في الأذكيا: 153، والمخلاة: 269.

(2) الحكاية وردت في المخلاة: 269.

(3) الأبيات وردت في زهر الآداب 3/ 673، وبدائع البدائه 1/ 190، ومجاني الأدب 5/ 120.

(4) في سكردان السلطان: حكى أبو مسعود قال: قال لي أبو داود المسيحي ما اسمك؟

زورق وإلا نغرق[1].

قلت والعلم المشهور في ذلك ما رواه الإمام مالك في الموطأ أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، سأل رجلا فقال: ممن الرجل؟ فقال: من أهل الحرة يعني حرة النار فقال: وأين مسكنك؟ قال[2]: بذات لظى. فقال: أدرك أهلك[3] فقد احترقوا. فكان كما قال عمر، رضي الله عنه والله أعلم[4].

حُكي [أن الشيخ][5] شهاب الدين القوصي[6] كان يوما[7] عند الملك الأشرف فدخل عليه سعد الدين الحكيم فقال الملك الأشرف لشهاب الدين: ما تقول في سعد الدين الحكيم؟ فقال: إذا كان على سماطك فسعد بلع، وإذا كان لسرك فسعد الأخبية، وإذا كان لأعدائك فسعد الذابح، وإذا كان لنجمك فسعد السعود[8]

[447/ب] قلت: وكان ابن الرومي/[9] شديد الطيرة، وكان يلازم بيته ولا يخرج منه إلا بعد استقراء القرائن الحسنة. يروى أن بعض أصحابه أرسل إليه رسولا حسن الوجه طيب الرائحة يستدعيه إلى الحضور فتفاءل بذلك. قال: حسن في حسن، فخرج معه إلى رأس الدرب فرأى خياطا قد طلب درابتي [باب][10] حانوته وهو يأكل تمرا فقال: الدرابتين لا والتمر تمر أي، لا تمر، فرجع ودخل داره وأغلق الباب وله

---

(1) الحكاية وردت في السكردان: 361.

(2) ج: فقال.

(3) أ: أهل دارك.

(4) القول ورد في الموطأ: 690-691، مع اختلاف الروايتين في البداية. والكشكول 29 2/ 7.

(5) زيادة من: ج، هـ.

(6) سبق ذكره.

(7) ساقطة من: ج.

(8) الحكاية وردت في السكردان: 361 مع اختلاف الرواية.

(9) سبق ذكره.

(10) هكذا وردت في السكردان.

في ذلك مسائل كثيرة مشهورة[1].

حُكي في تاريخ مصر أن أبا الحسن علي بن عبد الرحمان[2] كان مغفلا يعتم على طرطور[3] كبير طويل ويركب بغلة عالية، ويخرج ضحكة لمن يراه، وكان أفنى عمره في الرصد وتيسير النجوم، يعمل ما لا نظير له، وكان يقف للكوكب وله معرفة تامة بعلم النجامة. فمنها أنه قال قبل موته بسبعة أيام: إنه يموت وكان صحيحا سالما فبيض دهليز داره وأعد موضع قبره منها، وفرغ من جميع ما يحتاج إليه، وكان كل من خاطبه من أهل داره وأصحابه يقول: قد دنا/ الوقت [363/أ] وهويدخل ويخرج ويتصدق ثم دخل داره وأغلق عليه بابه، وكان له جارية تدعى إحسان[4]، فقال لها: قد غلقت ما لا أفتحه بعد اليوم أبدا. وصفى الماء من بركة داره وغسل مسوداته، ولم يزل يقرأ ﴿قل هوالله أحد﴾ إلى أن خرجت روحه رحمه الله[5] يوم الإثنين لثلاث خلون من شوال سنة تسع وتسعين[6] وثلاثمائة بعد سبعة أيام من قوله.

وكان[7] الحاكم أعطى المذكور دارا فقال: أريد غيرها فأعطاه غيرها/ فأخلاها [398/هـ] من غد ذلك اليوم، فلما كان بعد ثلاثة أيام جاء سيل عظيم من الجبل إلى/ القاهرة [544/ج] ورمى قصورا ودورا وكان أمرا لم ير مثله فيما تقدم فذهبت الدار المذكورة[8].

---

(1) القول ورد في معجم الأدباء 13/ 296 وزهر الآداب 2/ 177، والسكردان: 362.

(2) علي بن عبد الرحمان بن أحمد بن يونس الصدفي المصري، أبو الحسن، فلكي من العلماء (توفي حوالي 399هـ)، انظر الوفيات 3/ 429، شذرات الذهب 3/ 156.

(3) الطرطور: قلنسوة للأعراب طويلة الرأس. اللسان: طرر.

(4) ب: انساب.

(5) ما بين معقوفين ساقط من: ب، ج، هـ.

(6) أ: سبعين.

(7) ج: ومنها أن.

(8) الحكاية وردت في السكردان: 366.

حكى ابن خلكان عن أبي معشر[1] أن بعض الملوك طلب رجلا من أتباعه ليعاقبه على جريرة[2] وقعت منه فاستخفى وعلم أن أبا معشر المنجم يدل عليه بالطريقة التي يعرفها ويستخرج بها الخبايا، فأراد أن يعمل شيئا لا يهتدي إليه فأخذ طبقا من نحاس وجعل فيه دما وجعل في الدم هاونا من ذهب وقعد على الهاون فطلبه الملك وبالغ في طلبه، فلما عجز عنه قال لأبي معشر: عرفني موضعه بما جرت به عادتك فعمل الحيلة التي يستخرج بها الخبايا وقعد زمانا حائرا فقال له الملك: ما سبب سكوتك؟ فقال: إني أرى شيئا عجيبا قال: وما هو؟ قال: أرى الرجل المطلوب على جبل من ذهب، والجبل في بحرمن دم محيط به سورمن نحاس ولا أعلم في العالم موضعا على هذه الصفة فقال له: أعد النظر فأعاده فقال: لا أرى إلا ما ذكرت، وهذا شيء ما وقع لي مثله. فلما يئس الملك من القدرة عليه بهذه الطريقة نادى في البلد بالأمان للرجل فلما حضر بين يديه سأله عن الموضع الذي كان فيه فأخبره بما اعتمده فأعجبه حسن احتياله في إخفاء نفسه ولطافة أبي معشر في استخراجه لذلك، وهذا من العجائب[3].

حكى ابن أبي أصيبعة[4] في كتابه الإنباء في تاريخ الأطباء وغيره من أرباب التواريخ أن وزير محمود بن صالح [صاحب][5] حلب وشى بأبي العلاء المعري بأنه زنديق، وأنه يزعم أن الرسالة تحصل بصفاء العقل، فأمر الملك محمود يطلبه

---

(1) جعفر بن محمد بن عمر البلخي، أبو معشر، عالم فلكي مشهور توفي حوالي 277هـ. انظر ترجمته في الفهرست لابن النديم والوفيات 1/ 358-359.

(2) الجريرة: الجناية والذنب. اللسان: جرر.

(3) الحكاية وردت في الوفيات 1/ 258-259.

(4) لعله أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي أبو العباس بن أبي اصيبعة (590-668هـ)، انظر ترجمته في النجوم الزاهرة 7/ 229 والبداية والنهاية 13/ 257.

(5) محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي، أحد الأمراء المرداسيين، أصحاب حلب، توفي حوالي 467هـ. انظر ترجمته في المنتظم 8/ 300 والنجوم الزاهرة 5/ 100 والشذرات 3/ 329.

وبعث له خمسين فارسا ليحملوه، فلما وصلوا إليه، أنزلهم مسلم بن سليمان[1] صاحب المعري[2] دار الضيافة ثم دخل على أبي العلاء وقال[3]: يا ابن أخي قد نزلت[4] بنا حادثة قال: وما هي؟ قال: الملك محمود يطلبك فإن منعناك عجزنا وإن أسلمناك فعار علينا[5] عند ذوي الذمم. فقال/ له أبوالعلاء: هون عليك يا [448/ب] عم! فلا بأس علينا فلي سلطان يدب عني وقام واغتسل وصلى إلى نصف الليل ثم قال لغلامه: انظر إلى المريخ، أين هو؟ فقال: في كذا وكذا. فقال: زنه واضرب تحته وبدأ واربط في الوتد خيطا واجعله في رجلي، ففعل غلامه ذلك ثم سمعناه وهويقول: يا قديم الأزل! يا علة العلل! يا صانع المخلوقات وموجود الموجودات! أنا في عزك الذي لا يضام، وكنفك الذي لا يرام، الضيوف، الضيوف، الوزير، الوزير ثم ذكر كلمات لا تفهم وإذا بهزة عظيمة فسئل عنها فقيل: وقعت الدار على الضيوف، التي كانوا فيها فقتلت الخمسين، وعند طلوع الشمس وقعت بطاقة من جناح طائر لا تزعجوا الشيخ فقد وقع الحمام/ على الوزير. فقال مسلم: فلما [545/ج] رأيت ذلك دخلت عليه فقال: من أنت؟ فقلت: أنا فلان بن فلان فقال: زعموا أني زنديق ثم قال: اكتب وأملى علي:

[البسيط]

باتوا وحتفي أمانيهم تصوره	وبت لم يخطروا مني على بال
وفوقوا لي سهاما من مكائدهم	فأصبحت وقعا مني بأميال
فما ظنونك إذ جندي ملائكة	وجندهم بين طواف وبقال

(1) هكذا ورد في السكردان.
(2) هـ: المعرة.
(3) هـ: فقال.
(4) هـ: نزل.
(5) أ، هـ: عليها.

[399/هـ] إذا تنافست الجهال في حلل ... رأيتني وخسيس القطن سربالي/
[364/أ] لا آكل الحيوان الدهر مأثرة ... أخاف من سوء أقوالي، وأفعالي/
وأعبد الله لا أرجومثابته ... لكن تعبد إكرام وإجلال
أصون ديني عن جعل أؤمله ... إذا تعبد أقوام بإجعال[1]

حُكي أنه حفر ببلاد المغرب مقبرة فوجدوا صندوقا فيه رجلا أعظم ما يكون من الرجال، لم يسقط شيء من جسده، فأخذوه أهل الناحية وحفروا له حفيرة وأوقعوه فيها على مقتات[2] لهم كي ينفروا به الطير والوحش عن المقتات، ثم تأملوه فوجدوا في أصبعه خاتما منقوشا فقرأوه فإذا مكتوب عليه: رأيت في العلم الصحيح أني أخرج من قبري في آخر الزمان وأصير حارسا للمقتات.

حكى محمد بن الجراح[3] قال: تقلد خالد بن يزيد[4] الموصلي فلما مر ببعض الدور اندق اللواء فاغتم لذلك وتطير فأنشده أبو الشمقمق[5] الشاعر في الحال:

[الكامل]

ما كان مندق اللواء لريبة ... تخشى، ولا سوء يكون معجلا
لكن هذا العود أضعف متنه ... صغر الولاية فاستقل الموصلا[6]

(1) الأبيات وردت مع الحكاية في الوافي بالوفيات 7/ 72، ونكت الهميان 1/ 84، وهي ضمن قصيدة طويلة في 19 بيتا.

(2) المقتات: لعله أراد به ما يقتات منه من زرع وغيره.

(3) لعله محمد بن داود بن الجراح، أبو عبد الله، أديب من علماء الكتاب (243-296هـ)، انظر تاريخ بغداد: 255 وفوات الوفيات 3/ 353-354.

(4) خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة، أبو يزيد الشيباني، أحد الأمراء الولاة الأجواد في العصر العباسي (ت 230هـ)، انظر الولاة والقضاة: 174.

(5) أ، ج، هـ: السمقمق. وهو مروان بن محمد الملقب بأبي الشمقمق، شاعر هجاء من أهل البصرة توفي حوالي 200هـ. انظر ترجمته في المرزباني 31 9/، تاريخ بغداد 13/ 145

(6) البيتان وردا في الوفيات 6/ 341.

فسر لذلك وأجازه[1].

حكى إبراهيم بن المهدي[2] قال: كنت مع الرشيد فقال لي: يا إبراهيم! ما أحسن الأسماء عندك؟ قلت: اسم رسول الله ﷺ. قال: فمن بعده؟ قلت: اسم أمير المؤمنين هارون الرشيد. قال: وما أسمج[3] الأسماء عندك؟ قلت: اسم إبراهيم، فوكزني وقال لي: ويلك! إبراهيم الخليل، فقلت: [من شؤم هذا الاسم لقي من النمرود ما لقي، قال: فإبراهيم بن رسول الله ﷺ. فقلت:][4] لما سمي بهذا الاسم مات صغيرا، قال: فإبراهيم بن محمد[5] الإمام [فقلت:][6] أحرقه اسمه، أدخل رأسه مروان في جراب النورة حتى مات، وأزيدك أن إبراهيم بن الوليد[7] خلع وإبراهيم بن عبد الله[8] بن الحسن قتل، ولن تجد/ أحدا يسمى [449/ب] بهذا/ الاسم إلا رأيته مخلوعا أومضروبا أومطرودا أومقتولا، فلما انقضى كلامي [546/ج] سمعت ملاحا يقول في الدجلة: يا إبراهيم! تأمل في حرامك. قال: فالتفت إلي الرشيد وهومبتسم فقلت له: صدقت قولي لك أن أبغض الأسماء إلي اسم إبراهيم فضحك حتى استلقى على ظهره سرورا[9].

---

(1) الحكاية وردت في المرجع نفسه.

(2) سبق ذكره.

(3) أ، ب: أسمح.

(4) ما بين معقوفين ساقط من:ه.

(5) إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (82-131هـ)، انظر ترجمته في الكامل لابن: الأثير 5/ 422.، وذكره الأصفهاني في مقاتل الطالبيين: 206.

(6) زيادة من: ب، ج، هـ.

(7) إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك المرواني الأموي، أبو إسحاق، أمير كان مقيما في دمشق توفي حوالي 132هـ. انظر الأعلام 1/ 78.

(8) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (97-145هـ)، انظر مقاتل الطالبيين: 315.

(9) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 227 - 228.

حكى المؤلف قال: كان في بلادنا المنصورة[1] رجل يسمى عبد الرزاق، وكان شيخا مسنا من ذوي البيوت بها، وكان له خبرة تامة بعلم النجوم وعلم الرمل. ومما وقع لنا معه أنا جلسنا ليلة في القمر وجماعة من أهل الناحية بالمسجد الجامع العتيق الصالحي في بعض شهور سنة أربع وستين وثمانمائة فتذاكرنا شيئا من علم النجامة فقال الشيخ: ليضمر كل منكم ضميرا وأنا أخرجه له فأضمر جماعة من الحاضرين كل على شيء، وهو يخرج له ضميره، وكان إلى جانبي رجل يسمى عبد القادر بن حجاج وهورجل بطين وله أخ شقيق يسمى عبد الله وهورجل عنده خفة، وكانا يدولبان طاحونا[2] بالناحية، وكانا عازبين بغير تزويج وكان عندهما بغلة، وكان أصحابهما يمزحون معهما ويقولون لهما: إنكما تأتونها، فقلت له: يا شيخ! أخرج هذا الضمير، ثم أضمرت [في][3] نفسي وقلت: كس بغلة عبد القادر. فسكت قليلا ثم قال: هذا الضمير مختلط علي [أضمرت على][4] كنيسة أوعلى فرن. فقلت له: لأي شيء ذلك؟ فقال: إني رأيت أن الذي أضمرت، له باب مقنطر أسود، داخله حمرة، وفيه نجاسة والفرن كذلك بابه مقنطر، والسواد، الذي عليه من الدخان، والحمرة التي فيه هي النار والنجاسة، ما يوقد فيه من سرجين[5] ونحوه، وإن كانت هذه/ الصفات فهي كنيسة لأن السواد ظلمة [400/هـ] الكفر والحمرة، شكل منحوس والنجاسة ما يعبد فيها من دون الله تعالى، فقلت: أي الأمرين يغلب عندك؟ فسكت قليلا، ثم قال: لعلها كنيسة، فإني أجد اثنين يدخلان إليها متعاقبين لا يجتمع أحدهما بالآخر، إلا إن دخل أحدهما أول النهار،

---

(1) المنصورة في عدة مواضع، ولعله أراد البلدة التي أنشأها الملك الكامل بن الملك العادل بن أيوب، وسماها المنصورة، وهي بين دمياط والقاهرة. انظر معجم البلدان 5/ 212.

(2) هكذا في جميع النسخ، ولعله صاغ الفعل من الدولاب.

(3) زيادة من: ج، هـ.

(4) زيادة من: ج، هـ.

(5) السرجين: ما تذبل به الأرض من زبل ودمن وغير ذلك، انظر اللسان: سرجن

دخل الثاني آخره، وإن دخل هذا أول الليل دخل هذا آخره لا يجتمعان. فقلت: هؤلاء نصارى؟ فقال: ما عرفت لهما دينا، ليسا بمسلمين/ ولا نصارى، ولا عرفت [365/أ] لهما مذهبا، يشتبه أن يكونا من الزنادقة، فقلت له: بما وصفتهما؟ فقال: أما الأول فرجل بدين منبطح، وأما الثاني فمفطوس[1] نحيف فقال لي عبد القادر الذي كان إلى جانبي: يا ترى من هذين من الناس؟ فقلت له: وما الناس إلا أنتم لاسواكم، فعرف الحاضرون الواقعة فتضاحكوا من ذلك وعجبوا من الشيخ غاية العجب.

حكى الأصمعي قال: دخلت/ على الرشيد فلما قضيت من السلام والدعاء [547/ج] قال لي: اقعد، ثم قال لي: يا علي! أتحب أن ترى محمدا وعبد الله؟ قلت: ما أشوقني إليهما. قال: فأمر بإحضارهما فحضرا كأنهما قمر السماء وقد غضا أبصارهما وقاربا خطاهما حتى وقفا على باب المجلس فسلما على أبيهما بسلام الخلافة، ودعا كل واحد منهما بأحسن الدعاء فأمرهما بالدنو منه فدنوا فأجلس محمدا عن يمينه وعبد الله عن يساره، ثم قال لي: طارحهما الأدب. فما سألتهما في شيء إلا أحسنا الجواب عنه والخروج منه، فسر الرشيد بذلك حتى[2] تبين لي السرور في وجهه، ثم قال لي: يا علي! كيف ترى أدبهما وجوابهما؟ فقلت: فما بالك في فرع زكى أصله/ [450/ب] وطاب مغرسه، وتمكنت في المجد عروقه، وعذبت مشاربه، أبوهما أغر، نافذ الأمر، واسع العلم، عظيم الحلم، يحكمان بحكمه، ويستضيئان بنوره، وينطقان بلسانه [ويتقلبان][3] في سعادته، فأمتع الله أمير المؤمنين بهما، وأنس الأمة ببقائه وبقائهما، فما رأيت أحدا من أبناء[4] الخلفاء ومن أغصان هذه الشجرة الكريمة أدرب لسانا ولا أعذب ألفاظا ولا أشد اقتدارا على بادرة ما حفظا منهما، ودعوت

---

(1) أظنه أراد الفطس الذي يكون في الأنف وهو انخفاض قصبة الأنف وانتشارها. انظر اللسان: فطس.

(2) ساقطة من:هـ.

(3) أ: يغلبان.

(4) ج: أولاد.

لهما دعاء كثيرا والرشيد يؤمن على دعائي ثم ضمهما إليه وجعل يديه عليهما وبكا حتى رأيت الدموع تنحدر على وجهه، ثم أمرهما بالذهاب، فلما خرجا أقبل علي وقال لي: كأني بهما وقد نفد القضاء ونزلت [المقادير بالبلاء][1] وبلغ الكتاب أجله وقد تشتت أمرهما واختلفت كلمتهما فظهر تعاديهما حتى تسفك الدماء بينهما وتقتل القتلى وتهتك ستور النساء ويتمنى كثير من الأحياء أن يكونوا من الموتى قال: فقلت له: أيكون كذلك يا أمير المومنين؟ قال: نعم. فقلت: لأمر رءي في مولدهما؟ فقال: لا والله، بل بأمر واجب حمله العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء ثم قمت وهوعلى تلك الحالة[2].

حُكي عن سعيد بن عامر البصري[3] قال حججت في السنة التي حج فيها الرشيد وأخذ العهد للأمين والمأمون فاستعظم الناس أمر الشرط والأيمان في الكعبة المشرفة فرأيت رجلا من هذيل يقود بعيرا وهويقول:

[الرجز]

وبيعة قد نكثت أيمانها وفتنة قد سعرت نيرانها[4]

قال: فقلت له: ويحك! ما تقول؟ فقال: إن السيوف ستسل والفتنة ستقع والتنازع في الملك سيظهر، فقلت له: وكيف ذلك؟ فقال: أما ترى البعير واقفا/ [54S/ج] والرجلان يتنازعان والغرابان قد ولغا بمناقرهما في الدم والتطخا به، والله لا يكون آخر هذا الأمر إلا محاربة وشرا[5]. قال: ولما ذهبوا ليعلقوا/ العهد في الكعبة [401/هـ]

(1) ب: مقادر.

(2) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 210 وهي منسوبة للكسائي وليس للأصمعي، وكذا في المستطرف 1/ 361.

(3) لعله سعيد بن عامر الضبعي البصري محدث علامة (122-208هـ)، انظر الشذرات 2/ 20.

(4) البيت ورد في مروج الذهب بدون نسبة. انظر ج 4/ 214.

(5) في هذه النقطة تنتهي الحكاية في مروج الذهب 4/ 214-215.

المشرفة سقط منهم عند تعليقه فتطيروا من ذلك لسرعة انتقاضه، فكان من أمرهم ما كان، و ﴿كان أمر الله قدرا مقدروا﴾[1].

حكى الأصمعي قال: دخلت على الرشيد وهو ينظر في كتاب ودموعه على خديه[2] فظللت قائما حتى سكن وحانت منه التفاتة فرآني ثم قال لي: اجلس يا أصمعي، فجلست فقال لي: أرأيت ما كان؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. فقال: أما والله لوكان لأمر الدنيا ما رأيت هذا، ثم رمى إلي الكتاب فإذا فيه شعر لأبي العتاهية مكتوب بقلم جلي وهويقول:

[الكامل]

هل أنت معتبر بمن خربت ... منه غداة قضى دساكره[3]

وبمن أذل الموت ناصره[4] ... فتبرأت منه عشائره

وبمن خلت[5] منه أسرته ... وتعطلت منه منابره/ [366/أ]

درست محاسن وجهه ونفى ... عنه الكرا خطب يباشره

يا مؤثر الدنيا بلذته ... والمستعد لمن يفاخره

نل ما بدا لك أن تنال ... من الدنيا فإن الموت آخره[6]

قال: ثم قال لي الرشيد: والله كأني أخاطب بذلك كل الناس. فلم يلبث/ [451/ب] إلا أياما يسيرة حتى مات رحمه الله تعالى[7].

---

(1) الأحزاب: 38.

(2) أ، ب: خده.

(3) أ، ج: قاصره. ودساكره: مفردها: دسكرة وهو بناء يكون للملوك على هيئة القصر، وقيل: هي الصومعة. اللسان: دسكر.

(4) ج: شعائره.

(5) أ، ج، هـ: دخلت.

(6) الأبيات وردت في الديوان: 205 مع اختلاف في رواية بعض الأبيات.

(7) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 231-232. وشرح المقامات 2/ 51.

حكى إبراهيم الموصلي[1] قال: بعث إلي الأمير وهو محاصر فسرت إليه، فإذا هو جالس في مقصورة من العود والصندل وعنده جماعة من ندمائه، وقد بلغه قتل عيسى بن ماهان[2]، الذي كان جهزه لقتال أخيه المأمون، وقد اغتم لذلك فسليناه حتى سري عنه ففرح ودعا بجارية من جواريه تسمى ضعف[3] فتطيرنا من اسمها فضربت بعودها وغنت تقول:

[الطويل]

كليب لعمري كان أعظم ناصرا وأصغر منك ضرج بالدم[4]

فتطير من قولها وقال لها: اسكتي فعل الله بك كذا وكذا، وعاد إلى ما كان عليه من الغم والقنوط فحدثناه وسليناه إلى أن هش وبش وضحك ثم أقبل عليها وقال: هات ما عندك فقالت:

[الطويل]

هم قتلوه كي ينال مكانه كما غدرت يوما بكسرى مرازبه[5]

قال: فأسكتها وازداد غما فسليناه حتى عاد إلى سروره وضحك وقال لها: غني[6]. فغنت تقول:

---

(1) سبق ذكره.

(2) سبق ذكره.

(3) مغنية من مغنيات العصر العباسي غنت الأمين بن هارون الرشيد. انظر أعلام النساء 2/ 358.

(4) البيت ورد في شعر النابغة الجعدي وهو العاشر من قصيدة ميمية مطلعها:

أيا دار سلمى بالحرورية اسلمي إلى جانب الصمان فالمتثلم

انظر ص: 143. ومروج الذهب 4/ 267.

(5) المرزاب: ولعله أراد المرازبة، واحدها مرزبان: وهو الفارس الشجاع. اللسان: رزب. والبيت من شعر الوليد بن عقبة ورد في مروج الذهب 4/ 274. وفي الكامل للمبرد 2/ 916.

(6) ب، ج، هـ: غن.

[الطويل]

كأن لم يكن بين الحجون[1] إلى[2] الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر[3]/ [549/ج]

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر[4]

وقيل إنها غنت:

[مجزوء البسيط]

أما ورب السكون والحرك إن المنايا كثيرة الشرك[5]

فقال لها: قومي فعل الله بك وصنع. قال: فقامت فعثرت في القدح الذي كان بين يديه فانكسر وأهرق الشراب. قال: فما قعدنا بعدها مدة يسيرة إلى أن قتل رحمه الله[6].

حُكي أن المنصور جلس يوما مع جلسائه وأهل بيته فقال لهم وهومستبشر: أما علمتم أن ولدي عبد الله المهدي[7]، ولد له البارحة ولد ذكر، وقد سميناه موسى؟ فلما سمع القوم ذلك تقطبت وجوههم وسكتوا فلم يجيبوا. قال: فنظر إليهم المنصور وقال: هذا موضع سرور وتهنئة فأراكم قد سكتم، ثم استرجع وقال: كأني لما أخبرتكم بتسميتي إياه موسى اغتمتم لذلك، فإن المولود المسمى منا موسى على رأسه تختلف/ كلمتنا، وتسفك الدماء، وتنهب الخزائن، ويضطرب [402/هـ]

---

(1) أ: الحجور.

(2) ج: لا.

(3) هـ: سافر. والحجون: جبل بمكة. انظر معجم البلدان: الحجون.

(4) البيتان من شعر الحارث بن مضاض بن عبد المسيح الجرهمي. مروج الذهب 4/ 267. وأوردهما ابن منظور في اللسان: حجن، ونسبه ياقوت في معجمه، لمضاض بن عمرو.

(5) الشرك: حبائل الصائد. انظر اللسان: شرك.

(6) الحكاية وردت في مروج الذهب برواية مختلفة في الشعر والنثر. الجزء: 4/ 266-267.

(7) لعله أراد: محمد بن عبد الله المهدي.

ملكنا ويقتل أبوه، وهو المخلوع منا من الخلافة، وليس هو بذاك ولا هذا زمانه. والله إن جد ذاك المولود، إلى الآن، ما ولد. فدعوا له بطول البقاء، وهنوا المهدي.

حُكي لما غزا المأمون بلاد الروم ونزل على عين البديدون[1] بعد أن فتح أربعة عشر حصنا فأقام على العين المذكورة ينتظر رسله من الحصون، فلما رأى العين أعجبه برد مائها وصفاؤه وحسن بياضه فأمر بقطع خشب طوال وجعل على العين كالجسر وجعل فوقه عريشا من الخشب وورق الشجر وجلس فيها والماء تحته يجري وهو في غاية الصفاء بحيث لو طرح فيه درهم لقرئت كتابته وهو في قرار الماء لصفائه، ولم يقدر أحد أن يدخل يده في الماء لشدة برودته، فبينما هو كذلك إذ لاحت له سمكة نحو الذراع، كأنها سبيكة فضة، فجعل لمن يخرجها من الماء جعل، فبادر بعض الفراشين فنزل وأخذها وأنزلها بين يديه على شاطئ العين فاضطربت [452/ب] [وانسابت][2] في الماء كالحجر فنضحت/ الماء على صدر المأمون ونحره وبلت[3] ثوبه ثم انحدر الفراش ثانيا فأخذها ووضعها بين يديه أيضا وهي تضطرب فقال [367/أ] المأمون، تقلى[4] في الحال، ثم أخذته الرعدة من[5] ساعته ولم يقدر على الحركة/ من مكانه. قال: فغطى باللحوف والفرا[6] وهو يرتعد كالسعفة[7] وهو يصيح: البرد! ثم حول إلى المضرب وأوقد حوله النيران وهو يصيح: البرد! ثم أوتي بالسمكة وقد فرغ من قليها فلم يقدر على الذوق منها واشتغل بما هو فيه عن تناول شيء منها ولما

(1) بذيدون: قرية بينها وبين طرسوس يوم من بلاد الثغر مات بها المأمون. انظر معجم البلدان 1/ 363.

(2) زيادة من: ب، هـ.

(3) أ: حلت.

(4) ب، تعالى. ج: تلقى.

(5) أ: ما.

(6) الفرا بين الفرو والفروة وهو ما يلبس. اللسان: فرا.

(7) السعفة: النخلة. اللسان: سعف

اشتد به الأمر سأل/ المعتصم ابن بختيشوع[1] اللبيب وابن ماسويه[2] قال: فتقدم [550/ج] بن ماسويه والآخر وأخذ كل واحد منهما يده فوجدا نبضه خارجا عن الاعتدال منذرا بالفناء قال: فالتصقت يداهما على جسده لعرق كان يظهر من سائر جسده سائلا فأخبرا المعتصم أنهما لم يعرفا هذا العرق وأنهما لم يرياه في شيء من الكتب الطبية. قال: ثم أفاق المأمون من غشيته وفتح عينيه وأمر بإحضار أناس من أسارى الروم ممن كان معه فسألهم عن اسم العين فقالوا: العسيرة[3] فقال: ما تفسير هذا الاسم بالعربية؟ فقالوا: معناه مد رجلك. فتفاءل من هذا الاسم وتطير، ثم قال: فما تفسير البديدون بالعربية؟ قالوا تفسيره: الرقة. وكان المنجمون يخبرونه أنه يموت بالرقة. فكان المأمون كثيرا ما يحذر المقام فيها، وهي مدينة من أعماله. ثم أيس المأمون من الحياة، فقال: أخرجوني أشرف على عسكري، وأنظر إلى رجالي وأهل مملكتي، وكان ذلك في الليل فأخرج فأشرف على العسكر وانتشاره، وقد ملأ الفضاء والسهل والجبل، وفيه نيران كثيرة توقد، فبكى ثم قال: يا من لا يزول ملكه! ثم رد إلى مرقده وأجلس المعتصم معه رجلا مسلما يلقنه الشهادة، فرفع الرجل صوته بالشهادة وقد اعتقل لسان المأمون، ثم قال ابن ماسويه: اخفض صوتك فإنه الآن غاب لا يفرق بين ربه وبين غيره، ففتح المأمون عينيه وفيهما من التورم والحمرة كأنهما كأسا دم، ووثب يحاول البطش بابن ماسويه وأراد مخاطبته فعجز عن الكلام ثم أومأ بطرفه إلى السماء وقد امتلأت عيناه دموعا وانطلق لسانه ثم قال: يا من لا يموت! ارحم من يموت. وقضى نحبه من ساعته رحمه الله يوم

(1) بختشوع بن جبرائيل بن بختشوع، طبيب سرياني الأصل قربه الخلفاء العباسيون توفي حوالي 256هـ. انظر ترجمته في طبقات الأطباء: 201.

(2) يوحنا بن ماسويه، أبو زكريا، من علماء الأطباء سرياني الأصل، خدم الرشيد والمأمون ومن بعدهما إلى أيام المتوكل توفي حوالي 243هـ. انظر ترجمته في عيون الأنباء في طبقات الأطباء 1/ 202.

(3) لعل الصواب، كما ورد في مروج الذهب، هو: العشيرة.

الخميس لثلاث عشرة[1] ليلة خلت من شهر رجب سنة ثمان عشرة ومائتين[2].

حكى الشيخ شهاب الدين محمود[3] قال: مرض القاضي ابن خلكان [فعدته][4] بالمدرسة النجيبية سنة إحدى وثمانين وستمائة، قال: فأنشدني لبعض أهل الأدب [403/هـ] أبياتا رثاء في نقيب الأشراف بالمدائن، خلب بها عقلي وهو هذا الشعر/ :

[الكامل]

قد قلت للرجل المولى غسله هلا أطعت وكنت من نصحائه

جنبه ماءك ثم غسله بما ذرفت عيون المجد عند بكائه

وأزل أفاديه الحنوط ونحها عنه وحنطه بطيب ثنائه

ومر الملائكة الكرام بحمله شرفا، ألست تراهم بإزائه؟

لاتوه أعناق الرجال بحمله يكفي الذي حملوه من نعمائه[5]

[551/ج] قال الشيخ شهاب الدين محمود فوقع في نفسي أنه أحق بهذا الرثاء وأنه نعى/ [453/ب] نفسه فكان كذلك، فمات في ذلك الأسبوع وسمعت لبعضهم/ رثاء يقرب منه وهو:

[الطويل]

غدا نعشه فوق الرقاب وطالما غدا فضله طوق الرقاب ونائله

يمر على الوادي فتثنى رماله عليه وبالنادي فتبكي أرامله[6]

---

(1) أ: عشرة.

(2) الحكاية في مروج الذهب 4/ 340 - 432. والشريشي 2/ 51

(3) هو محمود بن سلمان بن فهد بن محمود الحنبلي، أبو الثناء شهاب الدين (644-725هـ)، انظر ترجمته في الدرر الكامنة 4/ 324، النجوم الزاهرة 9/ 264، البداية والنهاية 14/ 120.

(4) زيادة من: هـ.

(5) الأبيات وردت في ثمرات الأوراق 1/ 54.

(6) البيتان وردا في نهاية الأرب 27/ 175.

وقال في المعنى الصفي الحلي رحمه الله:

[الطويل]

تصدع قلب البرق يوم مصابه … ألست تراه خافقا حين يخطف

ولا زال بدر التم يلطم وجهه … على فقده حين اغتدى فهو أكلف[1]

حكى أبو عبد الله بن حمدون[2] قال: كنت مع المتوكل لما خرج من دمشق فركب يوما إلى رصافة هشام/ بن عبد الملك بن مروان فنظر في قصورها، ثم خرج فرآى ديرا هناك قديما حسن البناء، بين مزارع وأشجار وأنهار، فدخله، فبينما هو يطوف فيه إذ أبصر رقعة قد التصقت في صدره فأمر بقلعها فإذا فيها هذه الأبيات: [368/أ]

[الطويل]

أيا منزلا بالدير أصبح خاليا … تلاعب فيه شمأل ودبور[3]

كأنك لم تسكنك بيض أوانس … ولم تتبختر في فنائك حور

وأبناء أملاك كرام وسادة … صغيرهم عند الأنام كبير

إذا لبسوا أدراعهم فضراغم … وإن لبسوا تيجانهم فبذور

ليالي هشام بالرصافة قاطن … وفيك ابنه يا دير! وهو أمير

وروضك ممطور ونورك زاهر … وعيش بني مروان فيك نضير

إذ[4] العيش صفو والخلافة لذة … وأنت طرير والزمان غرير[5]

---

(1) أكلف: تغير. والكلف شيء يعلو الوجه، وقيل هو لون بين السواد والحمرة. اللسان: كلف. والبيتان وردا في الديوان: 332.

(2) أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، أبو عبد الله، ابن حمدون، عالم بالأدب والأخبار من الندماء توفي حوالي 255هـ. انظر ترجمته في معجم الأدباء 1/ 209-217.

(3) دبور: ريح تأتي من الغرب نحو الشرق. اللسان: دبر.

(4) ب، ج ك إذا.

(5) هـ: عزير. والطرير: الشاب الذي في مستقبل الشباب، وقيل: حسن الهيئة. غرير: كفيل. والزمان غرير: أي هو القيم على ذلك، ومتى سئل أجاب من غير استعداد. اللسان: طرر، غرر.

ألا فسقاك الغيث صوب سحابة[1] عليك لها عند الرواح بكور
تذكرت قومي غدوة فبكيتهم بشجو ومثلي بالبكاء جدير
فعزيت نفسي وهي نفس إذا جرى لها ذكر قومي أنة وزفير
لعل زمانا دار يوما عليهم لهم بالذي تهوى النفوس يدور
فيفرح محزون وفيهم بائس ويطلق من ضيق الوثاق أسير
رويدك أن اليوم يعقبه غد وإن صروف الدائرات تدور[2]

قال: فلما قرأها المتوكل ارتاع وتطير وألقاها من يده وقال: أعوذ بالله من شر اقتداره، ثم سأل/ صاحب الدير عمن كتبها، فقال له: لا علم لي به، فانصرف مهموما مغموما[3]. [404/هـ]

[552/ج] حكى أبو ذؤيب الهذلي[4] الشاعر قال: بلغنا أن رسول الله صلى/ الله عليه وسلم عليل، فاستشعرت من ذلك حزنا، وبت بأطول ليلة لا ينجاب ديجورها[5] ولا يطلع نورها، فظللت أقاسي طولها حتى إذا كان قرب السحر نمت فهتف بي هاتف وهو يقول:/ [454/ب]

[الكامل]

خطب أجل أناخ بالإسلام بين النخيل ومقعد الاطام[6]

---

(1) ج: سحائب.

(2) القصيدة وردت في البصائر والذخائر 8/ 105 والحماسة البصرية: 204 وحياة الحيوان الكبرى 2/ 116.

(3) الحكاية وردت في حياة الحيوان وزهر الأكم 1/ 135.

(4) خويلد بن خالد بن محرث، أبو ذؤيب الهذلي، أدرك الجاهلية والإسلام توفي حوالي 27هـ. انظر ترجمته في الشعر والشعراء 27 1/ 6 وخزانة البغدادي 1/ 203.

(5) الديجور: الظلمة. اللسان: دجر.

(6) مقعد الأطام: لعله موضع، وقيل هي حصون لأهل المدينة. انظر اللسان: اطم.

قبض النبي محمد فعيوننا بمدامع تجري عليه سجام[1]

قال أبو ذؤيب: فوثبت من نومي فزعا فنظرت في السماء فلم أر إلا سعد الذابح فتفاءلت به، ذبح يقع في العرب، وعلمت أن محمدا ﷺ قد قبض أو هوميت من علته، فركبت ناقتي وسرت، فلما أصبحت طلبت شيئا أزجر به، فعرض لي شيهم وهوولد القنفذ قد قبض على صل يعني حية فهي تتلوى عليه والشيهم يقضمها حتى أكلها كلها، فزجرت ذلك فقلت: شيء يهم والتواء الصل التواء الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله ﷺ على الأمر فحثثت ناقتي حتى إذا كنت بالغابة زجرت الطائر فأخبرني بوفاته وصاح غراب سانح فنطق بمثل ذلك فتعوذت بالله من شر ما عن لي في طريقي، وقدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج إذا هلوا[2] بالإحرام. قال: فقلت: مه؟ فقالوا: قبض رسول الله ﷺ فجئت إلى المسجد فوجدته خاليا فأتيت باب رسول الله ﷺ فوجدت بابه مرتجا وقيل لي: إن رسول الله ﷺ مسجى، وقد خلى به أهله، فقلت: أين الناس؟ فقيل لي في[3] سقيفة بني ساعدة، صاروا إلى الأنصار، فجئت إلى السقيفة فوجدت أبا بكر وعمر وأبا عبيدة[4] وسالما[5] رضي الله عنهم، وجماعة من قريش، ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة[6] وفيهم شعراؤهم منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك رضي الله

(1) سجام: عيون سجام: إذا سال دمعها. انظر اللسان: سجم. والبتان وردا في التذكرة الحمدونية 8/ 28.

(2) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(3) في ج: زيادة عمر بعد أبي عبيدة.

(4) هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال، الأمير القائد، فاتح الديار الشامية توفي حوالي 18هـ. انظر ترجمته في حلية الأولياء 1/ 100 والإصابة 2/ 252.

(5) سالم بن معقل، أبو عبد الله، من كبار الصحابة وكبار قرائهمK توفي حوالي 12هـ. انظر ترجمته في الإصابة 2/ 6.

(6) سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة، أبو ثابت، صحابي من أهل المدينة توفي سنة 14هـ. انظر ترجمته في الإصابة 2/ 30 وصفة الصفوة1/ 191

عنها قال: فأويت إلى قريش فتكلمت الأنصار وأطالوا الخطاب وأكثروا الجواب، وتكلم أبو بكر، رضي الله عنه، فلله ذره من رجل لا يطيل/ الكلام ويعلم مواضع [369/أ] فصل الخطاب، ولقد والله تكلم بكلام لا يسمعه سامع إلا انقاد له ومال إليه، ثم تكلم عمر، رضي الله عنه بكلام دونه ومد يده فبايعه وبايعوه ورجع أبو بكر رضي الله عنه ورجعت معه فشهدت الصلاة على رسول الله ﷺ، وشهدت دفنه ﷺ[1].

حُكي عن ناصر الدين القلندري أنه كان يضع المحبرة في يده اليسرى والمجلد من الكشاف على زنده ويكتب منه وهويغني ويضرب برجله، وفي هذه الحالة يكتب ما شاء الله تعالى، ولا يغلط، ولا يلحن، قال ابن أبي حجلة: أخبرني بعض/ [553/ج] من كان يكتب عليه، أنه من غريب ما شاهد منه، أنه كان يهوى غلاما من أولاد الجند بطرابلس وكان الغلام يكتب عليه لحسن خط الشيخ القلندري، فكان آخر ما كتب للغلام ليجرد عليه ومات عقبه سنة خمس وثلاثين وسبعمائة، قول الصاحب ابن عباد.

[البسيط]

يا من وهبت له روحي فعذبها	ورمت تخليصها منه فلم أطق
أدرك بقية روح فيك قد تلفت	قبل الممات فهذا آخر الرمق[2]

فكان ذلك فالا عليه، ومات عقبه في التاريخ المتقدم ذكره.

[405/هـ][455/ب] حكى أبو عمرو الزاهد[3]/ قال: لما مات المبرد فجعل أبو/ العباس ثعلب يبكي، فقيل له في ذلك: فقال: ما تحاب اثنان فمات أحدهما إلا وكان الآخر سريع اللحاق به، فمات بعده بقليل رحمهما الله.

(1) الحكاية وردت في بلوغ الأرب 3/ 315. نهاية الأرب 3/ 142. ومعاهد التنصيص 1/ 193.

(2) البيتان من شعر الصاحب بن عباد، انظر الديوان: 256.

(3) هو أبو عمران الزاهد، وهو موسى بن حسين بن موسى بن عمران الزاهدK شاعر له علم بالفقه والحديث (522-604هـ)، انظر الأعلام 7/ 322.

الباب الخامس والثلاثون

في الوعظ والوصايا والحِكَم وأخبار الحكماء من سائر الأمم

حكى جالينوس[1] قال: إن في الأسْوَد عشر خصال، ليست في غيره: تغلغل الشعر وخفة الحاجبين، وفطس الأنف[2]، وغلظ الشفتين، وتحديد الأسنان ونتن[3] الجلد وسوء الخلق، وتشقق اليدين والرجلين، وطول الذَّكَر، وكثرة الطرب.

حُكي أن الفيلسوف الذي صنف الشطرنج حكمه بعض الملوك أن يقترح عليه ما أراد، فسأل أن يوضع له في البيت الأول منه حبة، ثم يضعف إلى آخر بيوت الشطرنج فاحتقر الملك ما سأله فيه ونسبه إلى السخافة، وكرر عليه الاقتراح فلم يختر غير ما سأله فرسم له بذلك، فلما تأملوا ذلك فإذا ليس في خزائن الملك[4] ما يفي بذلك[5] وقد ضبطها بعض الحساب كما ذكره المسعودي في تاريخه وحكاه صاحب الدرر والغرر[6] فبلغ ثمانية عشر ألف ألف ألف ألف خمس مرات

---

(1) جالينوس هو آخر الحكماء المشهورين، ويسمى خاتم الأطباء والمعلمين، لم يأت بعده إلا من هو دون منزلته. كانت وفاته قبل مبعث المسيح عليه السلام. انظر ترجمته في سرح العيون: 218-219.

(2) سبق ذكره.

(3) سبق شرحه.

(4) أ، ب، هـ: ملكه.

(5) ب: يوفي.

(6) هو علي بن الحسين بن موسى بن إبراهيم، أبو القاسم، أحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر، (355-436هـ) ميزان الاعتدال 2/ 223. معجم الأدباء 5/ 173. الوفيات 3/ 313.

وسبعمائة [وأربعة وأربعون ألف أربع مرات وثلاثة وسبعون ألف ثلاث مرات وسبعمائة][1] ألف ألف مرتين وسبعة آلاف ألف وخمسمائة ألف وإحدى وخمسون ألف وستمائة وخمسة عشر[2].

حكى الشيخ عماد الدين ابن كثير في تاريخه المعروف بالبداية والنهاية أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لما استعرض حواصل العبيديين بعد وفات العاضد[3] وانقراض الدولة العبيدية وجد بها من الأمتعة والملابس والثياب شيئا كثيرا هائلا باهرا، فمن ذلك طبل إذا ضرب عليه أحد حدث له خروج ريح من دبره يزول به ما يجده من القولنج[4]. قال: فاتفق أن بعض أمراء الأكراد أخذ الطبل ولم يدر ما شأنه فلما ضرب عليه خرج منه ريح يخنق فألقاه فانكسر/ وبطل أمره والله أعلم[5]. [554/ج]

حكى المؤلف قال: سمعت الشيخ الإمام شيخ الإسلام سراج الدين أبا حفص عمر العبادي[6] فسح الله في مدته وهو بالمقصورة بقاعة قاضي القضاة جلال الدين كميل الكمالي في سنة تسع وخمسين وثمانمائة يقول: إن الوزير ابن يوحنا واقف الآثار الشريفة بالديار المصرية، صنع وليمة عظيمة جمع فيها عامة أهل مصر

---

(1) ما بين معقوفين ساقط من: ب، ج، هـ.

(2) الحكاية وردت منها تضاعيف الشطرنج، في مروج الذهب 1/ 89-90. مع اختلاف بين الروايتين.

(3) عبد الله الملقب بالعاضد بن يوسف بن الحافظ بن محمد بن المستنصر، أبو محمد، آخر ملوك مصر من العبيريين (546-567هـ) الوفيات 3/ 109 والبداية والنهاية 12/ 264 والنجوم الزاهرة 5/ 334.

(4) القَوْلَنْج: مرض معوي مؤلم يصعب معه خروج البَراز والريح وَسببه التهاب القولون. انظر المعجم الوسيط 2/ 767

(5) الحكاية وردت في البداية والنهاية 12/ 266. وأسرار البلاغة: 261-262.

(6) لعله سراج الدين عمر العبادي المصري الشافعي، كان على قدم عظيم في العبادة والزهد والورع والعلم توفي حوالي 947هـ. انظر ترجمته في شذرات الذهب10/ 385.

وخاصتها، وأنفق عليها أموالا كثيرة ومع ذلك فما راجع ولا روجع، ولم يشرب من حضرها إلا ماء مبردا، ولم ير على أبسطتها ذبابة مع كثرة الحر وكثرة الأطعمة، ولما انقضت الوليمة المذكورة دخل على جماعة من أصحابه فوجدهم في ذكر ذلك وهم متعجبون منه، فقال لهم: إني قصدت كل ذلك لأني أقمت في ذلك أكفاء، وأرصدت لهم أموالا يجدون منها ما يحتاجون/ إليه. وجعلت على كل واحد [370/أ] من خاصتي وغلماني كذا وكذا راوية ماء يبردها[1] وأمرت بفضلات الأطعمة والأغسال[2] والماعون أن يجعل فوق سقف المجالس ليشتغل بها الذباب/ [456/ب] فتعجبوا[3] من إتقانه وحسن تدبيره.

حُكي أنه وجد مكتوب على قبر سيف بن ذي يزن وكان ملكا جليلا بمدينة صنعاء اليمن بالقلم المسند فترجم بالعربية فإذا المكتوب بهذه الأبيات، وهي حكمة عظيمة وموعظة جسيمة./ [406/هـ]

[البسيط]

باتوا على قلل الأجيال تحرسهم	غلب الرجال فلم تنفعهم القلل[4]
واستنزلوا من أعالي عز معقلهم	فاسكنوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا	أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة	من دونها تضرب الأستار والكلل[5]
فافصح القبر عنهم عند سائلهم	تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

(1) ج، هـ: يبرده.

(2) هـ: الاعسال.

(3) ج: فعجبوا.

(4) غلب الرجال: وصف للرجال بغلظ الرقاب، وهو بمعنى أقوياء. اللسان: غلب.

(5) الكلل: ستور تضرب على القبور. اللسان: كلل.

قد طال ما أكلوا يوما وما شربوا فأصبحوا بعد ذلك قد أكلوا[1]

حُكي أن الرشيد ورد عليه كتاب صاحب البريد بخراسان يذكر فيه أن الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك صار متشاغلا بالصيد والإدمان على لذاته عن النظر في أمور الرعية، فلما قرأه الرشيد رمى به إلى يحيى فقال له: اقرأ هذا الكتاب يا أبت واكتب إليه كتابا تردعه فيه عن مثل هذا فكتب يحيى إلى الفضل على ظهر كتاب صاحب البريد: حفظك الله يا بني وأمتعني[2] بك قد بلغ أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات فأنكره فعاود ماهوأزين بك ثم كتب [555/ج] هذه الأبيات/ :

[السريع]

انصب نهارا في طلاب[3] العلا وأخبر على فقد لقاء الحبيب[4]

حتى إذا الليل بدا مقبلا واسترت فيه عيون الرقيب

فبادر الليل بما تشتهي فإنما الليل نهار الأريب

كم من فتى تحسبه ناسكا قد لقي الليل بأمر عجيب

غطى عليه الليل أستاره فبات ذا أمن وعيش خصيب

ولذة الأحماق مكشوفة يسعى بها كل عدو رقيب[5]

حُكي أنه وقع في خلافة أبي بكر رضي الله عنه سيل عظيم باليمن، فكشف

---

(1) الأبيات من قصيدة طويلة لأبي الحسن العسكري، ورد البيت الأول منها في عيون الأخبار 2/ 303. وردت في الوفيات 3/ 272 والبداية والنهاية 11/ 15 وبهجة المجالس لابن عبد البر القرطبي 2/ 323. وقصص العرب 2/ 341.

(2) ب، ج، هـ: امتع.

(3) أ، ب: طلب.

(4) في أ، ب، هـ: روي هذه الأبيات مطلق.

(5) الأبيات وردت في مروج الذهب 4/ 23 وفي الوفيات 4/ 28. وشرح المقامات 2/ 58 وحياة الحيوان: 2/ 74 والحكاية وردت في المراجع نفسها.

عن باب وظنوه كنزا، فكتب له بذلك فأجاب ألا[1] يفتح حتى أرسل إليه أمنائي، فلما فتحوه رأوا إنسانا على سرير وعليه سبعون حلة منسوجة بالذهب، وفي يده اليمنى لوح من ذهب مكتوب فيه هذا الشعر وهو:

[الوافر]

إذا جار الأمير وكاتباه وقاضي الأرض ذاهن في القضاء[2]

فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء[3]

حُكي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، كما ذكره المبرد في الكامل: بسم الله الرحمان الرحيم، من عبد الله عمر أمير/ المؤمنين إلى عبد الله أبي موسى بن قيس. سلام الله عليك أما بعد، فإن [457/ب] القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أولي إليك أنه لا ينفع تكلم بحق لا ينفاذ إليه أحد من الناس في حكمك وأمرك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على المدعي، واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا. لا يمنعك قضاء قَضَيْتُه أمس فراجعت فيه عقلك وهُديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، الفهم الفهم في ما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب/ الله ولا سنة، ثم اعرف/ الأشباه والأمثال [371/أ][407/هـ] فقس الأمور عند ذلك على أقربها إلى السنة وأشبهها بالحق، واجعل لمن ادعى حقا غائبا فإن أحضر بينة أخذت له بحقه، وإلا استحللت عليه القضية فإنه أنفى

(1) ب، ج، هـ: لا.

(2) ذاهن: يقال ذهنني وأذهنني أي أنساني. انظر اللسان: ذهن.

(3) البيتان وردا مع الحكاية في بهجة المجالس 1/ 369، والمستطرف 1/ 119، والمخلاة: 6، وربيع الأبرار 4/ 313.

للشك وأجلى للعمى، وأبلغ في العدل. والمسلمون عدول، بعضهم على بعض إلا مجلودا في حد الله أومجربا عليه شهادة الزور، أو[1] ظنينا في ولاء أونسب، فإن الله تولى منكم السرائر وأدرى بالبينات[2] والإيمان، وإياك والقلق والفجر التأذي[3] [556/ج] بالخصوم والشك عند الخصومات، فإن الحق في/ مواطن الحق عظم الله به الأجر ويحسن به الذخر، فمن صمت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تخلف للناس بما يعلمه الله أنه ليس من نفسه شانه الله تعالى[4].

حكى إسحاق بن الفضل[5] قال: بينما أنا واقف بباب المنصور [إلى جانب عمارة بن حمزة[6]][7] إذ طلع عمرو بن عبيد[8] علينا فنزل ونحى البساط برجله وجلس معنا وقال لي عمارة: لا تزالون ترمونا بأحمق بعد أحمق، وما فرغ كلامه حتى خرج الربيع وهو يقول: أين أبا عثمان عمروبن عبيد؟ فوالله ما دل على نفسه حتى أرشد إليه واتكأ على يده، ثم قال له: أجب أمير المؤمنين جعلني الله فداءك. فمر متكئا عليه، فقلت لعمارة: الذي استحمقته قد دعي فتركنا فقال: كثيرا ما يكون مثل هذا. قال: فأطال اللبث ثم خرج الربيع وعمرو بن عبيد متكيء عليه والربيع يقول: يا غلام!هلم حمار أبي عثمان فما برح حتى أركبه حماره وضم عليه

(1) أ: وظنينا.

(2) أ، ب، هـ: بالبينة.

(3) أ، ب، هـ: والتلذذ.

(4) الحكاية وردت في الكامل للمبرد 1/ 19.

(5) إسحاق بن الفضل بن عبد الرحمان بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، راوية. انظر نسب قريش: 89 وذكره المسعودي في تاريخه 4/ 156.

(6) عمارة بن حمزة بن ميمون من ولد عكرمة مولى ابن عباس توفي سنة 199 هـ. انظر ترجمته في معجم الأدباء 6/ 3 والنجوم الزاهرة 2/ 164.

(7) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(8) عمرو بن عبيد بن باب التميمي، أبو عثمان شيخ المعتزلة في عصره (80-144هـ). انظر ترجمته في الوفيات وميزان الاعتدال 2/ 294.

ثيابه واستودعه الله عز وجل، فأقبل عمارة على الربيع وقال: لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل فعلا لوفعلتموه بولي عهدكم لكنتم وفيتم حقه، فقال له الربيع: ما غاب عنك والله ما صنعه به المنصور أكثر وأعجب، فقال له: إن اتسع لك الحديث فحدثنا فقال: ماهو إلا أن سمع المنصور به فما أمهل حتى أمر بمجلس ففرش لُبودًا ثم انتقل هو والمهدي إليه ثم أذن له، فلما دخل عليه سلم بسلام الخلافة فرد عليه، ولا زال يدنيه حتى أتكأه، ثم سأله عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلا رجلا وامرأة امرأة ثم قال له: يا أبا عثمان! عظني، فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمان الرحيم ﴿والفجر وليال عشر والشفع والوتر﴾ إلى قوله تعالى ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾[1] يا أبا جعف! فبكى بكاء شديدا كأنه لم يسمع تلك الآية إلا تلك الساعة فقال: زدني. فقال: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتري نفسك[2] ببعضها وإن[3] هذا الأمر الذي صار إليك إنما كان في يد من [كان][4] قبلك، ثم أفضى إليك وكذلك يخرج عنك لمن هومن بعدك، وإني أحذرك ليلة يسفر صباحها[5] عن يوم القيامة قال: فبكى المنصور أشد من البكاء الأول/ حتى رجف جنباه فقال له [458/ب] سليمان[6] بن ملك: رفقا بأمير المومنين فقال له عمرو بن عبيد: بمثلك ضاع الأمر لا أبالك، وماذا خفت عليه إن بكى من خشية الله تعالى؟ فقال له المنصور: إنه والله صادق، قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على زمانك فقال: لا حاجة لي بها، قال: والله لتأخذنها فقال: والله لا آخذنها. فقال له المهدي أويحلف أمير المومنين وتحلف؟ فأقبل على المنصور وقال: من هذا الفتى؟ فقال/ :هذا محمد ابني [557/ج]

(1) الفجر: 1/ 14.

(2) أ، ب: نفسك.

(3) أ، ب: وإنما.

(4) زيادة من: ج.

(5) أ، ب، هـ: صاحبها.

(6) لعله أراد سليمان بن مجالد قائد من قواد المنصور، ذكره المسعودي في مروج الذهب. 4/ 149.

وولي عهد المومنين فقال: والله لقد سميته اسما ما استحقه عمله، وألبسته ثوبا ليس من ملبوس الأبرار، ولقد عهدت إليه أمرا أمنع ما يكون فيه، أشغل ما يكون عنه، ثم التفت إلى المهدي وقال له: يا ابن أخي! إذا حلف أبو ك وحنثه عمك، فإن أباك أقدر على الكفارة من عمك، قال: ثم قال له المنصور: هل من حاجة يا أبا عثمان؟

[408/هـ] قال: نعم. قال: ماهي؟/ قال: لا تبعث إلي حتى آتيك، ولا تعطيني حتى أسألك وإذا بدت لي حاجة عندك أسألك في قضائها. قال: إذاً والله لا نلتقي. قال: ثم استحفظه الله عز وجل وانصرف. قال: فلما ولى أتبعه المنصور ببصره وهو يقول:

[مجزوء الرمل]

كلكم يمشي رويدا　　كلكم خاتل صيد
غير عمرو بن عبيد[1]

حُكي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نظر إلى قوم يتبعون مريبا فقال: لا مرحبا بهذه الوجوه التي لا نراها إلا عند الشر. فقال ابن عباس رضي الله عنه:

[372/أ] ما اجتمعوا إلا ضروا، وما تفرقوا إلا نفعوا. فقيل له: قد/ علمنا ضر اجتماعهم، فما نفع افتراقهم؟ فقال: يذهب الحجام إلى دكانه، والحداد إلى كيره، وكل صانع يذهب إلى صنعته. قال دعبل في المعنى:

[البسيط]

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم　　والله أعلم أني لم أقل فندا
إني لأطبق عيني ثم أفتحها　　على كثير ولكن لا أرى أحدا[2]

وقال أبو الطيب في المعنى:

---

(1) البيت ورد في مروج الذهب 4/ 157 وعيون الأخبار 1/ 209 والوفيات 4/ 461. والحكاية وردت في المراجع السابقة مع اختلاف الروايات.

(2) البيتان وردا في الديوان: 172-173، برواية البيت الثاني: إني لأفتح عيني حين أفتحها...وكذا في المخلاة: 91.

[البسيط]

أرى أناسا ومعلومي على غنم وذكر جود ومجهولي على الكلم[1]

حكى محمد بن مخلد[2] الكاتب قال: لا زمت أبا[3] الحسن ابن الفرات[4] أغدو إليه وأروح إلى بابه، فلا أحظى بطائل ولا أصل إليه حتى كرهت ذلك فرأيت هاتفا في المنام وهو يقول لي:[5]

[الرجز]

يا أيها المكثار في المطالب[6] اهجر تصاريف المنى الكواذب

إذا أتى وقت القضاء الغالب بادرت الحاجة كف المطالب

حكى المؤلف قال: كتب[7] إلي ولدي محمد جمال الدين الكمالي كان الله له وهو بالسجن في الدولة الأشرفية، وقد مسك عن خاله قاضي القضاة صلاح الدين بن كميل، يسألني عدم السعي فيه بكتاب من جملته:

[الطويل]

إذا ما أراد الله تيسير حاجة رأيت لها من جانب اليأس مخرجا/ [459/ب]

ويقرب من ذلك قول الشاعر:/ [558/ج]

[الرمل]

وإذا رامي المقادر رمى درع المرء بأنواع النصال

(1) البيت ورد في الديوان 4/ 39 برواية:
أرى أناسا ومحصولي على غنم وذكر جود ومحصولي على الكلم.

(2) سبق ذكره.

(3) أ، ب: أبو.

(4) سبق ذكره.

(5) ساقطة من: ب.

(6) أ: الطلب.

(7) أ: كنت.

حُكي لما أوجع الفقر والحرمان القاضي عبد الوهاب[1] لأجل أدبه، تمنى الكفاف ولزوم العلم إلى الممات فقال:

[البسيط]

يا لهف نفسي على شيئين لوجمعا عندي لكنت إذاً من أسعد البشر

كفاف رزق يقيني ذل مسألة وخدمة العلم حتى ينقضي عمري

وسمعت لهما ثالثا أنشد فيه بعض طلبة العلم من أصحابنا وهو

[البسيط]

وثالث لو تهيأ لي لفزت به سبق السعادة لي في سابق القدر

حكى عبد العزيز بن الفضل[2] قال: خرج القاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن شريح[3] وأبوبكر بن داود[4] وأبوعبد الله نفطويه[5] إلى وليمة فأفضى بهم الطريق إلى ممر ضيق فأراد كل واحد منهم تقديم، صاحبه، فقال ابن شريح: الطريق الضيق يورث سوء الأدب، فقال بن داود: لكنه تعرف فيه مقادير الرجال، [409/هـ] فتقدم/ نفطويه وقال: إذا تأكدت المحبة سقطت التكاليف[6]. وأنشد بعضهم في هذا المعنى وأجاد:

[الكامل]

إن سار عبدك أولا أوآخرا وحماة رأسك ما تعدى الواجبا

(1) عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي، أبو محمد، قاض من فقهاء المالكية (362-422هـ).انظر ترجمته في الوفيات 3/ 219، والبداية والنهاية 12/ 32.

(2) ذكره ابن خلكان في الوفيات انظر ج 1/ 48.

(3) سبق ذكره.

(4) انظر محمد بن داود الظاهري، سبق ذكره.

(5) سبق ذكره.

(6) الحكاية وردت في الوفيات 1/ 48 مع اختلاف بين الروايتين.

فلئن تأخر كان خلفك خادما أو إن تقدم كان دونك حاجبا

وقيل: إن المسود لا يتقدم على السيد إلا في ثلاث، وإلا فالسيد مقدم: إن ساروا ليلاً أوخاضوا سيلاً أو لاقوا خيلاً.

حُكي أن بعضهم سئل عن رأيه في المسكر قال: يجب على العاقل تركه ورفضه، فإن شربه يحمل على كل معصية، ويدفع إلى كل بلية، شاربه مذموم عند كل ذي رأي ومروءة، وينزله عن مراتب الفضلاء والعقلاء، ويجعله من السفهاء، ويصدع الدماغ، ويضر بالكبد، ويولد القروح[1] في الجوف، ويسلبه ثوب الصلاح والوقار[2] والمروءة والمهابة، حتى يتكلم بغير[3] علم ويضحك من غير عجب، ويبكي بلا سبب، ويضطجع عند غير صديقه، ويخضع لعدوه، ويصول على وليه، ويعطي من لا تحسن[4] له العطية، ويمنع من يستوجب الصلة، ويصير حامده ذاما له، أهله لا تقربه وولده يفر عنه/ وأخوه يفزع منه، يتمرغ في قيئه، ويتقلب [373/أ] في سلحه، ويبول في ثيابه، وينكر قريبه، ويشتم نسيبه، وربما طلق زوجته، وكسر آنيته، وفاه بكل قبيح، يدعوعليه جاره، ويزري به أصحابه، فهوعند الله ملوم وعند الناس مذموم، يضحك عليه الصبيان، بعيد من الله قريب من الشيطان، قد تمكن من ناصيته، وزين له الكبائر، وركوب الفواحش، واستحلال الحرام، وإضاعة الصلاة/ والحنث في الأيمان، سوى ما يحل به، عند الإفاقة، من الندم [559/ج] وسوى ما يستوجبه من عذاب الله تعالى يوم القيامة، وكل ما قلت واضح وبرهانه لائح، نسأل الله العفو والعافية.

---

(1) هـ: القرح.

(2) ا، ب: الوقاه.

(3) ا، ب: من غير.

(4) ا، ج، هـ: يحسن.

[460/ب] حُكي/ من لطائف ما نقل عن السلطان صلاح الدين يوسف أنه قال يوما للقاضي الفاضل: لنا مدة لم نر العماد، امض إليه وتفقد أحواله، فلما دخل الفاضل دار العماد وجد أشياء أنكرها في نفسه من آثار مجالس أنس ورائحة راح وآلات طرب[1] فأنشده يقول:

[البسيط]

ما ناصحتك خبايا الود من رجل ... ما لم ينلك بمكروه من العذل[2]

محبتي فيك تأبى أن تسامحني ... بأن أراك على شيء من الزلل[3]

قال: ثم تركه وانصرف. فيقال: إنه أقلع وتاب العماد عما كان منه والله أعلم.

حُكي عن الصاحب كمال الدين ابن العفيف[4] أن إنسانا دفع إليه قصة فأعجب بها وأعجبه خطها فأمسكها وقال لصاحبها: هذا خطك؟ فقال: لا ولكن حضرت إلى باب مولانا فوجدت مملوكا من مماليكه فكتبها لي[5]، فقال: علي به، فلما حضر رآه مملوكه. فقال له: هذا خطك؟ قال[6]: نعم، فقال: هذه طريقتي فمن علمك إياها؟ فقال: يا مولاي! كنت إذا وقعت لأحد بشيء أخذته منه وسألته المهلة حتى أكتب عليه سطرين أو أكثر قال: فأمره أن يكتب بين يديه فكتب يقول:

[الطويل]

وما تنفع الآداب والعلم والحجا ... وصاحبها عند الكمال يموت[7]

(1) أ، ب: الحرب.

(2) أ: العزل.

(3) البيتان وردا في الوفيات 6/ 239 وثمرات الأوراق 1/ 10.

(4) لعله علي بن محمد بن إبراهيم الجعفري النابلسي، يعرف بابن العفيف، أديب، فقيه، ولي القضاء بنابلس، ولد حوالي 752هـ عاش حوالي 100 سنة. انظر ترجمته في الضوء اللامع 5/ 279.

(5) ج: إلي.

(6) ج، هـ: فقال.

(7) البيت ورد مع الحكاية في ثمرات الأوراق 1/ 10 وزهر الأكم 1/ 332، والسحر الحلال في الحكم والأمثال: 29.

فكان إعجابه بالبيت أكثر من الخط ورفع منزلته بعد ذلك.

قلت: ويقرب من ذلك أن الملك الظاهر لما عرض عليه الأمير بدر الدين بيليك الخزندار[1]، وهو صغير ليشتريه قال تاجره: يا مولانا السلطان! وهو يحسن الكتابة فأحضر الدواة والقرطاس وأمره بالكتابة بين يديه فكتب:

[البسيط]

لولا الضرورة ما فارقتكم أبدا ولا تقلبت من ناس إلى ناس

فأعجبه ذلك منه ورغب في مشتراه.

حُكي أن القاضي الفاضل كان بحضرة السلطان صلاح الدين فأخرج بين يديه خيال الظل[2] فقام القاضي الفاضل عند الشروع في عمله، فقال له السلطان: إن كان حراما فما نحضره، وكان/ الفاضل حديث العهد بخدمته، فما أراد أن يكدر [410/هـ] عليه، فقعد إلى آخره، فلما انقضى ذلك قال له السلطان: كيف رأيت ذلك؟ فقال: رأيت موعظة عظيمة، دولا تمضي ودولا تأتي، ولما طوى الأزار إذا بالمحرك واحد، فأخرج ببلاغته هذا الجد في/ الهزل، وقال الشيخ بدر الدين الصاحب فيه: [560/ج]

[الطويل]

رأيت خيال الظل أكبر عبرة لمن كان في علم الحقيقة راقي

شيوخ[3] وأشياخ تمر وتنقضي وتفنى جميعا والمحرك باقي[4]

وقال في الشطرنج:

---

(1) بيليك الخزندار بدر الدين. ذكره الكتبي في فوات الوفيات 1/ 241، 405.

(2) خيال الظل: نوع من التمثيل يكون بإلقاء خيال من خلف ستار، انظر المعجم العربي الأساسي: خيال.

(3) ب، ج، هـ: شخوص.

(4) البيتان وردا في كناشة النوادر: 9.

[الطويل]

[461/ب] تأمل ترى الشطرنج دولة نهارا وليلا ثم بؤسا وأنعما/
محركها[1] باق وتفنى جميعها وبعد الفنا تحيى وتبعث أعظما[2]

وقال فيه أيضا:

[المتقارب]

أميل[3] لشطرنج أهل النها وأسلوه من ناقل الباطل
[374/أ] وكم رمت تهذيب لعابها وتأبى الطباع عن الناقل[4]/

وقال ابن نباتة[5] في لاعب مليح:

[البسيط]

أفديه لاعب شطرنج قد اجتمعت في شكله من معاني الحسن شتات
عيناه منصوبة للقلب غالبة والخد فيه لقتل النفس شامات[6]

حُكي أن الإمام الشافعي رحمه الله قال: أربعة تقوي البدن: أكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع، ولبس الكتان، وأربعة توهي البدن: كثرة الجماع وكثرة الهم وشرب الماء على الريق وكثرة أكل الحامض. وأربعة تقوي البصر: مشاهدة الكعبة المشرفة والكحل عند النوم، والنظر إلى الخضرة، وتنظيف المجلس. وأربعة توهي البصر: النظر إلى القدر والنظر إلى المصلوب والنظر إلى

---

(1) هـ: يحركها.

(2) البيتان وردا في ثمرات الأوراق1/ 48 وخزانة الأدب لابن حجة1/ 193 .

(3) أ: أمير.

(4) البيتان وردا في المرجعين السابقين

(5) سبق ذكره.

(6) البيتان لم يردا في الطبعة التي رجعت إليها من الديوان ووردا في ثمرات الأوراق1/ 49 وخزانة الأدب لابن حجة2/ 107.

فرج المرأة والتغوط مستدبر القبلة، وأربعة تزيد في الجماع: أكل العصافير وأكل الاطريفل والفستق والخروب، وأربعة تزيد في العقل: ترك الفضول في الكلام وترك السؤال ومجالسة الصالحين ومذاكرة العلماء[1].

حُكي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أوصى ولده الحسين رضي الله عنه فقال: يا بني أوصيك بتقوى الله عز وجل في الغنى والفقر، والعدل في الصديق والعدو، والعمل في النشاط والكسل، والرضى عن الله عز وجل في الشدة والرخاء، يا بني! ما شر بعد نعمة الجنة بشر، ولا خير بعد النار بخير، وكل نعيم دون الجنة زائل، وكل بلاء دون النار محقور، يا بني! اعلم أنه من أبصر عيب نفسه شغله عن عيوب غيره، ومن رضي بقسمة الله تعالى لم يحزن على ما فاته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها، ومن هتك حجاب أخيه انكشفت عوراته، ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره/ ومن كابد الأمور [561/ج] عطب، ومن اقتحم البحر غرق، ومن أعجب برأيه ظل، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبر على الناس ذُلَّ، ومن سفه عليهم شتم، ومن دخل مداخل السوء اتُّهِمَ، ومن خالط الأنذال حقر، ومن جالس العلماء وقر، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر خطأه ومن كثر خطأه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار. يا بني! من نظر في عيوب نفسه ورضيها لها فذلك الأحمق بعينه، ومن تفطن اعتبر، ومن اعتبر اعتزل، ومن اعتزل سلم، ومن ترك الشهوات كان حرا، ومن ترك الحسد كان له المحبة من الناس. يا بني! عز المؤمن غناه عن الناس، والقناعة مال لا ينفد، ومن أكثر من ذكر الموت ورضي من الدنيا باليسير و[من][2]/ علم أن كلامه من [411/هـ]

(1) الحكاية وردت في حياة الحيوان 2/ 166.

(2) زيادة من: ج.

عمله قل كلامه إلا فيما ينفعه. فهذه وصيتي إليك والسلام[1].

[462/ب] حكى أبو هريرة، رضي الله عنه قال: قال لي[2] النبي ﷺ: «يا أبا هريرة! ألا/ أريك الدنيا بما فيها» قلت: بلى يا رسول الله! فأخذ بيدي وأتى بي إلى واد من أودية المدينة، فإذا مزبلة فيها رؤوس الناس وقدورات، وخرق بالية، وعظام نخرة، فقال: يا أبا هريرة! هذه الرؤوس كانت تحرص[3] مثل حرصكم وتؤمل آمالكم ثم هي اليوم تساقط جلدها، ثم صارت رفاتا، وهذه القاذورات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها وقذفوها من بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها، وهذه الخرق البالية رياشهم ثم أصبحت والرياح تصفقها، وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد، فمن كان باكيا على الدنيا فليبك على هذا. فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا[4]. قال أبو العتاهية في ذم الدنيا وأجاد:

[المتقارب]

هي الدار دار القذى والأذى ... ودار الفناء ودار الغير
ولو نلتها بحذافيرها ... لمت ولم تقض منها الوطر
[375/أ] أيا من يؤمل طول الحياة ... وطول الحياة عليه ضرر/
إذا ما كبرت وبان الشباب ... فلا خير في العيش بعد الكبر[5]

وقال آخر:

[الكامل]

لما سألت ديارهم عنهم ... فتبسمت عجبا ولم تبد

(1) الحكاية وردت في أسرار البلاغة للعاملي: 342-343.
(2) ساقطة من: ب.
(3) أ: تحرس.
(4) الحديث ورد في إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي 8/ 84.
(5) الأبيات على غير الترتيب الوارد في الديوان: 187-188.

فأجابني عنهم كنيفهم أموالهم ونوالهم عندي[1]

حكى الأصمعي قال: إن النعمان بن امرئ القيس[2] الأكبر الذي بنى الخورنق أشرف يوما[3] على الخورنق فأعجبه ما أوتي من الملك والسعة ونفوذ الأمر/ وإقبال [562/ج] الوجوه عليه فقال: لأصحابه:هل أوتي أحد مثل ما أوتيت؟ فقال له حكيم من أصحابه: أهذا الذي أوتيت شيء لم يزل أولا يزول وشيء كان لمن قبلك زال عنه وصار إليك؟ قال[4]: بل شيء كان لمن قبلي وزال[5] عنه وصار[6] إلي، وسيزول عني. قال: فسررت بشيء تذهب عنك لذاته وتبقى تبعاته. قال: فأين المهرب؟ قال: أن تعمل بطاعة الله عز وجل وتلبس مسوحا وتلحق بجبل تعبد ربك فيه وتفر عن الناس حتى يأتيك أجلك قال: فإذا فعلت ذلك، فما لي؟ قال: حياة لا تموت وشباب لا يهرم وصحة لا تسقم وملك جديد لا يبلى. قال: فأي خير فيما يفنى؟ والله لأطلبن عيشا لا يزول أبدا وانخلع عن ملكه ولبس المسوح وساح في الأرض وتبعه الحكيم وجعلا يسيحان في الأرض ويعبدان الله عز وجل حتى ماتا رحمهما الله وفيه يقول عدي بن زيد:[7]

[الخفيف]

وتأمل رب الخورنق إذ فكر يوما وللمهدي تفكير

(1) البيتان وردا في سراج الملوك: 8 مع اختلاف قليل بين الروايتين.

(2) سبق ذكره.

(3) ساقطة من:ه.

(4) ب: قال قال.

(5) أ، ب، هـ: أزال.

(6) هـ: وسار.

(7) عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي من بني امرئ القيس، من دهاة الجاهلية. انظر ترجمته في الطبقات لابن سلام 1/ 140 وفيه اسم جده حمار، وقد أثبت حماد اعتمادا على ما في خزانة البغدادي 1/ 184 والأغاني 2/ 97.

سره ماله وكثرة ما يمـ ـلك والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه وقال وما غبطة حي إلى الممات يصير[1]
أين كسرى كسرى الملوك أنوشروان أم أين قبله سابور
[463/ب] وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور/
لم يهبه ريب المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور[2]

حكى الطرطوشي قال: بلغني أن بالهند مدينة على رأس كل مائة سنة يخرج [412/هـ] فيه جميع الناس إلى البرية/ من شيخ وعجوز وكهل ومولود صغير، فإذا اجتمع الخلائق نادى منادي الملك وهم في صعيد واحد عند حجر كبير، لا يصعد هذا الحجر إلا من حضر في الجميع الذي خلا مثل هذا من مائة سنة. قال: فربما جاء الشيخ الهرم الذي أجنى الدهر عليه، وقد ذهبت قوته وفني شبابه وتجيء العجوز ترجف لم يبق إلا رسمها، فيصعدان على الحجر [المذكور][3] فيقول الشيخ: حضرت الجمع الأول منذ مائة سنة وأنا طفل صغير، وكان الملك فلان الفلاني ويصف الجيوش الماضية، والأمم الخالية، والملوك السالفة، وكيف طحنهم البلى، وصاروا تحت أطباق[4] الثرى، ويقوم خطيبهم فيعظ الناس ويذكرهم الموت فيكثرون الصدقات ويخرجون عن التبعات، ويقيمون على ذلك مدة كثيرة[5].

(1) ارعوي: كف ونزع عن الأمور. اللسان: رعي.

(2) الأبيات مفرقة في قصيدة مطلعها:

أرواح مودع أم بكور لك فاعلم لأي حال تصير.

انظر الديوان: 84 وسراج الملوك: 9 وفي مروج الذهب 1/ 310 ورد منها البيتان الرابع والسادس، وورد البيت الخامس في ج 2/ 33، ووردت الأبيات الثلاثة الأولى في شعراء النصرانية: 443. والحكاية وردت في سراج الملوك: 9، مع اختلاف الروايات.

(3) زيادة من:ه.

(4) ساقطة من: ب.

(5) الحكاية وردت في سراج الملوك: 11.

حُكي أن سعد بن أبي وقاص[1]، رضي الله عنه، لما نزل الحيرة قيل له: إن هنا عجوزا من بنات الملوك يقال لها: حرقة[2] بنت النعمان بن المنذر كانت من أجل عقائل العرب، وكانت إذا خرجت/ من بيعتها إلى قصرها نشرت عليها ألف [563/ج] قطيعة خز وديباج ومعها ألف وصيف ووصيفة قال: فأرسل إليها سعد رضي الله عنه فجاءت كالشن البالي، فلما دخلت عليه قال لها: أنت حرقة التي كان يفرش لك من قصرك إلى بيعتك بالديباج المتبطن بالوشي؟ فقالت: نعم يا سعد، إن الدنيا دار قلعة وزوال، فلا تدوم على حال، وإنا كنا ملوك هذه الأرض يجيء إلينا خراجها ويطيعنا أهلها مدى[3] المدة وزمان الدولة، حتى صرخ بنا صارخ الشتات فصد عصانا، وشتت ملأنا، فأصبحنا كما ترى، والدهر ذو نوائب وصروف فلو رأيتنا في أيامنا لارتعدت/ فرائصك فزعا[4] منا. فقال سعد رضي الله عنه: ما أنعم [376/أ] ما تنعمتم به! قالت: سعة الدنيا كانت علينا وكثرة الأصوات إذا دعينا ثم أنشأت تقول:

[الطويل]

فبينما نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

فأف لدار لا يدوم نعيمها تقلب تارة بنا ونصرف[5]

قال: فأكرمها سعد، رضي الله عنه، وأمر بردها، فلما أرادت القيام قالت: يا سعدا لا أزال الله عنك نعمه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا نزع عن عبد

---

(1) سبق ذكره.

(2) حرقة بنت النعمان بن المنذر اللخمي ملك الحيرة، شاعرة من بيت سلطان وملك لعلها أدركت الإسلام لرواية اتصالها بسعد بن أبي وقاص، وقد ذكرها المسعودي في تاريخه 2/ 228 والشابشتي في الديارات: 388 والبكري في معجمه 2/ 604.

(3) أ، ج: مدة.

(4) أ، ب، ج: فرقا.

(5) البيتان وردا في حماسة أبي تمام 1/ 618، وسراج الملوك: 15 ومروج الذهب 2/ 225 وشرح شواهد المغني: 264.

صالح نعمة إلا وجعلك سبيلا إلى ردها عليه، فلما خرجت من عنده قيل لها: ما لقيت من سعد؟ فقالت: صان لي ذمتي وأكرم وجهي إنما يكرم الكريمَ الكريمُ[1].

قال الشاعر:

[البسيط]

من كان يعلم أن الموت يدركه	والقبر مسكنه والبعث مخرجه
وأنه بين جنات ستبهجه	يوم القيامة أونار ستنضجه
فكل شيء سوى التقوى به سمج	وما أقام عليه منه أسمجه
تره الذي اتخذ الدنيا وطنا	لم يدر أن المنايا سوف تزعجه[2]

[464/ب] حُكي أن عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام كان مع/ صاحب له يسيحان فأصابهما الجوع وقد أتيا قرية وانتهيا إليها، فقال عيسى عليه الصلاة والسلام لصاحبه: انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية، وقام عيسى عليه الصلاة والسلام يصلي، فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فأبطأ عليه انصرافه من الصلاة فأكل رغيفا، فلما خرج من الصلاة قال له: أين الرغيف؟ فقال: ما كان إلا رغيفان، فسارا على وجوههما فاجتازا بظباء فدعا ظبيا منها فذكاه، ثم أكلا منه، ثم قال [564/ج] للظبي: قم بإذن الله، فإذا هو يشتد، فقال الرجل: سبحان/ الله! فقال عيسى عليه [413/هـ] الصلاة والسلام: بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف/ ؟ فقال: ما كانا إلا إثنين، فمضيا على وجوههما فمرا بنهر عجاج عظيم، وأخذ[3] عيسى عليه الصلاة والسلام بيده فمشى به[4] على الماء حتى جاز الماء فقال الرجل: سبحان الله! فقال

---

(1) البيت ورد في سراج الملوك: 15 ومروج الذهب 2/ 229 برواية: حاط لي ذمتي.

(2) الأبيات وردت مع الحكاية في سراج الملوك: 15.

(3) ب، ج، هـ: فأخذ.

(4) ساقطة من: ج.

له عيسى بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف؟ فقال: ما كانا[1] إلا[2] اثنين، فخرجا حتى أتيا قرية عظيمة خربة فإذا قريب منها ثلاث لبنات من ذهب فقال الرجل:هذا مال. فقال عيسى عليه الصلاة والسلام: أجل هذا مال، واحدة لي وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف، فقال الرجل: أنا صاحب الرغيف. فقال له عيسى عليه الصلاة والسلام:هي لك كلها وفارقه، فأقام الرجل عندها ليس معه ما يحملها عليه فمر به ثلاث نفر فقتلوه وأخذوا اللبن، فقال إثنان منهم لواحد: انطلق إلى القرية فاتنا بطعام، فذهب فقال أحد الباقين للآخر: تعالى نقتل هذا إذا جاء ونقسم هذا بيننا، قال الآخر: نعم، وقال الذي ذهب: أجعل في الطعام سما فأقتلهما وآخذ اللبن ففعل، فلما جاء قتلاه وأكلا من الطعام الذي جاء به فماتا، فمر بهم عيسى عليه الصلاة والسلام وهم صرعى حول اللبن فقال:هكذا تفعل الدنيا بأهلها[3].

حكى الهيثم بن عدي قال: في أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان وُجِدَ غارٌ في جبل، وفيه رجل مسجى على سرير ذهب مكتوب عليه بالذهب: أنا سبأ بن نواس بن سبأ، خدمت عيصو بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرب الديان الأكبر، وعشت بعده عمرا طويلا ورأيت عجبا كثيرا، ولم أر فيها رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه ويقف على قبور أحبائه، ويعلم أنه صائر إليهم، لا يتوب، وقد علمت أن الأجلاف الحفاة سينزلوني عن سريري وذلك حين يتغير الزمان ويتأمر الصبيان فمن أدرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا[4].

(1) أ: كانوا.

(2) ب، هـ: سوى.

(3) الحكاية وردت في سراج الملوك: 15، وقصص الأنبياء: 398-400 مع اختلاف الرواية.

(4) الحكاية وردت في سراج الملوك: 16.

حُكي أن الإسكندر مر بمدينة قد ملكها ملوك سبعة وبادوا، فقال:هل[1] بقي من نسل الملوك الذين ملكوا المدينة أحد؟ قالوا: رجل لم يزل في المقابر، فدعاه/ [423/ج] فلما جاء قال له: ما دعاك إلى لزوم المقابر؟ قال[2]: أردت أن أعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم فوجدت ذلك سواء، فقال له:هل لك أن تتبعني فأحيي بك شرف أبائك إن كانت لك همة إلى ذلك؟ قال: إن همتي لعظيمة إن كانت بغيتي عندك. قال: وما بغيتك؟ قال حياة بلا موت، وشباب بلا هرم وغنى بلا فقر وسرور بلا مكروه. قال: ما أقدر على هذا. قال: فامض لشأنك وخلني أطلبه عند من أجده عنده. فقال:هذا أحكم من رأيت، وتركه وسار عنه[3].

[465/ب] حُكي في/ الإسرائليات أن عيسى عليه الصلاة والسلام بينما هو في بعض سياحته إذ مر بجمجمة/ نخرة فأمرها أن تتكلم بإذن الله تعالى، فقالت: يا روح [565/ج] الله! أنا بلوم بن حفص ملك اليمن، عشت ألف سنة وَوُلد لي ألف ذكر وافتضضت ألف بنت بكر وهزمت ألف عسكر وقتلت ألف جبار، وفتحت ألف مدينة، فمن رآني فلا يغتر بالدنيا فما كانت إلا كحلم النائم[4].

حُكي أنه وجد مكتوب على قصر بعض الملوك وقد باد أهله وأقفرت ساحته:

[البسيط]

هذي[5] منازل أقوام عهدتهم ... في خفض عيش نعيم ما له خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا ... إلى القبور فلا عين ولا أثر[6]

---

(1) أ، ب:هي.

(2) ج، هـ: فقال.

(3) الحكاية وردت في المرجع نفسه.

(4) أ: النائم. والحكاية وردت في المرجع نفسه.

(5) ب:هذا.

(6) البيتان وردا في المرجع نفسه: 23.

ويقال مر بعض السياح بقصر ولسان حاله يقول:

[الطويل]

كأني بهذا القصر قد باد أهله ... وأوحش منه ربعه ومنازله/ [٤١٤/هـ]

فلم يبق إلا ذكره وحديثه ... ينادي بويل معولات ثواكله[1]

قلت: ووجدت على آخر مكتوب:

هذي منازل أقوام عهدتهم ... يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذمم

تبكي عليهم ديار كان يطربها ... ترنم المجد بين الحلم والكرم[2]

حُكي أن ابن ملجم لما ضرب علي بن أبي طالب، رضي الله عنه. دخل منزله فأغشي عليه ثم أفاق ودعا ابنه الحسن وابنه الحسين رضي الله عنهما وقال لهما: أوصيكما بتقوى الله والرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا، ولا تأسفا على شيء فاتكما منها، واعملا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا. ثم دعا ولده محمد فقال له: أما سمعت ما أوصيت به أخويك؟ قال: بلى، قال: فإني أوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع أمرا دونهما، ثم أقبل عليهما وقال: أوصيكما به خيرا فإنه سينفعكما وأنتما تعلمان أنني أحبه فأحباه، ثم قال: يا بني! أوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضى والغضب، والقصد في الغنى[3] والفقر، والعدل في الصديق والعدو، والعمل في النشاط والكسل، والرضى عن الله في الشدة والرخاء يا بني! ما شر بعده[4] الجنة بشر[5] ولا خير[6] بعده النار بخير، وكل نعيم دون الجنة حقير، وكل بلاء دون

---

(1) البيتان وردا في المرجع السابق: 19.

(2) البيتان وردا في المرجع السابق: 17.

(3) أ، ب، هـ: الغناء.

(4) هـ: خير.

(5) هـ: بخير.

(6) هـ: شر.

النار عافية، يا بني! من أبصر عيب نفسه شغله عن عيب غيره ومن رضي بقسمة الله لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغي قُتِل به، ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره، ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها ومن هتك حجاب أخيه انكشفت عورات بنيه، ومن أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبر عن الناس ذل، ومن خالط الأندال احتقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن جالس العلماء وقر، ومن مزح استخف به، ومن أكثر/ من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر خطأه ومن كثر خطأه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار. يا بني! الأدب خير ميراث وحسن الخلق خير قرين. يا بني! العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت إلا في ذكر الله تعالى/ وواحدة في ترك مجالسة السفهاء. يا بني! زينة الفقراء الصبر، وزينة الغني الشكر. يا بني! لا شرف أعلى من الإسلام، ولا كرم/ أعز من التقوى ولا معقل أحرز من الورع، ولا شفيع أنجع من التوبة، ولا لباس أجمل من العافية. الحرص مفتاح التعب، ومطية النصب، التدبير قبل العمل يؤمنك الندم. بئس الزاد للمعاد العدوان على العباد، طوبى لمن أخلص لله عمله وعلمه وحبه وبغضه وأخذه وتركه وكلامه وصمته وقوله وفعله. وقد مر بعض ذلك[1].

[566/ج]

[466/ب]

[378/أ]

حُكي أن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة، فإذا هو بقبر فقال: قبر من هذا؟ قالوا: قبر خباب بن الأرت[2] فوقف عليه وقال: رحم الله خبابا، أسلم راغبا وهاجر طائعا، وعاش مجاهدا، وابتلي في جسمه آخر، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا. ثم مضى رضي الله عنه، فإذا قبور فجاء رضي الله عنه حتى وقف عليها فقال: السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال

(1) الحكاية وردت في سراج الملوك: 24.

(2) خباب بن الأرت بن جندلة التميمي أبو عبد الله توفي حوالي 37هـ. انظر ترجمته في الإصابة 1/ 416 وحلية الأولياء 1/ 143.

المغفرة، أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون. اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحسنات وقنع بالكفاف ورضي عن الله تعالى. ثم قال: يا أهل القبور! أما الأزواج فقد نُكحت وأما الديار فقد سكنت وأما الأموال فقد قسمت، هذا خبر ماعندنا فما خبر ما عندكم/ ثم [415/هـ] التفت إلى أصحابه فقال: أما إنهم لو تكلموا لقالوا: ﴿خير الزاد التقوى﴾[1].

حُكي أن ابن السماك[2] دخل على الرشيد فقال: عظني. فقال له: إن الله لم يرض لخلافته من عبيده غيرك، فلا ترضى من نفسك إلا بما يرضى به عنك، فإنك ابن عم رسول الله ﷺ وأوفى الناس بذلك. ياهارون! من طلب فكاك رقبته في مهلة من أجله كان خليقا أن يعتق نفسه، ياهارون! من ذوقته الدنيا حلاوتها بركون منه إليها أذاقته الآخرة مرراتها بتجافيه عنها. ياهارون! ناشدتك الله، أن تقدم على جنة عرضها السماوات والأرض، وقد دعيت إليها ليس لك فيها نصيب، ياهارون! إنك تموت وحدك [وتحاسب وحدك][3]، وإنك لا تقدم إلا على قادم مشغول ولا تخلف إلا على ممقوت مغرور، وإنك وإيانا في دار سقر وجيران ظعن.

حُكي أن سليمان بن عبد الملك لما حج استحضر أبا/ حازم[4] وقال له: عظني [567/ج] قال: لا تأخذ الأشياء إلا بحلها[5]، ولا تدعها[6] إلا في أهلها. قال: ومن يقوى على ذلك؟ قال: من قلده الله من الأمر ما قلدك، قال: زدني يا أبا حازم، قال: يا

---

(1) البقرة: 196 والحكاية وردت في سراج الملوك: 25.

(2) محمد بن صبيح أبو العباس المعروف بابن السماك، كان زاهدا عابدا مشهورا بالمواعظ، توفي سنة 183هـ. انظر ترجمته في حلية الأولياء 8/ 203 وتاريخ بغداد 5/ 368. الوفيات 4/ 301.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(4) هو سلمة بن دينار المخزومي، أبو حازم ويقال له الأعرج، توفي سنة 140هـ. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب 4/ 143.

(5) ج: بحلها.

(6) ج، هـ: نضعها.

سليمان! إن هذا الأمر لم يصل إليك إلا بموت من كان قبلك، وهو خارج عنك بمثل ما صار إليك، ثم قال: يا سليمان! نزه ربك في عظمته أن يراك حيث نهاك أويفقدك[1] حيث أمرك. يا سليمان! إنما أنت سوق فما نفق عندك حمل إليك من خير وشر، فاختر لنفسك أيهما شئت. قال: فما بالك لا تأتينا؟ قال: وما أصنع بإتيانك؟ إن أدنيتني فتنتني، وإن أقصيتني أحزنتني، وليس عندي ما أخافك عليه، وما عندك ما أرجوك له. قال: فارفع إلي حوائجك، قال: قد رفعتها إلى من هوأقدر منك عليها فما أعطاني منها قبلت، وما منعني منها رضيت، يقول الله تعالى ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾[2]فمن ذا الذي يستطيع أن ينقص من كثير ما قسم الله أو يزيد في قليل ما قسم الله؟ قال: فبكى/ سليمان بكاء [467/ب] شديدا فقال رجل من جلسائه: أسأت إلى الأمير. فقال أبو حازم: اسكت فإن الله تعالى أخذ الميثاق على العلماء «ليبيننه للناس ولا يكتمونه»[3] ثم خرج من عنده. فلما وصل إلى منزله بعث إليه بمال فرده وقال للرسول: قل له: والله ما أرضاه لك فكيف أرضاه لنفسي رحمه الله تعالى[4].

حكى الفضل بن الربيع قال: حج الرشيد فبينما أنا نائم ذات ليلة إذ سمعت قرع الباب فقلت: من هذا؟ فقال: أجب أمير المؤمنين. فخرجت مسرعا فإذا هو بالباب فقلت: لو أرسلت إلي أتيتك فقال: ويحك! قد جال في نفسي شيء لا يخرجه إلا عالم، انظر إلي رجلا أسأله. فقلت: هنا سفيان بن عيينة[5] فقال: امض بنا

---

(1) ب: يقعدك.

(2) الزخرف: 32.

(3) اقتباس من قوله تعالى: «لتبيننه للناس ولا تكتمونه». آل عمران: 187

(4) الحكاية وردت في سراج الملوك: 26.

(5) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي (107-198هـ). انظر ترجمته في حلية الأولياء 7/ 270. الوفيات 2/ 390. تذكرة الحفاظ 1/ 242.

إليه فأتيناه فقرعت[1] عليه الباب فقال: من هذا؟ فقلت[2]: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعا وقال: لو أرسلت إلي أتيتك. فقال: خذ فيما جئنا له فحادثه ساعة ثم قال له: أعليك دين؟ فقال: نعم/ فقال: يا عباس! اقض دينه، ثم انصرفنا فقال: ما [379/أ] أغنى عني صاحبك شيئا فانظر لي رجلا أسأله، فقلت: هنا عبد الرزاق ابن همام[3] فقال: امض بنا إليه فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال: من هذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعا وقال: لو أرسلت إلي أتيتك فقال: خذ فيما جئنا إليه فحادثه ساعة ثم قال/ له: أعليك دين؟ فقال: نعم. فقال: يا عباس! اقض دينه، [416/هـ] ثم انصرفنا، فقال: ما أغنى عني صاحبك شيئا، فانظر لي أحدا أسأله، فقلت: هنا الفضيل بن عياض[4] فقال: امض بنا إليه فأتيناه فإذا هو قائم يصلي في غرفة له يتلو آية من كتاب الله تعالى وهو يرددها. قال: فقرعت عليه الباب فقال: من هذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين فقال/ : ما لي ولأمير المؤمنين؟ فقلت: سبحان الله أو[ما [568/ج] علمت أن][5] طاعته عليك واجبة؟ قال: فنزل وفتح الباب، [ثم ارتقى الغرفة][6] ثم أطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية من زوايا الغرفة فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت يد الرشيد يدي فقال: أواه ما أَلْيَنَها من يد إن نجت من عذاب الله تعالى. فقلت في نفسي: ليكلمنه الليلة بكلام تقي من قلب نقي، فقال له الرشيد: خذ فيما جئنا له يرحمك الله. فقال: وفيم جئت؟ أخطأت على نفسك، وجميع من معك أخطأوا عليك حتى لو سألتهم عن انكشاف الغطاء عنك وعنهم أن يحتملوا عنك

(1) ج: فقرعنا.

(2) ج: قلت.

(3) عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، أبو بكر (123-211هـ). انظر الوفيات 3/ 216 وميزان الإعتدال 2/ 609 وكذا تهذيب التهذيب 6/ 310.

(4) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي، الزاهد المشهور، أحد رجال الطرقية، توفي سنة 187هـ. حلية الأولياء 84. مروج الذهب 4/ 215. الوفيات 4/ 47. تهذيب التهذيب 8/ 294.

(5) ما بين معقوفين ساقط من: ب، هـ.

(6) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

شقصا[1] من ذنب ما فعلوا، ولكن أشدهم حبا لك أكثرهم هربا منك. ثم قال: إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي[2] ورجاء بن حيوة[3] فقال لهم: إني ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علي، فعد ولايته بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة، قال: فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة غدا من عذاب الله فليكن كبير المسلمين لك أبا وأوسطهم عندك أخا وأصغرهم لك ولدا فبر أباك وارحم أخاك وتحنن على ولدك، ثم قال له: محمد بن كعب القرظي: إن أردت النجاة من عذاب الله تعالى كن واحدا من المسلمين وابسط العدل بينهم أجمعين، ولين لهم الكلام وافش السلام. وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة من عذاب الله غدا فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم متى شئت مت، وإني لأقول هذا ثم إني[4] لأخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الأقدام فهل معك مثل هؤلاء القوم من يأمرك بمثل هذا؟ فبكى الرشيد بكاءا شديدا حتى غشي عليه، قال الفضل بن الربيع: [فقلت:][5] ارفق بأمير المؤمنين، فقال لي: يا بن الربيع: قتلته أنت وأصحابك وأرفق أنا به، ثم أفاق فقال: زدني، فقال/ : يا هارون! بلغني أن عاملا لعمر بن عبد العزيز كتب إليه [468/ب] عمر[6] يقول له: يا أخي! أذكر سهر أهل النار في النار وخلوة الأبرار في دار القرار، ثم انظر إلى ربك نائما ويقظانا وإياك أن تزل قدمك عن هذا السبيل، فيكون آخر العهد بك، وينقطع الرجاء منك، فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه. فقال

---

(1) الشقص: هو القطعة من الشيء، وقيل هو القليل من الكثير. اللسان: شقص.

(2) محمد بن كعب القرظي ذكره المبرد في الكامل 2/ 699 وكذا ابن خلكان في تاريخه 5/ 218.

(3) رجاء بن حيوة بن جرول الكندي، أبو مقدام، من الوعاظ الفصحاء العلماء توفي حوالي 112هـ ترجمته في حلية الأولياء 5/ 170 وتهذيب التهذيب 3/ 265.

(4) أ، ب: لأني.

(5) زيادة من: ج.

(6) ساقطة من: ج.

له عمر: ما أقدمك؟ فقال له: ملأت[1] قلبي بكتابك لا وليت لك ولاية أبدا حتى ألقى الله تعالى. قال: فبكى الرشيد بكاء شديدا ثم قال له: زدني قال: ياهارون! إن العباس رضي الله عنه عم النبي ﷺ جاءه فقال له: يا رسول الله: أمرني إمارة. فقال له النبي ﷺ: يا عم! نفس تحييها خير من إمارة لا تحصيها، إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت/ أن تقي هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن [569/ج] تصبح وتمسي وفي قلبك غش لرعيتك، فإن النبي ﷺ قال: من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة. قال: فبكى الرشيد بكاء شديدا ثم قال له: أعليك دين؟ فقال: نعم، دين لربي إن لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن سألني والويل لي إن ناقشني والويل إن لم يلهمني حجتي فقال له: إنما أعني دين العباد فقال: إن ربي لم يأمرني بهذا، أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره فقال: سبحانه وتعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد/أن يطعمون إن الله هو الرزاق [417/هـ] ذو القوة المتين﴾[2] فقال له: خذ هذه ألف دينار انفقها على عيالك وتقوى بها على عبادة ربك، فقال: سبحان الله أنا أدلك على النجاة وتكافئني بمثل هذا، أسلمك الله ووفقك، قال: ثم صَمَت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده. فقال لي الرشيد: إذا دللتني على رجل فليكن مثل هذا، هذا سيد المسلمين اليوم. فبينما نحن كذلك إذ سمعت امرأة خرجت إليه فقالت له: يا هذا! ألا ترى ما نحن فيه من ضيق الحال؟ فلو قبلت هذا المال لفرج عنا به. فقال لها: إنما مثلي ومثلكم/ كمثل قوم كان لهم [380/أ] بعير يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه وأكلوا من لحمه، موتوا جوعا ولا تذبحوا فصيلا، فلما سمع الرشيد ذلك قال لي: ادخل عليه عسى يقبل المال قال: فدخلنا فلما أعلم بنا خرج وجلس الرشيد إلى جنبه فبينما نحن على هذا الحال إذ خرجت سوداء فقالت لنا: أحزنتم الشيخ الليلة انصرفوا عنه قال: فانصرفنا عنه لا أذل منا

---

(1) ج: مات.

(2) الذاريات: 56.

ولا أعز منه[1].

حُكي لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد عليه الوفود من كل بلد، فوفد إليه الحجازيون، فتقدم غلام منهم للكلام، وكان حديث السن، فقال له عمر: لينطق من هو أكبر منك، فقال الغلام: أصلح الله الأمير[2]، إنما المرء بأصغريه، قلبه ولسانه، فإذا منح[3] الله [عبدا][4] لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استحق الكلام، وعرف فضله من سمع خطابه ولو أن الأمر بالسن لكان في الأمة من أحق بمجلسك هذا منك، فقال عمر: قل ما بدا لك، فقال الغلام: أصلح الله أمير المؤمنين، نحن وفد تهنئة لا وفد مرزية، وقد أتيناك لمن الله الذي من[5] علينا بك، لم نفد إليك رغبة ولا رهبة، فقال له عمر: عظني يا غلام. فقال: أصلح الله أمير المؤمنين إن أناسا من الناس غرهم حلم الله عليهم وطول أملهم، وكثرة ثناء [570/ج] الناس عليهم فزلت أقدامهم فهووا في/ النار، فلا يغرنك حلم الله عليك وطول [469/ب] أملك وكثرة ثناء الناس عليك فتزل بك قدمك فتلحق بالقوم، فلا جعلك الله/ منهم وألحقك بصالحي هذه الأمة ثم سكت فسأل عمر الغلام عن سنه فإذا هو ابن إحدى عشر سنة، ثم سأل عنه فإذا هومن ولد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فتمثل عمر بهذه الأبيات:

[الطويل]

تعلم فليس المرء يولد عالما — وليس أخو علم كمنهوجاهل

وإن كبير القوم لا علم عنده — صغير إذا التفت عليه المحافل

(1) الحكاية وردت في سراج الملوك: 26-28.

(2) ج، هـ: أمير المومنين.

(3) أ، ب ك فتح.

(4) زيادة من: ج.

(5) عبارة أ، ب: الذي من الله علينا بك.

وإن صغير القـوم والعلـم عنـده كبيـر إذا انضمـت عليـه القبائـل[1]

حُكي أن أعرابيا دخل على سليمان بن عبد الملك بن مروان فقال له: إني مكلمك بكلام فاحتمله وإن كرهته، فإن وراءه ما تحب إن قبلته. فقال:هات يا أعرابي! فقال: إني مطلق لساني بما خرست عنه الألسن، بحق الله وحق إمامتك. يا أمير المؤمنين! إنك قد اكتنفك رجال أساءوا الإحسان لأنفسهم، وابتاعوا دنياك بدينهم، ورضاك بسخط ربهم، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك، فأعظم الناس غبنا يوم القيامة من باع آخرته بدنيا غيره، فقال له سليمان: أما أنت فقد نصحت وأرجو الله أن يعين على ما قلدني وقد جردت لسانك وهو سيفك. فقال: أجل، ولكنه لك لا عليك[2].

حكى ابن عروبة[3] قال: لما حج الحجاج فنزل على بعض المياه/ بين مكة [418/هـ] والمدينة، فدعا الغذاء وقال لحاجبه: انظر من يتغذى معي وأسأله، فنظر نحو الجبل فإذا براع قائم فضربه برجله وقال: إيت الأمير، فأتاه. فقال له الحجاج: اغسل يدك وتغذى معي، فقال: دعاني من هو خير منك فأجبته. فقال: ومن هو؟ قال: دعاني الله إلى الصيام فصمت. فقال: في هذا اليوم الشديد الحر؟ قال: نعم، صمت ليوم أشد حرا منه. فقال: افطر اليوم وصم غدا، فقال: إن ضمنت لي البقاء إلى غد فعلت. فقال: ليس ذلك إلي. فقال: كيف تسألني عاجلا بآجل لا تقدر عليه؟ فقال: كُلْ فإنه طعام طيب فقال: لم تطيبه أنت ولا الطباخ وإنما[4] طيبته العافيه وانصرف عنه.

---

(1) الأبيات من شعر عمر بن عبد العزيز، ورد منها بيتان في مروج الذهب مع ذكر الحكاية. انظر ج 4/ 21،وكذا في سراج الملوك: 30 وزهر الآداب 1/ 40 وشرح النهج 5/ 361 والشهب اللامعة: 79.

(2) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 11 مع اختلاف قليل بين الروايتين وزهر الآداب 1/ 40.

(3) سعيد بن أبي عروبة مهران، العدوي أبو النضر حافظ للحديث (ت 156هـ). انظر تهذيب التهذيب 4/ 63.

(4) هـ: ولكن.

حكى صاحب سراج الملوك قال: دخلت على الأفضل بن أمير الجيوش وهو ملك مصر. فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فرد علي السلام، على نحو ما سلمت ردا جميلا وأكرمني إكراما جزيلا، وأمرني بدخول مجلسه والجلوس فيه، [571/ج] فقلت: أيها الملك! إن الله تعالى أحلك محلا عاليا شامخا[1]،/ وأنزلك منزلا شريفا باذخا، وملكك طائفة[2] من ملكه وأشركك[3] في حكمه، ولم يرض أن يكون أمر [381/أ] أحد فوق/ أمرك فلا ترضى أن يكون أحد أولى بالشكر منك، وإن الله تعالى قد ألزم الورى طاعتك فلا يكون أحد لله أطوع منك، وليس الشكر باللسان ولكنه بالفعال والإحسان. قال الله تعالى: ﴿اعملوا آل داوود شكرا﴾[4] واعلم أن هذا الذي أصبحت فيه إنما صار إليك بموت من كان قبلك، وهو خارج من يدك بمثل ما صار إليك. فاتق الله فيما خولك من هذه الأمة، فإن الله سائلك عن النقير والفتيل والقطمير[5] قال الله تعالى ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾[6] وقال تعالى: ﴿وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾[7] واعلم أن الله تعالى قد [470/ب] ملك الدنيا بحذافيرها لسليمان بن/ داوود، على نبينا وعليه السلام، فسخر له الجن والإنس والطير والشياطين والوحش والبهائم، وسخر الريح بأمره رخاء حيث أصاب، ثم رفع عنه حساب ذلك فقال تعالى: ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب﴾[8] فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها،

---

(1) ج: صامخا.

(2) ب: طائعه.

(3) أ، ب: لا شركك.

(4) سبأ: 13.

(5) النقير: النكتة في ظهر النواة. الفتيل: السحاة في شق النواة. القطمير: القشرة الرقيقة على النواة. اللسان: نقر، فتل، قطمر.

(6) الحجر: 92، 93.

(7) الأنبياء: 47.

(8) ص: 38.

بل خاف أن تكون استدارجا من الله ومكرا به، فقال: ﴿هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر﴾[1] فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم، أعانك الله على نصره، وجعلك كهف الملهوف وأمانا للخائف، ثم انصرفت بسلام[2].

حكى يحيى بن سعيد[3] قال: لما حج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز، فلما أشرفا على عقبة عسفان[4] نظر سليمان إلى السرادقات[5] قد ضربت له فرأى منظرا عظيما فقال: [يا][6] عمر! كيف ترى؟ فقال: أرى دنيا عريضة طويلة يأكل بعضها بعضا وأنت المسؤول عنها، المأخوذ بها وحدك، فبينما هو كذلك إذ نظر غرابا قد طار من سرادق سليمان في منقاره كسرة فصاح، فقال سليمان لعمر: ما يقول هذا الغراب؟[7] فقال عمر: ما أدري ما يقول، ولكن إن شئت أخبرتك على لسان حاله فقال: أخبرني. فقال: غراب طار من سرادقك في منقاره كسرة أنت بها مأخوذ وعنها مسؤول من أين دخلت ومن أين خرجت فقال سليمان: إنك لتجيء بالعجائب[8] قال: أفلا أخبرك بأعجب من هذا؟ قال بلى، قال: من عرف الله، كيف يعصيه؟ ومن عرف الشيطان، كيف يطيعه؟ ومن أيقن بالموت كيف يهنيه العيش؟ قال له: لقد نغصت علينا ما نحن فيه[9].

---

(1) النمل: 41.

(2) الحكاية وردت في سراج الملوك: 31.

(3) ب، ج: سعيد بن يحيى. ولعله يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري، ابو سعيد، من أكابر أهل الحديث، توفي حوالي 143هـ. ترجمته في تاريخ بغداد 14/ 101، تهذيب التهذيب 11/ 221.

(4) عسفان بالضم وسكون الثاني، وهي على مراحل من مكة، غزا بها الرسول ﷺ بني لحيان. انظر معجم البلدان: عسفان.

(5) سبق شرحه.

(6) زيادة من: ب.

(7) هـ: الغرب.

(8) ب، ج، هـ: بالعجب.

(9) الحكاية وردت في سراج الملوك: 32.

[419/هـ] حكى الأصمعي/ قال: قال لي الرشيد يوما:هل تعرف كلمات جامعات لمعاني [572/ج] الأخلاق يقل لفظها ويسهل حفظها، تشرح/ المستبهم وتوضح المستعجم؟ قلت: نعم، دخل أكثم بن صيفي حكيم العرب، على بعض ملوكها فقال له: إني سائلك عن أشياء لا تزال بصدري معتلجة فأتني بها عندك فيها، فقال: أبيت اللعن، سألت خبيرا واستنبأت بصيرا، والجواب يتبعه الصواب فاسأل عما بدا لك فقال له: ما السؤدد؟ قال: اصطناع المعروف عند العشيرة واحتمال الجريرة قال: ما الشرف؟ قال: كف الأذى وبذل الندى. قال: ما المجد؟ قال حمل المغارم وإيتاء المكارم. قال: فما الكرم؟ قال: صدق الأصدقاء والأعداء ومودة وقربة في الشدة والرخاء. قال: فما العز؟ قال: شدة العضد وثروة العدد قال: فما السماحة؟ قال: البذل للسائل وحبه. قال: فما الغنى؟ قال: الرضى بما يكفي، وقلة التمني. قال: فما الرأي؟ قال: أن يعينه تجربة. فقال الملك: أوريت زناد بصيرتي وأذكيت نار قريحتي فاحتكم فقال: بكل كلمة هجمة قال:هي لك. قال الأصمعي: فقال لي الرشيد ولك بكل كلمة بدرة، فانصرفت بثمانين ألف درهم[1].

حُكي أن المنصور قال: ما كان أحوجني أن يكون على بابي أربعة «لا يكون على بابي أعف منهم، قيل: من هم يا أمير المؤمنين؟ قال: هم أركان الملك [لا يصلح الملك][2] إلا بهم، كما أن السرير لا يصلح إلا بأربع[3] قوائم[4]، فإن نقص[5] قائمة واحدة عابه أحدهم: قاض لا تأخذه في الله لومة لائم، وصاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي، وصاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية فإني غني عن

(1) الحكاية وردت في سراج الملوك : 62.

(2) ما بين معقوفين زيادة من: ج، هـ.

(3) أ، ب: أربعة.

(4) ساقطة من: ب.

(5) هـ: نقض.

ظلمهم، ثم عض على أصبعه السبابة ثلاث مرات يقول في كل مرة: آه! آه! قيل ماهو؟ قال: صاحب بريد/ يكتب إلي بخبر هؤلاء على الصحة[1]. [471/ب]

قال الإمام عمر رضي الله عنه: لا يصلح الوالي إلا بأربع خصال، إن نقصت واحدة لم يصلح له أمر: قوم على كل حال، جمع المال من أبواب حله ووضعه في حقه/ وقوة لا جبروت فيها ولين لا وهن فيه[2]. [352/أ]

حُكي أن إبراهيم بن المهدي دخل على المأمون وعنده جماعة يتكلمون في الفقه، فقال له: يا عم! ما عندك فيما يقول هؤلاء؟ فقال: شغلونا في الصغر واشتغلنا في الكبر. فقال المأمون: ألا تتعلم اليوم؟ قال: أويحسن مثلي التعليم؟ قال: نعم، والله لئن تموت طالبا للعلم خير من أن تموت تابعا للجهل، وقال: وإلى متى يحسن بي طلب العلم؟ قال: ما حسنت بك الحياة:

[الطويل]

إذا لم يكن مر السنين مترجما	عن الفضل في الإنسان سيمته طفلا
وما تنفع الأعوام حين تعدها	ولم تستفد فيهن علما ولا عقلا/ [573:ج]
أرى الدهر من سوء التصرف مائلا	إلى كل ذي جهل كان به جهلا[3]

حُكي لما أراد سليمان بن عبد الملك أن يستكتب كاتب الحجاج يزيد بن أبي مسلم[4] قال له عمر بن عبد العزيز: أسألك بالله لا تحيي ذكر الحجاج باستكتابك إياه. فقال: يا أبا حفص! إني لم أجد غيره، ولم أجد عنده خيانة في دينار ولا درهم. قال له عمر: أنا أدلك على من هو أعف منه في الدنيا والدرهم، قال ومن هو؟ قال:

---

(1) الحكاية وردت في سراج الملوك: 54.

(2) ورد هذا القول في المرجع، نفسه.

(3) الأبيات وردت في سراج الملوك في سياق الحكاية. انظر ص: 55-56.

(4) يزيد بن أبي مسلم دينار الثقفي، أبو العلاء، كان كاتبا للحجاج قتل سنة 102هـ انظر ترجمته في الوفيات 6/ 309.

إبليس ما مس دينارا ولا درهما وقد أهلك هذا الخلق.

ودخل رجل له عقل وأدب على بعض الخلفاء فوجد عنده ذميا كان الخليفة يميل إليه ويقربه فأنشده يقول:

[السريع]

[420/هـ] مولاي! يا من حقه لازم   وحبه مفترض واجب/

إن الذي شرفت من أجله   يزعم هذا أنه كاذب[1]

وأشار إلى الذمي، فسأل[2] الخليفة الذمي فلم يجد بدا من أن يقول:هو صادق، فاعترف بالأسلام[3].

حكى بعض الرواة قال: دخلت مدينة خرابا، فبينما أنا أطوف بها إذ رأيت، على قصر خرب منها، مكتوبا:

[الطويل]

يا من ألح[4] عليه الهم والفكر   وغيرت حاله الأيام والعصر

أما سمعت بما قد قيل في مثل   عند القنوط فأين الله والقدر؟

نم للخطوب إذا أحداثها طرقت   واصبر فقد فاز أقوام بما صبروا

فكل ضيق سيأتي بعده سعة   وكل أمر وشيك بعده الظفر[5]

وتحته مكتوب بخط آخر: لوكل من صبر ظفر، صبرت، ولكنا نجد الصبر في العاجل يفنى العمر ويدني من القبر، وما أصلح لذي[6] العقل موته وهو صغير،

(1) البيتان وردا في سراج الملوك: 61، وفي الوفيات 4/ 263 وهما فيه للطرطوشي.

(2) أ: وسأل.

(3) الحكاية في سراج الملوك: 61.

(4) أ: الاح.

(5) الأبيات وردت في سراج الملوك في نفس الحكاية انظر ص: 86.

(6) ج: بدي.

والسلام، وأنشد بعض أهل المجون:[1]

[البسيط]

عواقب الصبر، فيما قال أكثرهم: محمودة، قلت: أخشى أن تحرينا[2]

قال الطرطوشي: لو رأيته كتبت تحته: الصبر أطلب للراحة وأجلب لانتظار الفرج، وفيه حسن الظن بالله تعالى، وأجر بغير حساب، وفي الجزع استعجال الهم ونهك البدن واستشعار الخيبة وسوء الظن بالله، وحمل الإثم مع العقوبة، وما أحسن لذي العقل اجتناب هذا/ والسلام[3]. قال الشاعر: [472/ب]

[الكامل]

ما قد مضى يا نفس! فاصبري له ولك الأمان من الذي لم يقدر

ثم اعلمي أن المقدر كائن حتما عليك صبرت أم لم تصبري[4]

وقال آخر:

[الكامل]

ما لا يكون فلا يكون بحيلة أبدا وما هو كائن سيكون/ [574/ج]

سيكون ماهو كائن في وقته وأخو الجهالة متعب محزون

يسعى الحريص فلا ينال بسعيه حظا ويحظى عاجز ومهين[5]

---

(1) أ: الفجور.

(2) البيت لم يرد في الحكاية في سراج الملوك.

(3) هنا انتهى قول الطرطوشي. انظر ص: 86.

(4) البيتان وردا في نفح الطيب 5/ 295.

(5) الأبيات من شعر أبي تمام وردت في الأمثال المولدة لأبي بكر الخوارزمي: 442، وربيع الأبرار 2/ 146 ونفح الطيب 5/ 294.

وأنشد صاحب تلخيص المفتاح[1]:

[البسيط]

[383/أ] كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا/
هاذا الذي ترك الألباب حائرة وصير العالم النحرير زنديقا[2]

حُكي لما حبس أبو أيوب استمر في السجن خمس[3] عشرة سنة، ضاقت حيلته وعيل صبره فكتب إلى بعض إخوانه يشكو إليه طول قهره وقلة صبره ودوام حبسه نثرا فكتب إليه الصديق جوابه نظما فقال:

[الكامل]

صبرا أبا أيوب صبر مكرم فإذا عجزت عن الخطوب فمن لها
إن الذي عقد الذي انعقدت[4] به عقد المكاره فيك يملك حلها
صبرا فإن الصبر يعقب راحة فلعلها إن تنجلي ولعلها[5]

فلما وقف عليه[6] أبو أيوب كتب إليه يقول:

[الكامل]

صبرتني ووعظتني فأنا لها وستنجلي بل لا أقول: لعلها
[421/هـ] ويحلها من كان صاحب عقدها ثقة[7] به إذ كان يملك حلها[8]/

(1) تلخيص المفتاح في المعاني والبيان للشيخ جلال الدين محمد بن عبد الرحمان القزويني، توفي سنة 739هـ. انظر كشف الظنون 1/ 473.

(2) البيتان وردا في تلخيص المفتاح وهما لأحمد بن يحيى بن إسحاق الرواندي. انظر التلخيص: 91.

(3) هـ: خمسة.

(4) أ: انعدت.

(5) الأبيات وردت في سراج الملوك: 87.

(6) ب: عليها.

(7) هـ: نقبة.

(8) البيتان وردا مع الأبيات السابقة في الحكاية نفسها.

قال الراوي فلما صبر لم يلبث بعد ذلك إلا أياما يسيرة حتى أطلق مكرما قال الشاعر:

[الوافر]

إذا لعب الرجال بكل فن رأيت الحب يلعب بالرجال
وكيف الصبر عمن حل مني بمنزلة اليمين من الشمال[1]

حُكي أنه كان لبعضهم صديق فحبسه السلطان فأرسل يشكو إلى صديق له، فكتب إليه: اشكر الله تعالى، فضرب الرجل ضربا شديدا مبرحا فكتب إليه أيضا، فكتب الصديق إليه: أن اشكر الله تعالى، ففعل، فجيء بمجوسي محبوس وهو مبطون فقيد وجعل حلقة في رجل الرجل وحلقة في رجل المجوسي، فكان يقوم للضرورة بالليل مرات ويحتاج هذا أن يقوم معه، ويقف على رأسه حتى يفرغ، فكتب إلى صديقه فقال له في الجواب: اشكر الله تعالى. فقال: إلى متى تقول لي: اشكر الله تعالى؟ وأي بلاء فوق هذا؟ فقال له صاحبه: لو وضع الزنار[2] الذي في وسطه في وسطك ما كنت تصنع؟ قال: فصبرت بعد ذلك فكان/ بعده الفرج. [473/ب]

يقال إن عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام مرَّ برجل أجذم أبرص أعمى والزنابير[3] تأكل من لحمه وهو يقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من/ [575/ج] خلقه، فقال في نفسه: وأي بلاء أعظم من ذلك؟ فكاشفه الرجل وقال: من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبينه؟ والله لو لم يكن علي غير نعمة الإسلام لكفتني فالحمد لله على ذلك.

---

(1) البيتان وردا في المرجع نفسه.

(2) الزنار والزنارة: ما على وسط المجوسي وقيل: ما يلبسه الذمي يشده على وسطه. اللسان: زنر.

(3) سبق شرحه.

حكى كميل بن زياد النخعي[1] قال: خرجت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوما فلما أصبح تنفس الصعداء ثم قال: يا كميل بن زياد! إن القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير، احفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم، وهمج رعاع[2] أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا منه إلى ركن وثيق، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم ينمو على الانفاق، والمال تنقصه النفقة، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، ومحبة العلم دين لكم، وإن المرء به كثير[3] الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته، وأهل الأموال أموات وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أشخاصهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة، هاها إن [ها][4] هنا، وأشار بيده إلى صدره، لعلما، لو أصبت له حملة، بلى قد أصبت في يوم[5] غير مأمون عليه، يستعمل الدين للدنيا فيستظهر[6] بحجج الله تعالى على كتابه وبنعمه على عباده ومنقادا لأهل الحق، لا بصيرة له، ينقدح الشك في غامض قلبه من شبهة إلا لا ذا، ولا ذاك، أو مهتما بالذات سريع الانقياد للشهوات، أو آخر شأنه جمع المال والادخار ليسا من رعات الدين أقرب شبها بهما الأنعام السائمة اللهم/ فكذلك [384/أ] يموت العلم بموت حامله، ولم تخل الأرض من قائم لله تعالى بحججه لِيَلاًّ تتعطل حجج نبيه وآياته، ومن أولئك وأين أولئك؟ أولئك الأقلون عددا الأكثرون عند الله قدرا، تخزن الحكمة في قلوبهم حتى يزرعوها في قلوب أشباههم ويودعوها في

---

(1) كميل بن زياد بن نهيك النخعي، تابعي ثقة من أصحاب علي بن أبي طالب توفي حوالي 82هـ. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب 8/ 447.

(2) الهمج هنا: أراذل الناس، والرعاع من الناس: هم سقاطهم وسفلتهم. اللسان: همج، رعع.

(3) ج: الكثير.

(4) زيادة من: ج.

(5) زيادة من: ج، هـ.

(6) أ، هـ: فيظهر

صدور نظرائهم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فتبنوا روح اليقين واستهجنوا ما استحسنه المترفون، واستأنسوا بما استوحش منه الجاهلون. صحبوا الدنيا بأجساد أرواحها متعلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله في بلاده ودعاته إلى دينه، آه! شوقا إلى رؤيتهم أوكما قال رضي الله عنه[1].

[285/أ]

قال الشاعر في المعنى:

[البسيط]

المكثرون من الدنيا وزينتها	أهل الفضائل مرذولون عندهمُ/ [422/هـ]
يا ليتنا لو قدرنا أن نُعَرِّفَهُم	مقدارهم عندنا أو لو دَرَوْهُ هُمُ
لهم مريحان من جهل وفضل غنى	وعندنا المتعبان العلم والعدمُ[2]/ [576/ج]

حكى الطرطوشي قال: كان الوزير نظام الملك[3] بالعراق وزيرا لأبي الفتح ملك الترك، وكان استزور لأبيه أيضا من قبله[4] فقام بدولتها أحسن قيام فشيدا[5] أركانها[6] واستمال الأعداء والأولياء، واستعمل الأكفاء والكفاة، وعم بإحسانه العدووالصديق، والمبغض والحبيب، والبعيد والقريب، حتى ألقي له الملك بجرانه، وذل الخلق لسلطانه، وكان الذي مهد له ذلك بإذن الله تعالى وتوفيقه، أنه أقبل بكليته على فعل الخير، فبنى دور العلم للفقهاء وأنشأ المدارس للعلماء، وأحسن الربط للعباد والزهاد وأهل الصلاح والفقراء، وأجرى لهم الجرايات والكسوة والنفقات، ورتب لهم الخبز والورق لمن كان من أهل طلبة العلم، مضافا

(1) الحكاية وردت في سراج الملوك مع اختلاف قليل بين الروايتين: 56.

(2) الأبيات وردت في الفلاكة والمفلوكون: 135.

(3) الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، أبو علي الملقب بنظام الملك، وزير عالي الهمة سمع الحديث واشتغل بالأعمال السلطانية (408-485هـ). انظر ترجمته في الوفيات 2/ 128-131.

(4) أ، ب: من قبله أيضا.

(5) هـ: فشدا.

(6) ب: أركانها.ه: ركناها.

[474/ب] إلى أرزاقهم،/ وعم بذلك سائر أقطار مملكته، فلم يكن، من أوائل بلاد الشام، وهو بيت المقدس إلى سائر الشام على ديار بكر العراقين وبلاد خراسان وأقطارها إلى سمرقند[1] إلى ما وراء نهر جيحون[2] وهي مسيرة زهاء مائة يوم، حامل علم أوطالبه، أومتعبد أوزاهد في زاوية إلا وله عليه منة وكرامة شاملة ونعمة سابغة، وكان الذي يخرج من بيوت أمواله في هذه المبرات في كل سنة ستمائة ألف دينار، فوشى الوشاة به إلى أبي الفتح الملك وأوغروا صدره عليه، وقالوا له: إن المال المخرج من بيوت الأموال يقام به جيش عظيم يركز رايته في سور القسطنطينة، فخامر ذلك قلب الملك، فلما دخل عليه نظام الملك الوزير المذكور قال له الملك: يا أبت! بلغني أنك تخرج في كل سنة من بيوت الأموال ستمائة ألف دينار إلى ما لا ينفعنا ولا يغني عنا شيئا.

قال الراوي: فبكى نظام الملك وقال له: يا بني إني شيخ أعجمي لونودي علي ورغب في راغب لا أساوي أكثر من خمسة دنانير، وأنت غلام تركي لونودي عليك ورغب فيك راغب بالمال تساوي ثلاثين دينارا وأنت مشتغل بلذاتك ومنهمك في شهواتك، وأكثر ما يصعد إلى الله تعالى معاصيك دون طاعتك، وجيوشك التي تعدها للنوائب إذا احتشدوا كافحوا عنك بسيف طوله ذراعان، لا ينتهي مدى مرماه ثلاثمائة ذراع، وهم مع ذلك مستغرقون في المعاصي والملاهي والخمور والمزمار والطنبور، وأنا أقمت لك جيشا يسمى جيش الليل، إذا نامت جيوشك ليلا قامت جيوش الليل على أقدامهم صفوفا بين يدي ربهم فأرسلوا دموعهم ثم

[577/ج] أطلقوا بالدعاء ألسنتهم ومدوا إلى الله تعالى أكفهم بالدعاء لك/ ولجيوشك، فأنت

---

(1) سمرقند: بلد مشهور يقال إنه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، وقيل:هي مدينة خلف نهر جيحون. انظر الكلام عنها في معجم البلدان 3/ 147-149.

(2) سبق ذكره.

وجيوشك في خفارتهم[1] تعيشون، بدعائهم وبركاتهم[2] تمطرون وترزقون[3] وتخرق سهامهم إلى السماء السابعة بالدعاء والتضرع، قال: فبكى الملك ثم قال له: يا أبت أكثر من هذا الجيش ما استطعت[4].

حُكي أن بعض الملوك مر بغلام يسوق حمارًا سوقا عنيفا فقال له:/ ارفق به. [285/أ] فقال الغلام: في الرفق مضرة عليه، قال وما مضرته؟ قال: يطول طريقه، ويشتد جوعه، وفي العنف به إحسان إليه قال له: وما الإحسان إليه؟ قال: يخف حمله، ويطول أكله. قال: فأعجب الملك كلامه وقال: قد أمرت لك بألف درهم. فقال: رزق مقدور وواهب مأجور. قال: وقد أمرت بإثبات اسمك في حشمي. قال: كفيت مئونة، ورزقت معونة. قال: لولا أنك/ حديث السن لاستوزرتك. قال: [423/هـ] لن يعدم الفضل من رزق العقل، قال: فهل تصلح لذلك؟ قال: إنما يكون الحمد والذم بعد التجربة، ولا يعرف الإنسان نفسه حتى يبلوها. قال: فاستوزره فوجده ذا رأي مصيب وفهم رحيب ومشورة تقع مواقع التوفيق[5].

حكى الواقدي[6] قال: قال الفضل ابن سهل[7]: لما دعي للمأمون في كور خراسان بالخلافة جاءته هدايا الملوك سرورا بمكانه من الخلافة، فوجه إليه ملك كابلستان[8] شيخا يقال له: ذوبان، وكتب معه كتابا يذكر فيه: إني منحتك هدية

---

(1) الخفارة: هي الذمة، وقيل خفير القوم: مجيرهم الذي يكونون في ضمانة. اللسان: غفر.

(2) ب، ج، هـ: ببركاتهم.

(3) الواو ساقطة من: ج.

(4) الحكاية وردت في سراج الملوك: 128 مع اختلاف قليل بين الروايتين.

(5) الحكاية وردت في المرجع السابق: 188.

(6) سبق ذكره.

(7) سبق ذكره.

(8) كابلستان: أرض بين الهند وسجستان، أهلها أصحاب نعم على لسان الأتراك. انظر معجم البلدان: كابلستان.

ليس على وجه الأرض أسنى منها ولا أرفع ولا أنبل ولا أفخر. فعجب المأمون من ذلك وقال: ليدخل الشيخ وما معه، فدخل عليه فقال له: ما معك؟ قال: ما معي شيء غير علمي قال: وأي شيء علمك؟ قال: رأي ينفع وتدبير يقطع ودلالة تجمع. قال: فسُرَّ المأمون/ بذلك، ثم أمر بإنزاله وإكرامه وكتمان أمره، فلما أجمع [475/ب] على التوجه إلى العراق لقتال أخيه طلبه فقال له: يا ذوبان! ما ترى في التوجه إلى العراق؟ قال: رأي وثيق، وخير طريق، وحزم مصيب، وملك قريب. فالسير ماض فاقض ما أنت قاض. فقال له: من نوجه؟ قال: الفتى الأعور. الطاهر الأظهر، يسير ولا يغير، قوي مرهوب، غالب غير مغلوب. فقال له: فكم يأخذ معه من الجند؟ قال: أربعة آلاف، صوارم الأسياف، مجر العدد ولا يحتاجون إلى مدد، فسر المأمون بذلك ووجه طاهر بن الحسين فقال له: يا ذوبان! في أي وقت يخرج؟ قال: مع طلوع الفجر يجمع لك الأمر، إليك وإليه، والمعول[1] عليه. قال: ففعل ذلك فظفر وظهر[2] طاهر، وكان له النصر، وقتل علي بن عيسى بن ماهان وزير الأمين،/ واستولى على عسكره وحاز أمواله قال: فأمر المأمون لذوبان بمائة [578/ج] ألف دينار فلم يقبلها، وقال له: أيها الملك إن مَلِكي لم يوجهني إليك بقصد[3] مَالِكَ ولا[4] تجعل ردي لنعمتك تسخطا وأنا سأقبل ما يفي بعد بهذا المال ويزيد عليه، فقال المأمون وماهو؟ قال: كتاب يوجد بالعراق، فيه مكارم الأخلاق وعلوم الآفاق، من كتب عظيم الفرس، فيه شفاء النفس من صنوف الآداب على ما ليس في كتاب، عند عاقل لبيب فاطن أديب يوجد تحت أبو اب بالمدائن فيقاس بالذراعين في وسط الإيوان، بغير زيادة ولا نقصان، فاحفر المدر[5]، واقلع الحجر،

(1) أ: المعلول.

(2) هـ: وظهر له.

(3) ج: لقصد.

(4) ساقطة من: هـ

(5) المدر قطع الطين اليابس المتماسك. اللسان: مدر.

فإذا وصلت إلى الساجة[1] فاقلعها تجد الحاجة، ولا تنظر لغيرها فيلزمك غب ضيرها، قال: فأرسل المأمون إلى إيوان كسرى فحفروا في وسطه فوجدوا صندوقا صغيرا من زجاج أسود، عليه قفل فحمل إلى عند المأمون، فقال لذوبان هذه بغيتك؟ قال: نعم، أيها الملك. قال: خذها وأرنا ماهي قال: فتكلم ذوبان بلسانه ونفخ في القفل فانفتح فأخرج منه خرقة ديباج فنشرها فسقط منها أوراق فعدها مائة ورقة ولم يكن في الصندوق شيء غيرها فأخذ الأوراق وانصرف داعيا له.

حُكي عن حكيم من حكماء الفرس[2] أنه قال: نصحني النصحاء ووعظني الوعاظ شفقة ونصيحة و تأديبا فلم يعظني أحد مثل شيبي ولا نصحني مثل فكري، ولقد استضأت بنور الشمس والقمر فلم أستضئ بشيء أضوء من نور قلبي وملكني الملوك فما ملكني أحد مثل هواي وعاداني الأعداء فلم أر أعدى إلي من نفسي إذا جهلت، واحترزت على نفسي من الخلق كلهم حذرا عليها وشفقة بها فوجدتها شر الأنفس لنفسها، ورأيت أنه لا يأتيها الفساد إلا من جهتها، وزاحمتني المضائق فلم يزاحمني مثل سوء الخلق، ووقعت في أبعد البعد وأطول الطول فلم أقع في شيء أضر علي من لساني، ومشيت على الجمر ووطئت الرمضاء فلم أر نارا أحر من غضبي إذا تمكن مني، وطلبتني الطلاب فلم/ يدركني منهم مدرك مثل إساءتي، [424/هـ] ونظرت ما الداء القاتل ومن أين نالني؟ فوجدته من معصية ربي، والتمست الراحة لنفسي فلم أجد شيئا أروح لي من تركها مالا يعنيها، وركبت البحار[3] [ورأيت الأهوال فلم أر هولاً مثل الوقوف بباب سلطان جائر، وتوحشت في القفار والجبال][4] فلم أر أوحش من قريب السوء، وأكلت الصَّبْر وشربت المر فلم

(1) الساجة من الساج: وهو خشب يجلب من الهند، والساجة: الخشبة الواحدة المربعة. اللسان: سوج.

(2) في سراج الملوك هو: بزرجمهر.

(3) هـ: الجحر.

(4) ما بين معقوفين زيادة من: ج، هـ.

[579/ج][386/أ] أر شيئا أمر من الفقر،/ وشهدت الحروب ورأيت تعبئة الجيوش وباشرت/ الحتوف بالسيوف وصارعت الأقران فلم أر قرنا[1] أغلب من المرأة [السوء،][2] وعالجت الحديد ونقلت الصخر فلم أر حملا أثقل من الدين، ونظرت فيما يذل العزيز ويكسر القوي ويضع الشريف فلم أر أذل من ذي فاقة وحاجة، ورميت [476/ب] بالسهام والأحجار فلم أر أنفذ من الكلام/ السوء يخرج من فم مطالب بحق، وسجنت في الحبوس وشددت بالوثاق وضربت بعمد الحديد فلم يهدمني شيء مثل ما هدمني الهم والغم والحزن، واصطنعت الإخوان وانتخبت الأقوام للعدة والشدة و النائبة فلم أر شيئا خيرا من التكرم عندهم، وطلبت الغنى من وجوهه فلم أر شيئا أغنى من القنوع، وتصدقت بالدنانير فلم أر صدقة أفضل من رد ذي ضلالة إلى هدى، ورأيت الغربة والوحدة والمذلة فلم أر أذل من مقاساة جار السوء، وشيدت البنيان لأُعزَّ به وأذكر فلم أر شرفا أرفع من اصطناع المعروف، ولبست الثياب الفاخرة فلم ألبس شيئا مثل الفَلاح، وطلبت أحسن الأشياء عند الناس فلم أر أحسن من حسن الخلق، وسررت بعطايا الملوك وحباهم فلم أسر بشيء أكثر من الخلاص منهم[3].

حُكي عن الإمام جعفر الصادق، رضي الله عنه، أنه قال: عجبت لمن ابتلي بخمس كيف يغفل عن خمس؟ عجبت لمن ابتلي بالضر كيف يذهب عنه أن يقول: ربي ﴿أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾[4] والله تعالى يقول: ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر﴾[5]وعجبت لمن ابتلي بالغم كيف يذهب عنه أن يقول: ﴿لا

(1) أ: قرينا.

(2) زيادة من: ب، ج، هـ.

(3) الحكاية وردت في سراج الملوك: 166.

(4) الأنبياء: 82.

(5) الأنبياء: 83.

إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾[1] والله تعالى يقول: ﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نجي المؤمنين﴾[2] وعجبت لمن خاف شيئا كيف يذهب عنه أن يقول ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾[3] والله تعالى يقول ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾[4] وعجبت لمن يمكر به كيف يذهب عنه أن يقول: ﴿وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد﴾[5] والله تعالى يقول: ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾[6] وعجبت لمن أنعم الله عليه بنعمة خاف زوالها كيف يذهب عنه أن يقول: ﴿ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾[7] والله تعالى يقول: حكاية عن أحد الرجلين الذي بقيت جنته ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾[8] فبقيت جنته وهلكت جنة صاحبه.

حكى المؤلف قال: استظرفت هذا الشعر وهو:

[الطويل]

فأنفق إذا أيسرت غير مقتر — وأنفق ولا تبخل به حين تعسر

فلا الجود يفني المال والحظ مقبل — ولا البخل يبقي المال والحظ مدبر[9]/ [580/ج]

وقال آخر:

[الطويل]

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها — على الناس طرا قبل أن تتفلت

(1) الأنبياء: 86.

(2) الأنبياء: 87.

(3) آل عمران: 173.

(4) آل عمران: 174.

(5) غافر: 44.

(6) غافر: 45.

(7) الكهف: 38.

(8) الكهف: 38.

(9) البيتان وردا في المرجع السابق: 203 وعيون الأخبار 3: 201.

فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت   ولا البخل يبقيها إذا هي ولت[1]

وقال آخر:

[البسيط]

[425/هـ] لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة   فليس يصرمها التبذير والسرف/

فإن تولت فأحرى أن تجود بها   فالشكر منها إذا ما أدبرت خلف[2]

حُكي أن شقيق البلخي[3] رحمه الله لما حضرته الوفات دعا حاتم[4] الأصم[5] تلميذه فقال له: كم صحبتني؟ فقال[6]: منذ ثلاث وثلاثين سنة، فقال: ما تعلمت مني في هذه المدة؟ فقال: ثمان مسائل، فقال شقيق: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم إلا ثمان مسائل؟ فقال: يا أستاذ! لم أتعلم غيرها ولم أحب أن أكذب، فقال:هات الثمان مسائل حتى أسمعها، فقال حاتم: نظرت إلى الخلق [475/ب] فرأيت كل واحد يحب محبوبا فهومع محبوبه إلى القبر فإذا دخل القبر/ فارقه محبوبه، فجعلت الحسنات محبوبي ليلا تفارقني إذا دخلت القبر فيكون معي محبوبي، فقال له: أحسنت يا حاتم! ثم قال له: فما الثانية؟ قال: نظرت في قوله تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنةهي المأوى﴾[7] فعلمت أن قوله تعالى هوالحق، فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعته تعالى.

---

(1) البيتان وردا في زهر الأكم 1/ 335.

(2) البيتان وردا في الشعر والشعراء 2/ 705، وعيون الأخبار 3 / 44، والعقد الفريد 1/ 191، والأمثال المولدة: 482 وربيع الأبرار 4/ 369.

(3) شقيق بن إبراهيم البلخي، أبو علي، من مشايخ خراسان توفي حوالي 153هـ. ترجمته في حلية الأولياء 8/ 58. والوفيات 2/ 475.

(4) ج: خاتم.

(5) حاتم بن عنوان الأصم من أهل بلخ، كان أوحد من عرف بالزهد والورع والتقشف، اختلف في اسم أبيه. ترجمته في حلية الأولياء 8/ 73 الوفيات 2/ 26، شذرات الذهب 2/ 87.

(6) هـ: فقال له.

(7) النازعات: 39، 40.

فقال له: أحسنت يا حاتم! فما الثالثة؟ قال: فإني/ نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل [385/أ] من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه، ثم نظرت إلى قوله تعالى: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾[1]. فكل ما وقع عندي [شيء][2] له قيمة ومقدار وجهته إليه ليبقى لي[3] نفعه. فقال له: أحسنت يا حاتم! فما الرابعة؟ قال نظرت إلى هذا الخلق فوجدت[4] كل واحد منهم يرجع إلى الحسب والمال والشرف والنسب ونظرت فإذا هي لا شيء، ثم نظرت إلى قوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[5] فعملت في التقوى حتى أكون كريما عنده، فقال له: أحسنت يا حاتم! فما الخامسة؟ قال: نظرت إلى هذا الخلق وهم يطحن بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا وأصل هذا كله الحسد، ثم نظرت إلى قوله تعالى: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾[6] فتركت الحسد وأحببت الخلق، وعلمت أن القسم من عند الله وتركت عداوة الخلق عني، فقال له: أحسنت يا حاتم! فما السادسة؟ قال: نظرت إلى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت إلى قوله تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو/فاتخذوه عدوا﴾[7] فعاديته وحده واجتهدت في أخذ حذري منه [581/ج] لأن الله تعالى شهد أنه عدو لي[8] وتركت عداوة الخلق، فقال له: أحسنت يا حاتم! فما السابعة؟ قال: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كلا منهم يطلب هذه الكسرة ويذل نفسه ويدخل فيما لا يحل له، ثم نظرت إلى قوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها﴾[9] فعلمت أني واحد من هذه الدواب

(1) النحل: 96.
(2) زيادة من: ب.
(3) ا: له.
(4) ج، هـ: فرأيت.
(5) الحجرات: 13.
(6) الزخرف: 32.
(7) فاطر: 6.
(8) هـ: عدوي.
(9) هود: 6.

التي على الله رزقها واشتغلت بالله تعالى وتركت مالي عنده فقال له أحسنت يا حاتم! فما الثامنة؟ قال: نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم متوكلين هذا على ضيعته، وهذا على تجارته، وهذا على صحة بدنه، وكل مخلوق متوكل على مخلوق، فرجعت إلى قوله تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾[1] فتوكلت عليه سبحانه وتعالى فهوحسبي، فقال له شقيق: وفقك الله يا حاتم! فرحمهم الله تعالى، ورحمنا بهم[2].

حكى أبو عبد الله الخواص[3] قال دخلت مع حاتم الأصم الري ومعنا ثلاثمائة وعشرون رجلا يريد الحج، وليس معنا جراب ولا طعام، فدخلت على رجل من التجار، المتصفين بحب المساكين، فأضافنا تلك الليلة، فلما كان من الغد قال لحاتم: يا سيدي! ألك حاجة؟ فإني أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل. فقال حاتم: عيادة مريض لها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضا أجيء معك، وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري، لما جئنا إلى الباب، فإذا هو مستشرف حسن[4]، فبقى حاتم متفكرا يقول: سبحان الله! بيت فقيه على هذا الحال، ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار عظيمة ودائرة واسعة وستور مرخية، ثم دخلوا المجلس الذي هو فيه، فإذا بفرش وطيئة وهو عليها راقد، وعلى[5] رأسه غلام بيده مذبة يذب عنه الذباب، فقعد/ التاجر وسلم على القاضي وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن [426/هـ] اجلس، فقال: لا أجلس، فقال لعل[6] إليك حاجة؟ قال: نعم. قال: وماهي؟ قال مسألة أسألك عنها فقال: سل[7]. فقال: حتى تستوي/ جالسا، فاستوى، فقال له [478/ب]

(1) الطلاق: 3.

(2) الحكاية وردت في العقد التليد في اختصار الدر النضيد: 94.

(3) حسب ما وقفت عليه أنه لم يكن ممن يلقب بالخواص، بأبي عبد الله، فربما أراد إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل، أبو إسحاق الخواص، وهو صوفي توفي سنة 291هـ. انظر ترجمته في تاريخ بغداد 6/ 7.

(4) هـ: حسنا.

(5) ج، هـ: عند.

(6) أ: لعلك.

(7) هـ: أسأل.

حاتم: علمك هذا من أين أخذته؟ فقال: الثقاة حدثوني به. قال عمن؟ قال: عن أصحاب رسول الله صلى الله، عليه وسلم قال: وأصحاب رسول الله ﷺ عمن أخذوه؟ قال: عن رسول الله ﷺ، عن جبريل عليه السلام، عن الله عز وجل، فقال له حاتم: ففيما أداه جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ عن الله عز وجل وأداه رسول الله، ﷺ، إلى أصحابه رضي/ الله عنهم وأداه أصحابه إلى الثقاة وأداه [582/ج] الثقاة إليك، هل فيه أن من كان في داره أميرا وكانت سعته أكثر كان له عند الله المنزلة؟ قال: لا، قال: فكيف سمعت من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المسلمين وقدم لآخرته كان له عند الله المنزلة؟ فقال له حاتم: فأنت بمن اقتديت؟ أبرسول الله ﷺ، أم بأصحابه الصالحين أم بفرعون وجنوده والنمرود الذي أول من بنى بالجص والآجور؟ يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب/ على الدنيا [388/أ] الراغب فيها يقول: العالم على هذه الحالة لا أكون أنا خير منه قال: وخرج من عنده فازداد محمد بن مقاتل مرضا وبلغ أهل الري وما جرى بينه وبين محمد بن مقاتل فقالوا: إن الطنافسي[1] بقزوين[2] أكثر مناقشة فصار حاتم إليه متعمدا، فدخل عليه فقال له: رحمك الله، أنا رجل أعجمي أحب أن تعلمني مبتدأ ديني ومفتاح صلاتي، وكيف أتوضأ للصلاة؟ قال: نعم، يا غلام!هات إناء فيه ماء فقعد الطنافسي ثم توضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال:هكذا تتوضأ. فقال له حاتم: مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون آكد ما نريد، فقعد حاتم يتوضأ ثم غسل الذراعين أربعا أربعا فقال له الطنافسي: أسرفت، فقال له حاتم: بماذا أسرفت؟ قال غسلت ذراعيك أربعا أربعا، قال له حاتم: يا سبحان الله! أنا في كف ماء أسرفت وأنت في هذا الجمع كله لم تسرف. فعلم الطنافسي أنه قصد ذلك دون التعلم فدخل البيت

---

(1) محمد بن عبيد بن أبي أمية عبد الرحمان الطنافسي، من حفاظ الحديث الثقات، من أهل الكوفة توفي سنة 205هـ. وتاريخ بغداد 2/ 365. وتهذيب التهذيب 9/ 327.

(2) مدينة مشهورة قريبة من الري. انظر معجم البلدان: قزوين.

فلم يخرج أربعين يوما، ولما دخل حاتم المدينة المشرفة برسول الله ﷺ، فرأى بها بناءا رفيعا وقصورا مشيدة، فاجتمع إليه أهلها فقال لهم: أروني قصر رسول الله ﷺ، قالوا: ما كان له قصر، وإنما كانت بيوته لاطئة بالأرض. فقال: أروني قصر أبي بكر، رضي الله عنه، فقالوا: ما كان له قصر، وإنما كانت بيوته كبيوت رسول الله ﷺ. فقال: أروني قصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه والخلفاء من بعده قالوا: كانت بيوتهم مثل بيوت من تقدمهم. فقال: أفهذه مدينة فرعون؟ فبمن اقتديتم في ذلك، أبرسول الله ﷺ، أم بفرعون وهامان؟ قال: ولما دخل حاتم الأصم بغداد[1] اجتمع عليه أهلها فقالوا له: يا أبا عبد[2] الرحمان! أنت رجل أعجمي ألكن وليس يكلمك أحد إلا قطعته. قال: معي ثلاث خصال بهن أظهر على خصمي. أفرح [583/ج] إذا أصاب خصمي، وأسخط إذا أخطأ وأحفظ نفسي ألا تجهل عليه. قال/ : فبلغ ذلك إلى أحمد بن حنبل فقال: سبحان الله، ما أعقله! قوموا إليه، فلما دخل عليه قال: يا أبا عبد الرحمان! ما السلامة في الدنيا؟ فقال: يا أبا عبد الله! لا تسلم من الدنيا حتى يكون فيك أربع خصال. تغفر للقوم جهلهم وتمنع منهم جهلك وتبذل لهم نسبك وتكون من نسبهم آيسا فإذا كنت هكذا فقد سلمت.

[427/هـ] حكى المؤلف جملة من آداب المعيشة/ مع أصناف الخلق ملتقطا ذلك من أماكنه، كما قال الغزالي، من كلام الحكماء، إذا أردت حسن المعيشة فالق صديقك وعدوك بحسن الرضى من غير ذلة لهم[3]، ولاهيبة منهم، وتوقر من غير كبر وتواضع من [479/ب] غير ذلة[4]، وكن من جميع أمورك في وسطها/ فكلا طرفي الأمور ذميم، ولا تنظر في عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تفتخر في الجماعات، وإذا جلست فلا تستوفر

(1) ب: أرض بغداد.

(2) هـ: يا أبا حاتم.

(3) ا، ب، ج: بهم.

(4) ب، ج، هـ: مذلة.

وتحفظ من تشبيك أصابعك والعبث بلحيتك، وخاتمك، وتخليل أسنانك وإدخال أصبعك في أنفك وتنخمك، وطرد الذباب من وجهك وكثرة التمطي في وجوه الناس، وفي الصلاة وغيرها، وليكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا، واصغ إلى الكلام الحسن ممن يحدثك به بغير إظهار تعجب مفرط ولا تسأله إعادته، واسكت عن المضاحك والحكايات، ولا تحدث عن إعجابك بولدك وجاريتك، ولا بشعرك وتصنيفك وسائر ما يخصك، ولا تتصنع بصنع المرأة في التزيين وتوق الكحل والاسراف في الدهن ولا تلح في الحلجات، ولا تشجع أحدا على الظلم، ولا تعلم أهلك وولدك، فضلا عن غيرهم، مقدار مالك، فإنهم إن رأوه قليلا هنت عندهم، وإن رأوه كثيرا لم تبلغ رضاهم، واجفهم من غير عنف، ولِنْ لهم من غير ضعف، ولا تهازل أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك، وإذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك، وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك، ولا تكثر الإشارة بيدك، ولا تكثر الالتفات إلى من وراءك ولا تجث على ركبتك وإذا هدأ غضبك تكلم، وإذا قربك السلطان فكن منه على أتقن بيان، وإن استرسل إليك فلا تأمن انقلابه عليك، وارفق/ به رفقك بالصبي وكلمه بما يستهان، ولا يحملنك لطفه بك أن تدخل [389/أ] بينه وبين أهله وولده، فإن سقطة الداخل بين [الملك و][1] أهله وولده سقطة لا تنعش، وزلة لا تقال، وإياك وصديق العافية فإنه أعدى الأعداء، ولا تجعل ملكا أكرم من عرضك، وإذا جلست فالبداية بالتسليم، هو الأدب وترك التخطي لمن سبق بالجلوس[2] حين اتسع المكان/ يكون أقرب إلى التواضع، وأن تخص بالسلام [584/ج] من قرب منك عند الجلوس، ولا تجلس على الطريق، فإن[3] جلست فأدبه غض

---

(1) زيادة من: ب، ج، هـ.

(2) ج، هـ: في الجلوس.

(3) ج: وإن.

البصر ونصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف، وعون الضعيف وإرشاد[1] الضال، ورد السلام، وإعطاء السائل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإرشاد لموضع البصاق ولا تبصق في جهة القبلة، ولا عن يمينك ولا عن يسارك ولكن تحت قدمك اليسرى، ولا تجالس الملوك وإن فعلت فأدبه ترك الغيبة ومجانبة الكذب، وصيانة السر، وقلة الحوائج وتهذيب الألفاظ وال'عراب في الخطاب والمذاكرة بأخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منها وإن ظهرت المودة، ولا تتخطى بحضرته ولا تتكىء ولا تتخلل عنده بعد الأكل. قال: وعلى الملك أن يتحمل كل شيء إلا إفشاء السر والقدح في الملك، والتعرض للحرم، ولا تجالس العامة فإن فعلت فأدبه ترك الخوض في حديثهم وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم[2] والتغافل عما جرى من سوء ألفاظهم، وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم، وإياك أن تمازح لئيما أوكريما فإن الكريم يحقد عليك واللئيم يجترىء عليك، ولأن المزاح يخرق الهيبة ويسقط ماء الوجه ويعقب الحقد، ويذهب بحلاوة الود ويجترى السفيه ويسقط المنزلة عند الناس ويمقته المتقون، وهو يميت القلب، ويباعد من الرب، ويكسب الغفلة، ويورث المذلة، وبه تظلم السرائر، ويميت الخواطر وبه تكثر العيوب وتتبين الذنوب، وقد قيل: لا يكون المزاح إلا من سخف أو بطر ومن ابتلي في [428/هـ] مجلس بمزاح أو لفظ فليذكر/ الله تعالى قبل أن يقوم من مجلسه. قال رسول الله [480/ب] ﷺ: «من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم/ من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذاك أوكما قال ﷺ»[3].

حُكي أن الوليد بن عبد الملك بن مروان قال لحاجبه يوما: قف على الباب

(1) ج، هـ: إنشاء.

(2) الأراجيف: هي الأحاديث الكاذبة التي تثير الفتن. اللسان: رجف.

(3) هذا الحديث رواه الترمذي وورد في رياض الصالحين: 340-341.

فإذا مر بك رجل فأدخله ليحدثني. فخرج الحاجب فمر به عطاء بن أبي رباح[1] وهو لا يعرفه، فقال له: يا شيخ! ادخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمرك بذلك، فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز، فلما دنا عطاء من الوليد قال له: السلام عليك يا وليد. قال: فغضب الوليد على حاجبه وقال له: أمرتك أن تدخل علي رجلا يحدثني ويسامرني فأدخلت علي رجلا لم يرض أن يسميني [بالاسم الذي اختاره الله إلي.][2] فقال حاجبه: والله ما مر بي غيره، ثم قال الوليد لعطاء: اجلس، ثم أقبل يحدثه، فكان مما حدثه به أن قال له: بلغنا أن في جهنم واديا يقال له هبهب/[3] أعده الله تعالى لكل إمام جائر في حكمه، قال[4] فصعق الوليد من [585/ج] قوله وكان جالسا على عتبة باب المجلس فوقع على قفاه مغشيا عليه. فقال عمر لعطاء: قتلت أمير المؤمنين فقبض عطاء على ذراع عمر[5] بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له: يا عمر! إن الأمر جد فجد، فبلغنا أن عمر بن عبد العزيز قال: مكثت سنة أجد ألم الغمزة في ذراعي، وقال عطاء يوما لعبد الملك بن مروان بمكة: اتق الله في حرم الله وحرم رسوله ﷺ، فتعاهدهما بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل التقوى فإنهم حصن الإسلام، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتق الله فيمن على بابك، ولا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم. فقال عبد الملك: أفعل إن شاء الله تعالى، ثم قال له: يا أبا محمد! هذه حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك؟/ فقال: مالي إلى مخلوق حاجة، ثم خرج فقال عبد الملك: هذا، وأبيك، [390/أ]

---

(1) عطاء بن أبي رباح، أبو محمد، كان من الفقهاء الأجلاء، توفي سنة 115هـ. ترجمته في حلية الأولياء 3/310، وتهذيب التهذيب 7/ 199.

(2) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(3) ب: هبهاب.

(4) ساقطة من: ج.

(5) ساقطة من: ج.

الشرف ثم انصرف.

حكى ابن عائشة أن الحجاج دعا فقهاء البصرة وفقهاء الكوفة. قال: فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري، آخر من دخل، فقال الحجاج مرحبا يا أبا سعيد! إلي، إلي، ثم دعا بكرسي فوضع إلى جنب سرير، فقعد فجعل يذاكرنا ويسائلنا إذ ذكر علي بن أبي طالب، رضي الله عنه فنال منه ونلنا خوفا منه وخوفا من شره، والحسن ساكت، وهو عاض على إبهامه. فقال له الحجاج: يا أبا سعيد! مالي أراك ساكتا؟ قال: ما عسيت أن أقول؟ قال: فأخبرني برأيك في أبي تراب. فقال الحسن: سمعت الله عز وجل يقول: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾[1] فعلي ممن هدى الله من أهل الإيمان، وابن عم رسول الله ﷺ، وزوج بنته وأحب الناس إليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله تعالى، لم تستطع أنت ولا أحد من الناس أن ينكرها له، ولا يحول بينه وبينها. والله لا أجد فيه قولا أعدل من ذلك/ [429/هـ] قال: فتغير وجه الحجاج وقام عن سريره مغضبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا، قال عامر الشعبي: فأخذت بيد الحسن فقلت له: يا أبا سعيد! أغضبت الأمير وأوغرت صدره، فقال: إليك عني يا عامر! يقول الناس/ [481/ب] عامر الشعبي أتى شيطانا من شياطين الإنس فكلمه بهواه فقاربه في رأيه/ [586/ج] ويحك يا عامر! هلا اتقيت إن سئلت فصدقت، أو سكت فسلمت، فقال: يا أبا سعيد! قد قلتها وأنا أعلم ما فيها. قال الحسن: فذلك أعظم في الحجة عليك وأشد في التبعة. قال: وبعث الحجاج إلى الحسن[2] فلما دخل عليه قال له: أنت

---

(1) البقرة: 142.

(2) هـ: أبي الحسن.

الذي تقول: قتلهم[1] الله[2] قتلوا الناس على الدينار والدرهم؟ قال: نعم. قال: ما حملك على ذلك الفعل؟ قال: ما أخذ الله على العلماء من الميثاق[3] ﴿ليبيننه للناس ولا يكتمونه﴾[4] قال: يا حسن! أمسك عليك لسانك، وإياك أن يبلغني عنك ما أكره، فأفرق بينك وبين روحك وجسدك.

حُكي أن عمر بن هبيرة دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة وفقهاء المدينة وفقهاء الشام وقراها، فجعل لا يسأل الشعبي عن شيء إلا أجابه، ووجد عنده منه علما، ثم أقبل على الحسن البصري وأمر الحاجب بإخراج الناس وخلا بالحسن والشعبي، فأقبل على الشعبي وقال له: يا أبا عمر! إني أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله فيها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فأنا أحب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم، وأنه يبلغني عن العصابة من أهل الديار الأمر فآخذ عليهم فيه فأقبض طائفة من عطاياهم فأضعه في بيت المال وفي نيتي أن أرده عليهم فيبلغ أمير المومنين أنني قبضته على ذلك النحو فيكتب إلي: لا ترده، فلا أستطيع إلا إنفاذ كتابه، وأنا رجل مأمور على الطاعة فيجب علي في هذا تبعه وفي أشباهه من الأمور والنية فيه ما ذكرت. فقال الشعبي: أصلح الله الأمير، السلطان هو الذي يخطىء ويصيب، قال الشعبي: فسر بقولي ورأيت البشر في وجهه، وقال الحمد لله على ذلك. ثم أقبل على الحسن فقال: ما تقول يا أبا سعيد؟ فقال: قد سمعت قول الأمير أنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله فيها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمك حفظهم والنصيحة لهم والتعهد بما يصلحهم وحق الرعية لازم لك، وحق عليك أن تحوطهم بالنصيحة، وإني سمعت عبد

(1) ج: قاتلهم.

(2) زيادة من: ب، ج.

(3) أ: المواثيق.

(4) من قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا﴾...آل عمران: 187.

الرحمان بن حمزة[1] القرشي صاحب رسول الله ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «من استرعى رعية فلم يحطها/ بالنصيحة حرم الله عليه الجنة»[2] وتقول إنما قبضت [391/أ] من عطاياهم إرادة إصلاحهم واستصلاحهم وأن يرجعوا إلى طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين أني قبضتها على ذلك النحوفيكتب إلي، لا ترده، فلا أستطيع رد أمره، وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين، وإن الله أحق أن يطاع و«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[3] فأعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله فإن/ [وجدته موافقا [587/ج] لكتاب الله فخذ به وإن][4] وجدته مخالفا لكتاب الله فانبذه. يا بن هبيرة! اتق الله فإنه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين لينزلك[5] عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك. فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك، يا بن هبيرة! إن الله يمنعك من يزيد ولا يمنعك يزيد من الله، وإن أمر الله فوق كل أمر، فقال ابنهبيرة: أقبل علي أيها الشيخ، وأعرض عن ذكر أمر أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحلم والفضل، وإنما ولاه الله تعالى ولايةهذه الأمة لعلمه به ولما يعلمه من فضله وبيته. فقال الحسن: يا ابن هبيرة! الحسنات من/ ورائك سوطا بسوط وغضبا/ بغضب والله من ورائك بالمرصاد يا [482/ب][430/هـ] ابن هبيرة! إنك إن تلق من ينصح لك في دينك ويحملك على أمر آخرتك خيراً لك من أن تلقى رجلا يغرك ويمنعك، فقام ابن هبيرة وقد تغير لونه قال الشعبي: فقلت: يا أبا سعيد! أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته

---

(1) لعله أراد عبد الرحمان بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي، أسلم يوم الفتح وشهد غزوة تبوك، روى عن النبي ﷺ وقيل إنه مات بالبصرة سنة 50هـ. انظر الإصابة 2/ 400.

(2) لفظ الحديث: «ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة» صحيح البخاري 9/ 80.

(3) الحديث أخرجه أحمد في مسنده 1/ 131 وورد في التمهيد لابن عبد البر 7/ 58 وفي تاريخ بغداد 3/ 145، وكشف الخفاء للعجلوني 2/ 509.

(4) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(5) ب، ج: ينزلك.

فقال: إليك عني يا عامر، قال: فخرجت التحف والظرف للحسن وكانت المنزلة له دوننا، واستخف بنا وكان أهلا لما أدي إليه وكنا أهلا أن يفعل بنا ذلك، فما رأيت مثل الحسن في العلماء إلا مثل الفرس العربي بين المقاريف[1] ولا شهدنا مشهدا إلا برز علينا وقال لله عز وجل، وقلنا مواجهة لهم. قال عامر الشعبي: وأنا أعاهد الله تعالى أن لا أشهد مشهد سلطان بعدهذا المجلس فأحابيه.

حكى ابن المهاجر[2] قال: قدم علينا المنصور حاجا فكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف في آخر الليل يصلي ولا يعلم به أحد فإذا طلع الفجر رجع إل دار الندوة وجاء المؤذنون يسلمون عليه وأقيمت الصلاة فيصلي بالناس فخرج ليلة في وقت السحر، فبينما هو يطوف إذ سمع رجلا يقول عند الملتزم: اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع، فأسرع المنصور في مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله، ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل إليه فدعاه، فأتاه الرسول وأحضره إلى المنصور، فقال له: ما الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع؟ فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني وقلقني. فقال: إن[3] أمنتني على نفسي أنبأتك بالأشياء من أصولها ولا اقتصرت على نفسي، فلي فيها شغل شاغل. فقال: أنت آمن على نفسك، فقال: الذي داخله الطمع حتى حال بينه وبين/ الحق وإصلاح ما ظهر من البغي والفساد أنت. فقال: ويحك! وكيف [588/ج] يداخلني الطمع والصفراء والبيضاء بيدي والحلو والحامض في قبضتي؟ فقال له: وهل داخل أحدا من الطمع ما داخلك؟ إن الله استرعاك أمور الناس وأموالهم

---

(1) المقاريف: واحدها مقرف:هو المهجن من الخيل. انظر اللسان: قرف.

(2) لعله عبد الله بن المهاجر الذي ذكره ابن عبد ربه في العقد 3/ 271.

(3) هـ: فقال له.

فأهملت أمرهم واهتممت بجمع أموالهم وبنيت لك بيتا بالأجور[1] والجص، وأبوابا من الحديد ووضعت فيها السلاح، ثم سجنت نفسك فيما بينها، وبعثت عمالك في جميع البلاد لمجيء الأموال، واتخذت وزراء وأعوانا ظلمة، إن نسيت لم يذكروك، وإن أحسنت لم يعينوك، وقويتهم على ظلم الناس بالأموال والكراع، وأمرت أن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان، نفر سميتهم، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا القارئ ولا الضعيف ولا الفقير/ ولا أحد إلا وله في هذا المال حق، فلما رأوك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وميزتهم على رعيتك وأمرت [ألا][2] يحجبوا عنك[3] تجبي الأموال من غير حقها وتصرفها في غير حقها، قالوا: هذا قد خان الله، فما لنا لا نخونه وقد سخر؟ لنا، فائتمروا أن لا يصل إليك من أمر الناس إلا ما أرادوا، ولا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا إلا أقصوه حتى تسقط منزلته، ويصغر قدره عندك، فلما انتشر ذلك عنك صانعهم الناس، وكان أول من يصانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليتقووا بهم على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك ذووا الثروة والقدرة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم فامتلأت أرض الله ظلما وفسادا وصار هؤلاء شركاؤك في سلطانك، وأنت غافل، فإن جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول، وإن أراد رفع قصته إليك عند/ ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك، ووليت رجلا ينظر في مظالمهم، فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألوا/ صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته وإن كانت للمتظلم له، حرمة، وأجابه، لم يمكنه ما يريد، خوفا منهم، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويقبل عليه، فإذا جهد وأخرج وظهرت، طرح بين يديك فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره، وأنت تنظر فلا تنكر، فما بقاء

[392/أ]

[431/هـ]

[483/ب]

---

(1) ب، ج، هـ: بالآجر.

(2) الزيادة من: ج، هـ.

(3) أ: يجيبوا.

الإسلام وأهله عليهذا، وقد كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينتهي إليهم المظلوم إلا رفعت ظلامته إليهم، فينصف، ولقد كان الرجل يأتي من أقصى البلاد حتى يأتي باب سلطانهم فينادي يا أهل الإسلام! يا أهل الإسلام! فيبتدرونه: مالك؟ فيرفعون مظلمته إلى/ سلطانهم فينصف له، وقد كنت أسافر إلى بلاد الصين وبها [589/ج] ملك مشرك فدخلتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي. فقال له جلساؤه: مالك تبكي لا بكت عيناك؟ فقال: ما أنا باك على المصيبة التي نزلت بي ولكن المظلوم يقف بالباب يصرخ فلا أسمعه، ولا أفهم صوته، ثم قال: إن كان سمعي قد ذهب فإن بصري لم يذهب فأذنوا في الناس، ألا من كان له مظلمة فليلبس ثوبا أحمر، وكان يركب في طرفي النهار وينادي هل من مظلوم فينصف.هذا مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين وأنت مؤمن بالله وابن عم رسول الله، ﷺ، لا[1] تغلب رأفتك بالمسلمين، وأنت تجمع المال لواحد من ثلاث. إن قلت: أجمعه لولدي، فقد أراك الله تعالى عبرا في الطفل الصغير يسقط من بطن أمه وماله على وجه الأرض مال. وما من مال إلا و[من][2] دونه يد شحيحة تحويه، فلا زال الله تعالى [يلطف][3] بذلك الطفل حتى تعلم[4] رغبة الناس إليه، ولستَ الذي تعطي بل الله الذي يعطي. وإن قلت: أجمع المال لأشيد به سلطاني، فقد أراك الله تعالى عبرا فيمن كان قبلك من بني أمية ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة، ولا ما أعدوا من السلاح والكراع، وما ضرك وولد أبيك ما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف حتى أراد الله بكم ما أراد. وإن قلت: لأطلب به غاية أحسن من هذه الغاية التي أنا فيها، فما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل

---

(1) أ، ب: ولا.

(2) زيادة من: ج.

(3) زيادة من: ج.

(4) هـ: يعلم.

الصالح، وهي الجنة. يا أمير المؤمنين!هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل؟ قال: لا. قال: فكيف تصنع مع الملك الحق المبين الذي خولك ما أنت فيه من ملك الدنيا؟ وهو سبحانه لا يعاقب بالقتل ولكن يعاقب بالخلود في العذاب وهو يرى منك ما عقد عليه ضميرك وأضمرته جوانحك، فما تقول إذا انتزع الملك الحق ملك الدنيا من يدك ودعاك إلى الحساب؟هل يغني عنك منه شيئا؟ قال: فبكى المنصور حتى علا نحيبه ثم قال: يا ليتني لم أخلق ولم أك شيئا! ثم قال: كيف احتيالي فيما خولت ولم أر من الناس إلا خائنا؟ قال: عليك بالأئمة الأعلام الراشدين قال: ومنهم؟ قال: العلماء. قال: فروا مني. قال: فروا منك خوفا أن تحملهم على طريقتك، ولكن افتح الباب وسهل الحجاب وانتصف للمظلوم وامنع الظالم وخذ الشيء مما حل وطاب، واقسمه بالعدل وأنا ضامن لك من فر منك أن يأتيك فيعاونك على إصلاح أمرك ورعيتك. فقال المنصور: اللهم وفقني [393/أ][590/ج] أن أعمل/ بما قال هذا/ الرجل. قال: وجاء المؤذنون وأقيمت الصلاة فخرج يصلي بالناس وقال للحرسي: عليك بالرجل، وإن لم تأتيني به بعد الصلاة لأفعلن بك [432/هـ] وأصنع، ثم خرج والتفت الحرسي ولم يجد الرجل، وراح يطلبه فإذا/ هو يصلي في المسجد فقعد حتى فرغ، ثم قال له الحرسي: أما تخشى الله تعالى؟ قال: بلى. قال: أما تعرفه؟ قال: بلى. قال: فأقسم عليك به إلا ما ذهبت معي فقد آل الأمير أن يفعل لي ويصنع إن لم آته بك. فقال: ليس إلى ذلك من سبيل. قال: فيقتلني؟ قال: لا [484/ب] يقتلك، قال: فكيف؟/ قال: أتحسن أن تقرأ؟ قال: لا. قال الراوي. فأخرج مزودا كان معه فأخرج منه ورقا أوقال رقا مكتوب فيه شيء، وقال للحرسي: خذ هذا فاجعله في جيبك فإن فيه دعاء الفرج لا يرزقه إلا الشهداء، قال الحرسي: فقلت: يرحمك الله، قد أحسنت إلي بما قلت، فإن أردت أن تخبرني ما هذا الدعاء وما فضله كنت تحسن أيضا؟ فقال: من دعا به صباحا ومساء هدمت ذنوبه ودامت مسرته ومحيت خطاياه واستجيب له دعاؤه وبسط له في رزقه، وأعطي أمله وكتب عند

الله صِدِّيقا، ولا يموت إلا شهيدا، وهو أن يقول: «اللهم كما لطفت بعظمتك دون اللطفاء، وعلوت بعظمتك على العظماء، وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك، [وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك][1] وعلانية القول كالسر في علمك، وانقاد كل شيء لعظمتك، وخضع كل ذي سلطان لسلطانك، [وتواضع كل شيء لقدرتك][2]، وصار أمر الدنيا والآخرة [كله][3] بيدك، اجعل لي من كل ما[4] أمسيت أو أصبحت فيه فرجا ومخرجا، اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي، أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه منك مما قصرت فيه، أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وإنك المحسن إلي وأنا المسيء إلى نفسي، فيما بيني وبينك، تتودد إلي بالنعم وأبتغض إليك بالمعاصي، ولكن الثقة بك حملتني على الجرءة عليك، فعد بإحسانك وفضلك علي، وتب علي إنك أنت التواب الرحيم». قال الحرسي: فأخذته فصيرته في جيبي ثم لم يكن لي هَمٌّ غير المنصور، فدخلت عليه فرفع رأسه إلي وتبسم وقال: ويحك! أتحسن السحر؟ قلت: لا والله، ثم قصصت له أمري مع الشيخ فقال لي: هات الرق الذي أعطاك إياه. ثم جعل يبكي، ثم قال لي: نجوت ثم أمر أن ينتسخ وأعطاني عشرة آلاف درهم. وقال لي: أتعرف هذا الرجل؟ قلت له: لا. قال: هذا الخضر على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

حُكي أن عمران الجوني قال: لما ولي الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوه بما صار إليه، وفتح بيت المال/ وأعطى الجوائز السنية، وكان قبل ذلك يجالس العلماء [591/ج] والزهاد، وكان يظهر التنسك والتقشف، وكان مؤاخيا لسفيان بن سعيد الثوري

(1) ما بين معقوفين زيادة من: ب.

(2) ما بين معقوفين زيادة من: ب.

(3) زيادة من: ب.

(4) ج، هـ: من كل أمر.

قديما فهجره سفيان ولم يزره، فاشتد ذلك على الرشيد، فكتب إليه كتابا يقول فيه: بسم الله الرحمان الرحيم، أما بعد: يا أخي! فقد علمت أن الله تعالى آخى بين المؤمنين وجعل ذلك منه منة، وقد آخيتك مؤاخاة لم أصرم منها حبلك، ولم أقطع بها ودك، وإني مُنْطَوٍ لك على أفضل المحبة والمودة والإرادة لذلك، ولولاهذه القلادة التي قلدنيها الله تعالى لأتيتك ولوحبوا، لما أجد لك في نفسي من المحبة، واعلم، يا أبا عبد الله! أنه لم يبق أحد من إخواني وإخوانك إلا وقد زارني وهنأني بما صرت إليه، وقد فتحت بيوت المال وأعطيتهم من المواهب السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني، وإني استبطأتك فلم تأتني، وقد كتبت كتابا شوقا مني إليك ووجدا شديدا عليك، وقد علمت، يا أبا عبد الله! بما في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته، فإذا ورد عليك كتابي فالعجل العجل. قال: فلما كتب الكتاب التفت إلى من عنده فإذا كلهم يعرفون سفيان وخشونته، فقال: علي برجل من الباب [433/هـ] فأوتي برجل يقال/ له: عباد الطالقاني فقال له: يا عباد! خذ كتابي هذا وانطلق به إلى الكوفة، فإذا دخلتها فاسأل عن قبيلة بني ثور، ثم اسأل عن سفيان بن سعيد الثوري فالق كتابي هذا إليه وارع بسمعك جميع ما يكون، واحص عليه جليل الأمر ودقيقه لتخبرني به، فأخذ عباد الكتاب فانطلق به حتى ورد الكوفة، فسأل عن القبيلة فأرشد إليها، ثم سأل عن سفيان فقيل له:هو في المسجد[1]، فلما رآني [394/أ][485/ب] قام يصلي[2] وقال: أعوذ: بالله/ [السميع العليم][3] من الشيطان الرجيم، وأعوذ اللهم بك من طارق يطرق إلا بخير، فوقعت الكلمة في قلبي ثم نزلت بباب المسجد، فربطت فرسي ودخلت، فإذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤوسهم كأنهم

---

(1) أظن أن بعد كلمة المسجد نقصا، يقتضي زيادة عبارة: [قال عباد:] فلما رآني...

(2) ساقطة من:ه.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

لصوص قد ورد عليهم السلطان[1] وهم خائفون من العقوبة، فسلمت عليهم فما رفع أحد منهم رأسه وردوا علي السلام[2] برؤوسهم وبرؤوس الأصابع، وبقيت واقفا، ما منهم أحد يعرض علي الجلوس، وقد علاني من هيبتهم الرعدة، فمددت إليهم عيني وقلت: إن المصلي هو سفيان/ فألقيت الكتاب إليه فلما رأى [592/ج] الكتاب ارتعد وتباعد عنه كأنه حية عرضت له في محرابه، فبعد أن ركع وسجد، لف يده في كمه فأخذه وقلبه ثم دحاه إلى من كان خلفه وقال: يأخذه بعضكم يقرأه فإني أستغفر الله أن أمس شيئا مسه ظالم بيده. قال عباد: فمد بعضهم يده إليه فحله كأنه خائف من فم حية تنهشه، ثم فضه وقرأه وسفيان يتسم تبسم التعجب، فلما فرغ من قراءته قال: اقلبوه واكتبوا للظالم على ظهر كتابه، فإن كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به، وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به، ولا يبقى شيء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا، فقيل له: «وما تكتب؟ قال: اكتبوا: بسم الله الرحمان الرحيم، من الميت سفيان بن سعيد بن منذر الثوري إلى العبد المغرور بالآمال، هارون الذي سلب حلاوة الإيمان، أما بعد: فإني كتبت إليك أعلمك أني قد صرمت حبلك ونقضت ودك وقلبت موضعك، وإنك قد جعلتني شاهدا عليك بإقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت على بيت مال المسلمين فأنفقته في غير حقه، وأنفذته بغير حكمه، ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء عني حتى تشهدني على نفسك، أما إني قد شهدت عليك أنا وإخواني الذين شهدوا، وستؤدى هذه الشهادة بين يدي الله تعالى. ياهارون!هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم، هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في الأرض والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل أم رضي بذلك حملة القرآن وأهل العلم والأرامل والأيتام؟ أم رضي بذلك خلق كثير من رعيتك؟ فشد ياهارون

(1) ب: الشيطان.

(2) ج، هـ: السلام علي.

مأزرك وأعدد للمسألة جوابا وللبلاء جلبابا، واعلم بأنك ستقف بين يدي الله تعالى، الحاكم العادل. يا هارون! سلبت حلاوة العلم والزهد ولذة القرآن ومجالسة الأخيار، ورضيت لنفسك أن تكون ظالما، وللظالمين إماما. يا هارون! قعدت على السرير ولبست الحرير وأسبلت سترا دون بابك، وتشبهت بالحجب، برب العالمين، ثم أجلست[1] أجنادك الظلمة دون بابك، وتركتهم يظلمون الناس ولا ينصحون يشربون الخمور ويجلدون من يشربها، ويزنون ويحدون[2] الزاني، ويسرقون ويقطعون يد[3] السارق، أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس؟ كيف بك يا هارون! إذا نادى المنادي احشروا الذين [593/ج] ظلموا وأزواجهم، أي الظلمة وأعوان الظلمة فتقدمت بين يدي الله عز وجل [434/هـ] ويداك[4] مغلولتان/ إلى عنقك لا يفكهما إلا عدلك وإنصافك والظالمون حولك وأنت سابق لهم وإمام إلى النار، كأني بك/ يا هارون! قد أخذت بضيق الخناق ووردت المشاق، وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك، بلاء على بلاء، وظلمة على ظلمة، فاصغ لوصيتي واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها، واعلم أني نصحتك، وما أبقيت في النصح غاية، فاتق الله ياهارون في رعيتك، واحفظ محمدا، ﷺ، في أمته، وأحسن الخلافة عليهم، واعلم أن هذا الأمر لم يصل إليك إلا وهو سائر إلى غيرك، وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحدا بعد واحد، فمنهم من تزود خيرا نفعه، ومنهم من خسر دنياه وآخرته، وإياك أن تكتب إلي كتابا [486/ب] بعد هذا، فلا أجيبك والسلام. قال عباد: وألقى الكتاب منشورا غير مطوي ولا مختوم، فأخذته وأقبلت إلى/ سوق الكوفة فناديتهم فأجابوني فقلت: يا قوم! من [395/أ] يشتري رجلاهرب إلى الله عز وجل فأقبلوا إلي بالدنانير والدراهم/ فقلت: لا

---

(1) ج، هـ: أقعدت.

(2) ب: يجلدون.

(3) ساقطة من: ج، هـ.

(4) ب: يدك.

حاجة لي بالمال، ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية[1] فأتيت بذلك فنزعت ما كان علي من اللباس الذي كنت أجالس به هارون وأقبلت أقود البرذون[2] حتى أتيت باب هارون حافيا راجلا فتهزأ بي من كان على باب الرشيد ثم استؤذن لي، فلما دخلت عليه وأبصرني على تلك الحال قام وقعد وجعل يلطم وجهه ويدعو بالويل والثبور ويقول: انتفع الرسول وخاب مرسله، مالي وللدنيا، والملك يزول عني سريعا قال عباد: ثم ألقيت الكتاب منشورا كما دفع إلي فأقبل هارون يقرأه ودموعه تنحدر من عينيه، ويقرأ ويشهق فقال بعض جلسائه: لقد اجترأ عليك فلو وجهت إليه وأوثقته بالحديد كنت تجعله عبرة لغيره فقال هارون: يا عبيد الدنيا! المغرور من أغررتموه، والشقي من أهلكتموه، وإن سفيان أمة واحدة، اتركوا سفيان وشأنه، ثم لم يزل كتاب سفيان، في جيب هارون يقرأه عند كل صلاة صلاها حتى توفي هارون، رحمة الله عليهما[3].

حُكي عن عبد الله[4] بن مهروان[5] قال: حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام[6] بها أياما ثم ضرب طبله بالرحيل فخرج الناس ينظرونه وخرج بهلول المجنون فيمن خرج والنساء والصبيان يؤذونه ويولعون[7] به، فجاء هارون باكيا بأعلا صوته: يا أمير المؤمنين! فكشف الرشيد[8] السجاف[9] عن وجهه وقال: لبيك يا بهلول!

(1) قطوانية: عباءة بيضاء قصيرة الخمل. اللسان: قطا.

(2) البرذون: الدابة. اللسان: برذن.

(3) حسب ما ورد في مروج الذهب أن سفيان الثوري توفي قبل خلافة الرشيد بتسع سنوات وأنه مات أيام المهدي سنة 161هـ. انظر مروج الذهب 4/ 182.

(4) لم أقف عليه.

(5) ج: عمران.

(6) هـ: فقام.

(7) هـ: يلعبون.

(8) هـ: الرجل.

(9) السجاف: الستر. اللسان: سجف

[594/ج] قال:/ حدثنا أيمن بن نائل[1] عن قدامة بن عبد الله العامري[2] رضي الله عنه قال: رأيت رسول ﷺ منصرفا من عرفة على ناقة صهباء ولم يكن هناك ضرب ولا طرد إليك، وتواضعك في سفرك هذا خير من تجبرك وتكبرك. قال: فبكى هارون حتى سقطت دموعه على الأرض. ثم قال: يا بهلول! يرحمك الله قال: نعم يا رشيد. رجل آتاه الله مالا وجمالا فأنفق من ماله وعف في جماله، كتب في خالص ديوان الله عز وجل من الأبرار. قال: أحسنت يا بهلول، إن يكن عليك دين قضيناه قال:هنا فقهاء الكوفة أجمعوا على أنه لا يجوز قضاء الدين بالدين قال: فنجري عليك ما يقوتك فرفع يده إلى السماء وقال: أنت وأنا عيال فمحال أن يذكرك وينساني[3].

حكى اليزيدي [4] قال: دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآني تبسم، قلت: أصلح الله أمير المومنين، أثم فائدة؟ فقال: نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتهما وقد أضفت إليهما [435/هـ] ثالثا وهو الأخير/ :

[الطويل]

إذا اشتد باب عنك من دون حاجة	فدعه لأخرى ينفتح لك بابها
فإن قراب الأرض يكفيك ملؤه	ويكفيك سوءات الأمور اجتنابها[5]
ولا تك مبذالا لعرضك واجتنب	ركوب المعاصي يجتنبك عقابها

(1) أيمن بن نائل الحبشي أبو عمران وقيل أبو عمرو المكي، عاش إلى خلافة المهدي العباسي. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب 1/ 393-394.

(2) هو قدامة بن عبد الله بن عبدة البكري العامري الكوفي. انظر المرجع السابق 8/ 364.

(3) الحكاية وردت في غرر الخصائص: 231 وروض الرياحين: 508 مع اختلاف قليل بين الروايات.

(4) أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، المعروف باليزيدي، سبق ذكره.

(5) القراب: شبه جراب من أدم يضع فيه الراكب سيفه وسوطه وعصاه وأداته. اللسان: قرب.

حكى محمد بن السماك قال: كان موسى بن محمد بن سليمان الهاشمي من أنعم بني أمية عيشا وأرضاهم مالا، يعطي نفسه شهوتها من اللذات في أصناف المآكل والمشارب والملابس والطيب والجواري والغلمان ليس له فكرة ولا همة إلا الذي هو فيه من عيشه ولذته، وكان شابا جميلا وجهه كاستدارة القمر، وكانت نعمة الله عليه سابغة، يستغل في كل عام نحوا من ثلاثمائة ألف درهم، وقيل دينار، يصرف ذلك على ما هو فيه من النعيم، وكان له مستشرف عال/ يقعد بالعشيات [487/ب] فيه، يشرف منه[1] على الناس، له أبو اب مشرعة على الجادة، وأبواب مشرعة إلى بساتينه، وقد ضرب فيه قبة عاج مضيئة بالذهب، وهو على سرير عليه غلالة قضيب، وعلى رأسه عمامة مكللة باللئالئ، وفي القبة معه ندماؤه وإخوانه، وقد وقف على رأسه الخدم والقينات، في مجلس خارج من القبة يَراهُنَّ. إذا أراد سماع القينات نظر نحو الستارة[2]، وإذا أراد سكوتهن أومأ بيده إلى الستارة فأمسكن[3] هذا دأبه إلى أن يذهب/ الليل ويذهب عقله[4] فيخرج الندماء وتخلو مع من [595/ج] شاء، فإذا أصبح اشتغل بمن يلعب بين يديه بالشطرنج والنرد، ولا يذكر بين يديه مرض ولا موت ولا سقم ولا شيء فيه ذكر الغم إلا ذكر الفرح والسرور والنوادر المضحكة، ويتطيب كل يوم بأنواع الطيب والشمامات[5] ما يكون في أوقاته، حتى مضت/ له سبع وعشرون سنة، فبينما هو ذات ليلة في قبته، وقد مضى [369/أ] بعض الليل إذ سمع نغمة من صوت شجي خلاف ما يسمعه من مطربيه، فأخذ بقلبه وَلَـها عما كان فيه، فأومأ أنِ امسكوا، وأخرج رأسه من بعض طاقات القبة إلى جهة الجادة ليسمع الذي وقع بقلبه، فإذا النغمة ربما سمعها وربما خفيت عليه،

(1) ساقطة من: هـ.

(2) هـ: استاره.

(3) أ، ج، هـ: فأمسكهن.

(4) ب: عمله.

(5) الشمامات: ما يتشمم من الروائح الطيبة. اللسان: شمم.

فصاح بغلمانه، وقال: اطلبوا صاحب الصوت، وكان قد عمل فيه الشراب فخرج الغلمان يطوفون فإذا هم بشاب نحيل الجسم، رقيق العنق مصفر اللون، ذابل الشفتين شعث الرأس، قد ألصق بطنه بظهره، وعليه طمران[1] لا يتوارى بغيرهما، وهو حافي القدمين، قائم في مسجد يصلي ويناجي ربه سبحانه وتعالى، فأخرجوه من المسجد وانطلقوا به وهم لا يكلمونه حتى أوقفوه بين يديه، فنظر إليه فقال: من هذا؟ قالوا: صاحب الصوت الذي سمعته. قال: أين أصبتموه؟ قالوا: في المسجد قائما يصلي ويقرأ. قال له: أيها الشاب! ما كنت تقرأ فقال: كلام الله تبارك وتعالى. فقال: اسمعني تلك النغمة. فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمان الرحيم ﴿إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون﴾[2] إلى قوله تعالى: ﴿يشرب بها المقربون﴾[3] ثم قال: أيها المغرور إنها خلاف مجلسك هذا ومستشرفك وفرشك، إنها أرائك مفروشة بفرش مرفوعة، ﴿بطائنها من استبرق﴾[4] ﴿على رفرف خضر وعبقري حسان﴾[5] يشرف ولي الله منها على عينين[6] تجريان في جنتين ﴿فيهما من كل فاكهة زوجان﴾[7] ﴿لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾[8] في عيشة راضية ﴿في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة﴾[9] في ظلال وعيون ﴿أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار﴾[10] أي نار؟ ﴿إن

---

(1) الطمر: الكساء البالي ج: أطمار. اللسان: طمر.

(2) المطففين: 23.

(3) المطففين: 28.

(4) الرحمان: 53.

(5) الرحمان: 75.

(6) أ، ب: عينان.

(7) الرحمان: 51.

(8) الواقعة: 35.

(9) الغاشية 11-13.

(10) الرعد: 36.

المجرمين في ضلال وسعر، يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر﴾[1] ﴿يود المجرم لو يفتدى من عذاب/يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه [436/هـ] ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه، كلا إنها لظى نزاعة للشوى تدعومن أدبر وتولى وجمع فأوعى﴾[2] في جهد جهيد، وعذاب شديد ومقت من رب العالمين، ﴿وماهم منها بمخرجين﴾[3] قال: فقام الهاشمي من مجلسه وعانق الشاب وبكى وصاح:/ [596/ج] انصرفوا عني، وخرج إلى صحن[4] داره وقعد على حصير مع الشاب ينوح على شبابه ويندب نفسه، والشاب يعظه إلى أن أصبح، وقد عاهد الله تعالى أن لا يعود لمعصية أبدا، فلما أصبح أظهر توبته ولزم المسجد والعبادة وأمر بالذهب والفضة والجواهر والملابس فبيعت كلها وتصدق بثمنها وقطع الإجراء عن نفسه ورد الضياع المقتطعة وباع ضياعه وعبيده وجواريه[5]، وأعتق من اختار عتقه، وتصدق به كله، ولبس الصوف/ الخشن وأكل الشعير وكان يحيي الليل ويصوم النهار، [488/ب] حتى كان يزوره الصالحون الأخيار ويقولون له: ارفق بنفسك فإن المولى كريم يقبل اليسير ويثبت الكثير فيقول[6]: يا قوم! أنا أعرف بنفسي، إن جرمي عظيم، عصيت مولاي بالليل والنهار ويبكي ويكثر من البكاء، ثم خرج حاجا على قدمه حافيا ما عليه إلا جبة خشنة وما معه إلا ركوة وجراب، حتى قدم مكة المشرفة فقضى حجه وأقام بها حتى توفي رحمه الله وكان يدخل الحجر في الليل وينوح على نفسه ويقول: سيدي! لم أراقبك في خلوتي، سيدي ذهبت شهوتي وبقيت تباعتي، فالويل لي من لقائك، والويل لي من مقتك إياي وتوبيخك لي، وإحسانك إلي،

(1) القمر: 47-48.

(2) المعارج: 11-18.

(3) الحجر: 48.

(4) أ، هـ: ضحى.

(5) ب:حواره.

(6) ب: فيقولون.

ومقابلتي نعمتك بالمعاصي، وأنت مطلع علي. سيدي! إلى من أهرب إلا إليك؟ وإلى من ألتجىء وعلى من أعتمد إلا عليك؟ قال: وأنشدوا في المعنى:

[الوافر]

عصيتك جاهلا ياذا المعالي ففرج ما ترى من سوء حالي
إلى من يرجع المملوك إلا إلى مولاه، يا مولى الموالي
فإنك أهل مغفرة وعفو كثير البر معروف النوال

حُكي عن عدي بن زيد العبادي أنه دخل الروم رسولا لملك الفرس فاقتبس من علومهم وقرأ الكتب/ وكان أبوه يزيد[1] واليا على الحيرة، وكان خليفة للمنذر بن ماء السماء، فكان عدي بن زيد عند ملوك الحيرة [في أعلى المراتب، فما ذكرنا أن][2] النعمان [ابن امرؤ القيس][3] كان معجبا[4] بالزهر المسمى بشقائق النعمان، وإليه ينسب، لأنه كان يتبع رياضه ويحميه، وإنه قصد يوما من الأيام، في الربيع، قد غابت شمسه والأفق محتجب بالغيم، شقيقة قد كساها ذلك النور، والشقيقة رملة مستطيلة، فلما عاين تنضد ذلك النور في منابته وقنو حمرته وخضرة سوقه وتموجه بهبوب النسيم عليه، وتناثر قطر الندى من أرجائه، رأى منظرا بهيجا فأمر أن يبسط له بإزاء تلك الشقيقة بساط موشى/ من الحرير، كأنه روضة مختلفة أصناف الزهر، ونصب عليه قبة من الديباج الأحمر، قد حشيت من المقاعد والنمارق والحشايا والمساند وما يضاهيها ويجانسها، ولبس من الحرير المصبوغ بالبهرمان[5] وهو العصفر، أفضل ما يملك، وجلس في قبته تلك مواجها للشقيقة وحوله ندماؤه

[397/أ] [597/ج]

---

(1) أ: أبو زيد.

(2) ما بين معقوفين زيادة من: هـ.

(3) ما بين معقوفين زيادة من: ج، هـ.

(4) أ، ب، ج: متعجبا.

(5) البهرمان والهرم: ضرب من العصفر. اللسان: بهرم.

وملهوه، وعنده عدي بن زيد المذكور فشرب وطرب ودبت فيه الراح فارتاح، ثم أقبل/ على عدي بن زيد يخاطبه فقال له: يا عدي! أما كل ما أرى إلى نفاذ وزوال؟ [437/هـ] فقال عدي: قد علم الملك أن الأمر على ما ذكره. فقال النعمان: وأي خير فيما يفنى ويبيد؟ فلما سمع عدي مقالته اغتنم فرصة موعظته بما حكيناه وأوقع الزيادة في ألفاظه حتى تمكن من عقله فأمهله حتى انقضى أربه من مجلسه ذلك وركبا وسايره عدي فمروا بقبور بظاهر الحيرة، فقال عدي: أبيت اللعن، أيها الملك! أتدري ما تقول هذه القبور؟ فقال: لا فقال عدي: فإنها تقول: أيها الركبان المجدون، كما كنتم كنا وكما نحن تكونون، فلما سمع النعمان مقالته راجعته فكرته السابقة وظهر عليه الانكسار ثم مر بشجرات عليها عين ماء جارية فقال عدي للنعمان: أبيت اللعن! أتدري ما تقول هذه الشجرات؟ قال: وما تقول؟ قال: إنها تقول:

[الرمل]

من رآنا فليحدث نفسه ... أنه موف على قرب زوال/[1] [489/ب]
وصروف الدهر لا يبقى لها ... ولما تحدثه صم الجبال
رب ركب قد أناخوا حولنا ... يشربون الخمر بالماء الزلال
عمروا الدنيا بعيش حسن ... آمنين[2] دهرهم غير عجال
ثم أضحوا عصف الدهر بهم ... وكذلك الدهر حال بعد حال[3]

فلما بلغ النعمان إلى قصره قال لعدي بن زيد: إذا كان السحر فاحضر فإن عندي خبرا أطلعك عليه، فلما كان وقت السحر حضر عدي فوجد النعمان قد

---

(1) في الديوان: على قرن.

(2) ج: آمين.

(3) الأبيات وردت في الديوان: 82 وفي سراج الملوك: 13-14 وثلاثة منها وردت برواية مختلفة في الوفيات 1/ 388.

لبس مسوحا[1] وأخذ أهبة السياحة فودعه وذهب فلم يعلم له خبر، وكان آخر العهد به، وفي ذلك يقول عدي بن زيد المذكور:

[الخفيف]

أيها الشامت المعير بالدهـ ـــر أأنتَ المبرأ الموفور[2]
أم لديك[3] العهد الوثيق من الأيام أم أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلدن أم من ذا عليه من أن يضام خفير[4]
[598/ج] أين كسرى كسرى الملوك أنو شروان [أم][5] أين قبله سابور/ [6]
وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور
وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة تجبي إليه والخابور[7]
شاده مرمرا وشيده كلسا فللطير من ذراه وكور[8]
لم يهبه ريب المنون فباد الملك منه فبابه مهجور
[398/أ] وتذكر رب الخورنق إذ أشـ ـــرف يوما وللهدى تفكير[9]/
سره ما له وكثرة ما يملك والبحر معرضا والسدير[10]

(1) ج، هـ: مسحا.

(2) الموفور: الذي لم تصبه نوائب الدهر. اللسان: وفر.

(3) أ، ب، ج: لك.

(4) خفير: يقال خفير القوم: أي مجيرهم، سبق شرحه.

(5) زيادة من:هـ.

(6) رواية الديوان: بل أين قبله.

(7) الحضر: مدينة تقع بقايا منها في منخفض من بادية ما بين نهري دجلة والفرات. معجم البلدان: حضر. والخابور: نهر من روافد نهر الفرات يتصل به برأس العين وماردين ونصيبين. معجم البلدان:مادة خابور.

(8) الكلس: ما يطلى به الحائط، وباطن قصر، شبه الجص. اللسان: كلس.

(9) في الديوان: وتأمل.

(10) السدير: أحد قصور النعمان، سبق ذكره.

فارعوى قلبه وقال: وما غبطة حي إلى الممات بصير
ثم بعد الفلاح والملك والأمة وارتهمهناء القبور
ثم صاروا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور[1]

حُكي أن ملكا من ملوك اليونان قام من منامه في بعض الغدوات فأتته قينة لتلبسه ثيابه فلبسها ثم ناولته المرآة فنظر فيها فرأى شعرة بيضاء في لحيته فقرضها وناولها/ القينة، وكانت لبيبة، فوضعتها في كفها وأصغت إليها ساعة والملك [438/هـ] يتأملها، فقال: لماذا تصغين؟ فقالت: لما تقول هذه الشعرة التي عظم مصابها بمفارقة الملك الذي أقصاها، فقال لها الملك: ما الذي سمعت من قولها؟ قالت: زعم قلبي أنها تقول كلاما لا يجترء عليه لساني بالنطق به لاتقاء سطوة الملك، فقال لها الملك: قولي على حالة أمن ما لزمت[2] أسلوب الحكمة. فقالت: إنها تقول: أيها الملك المسلط زمنا قصيرا إنني كنت ظننت بك البطش بي والاعتداء علي فلم أظهر على سطح جسدك حتى بضت وحضنت بيضي/ لكي أفرخ، وعهدت إلى بناتي في [490/ب] الأخذ بثأري منك إما باستئصال مدتك أو[3] بتنقيص[4] لذتك حتى تعد الهلاك راحة. فقال لها الملك: اكتبي لي هذا. قال: فكتبته له فجعل يتصفحه مرارا ثم نهض مبادرا فأتى هيكلا من الهياكل التي يعظمونها، فنزع عنه ملبس الملك وتزين بزي النساك، واستمر على ذلك حتى توفي رحمه الله، قال الشاعر في المعنى:

[الطويل]

بدت شعرة بيضاء في وسط عارضي فبادرتها بالنتف خوفا من الحتف

---

(1) ألوت به: ذهبت به. الصبا: ريح، ومثلها الدبور. اللسان، والقصيدة وردت في الديوان: وقد سبقت الإشارة إلى مطلعها. وفي الشعر والشعراء: 176- 177

(2) أ: ما زلت.

(3) ب: أم.

(4) هـ: تنقيص.

فقالت: على ضعفي اقتدرت وغربتي رويدك بالجيش الذي جاء من خلف

[599/ج] وقال بلدينا الشهاب السلمي رحمه الله/ :

[الطويل]

وليس عدوي غير شيبي وكيف لا وهجر الغواني كان أول وصله

ألم تره أني إذا ما سترته يحاربني بعد الثلاث بنصله

وقال الشيخ شمس الدين محمد بن كميل بلدينا وكان في دولة الملك المؤيد شيخ[1] غفر الله لنا وله:

[البسيط]

وضبية[2] راعها شيبي فقلت لها: بالله لا تكثري بالشيب توبيخي

ولا يغرنك أيام الصبا فلقد ولى زمان الصبا والوقت للشيخ

حُكي أن ملكا من ملوك الكفار كان شديد العتو والكبر، وكان حديث السن مستحكم الغرة، وكان إذا ركب لم يستطع أحد أن يرفع صوته إلا بالدعاء له والثناء عليه والشكر لإحسانه، وكان له وزير مؤمن يكتم إيمانه وينتظر وقتا يمكنه فيه دعوة ذلك الملك للإيمان، إلى أن ركب الملك يوما فسمع شيخا قد رفع صوته لبعض شأنه، فقال الملك للشرطة خذوه فلما أخذوا الشيخ قال: ربي الله، فقال الوزير للشرطة خلوا سبيله، فاشتد غضب الملك على وزيره ولم يمكن الإنكار عليه في مثل ذلك المقام ليلا يظهر للناس أن الوزير يخالفه فيما يأمر به، فسكت ليوهم الناس أن الوزير أمر بما أمر[3] به الملك، فلما انصرف الملك إلى مستقره أخذ

---

(1) هو شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري، أبو النصر، من ملوك الجراكسة بمصر والشام (759-824هـ). انظر تاريخ مصر 2/ 2 وشذرات الذهب 7/ 164 والضوء اللامع 3/ 308.

(2) هـ: وطية.

(3) أ، ب، هـ: رأى.

في لوم الوزير وقال له: ما الذي حملك على مناقضة أمري بمشهد من عبيدي؟ فقال الوزير: فعلت ذلك نصحا وإشفاقا على الملك. فقال له: أرني ذلك، فإني لا أعجل عليك، فقال الوزير: أريد أن يحتجب[1] الملك في مجلسه ويكون بحيث يرى ويسمع ففعل الملك ذلك،/ ثم إن الوزير أحضر قوسا صنعها للملك بعض [285/أ] خدمه وكتب عليها صانعها اسم نفسه، فناولها غلاما بحضرته وقال للغلام: إني محضر صانع هذه[2] القوس، فإذا حضر وأقبلت عليه بالمحادثة/ فاقرأ الاسم الذي على القوس جهرا حتى تعلم أن صانعها قد سمعك ثم كسرها[3]، وحضر القواس، وفعل الغلام ما أمره به الوزير، فلما كسر القوس لم يملك صاحبها نفسه إلى أن ضرب الغلام فقال له الوزير: ويحك! تضرب غلامي بحضرتي؟ فقال القواس: أيها الوزير، إن القوس عملي وهي في غاية الجودة لأي شيء كسرها؟ فقال له الوزير: لعله لم يعلم أنها عملك فقال: بلى، لقد أخبرته القوس أنها عملي. فقال: كيف تخبره القوس؟ قال: هذا خطي عليها فقرأه وأنا أسمع فصرف الوزير القواس، ثم أقبل على الملك/ فقال له: قد رأيت أيها الملك وجه/ نصحي لك [491/ب][600/ج] وإشفاقي عليك لما كان مني، فإنك لما أردت أن تسطو بالشيخ أخبرك أن الله ربه فخفت عليك أن يبطش بك رب الشيخ فإنه لا يقوم لبطشه شيء، فقال الملك: وهل للشيخ رب غيري؟ فقال له الوزير: ألم تره شيخا وأنت شابا فهل كان هذا الشيخ، قبل أن تولد أنت لا رب له؟ فقال الملك: كان أبي ربه. فقال له الوزير: فما بال العبد بقي بعد هلاك ربه؟ فقال الملك للوزير: لقد قدحت في قلبي بزناد غير صالدة[4]، ولقد علمت الآن أنه يجب أن يكون للملك والعبد رب لا يزول،

---

(1) هـ: احتجب.

(2) أ: هذا.

(3) ب، ج، هـ: أكسرها.

(4) زناد غير صالدة: أي تنقدح منه النار، لانه يقال صلد الزند: إذا صوت ولم يخرج نارا. اللسان صلد.

فهل تعرف أن تدلني عليه؟ فقال الوزير: نعم إني أعرفه. فقال الملك: دلني عليه لأكون له تبعا ما بقيت. فقال الوزير: إن دللتك عليه فذلك أول ما يجب علي، وأما اتباعك فلئن فعلته فإنما تتبع عبدك الذي يقيك بمهجته ما نزل بك ثم إن الوزير تلطف في دلالته على الله تعالى، وشرح الله تعالى صدر الملك لقبول ذلك من الوزير، وآمن بالله سبحانه وتعالى رحمهم الله.

حُكي أن معلم أنوشروان كان يضربه بلا ذنب، ويلزمه أن يمسك الثلج في يده في الغداة الباردة حتى كاد يسقط كفه، فآلى أنوشروان على نفسه لئن ملك ليقتلنه، فلما ملك هرب المعلم فأمنه ثم أتى به فسأله: لم كنت تضربني ظلما؟ قال: لتعرف حق المظلوم منك عليك. فقال: أحسنت. فالثلج الذي كنت تعذبني به؟ قال: ستعرف ذلك. قال: فغزا أنوشروان في بعض السنين، قال: فأصبحوا في غداة باردة فلم يقدر أحد في العسكر أن يوتر قوسه فوترها لهم جميعا ثم قاتل فظفر فعلم مراد مؤدبه.

حكى المؤلف قال: [لما][1] سمعت قول الشاعر:

[الوافر]

إذا أغنى القليل عن الكثير ... فمالي والتوسع في الأمور

قلت أبياتا في المعنى على الوزن والقافية وهي:

ألا إن المعيشة باليسير ... لتغني، إن قنعت، عن الكثير

فخص فيه عن قصر غناء ... وفي صوف غناء عن حرير

ويغني المشي عن فرس جواد ... وعن بر غناء بالشعير

[٤٤٥/هـ] وأحجار لتغني عن وساد ... وعن بسط غناء بالحصير/

(1) ساقطة من:

وخبز يابس وجريش[1] ملح ... ليغني الحر عن لحم وطير[2]
وكوز بارد فيه بخور ... ليغني عنه شرب من غدير
ويستغنى بآيات[3] المثاني ... وذكر الله، عن بَمٍّ وزِيرِ[4]/ [601/ج]
وإعراض وصبر واحتمال ... ليغني، إن فعلت، عن النصير
ونوم في الوهاد بلا مهاد ... تمهده، لكاف عن سرير
ويغنيك احتمال أذى مسيء ... أسا من أن تكافىء بالفجور
ويغني عن نكاح صوم دهر ... وأجر الصبر للجلد الصبور
ويغني عن سؤال الخلق طرا ... سؤال الواحد الملك القدير/ [492/ب]
وقولك: يا فقير! إذ تنادي ... ليغني عن نداء الأمير/ [400/أ]
وكيف جلست في وسط وطرف ... ليغني عن جلوس في الصدور
ونوم في الظلام بلا سراج ... ليغني عن الشمع المنير
وترداد لبيت الله عندي ... أحب من التردد للوزير
وعن لحم يشد قليل ملح ... ويغنيك الحقير عن الخطير
ويغنيني كتاب عن جليس ... يؤنسني وعن جمع كثير
يناجيني بأبكار المعاني ... ويتحفني بأنواع السرور
فأصبح فيه ذا عيش رغيد ... غزير العلم ذا طرف قرير
وتغنيني القناعة عن كنوز ... تكون معي وعن ملك كبير
وما حملت نفسك تحملنه ... ولكن بعد إكراه خطير
فإن تذعن لذاك فأنت حر ... وتظفر في معادك بالأجور

---

(1) ب: جريس.

(2) فلح جريش: أي مجروش، كأنه قد حك بعضه بعضا فتفتت. اللسان: جرش.

(3) أ، ج، هـ: باية.

(4) هـ: زفير. والبم: بم العود: الذي يضرب به، هو أحد أوتاره. والزير: الدن. اللسان: مادتا: بمم، زير.

وإلا أنت عبد هواك قن ... وقد ورطت في الأمر الخطير[1]
وقربك اللعين لكل[2] شر ... وبعدك الهوى عن كل خير
وإن الموت آت بعد هذا ... مساو للغني وللفقير
ويجني المرء ما كسبت يداه ... ويجزى بالنعيم أوالسعير[3]
فإن شرا فشر أي شر ... وإن خيرا فخير أي خير
فلا تحزن على ما فات يوما ... فأين نعيم أصحاب القصور
فبعد نعيمهم عادوا ترابا ... وأمسوا من قصور في قبور
وعمرك ذاهب يوما بيوم ... فإما في بكاء أوسرور
فأين بنوالخلائف أين كسرى ... وأصحاب الخورنق والسدير
لقد ذهبوا وتذهب بعد هذا ... كما ذهبوا وتسأل عن نقير
[602/ج][441/هـ] فَلُذْ بالله فيما ترتجيه ... إلهك جابر العظم الكسير/
يبلغك الذي ترجو وتحظى ... بجنات وولدان وحور[4]
لعمرك ما نطقت به لحق ... ولا ينبئك مثل فتى خبير

حُكي أن شيخ الإسلام تقي الدين ابن دقيق العيد[5] لما ولي قاضي قضاة الري[6] بأعماله. كتب إليهم يقول: أصدرناها بعد حمد الله الذي ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾[7] أذكركم بأيام الله، ﴿فإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾[8]

---

(1) القن: العبد الذي ولد عندك ولا يستطيع أن يخرج عنك. اللسان: قنن.

(2) أ، ب، هـ: بكل.

(3) أ، ب، ج: العسير.

(4) هـ: حرير.

(5) محمد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقي الدين، المعروف بابن دقيق العيد، قاض من أكابر العلماء (625-702هـ) الدرر الكامنة 4/ 210، فوات الوفيات 3/ 442، شذرات الذهب 6/ 5.

(6) أ، ب، ج: الزين.

(7) غافر: 19.

(8) الحج: 45.

وأحذركم صفقة من باع آخرته بدنياه، فما أحد سواه مغبون، عسى الله أن يرشد كلا منهم هذا التذكير وينفعه، وتأخذهذه النصيحة بحجزته عن النار وتدفعه، فإني أخاف أن يتردى فيخر من ولاه، والعياذ/ بالله معه. والمقتضي لإصدارها ما [493/ب] لمحناه من الغفلة المستحكمة على القلوب، ومن تقاعد الهمم عن القيام بما يجب للرب عن المربوب، ولا سيما القضاة الذين حملوا أعباء الأمانة على كواهل ضعيفة وظهروا بصور كبار وهمم نحيفة، والله إن الأمر لعظيم، وإن الخطب لجسيم ولا أرى عزما ولا اصطبارا ولا أن مع ذلك أمنا ولا قرارا ولا أرى إلا رجلا نبذ الآخرة وراءه واتخذ إلهه هواه، وقصر همته على حفظ نفسه ودنياه، فغاية مطلبه من الجاه والمنزلة في قلوب الناس مناه، وتزيين الزي وحسن الملبس وتزيين الركبة والمجلس، غير مستشعر خسة[1] حاله ولا ركاكة/ باله، وذلك قاصده ومقصده [401/أ] المنفعة فهذا لا كلام معه ﴿فإنك لا تسمع الموتى﴾[2]. ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾[3] فاتق الله الذي يراك حين تقوم، واقتصر بعملك عليه، فالمحروم من فضله محروم، وما أنا وأنتم أيها النفر إلا كما قال حبيب العجمي وقد قال له قائل: ليتنا لم نخلق. فقال: قد وقعتم فاحتالوا وتأملوا قوله ﷺ: «القضاة ثلاثة»[4] وقوله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: «لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم»[5]، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هيهات! جف القلم بما هو كائن ونفذ أمر الله ولا راد لما

---

(1) هـ: خصة.

(2) الروم: 51. وتمام الآية: «فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين».

(3) فاطر: 22. وتمام الآية: «وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور».

(4) الحديث ورد في السنن الكبرى للبيهقي 10/ 116 ومجمع الزوائد للهيثمي 4/ 193، وشرح السنة للبغوي 10/ 94 والترغيب والترهيب للمنذري 3/ 155.

(5) الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة الباب 4 الحديث: 17. وأخرجه أبو داود في سننه من باب الوصايا.

حكم [به][1]، ومن هناك[2] شم الناس من فم الصديق رضي الله عنه رائحة الكبد المشوية، وقال الفاروق رضي الله عنه: ليت أم عمر لم تلد عمر، واستسلم عثمان رضي الله عنه وقال: من أغمد سيفه فهو حر. وقال علي رضي الله عنه والخزائن بين يديه: من يشتري مني سيفي هذا؟ ولووجدت ما أشتري به رداء/ ما بعته. وقطع الخوف نياط قلب عمر بن عبد العزيز خشية العرض. وعلق بعض السلف على بابه سوطا يؤدب به نفسه إذا فتر، فترى ذلك سدى أم صح؟ إنا نحن المقربون وهم البعداء، أحوال لا تؤخذ من كتاب السلم والإجارة والكفارات، وإنما تنال بالخضوع والخشوع وبأن تضمأ وتجوع وتحمي عينيك الهجوع وتجعل لك وقتا تعمره بالتذكير والتفكر، واجعل أكثر همك الاستعداد للمعاد والتأهب لجواب الملك الجواد، فإنه عز وجل يقول: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾[3]. وإن وجدت من همتك قصورا ومن نفسك فتورا فالجأ إليه وقف ببابه، واطلب منه فإنه لا يعرض عمن صدق.هذه نصيحتي وحجتي بين يدي الله تعالى عليكم أسأل الله تعالى لي ولكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا ونفسا مطمئنة بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى. [603/ج]

قلت: ولد رحمه الله تعالى في شعبان سنة خمسة وعشرين وستمائة بساحل الينبع من أرض البقيع ومات في صفر سنة اثنين وسبعمائة، وله سبع وسبعون سنة، وصلي عليه تحت القاعة المعروفة ب قلعة الجبل، ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى.

[442/هـ] حُكي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن لله عز وجل/ أواني وهي القلوب وأحب الأواني إلى الله تعالى أصفاها من الذنوب، وأصلبها في الدين وأرقها عن

---

(1) ساقطة من: ب، هـ وفي ج: إليه.

(2) ب، ج:هنالك.

(3) الحجر: 92، 93.

الإخوان»[1] أوكما قال ﷺ، قال الشاعر:

[الكامل]

إن السخاء على العباد فريضة ... لله يتلى في الكتاب المحكم

وعد الإله الأسخياء جنانه ... وأعد للبخلاء نار جهنم

من كان لا تندى يداه بنائل ... للراغبين فليس ذلك بمسلم/ [494/ب]

قلت: [ومن ذلك][2] ورث عبد الملك بن الحر خمسين ألف درهم فبعث بها طررا[3] إلى إخوانه، فقيل له في ذلك: فقال: [أنا كنت][4] أسأل الله تعالى الجنة لإخواني [في صلاتي فكيف أبخل][5] عليهم بالدنيا.

حُكي عن بعض العلماء أنه قال: إن المعرف لينفع وينجع عند الليث الهصور والكلب العقور، فكيف الحر الكريم بخلاف النذل اللئيم؟ ثم أنشد يقول:

[الطويل]

إذا كنت ذا مال ولم تك ذا ندى ... فأنت إذا والمقترون سواء/ [604/ج]

على أن في الأموال يوما تباعة ... على أهلها والمقترون براء[6]

وقال أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين الكوفي:

[المنسرح]

يجني الغنا اللئام لو علموا ... ما ليس يجني عليهم العدم[7]

(1) الحديث ورد في إتحاف السادة المتقين للزبيدي 6/ 209.

(2) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(3) أ، هـ: سرورا.

(4) ما بين معقوفين ساقط من: ب.

(5) ما بين معقوفين ساقط من: ب بعد كلمة «إخواني».

(6) البيتان وردا في «السحر الحلال في الحكم والأمثال»: 5.

(7) رواية الديوان: لو عقلوا

هم لأموالهم وليس لهم والمال يفنى والجرح يلتئم[1]

قال أبو الدرداء[2] رضي الله عنه: «أهل الدنيا يأكلون ونأكل، ويشربون ونشرب، ولهم فضول أموال نراها معهم وفي أيديهم وعليهم حسابها، ونحن منها برآء، وكما قال رضي الله عنه. قال الشاعر:[3]/ [402/أ]

[الكامل]

وذكي رائحة الرياض كلامها تبغي الثناء على الحيا فتفوح
جهد المقل فكيف بابن كريمة توليه خيرا واللسان فصيح[4]

حُكي عن علي بن عيسى أنه قال: حدثني عبد الله بن سليمان قال: كنت أنا وأبوالعباس أحمد بن الخصيب[5] وخلق كثير من العمال والكتاب وأصحاب الدواوين في السجون والملازمات من عبد الملك بن الزيات[6] وزير الواثق بالله، وكان ابن الزيان يطالبنا ببقايا ومحاسبات، ونحن في أعظم ما يكون من المصادرات وسلب الأموال والشدائد. قال: فمرض الواثف بالله واشتد مرضه واحتجب عن الناس، فدخل عليه القاضي أحمد بن أبي دؤاد يعوده فقال له الواثق: يا أبا عبد الله! ذهبت مني الدنيا والآخرة وقد أيقنت بالموت، فهل عندك من خير تدلني عليه؟ فقال له القاضي أحمد: وزيرك، يا أمير المؤمنين!ابن الزيات، قد سعى إليك في جماعة من الكتاب وأصحاب الدواوين وقد ملأ بهم الحبوس وأنكاهم بأخذ الأموال والتضييق والمصادرات، ولم يحصل لك من ذلك طائل، وهم خلق كثير

(1) رواية الديوان: والعار يبقى، انظر ج 4:60.

(2) سبق ذكره.

(3) هو أبو الطيب المتنبي.

(4) البيتان وردا في الديوان 1/ 255.

(5) لعله أحمد بن الخصيب أبو إسحاق وقد سبقت الإشارة إليه.

(6) هو محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة، المعروف بالزيات (173-233هـ) عالم باللغة والأدب. انظر ترجته في تاريخ بغداد 2/ 342، والوفيات 5/ 94 وخزانة البغدادي 1/ 215.

ووراءهم ألوف من العيال، والأيدي مرتفعة إلى الله تعالى بالدعاء عليك، فتأمر بإطلاقهم فترتفع الأيدي بالدعاء لك، فلعل الله سبحانه وتعالى أن ينظر إليك ويهبك العافية، فإنك في هذا الوقت محتاج إلى قلة خصومة عند الله تعالى. فقال الواثق بالله: إن ذلك رأي[1] سديد، ووقع لهم بإطلاقهم. قال أحمد: إذا رأى الوزير خطي بذلك عاند وتغافل ولح[2] في مطالباتهم، فإن أردت أن تكلف خاطرك لله تعالى وتوقع لهم بخطك الشريف. قال: ففعل الواثق ما أشار به القاضي/ أحمد، [٤٤٣/هـ] ووقع بخطه إلى ابن الزيات أن يطلقهم و[أن][3] يطلق كل من في السجون من غير مراجعة ودفع التوقيع لرجل من خاصته وسير معه جماعة من غلمانه وأمرهم/ [495/ب] بالمضي إلى ابن الزيات، فوجدوه/ راكبا يريد الواثق فمنعوه وأخذوا عليه الطريق [605/ج] وأنزلوه عن دابته وأمروه بتنفيد ما أمر به الواثق فسأل الوزير: من كلم الواثق في ذلك؟ فقالوا له: القاضي أحمد بن أبي دؤاد دخل يعوده فقال له الواثق: يا أبا عبد الله! مرني بشيء أقبله فقال له: اطلق هؤلاء المحبوسين فقال الوزير: إذا أنا أطلقت هؤلاء فمن أين أجمع الأموال للأجناد؟ حتى أشاور الواثق. فقالوا: لا سبيل إلى ذلك، ثم لم يتركوه حتى أطلق الجميع ثم مضى، قال: فتعرضنا للقاضي أحمد وشكرنا له الصنيع فجعل يستصغر ذلك ويقول:هذا بعض ما يجب علي من حقوقكم. قال: ثم رجع عشية إلى الواثف فوجده قد خف ما به من مرضه فلما رأى القاضي أحمد، قال له:هذا ببركة رأيك. فقال أحمد: إن الأيدي التي كانت مرتفعة بالدعاء عليك صارت تدعولك، وخلق كثير من رعيتك بسببهم، ولكن قد صاروا إلى دور خراب وأحوال قبيحة وهم بغير فرش ولا كسوة ولا دواب فإن كنت ترغب في الأمر وتستديم النعمة عليك فتكتمل ذلك برد ما في خزائنك

(1) ج: الرأي.

(2) ج: لج.

(3) زيادة من: ج، هـ.

من آثارهم وأثاثهم وما في اصطبلاتك من دوابهم وما في قصرك من جواريهم، وتخرج لهم عن ضياعهم ليعيشوا بذلك، ولك تتضاعف الأدعية، فوقع الواثق لهم بذلك، فأخذوا جميع ما رسم لهم به الواثق. قال: ومات الواثف بعد ثلاثة أيام وبقيت هذه المكرمة للقاضي أحمد بن أبي دؤاد سامحه الله تعالى وعامله بالفضل وغفر له.

حُكي أن لقمان قال لابنه: يا بني! اخلص طاعة الله تعالى حتى لا تخالطها معصية، ثم زين طاعة الله باتباع الحق حتى لا يخالطه باطل، ثم اجمع علمك وحسنه بحلم لا يخالطه حمق، ثم احرز حلمك بلين لا يخالطه جهل، ثم سدد لينك بحزم لا يخالطه ضياع، ثم امزج خوفك برفق لا يخالطه عنف، ثم قَوِّ رفقك برشد لا يخالطه غي، ثم كمل يقينك بإيمان لا يخالطه كفر، ثم زين إيمانك بيقين لا يخالطه شك، ثم زين يقينك بنصح لا يخالطه غش[1]. ثم جمل نصحك بعمل لا يخالطه عجز، ثم زين عملك بإحسان/ لا يخالطه فحش][2]، ثم زين إحسانك [403/أ] بمعروف لا يخالطه منكر، ثم كمل معروفك بنفقة لا يخالطها تبذير، ثم استبق الأخلاق الخالصة من أضدادها لا يردك عن ذلك رغبة ولا رهبة، واتق أخلاق أحمق في محاسن أمره فكيف في مساوئه.

حُكي [عن النساء][3] أن الإمام عليا رضي الله عنه قال في النساء: لا تأمنوهن على مال ولا تدعوهن يدبرن القتال، فإنهن إن تركن يدبرن[4] أفسدن الممالك وأوردن المهالك، فإنهن لا ورع في خلوتهن، ولا دين لهن في شهواتهن يتهافتن على العصيان، ويتهادين على الطغيان، ينكرن الكثير إذا منعن/ القليل، وينسين الخير [606/ج]

---

(1) ج: فحش.

(2) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(4) ساقطة من: ج.

ويذكرن الشر، ويكثرن الشكاية، ويكفرن العشير، صالحاتهن غادرات وطوالحهن فاجرات، ومعصوماتهن معدومات، إن ائتمن على سر ذاع، أو على مال ضاع، [285/أ] فاستعيذوا بالله من خيارهن، وكونوا على حذر من شرارهن، فرضي الله تعالى عن قائل هذا الكلام[1].

وقال أبو الطيب:

[الطويل]

إذا غدرت حسناء أوفت بعهدها ... ومن عهدها أن لا يدوم لها عهد[2]

وإن عشقت كانت أشد صبابة ... وإن فركت فاذهب فما فركها قصد[3]

وكذلك أخلاق النساء وربما ... يضل بها الهادي ويخفى بها الرشد[4]

حُكي في شعب الإيمان عن الحسن رضي الله عنه/ أن لقمان قال لابنه: يا بني! [496/ب] حملت الجندل والحديد وكل حمل ثقيل، فلم أجد أثقل من الجار السوء، وذقت المرار كله فلم أجد شيئا أمر من الفقر. يا بني! لا ترسل في حوائجك رسولا جاهلا، فإن لم تجد حكيما فكن حكيم نفسك، يا بني! إياك والكذب، فإنه شهي كلحم العصفور، و[5]عما قليل يقلي/ صاحبه، يا بني! احضر الجنائز ولا تحضر [444/هـ] العرس. فإن الجنائز تذكرك[6] الآخرة والعرس يشهيك الدنيا، يا بني! لا تأكل شيئا[7] على شبع فإنك إن تلقيه إلى الكلب خير لك من أن تأكله. يا بني! لا تكن حلوا فتبلع ولا مرا فترمى. قال الشاعر:

---

(1) الحكاية وردت في المستطرف 2/ 227.

(2) الديوان: (وفت)

(3) فركت: أبغضت. اللسان: فرك.

(4) الأبيات مرقمة كالتالي: 6، 7، 9 من قصيدة تضم 37 بيتا. انظر الديوان 2/ 4.

(5) الواوساقطة من: ج.

(6) ج: تذكر.

(7) ج، هـ: شبعا.

[الخفيف]

كـن كريمـا وكـن أديبـا أريبـا   وحليمـا وأجمـع إلـى الحلـم علما
لا تكـن سـكرا فيأكلـك النـا   س ولا حنظـلا تـذاق فترمـى[1]

حُكي في كتاب إحياء علوم الدين، في الباب السادس من أبو اب العلم، أن يحيى بن يزيد النوفلي كتب إلى مالك بن أنس رضي الله عنه: بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد في الأولين والآخرين، من يحيى بن يزيد إلى مالك بن أنس، أما بعد: فإنه بلغني أنك تلبس الرقاق وتأكل الرقاق، وتجلس على الوطاء، وتجعل على بابك حجابا، وقد جلست مجلس العلم وضربت إليك آباط المطي، وارتحل إليك الناس فاتخذوك إماما، ورضوا بقولك، فاتق الله يا مالك، وعليك بالتواضع، كتبت إليك بالنصيحة كتابا ما أطلع عليه إلا الله تعالى والسلام، فكتب إليه مالك رحمه الله: بسم الله الرحمان الرحيم من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد، سلام عليك أما بعد: فقد وصل إلي كتابك فوقع مني موقع النصيحة من المشفق، أمتعك الله تعالى بالتقوى/ وخولك بالنصيحة خيرا [607/ج] وأسأل الله تعالى التوفيق ولا حول ولا قوة إلى بالله العلي العظيم، فأما ما ذكرت من أني آكل الرقاق وألبس الرقاق وأجلس على الوطاء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا﴾[2] الآية، وإني أعلم أن الخروج من ذلك خير من الدخول فيه، فلا تدعنا من كتابك فإنا لا ندعك من كتابنا والسلام[3].

حُكي أن بعض العارفين قال: إن ألذ العيش الذي هو عيش الدنيا خمسة أشياء،

(1) ج: ولترمى.
(2) الأعراف: 30.
(3) الحكاية وردت في إحياء علوم الدين 1/ 73.

النكاح وهو مبال في مبال، وأحسن المأكول العسل، وهو رجيع ذباب، وأحسن الرائحة المسك، وهو دم من غزال يستحيل في خراج يطلع في الغزال المذكور وأحسن اللباس الحرير وهو لعاب دودة، وأحسن المركب الخيل وعلى ظهورها تقتل الرجال، وقد نظم بعضهم نظما ركيكا فأصلحته. فقلت:

[الوافر]

ألذ العيش في دنياك فاعلم ... أخس العيش فيها وهو غال/ [أ/404]

فأعظم لذة فيها نكاح ... حقيقته مبال في مبال

وشهد في الحقيقة وهو نحل ... كذلك المسك بعض دم الغزال

كذلك حريرها فلعاب دود ... وفوق الخيل قتل للرجال[1]

حكى الغزالي رحمه الله في كتابه المسمى[2] الإحياء فقال: ياهذا! انظر [إلى][3] النحل كيف أوحى الله تعالى إليها حتى اتخذت بيوتها؟ وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل؟ فجعل أحدهما[4] ضياء والآخر شفاء، ثم لوتأملت عجائب أمرها في/ تناول الأزهار والنوار، واحترازها من النجاسات والأقذار، وطاعتها [497/ب] لواحد منها، ومن جملتها، وهو أكبر شخص، وهو أميرها، ثم بما سخر الله تعالى لها أميرها من العدل والإنصاف بينها، ثم إلى بنائها بيتها من الشمع واختيارها من جميع الأشكال المسدس فلا تبني بيتها مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا بل مسدسا لخاصية في شكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن درك ذلك، وهو أنه أوسع الأشكال وأحواها المستدير وما يقرب منها فإن المربع يخرج منه زوايا وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع ليلا تبقى الزوايا فارغة ثم لو بنتها

---

(1) ب: الرجال.

(2) ساقطة من:هـ.

(3) زيادة من: ب.

(4) أ، ب: أحدها.

[608/ج] مستديرة لخرجت من خارج البيوت فرج عند الرأس، فإن الأشكال المستديرة/ [445/هـ] إذا اجتمعت لم تجتمع متراصة/ ولا بشكل من الأشكال أكثر احتواء من المخمس لكنها عند تراصها يبقى بينها فرج فلا يقرب لهذا الشكل للاحتواء إلى المسدس، وإذا تراص لا يصير له في التراص فرج، فانظر كيف ألهم الله تعالى النحل على صغر جرمه لطفا به وعناية بوجوده فيما هو محتاج إليه ليتهيأ عيشه، فسبحان القادر على كل شيء سبحانه وتعالى(1).

حُكي أن بعض الفضلاء قال هذا الشعر وهو

[الطويل]

عصيت الهوى طفلا فعندما ... رمتني الليالي بالمشيب وبالعبر

أطعت الهوى عكس القضية ليتني ... خلقت كبيرا ثم عدت إلى الصغر

يقال: لما وقف عليه ولد الناظم قال:

[الطويل]

هنيئا له إن لم يكن كابنه الذي ... أطاع الهوى في الحالتين وما انزجر

فطوبى لمن في الحالتين عصى الهوى ... تقي أطاع الله في كل ما أمر

حكى المسعودي في كتابه أن الاسكندر لما قتل غالب ملوك الهند وله انقاد جميع ملوكها وحمل إليه جميع أموالها وخراجها. بلغه أن بأقصى أرض الهند ملكا من ملوكها ذو حكمة وسياسة وإنصاف وديانة ونظير بالإنصاف للرعية، وأنه أتى عليه أمور كثيرة ومدة من السنين، وأنه ليس بأرض الهند من فلاسفتها وحكمائها مثله، يقال له: «كند» وكان قاهرا لنفسه مميتا لصفاته من الشهوة الغضبية(2) وغيرها، حاملا لها على خلق كريم وأدب زائد، فكتب إليه الإسكندر كتابا يقول

(1) هذه الحكاية وردت في إحياء علوم الدين 4/ 319 مع اختلاف الرواية.

(2) هـ: الغضية. هكذا في مروج الذهب، وأشار مصححه أن الأصح هو: الشهوانية. انظر ج 2/ 14.

فيه: أما بعد: فإذا أتاك كتابي هذا فإن كنت قائما فلا تقعد وإن كنت جالسا[1] فانهض وإن كنت ماشيا فلا تلبث واحضر إلي سريعا وإلا مزقت ملكك وألحقتك بمن مضى من ملوك الهند، فلما ورد عليه [الكتاب][2] أجاب الاسكندر أحسن جواب، وخاطبه بملك الملوك، واعتذر إليه وأعلمه أنه اجتمع عنده أشياء لا تجتمع عند غيره ولا مثلها إلا من صارت إليه، فمن ذلك ابنة له لم تطلع الشمس على أحسن منها صورة [وفيلسوف يخبرك بمرادك قبل أن تسأله لحدة مزاجه وحسن قريحته، واعتدال بنيته واتساعه][3] في علمه وطبيب لا تخشى معه داء ولا شيئا من العوارض إلا ما يطرأ من الفناء والدثور الواقع بهذه البنية، وحل العقدة التي عقدها المبدع لها المخترع لهذا الجسم الحسي، وإن كانت بنية الإنسان وهيكله قد نصبا في هذا العالم عرضا للآفات والحتوف والبلايا، وعندي أيضا قدح إذا ملأته وشرب منه عسكرك جميعا فلا ينقص منه/ شيء ولا يزيده/ الوارد عليه إلا [498/ب][609/ج] امتلاء، وأنا منفذ جميع ذلك إلى الملك وصائر إليه. قال: فلما قرأ الإسكندر/ [405/أ] الكتاب ووقف على ما فيه قال: ينبغي أن تكون هذه الأشياء الأربعة عندي، فأنفذ إليه الاسكندر جماعة من حكماء اليونان في عدة من الرجال وقال لهم: إن كان صادقا فيما كتب فاحملوا إلي ذلك ودعوا الرجل في موضعه، وإن ظهر لكم أن الأمر على خلاف ذلك، وأنه أخبر عن الشيء على خلاف ما هو به، فقد خرج عن حد الحكمة فأشخصوه إلي. فمضى القوم حتى انتهوا إلى مملكة الملك فتلقاهم بأحسن ملتقى وأنزلهم أحسن منزل، فلما كان بعد اليوم الثالث جلس لهم مجلسا خاصا للحكماء منهم دون من كان معهم من المقاتلة. فقال بعض الحكماء لبعض: إن صدقنا على الأول صدقنا فيما بعده، فيما ذكر، فأخذ الحكماء مراتبهم ولما استقر

(1) ج، هـ: قاعدا.

(2) زيادة من: ج، هـ.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

بهم مجالسهم أقبل عليهم مباحثا لهم في أصول الفلسفة والكلام فيها وعلى شماله جماعة من حكمائه وفلاسفته، وطال الخطاب بينهم وتشاحنوا ونظروا في موضوعات العلماء وترتيبات الحكماء فعلموا محله من العلم، ثم أخرج لهم الجارية، فلما ظهرت لأبصارهم ورأوها بأعينهم فلم يقع طرف واحد منهم على عضومن أعضائها مما ظهر وأمكن أن يتعدى ببصره إلى غيره وشغله تأمل ذلك العضو وحسنه وحسن شكلها واتفاق صورتها فخاف القوم على عقولهم لما ورد عليهم[1] وإليهم عند النظر إليها، ثم إن كل واحد/ منهم رجع إلى نفسه وفهمه [446/هـ] وقهر سلطان هواه ودواعي طبعه، ثم أراهم بعد ذلك ما تقدم الوعد به وسيره معهم وحضر الفيلسوف والطبيب والقدح والجارية وشيعهم مسافة من أرضه، فلما وردوا على الاسكندر أمر بإنزال الطبيب والفيلسوف[2]، ونظر إلى الجارية فحار عند مشاهدتها وابتهر عقله وأمر قيمة[3] جواريه بالقيام لها وبها، ثم صرف همته إلى الفيلسوف[4] وإلى علم ما عنده، وإلى الطبيب ومحله من صنعة الطب وحفظ الصحة، وقص حكماؤه عليه ما جرى لهم مع الملك الهندي من المباحثة ومن أحضره من فلاسفته وحكمائه وأخبروه بمحله من العلم والنقل الراجح والعقل الكامل، فأعجبه ذلك ثم أراد امتحان الفيلسوف على حسب ما خبر عنه فخلا بنفسه وأجال فكره فسنح له سانح من الفكر بإيقاع معنى يختبره به فدعا بقدح فملأه سمنا لم يجعل للزيادة عليه سبيلا، ودفعه إلى رسول له وقال: امض به إلى الفيلسوف ولا تخبره بشيء، فلما/ ورد الرسول بالقدح ودفعه إلى الفيلسوف [610/ج] فقال، بصحة ذهنه في الأمور المتقنة للحكمة، في نفسه: لأمر ما بعث إلي هذا الملك الحكيم بهذا السمن؟ وأجال فكره وسبر المراد به، ثم دعا بنحو ألف إبرة فغرس

(1) الواو ساقطة من: هـ.

(2) ج: الفيلسوفي.

(3) هـ: بقبة.

(4) ج: الفيلسوفي.

أطرافها في السمن وأنفذها إلى الاسكندر، فأمر الاسكندر بسبكها كرة مدورة ململمة متساوية الأجزاء وأمر بردها إلى الفيلسوف، فلما نظر إليها الفيلسوف وتأمل فعل الاسكندر فيها أمر ببسطها وأن تتخذ منها مرآة وصقلها فصارت جسما ثقيلا صقيلا يرى فيه الصور من يقابلها من الأشخاص لشدة صفائها وزوال الدرن عنها، وأمر بها إلى الاسكندر، فلما نظر إليها الاسكندر ورأى حسن صورته فيها دعا بطست فجعل المرآة فيه وأمر بإراقة الماء فيه عليها حتى رست وأمر بحمل ذلك إلى الفيلسوف، فلما نظر الفيلسوف إلى ذلك أمر بالمرآة فجعل فيها مشربة كالسفينة الصغيرة وجعلها في الطست في الماء فطفت فوقه وأمر بردها إلى الاسكندر، فلما نظر الاسكندر إلى ذلك أمر بتراب/ ناعم فملئت منه ثم ردها [499/ب] إلى الفيلسوف، فلما نظر الفيلسوف إلى ذلك تغير لونه وحال حاله وتغيرت صفاته وأسبلت دموعه وكثر شهيقه وطال أنينه وظهر حنينه وقام بقية يومه غير منتفع بنفسه، ثم أفاق من تلك الحالة وزجر نفسه وأقبل عليها كالمعاتب لها وقال: ويحك يا نفس! ما الذي قذف بك في هذه الصدمة وأصارك إلى هذه الغمة ووصلك بهذه الظلمة أنسيت وأنت في النور تمرحين وفي الملأ الأعلى تسرحين تنظرين بالضياء الصادق والمصدوق، وتتفسحين في العالم المشوق، نزلت إلى العالم المظلم الكثيف المقتم تخطفك الخواطف/ وتهزك العواصف قد حرمت علم الغيوب والكون في [406/أ] العالم المحبوب ورميت بشدائد الخطوب، ورفضت كل مطلوب وأين[1] مصادرك الطيبة وراحتك القوية؟ حللت في الأجساد فقوي عليك الكون والفساد، حللت يا نفس بين السباع القاتلة والأفاعي المهلكة، والنيران المحرقة، والرياح العاصفة، تسير بك الأعمار[2] والأوهام[3] في قرارات الأجسام لا تشاهدين إلا غافلا ولا ترين إلا جاهلا، كيف وقد زهدت عن الخيرات ورغبت في الحسنات؟ قال: ثم

(1) هـ: ان.

(2) أ، ب: الأعمال.

(3) ج: الأوضام.

رفع طرفه إلى[1] السماء فرأى النجوم تزهر فقال بأعلا صوته: يا لك من نجوم مباشرة، وأجسام زاهرة/ ! من عالم شريف وعلو نفيس لطيف، قد كانت النفس [611/ج] في أعاليه ساكنة، وفي أكنافه قاطنة، فقد أصبحت عنه ظاعنة. قال: ثم أقبل على الرسول فقال: خذه ورده إلى الملك يعني التراب ولم يحدث فيه حدثا، فلما ورد الرسول إلى الاسكندر أخبره بجميع ما شاهد من/ الفيلسوف فتعجب الاسكندر [447/هـ] من ذلك وعلم مراد الفيلسوف وغاية مراده فيها وقع بالنفوس من النقلة مما علا من العوالم إلى هذا العالم. ولما كان في صبيحة تلك الليلة جلس له الاسكندر جلوسا خاصا به ودعاه ولم يكن رآه قبل ذلك، فلما أقبل عليه ونظر إلى صورته، وتأمل في قامته وخلقته، نظر إلى رجل طويل الجسم رحب الجبين معتدل البنية فقال في نفسه:هذه بنية تضاد الحكمة، فإذا اجتمع حسن الصورة وحسن الفهم كان أوحد أهل زمانه، ولا شك أن هذا قد علم كل ما راسلته به وأجابني عليه من غير مخاطبة ولا موافقة ولا مباحثة فليس في وقته وزمانه أحد يدانيه ولا يلحقه في علمه. قال: وتأمل الفيلسوف الاسكندر فأدار أصبعه السبابة على وجهه ووضعها على أرنبة أنفه، وأسرع نحو الإسكندر وهو جالس على غير سرير ملكه، فحياه بتحية الملوك فأشار إليه الاسكندر بالجلوس، فجلس حيث أمره، فقال له الإسكندر: ما بالك حين نظرت إلي وأوميت بطرفك نحوي، أدرت أصبعك حول وجهي ثم وضعتها على أرنبة أنفك؟ فقال: تأملتك أيها الملك بنورية عقلي وصفاء مزاجي فتبينت فكرتك في وتأملك لصورتي، وإنها قلما تجتمع مع الحكمة، وقلت: إذا كان ذلك كذلك كان صاحبها أوحد أهل زمانه، فأدرت أصبعي مصداقا لما سنح لك، وأريتك مثالا شاهدا كما إنه ليس في الوجه إلا الأنف والأنف واحد، وكذلك ليس في دار مملكة الهند غيري ولا يلحق لي أحد من الناس في حكمتي، فقال له الاسكندر: ما أحسن ما تأتى لك ما ذكرت وانتظم بحسن

(1) هـ: نحو.

الخاطر لك ما وصفت. فدع عنك هذا، ما بالك حين أنفذت إليك قدحا مملوءا سمنا غرزت فيه إبرا ورددته إلي؟ فقال الفيلسوف: علمت أيها الملك أنك تقول: إن قلبي قد امتلأ وعلمي قد تناها/ كامتلاء هذا الإناء من السمن، فليس لأحد [500/ب] من الحكماء فيه مستزاد فأخبرت أيها الملك أن علمي سيزيد في علمه ويدخل فيه دخول هذه[1] الإبر في هذا الإناء. قال: فأخبرني ما بالك حين عملت من الإبر كرة وأنفذتها إليك ضربتها مرآة ورددتها إلي صقيلة؟/ قال: علمت أيها الملك أنك تريد [612/ج] أن قلبك قد قسي من سفك الدماء والشغل بسياسةهذا العالم كقسوةهذه الكرة فلا يقبل العلم ولا يرغب في الغايات في العلوم والحكمة فأخبرتك مجيبا لك متمثلا بسبك الكرة والحيلة في أمرها، وجعلي منها مرآة مؤدية إلى الأجسام عند المقابلة بحسن الصفاء. قال له الاسكندر: فأخبرني حين جعلت المرآة في الطست ورسبت في الماء جعلتها قدحا مجوفا فوق الماء صافيا ثم رددته إلي. قال: قد علمت أنك تريد بذلك أن الأيام قد قصرت والأجل قد قرب ولا يدرك العلم الكثير في المهل القليل فأجبت الملك أني ممتثل له وسأعمل الحيلة في إيراد العلم الكثير في المهل القليل إلى قلبه وتقريبه من فهمه كاحتيالي للمرآة من كونها راسبة في الماء حتى جعلتها طافية[2] عليه، قال له[3]: فأخبرني ما [بالك][4] حين ملأت الإناء ترابا رددته إلي ولم تحدث فيه حدثا كفعلك فيما سبق؟ قال/ : علمت أنك تقول ثم [407/أ] الموت، وأنه لابد منه ثم لوحق هذه البنية بهذا العنصر البارد اليابس، الذي هوالأرض، ودثورها وتفرق أجزائها ومفارقة النفس الناطقة الصافية الشريفة اللطيفة لهذا الجسد. قال له الإسكندر صدقت قد أجبتني عن مرادي فلأحسن

---

(1) ساقطة من: ج.

(2) هـ: حافية.

(3) ساقطة من:ه.

(4) زيادة من: ب.

لأهل الهند لأجلك، وأمر له بجوائز كثيرة وأقطعه إقطاعات واسعة. فقال له الفيلسوف: لوأحببت المال ما أردت العلم فلست أدخل على علمي ما يضاده وما ينافيه، واعلم أيها الملك! أن المنة توجب الخدمة وليس عاقل من يخدم غير ذاته ويستعمل غير ما يصلح نفسه، والذي يصلح النفس صقالها وتناول الأمور الحيوانية وغيرها ضد لها، والحكمة سبيل/ إلى العلو وسلم إليه، ومن عدم ذلك [448/هـ] عدم القربة من بارئه، واعلم أيها الملك! أن العدل ميزان البارئ جل جلاله، فلذلك حكمه مبرئ من كل عيب وزلل وأشبه الأشياء من أفعال الناس بأفعال بارئهم الإحسان إلى الناس، وقد ملكت أيها الأمير بصولة ملكك وبتأييدك في أمورك وانتظام سياستك أجسام رعيتك فتحرى أن تملك قلوبهم بإحسانك إليهم وإنصافك لهم وعدلك فيهم، فالملك السعيد من تمت رياسة أيامه وسياسة أعوامه، فمن تحرى سيرة العدل استنار قلبه. قال: وتخلى الفيلسوف عن الاسكندر لا يأتيه، ولحق بأرضه. وللأسكندر مع الفيلسوف مناظرات كثيرة في أنواع العلوم ومكاتبات ومراسلات، وأما القدح فإنه امتحنه بأن ملأه ماء وأورد عليه الناس فلم ينقص شربهم منه شيئا، وكان معمولا بضرب من خواص الهند والروحانية وقد/ قيل، إنه كان لآدم عليه السلام وبورك له فيه فورث وتداولته الملوك إلى أن [613/ج] انتهى إلى كند، وهذا الملك العظيم سلطانه وما كان عليه من الحكمة وقيل غير ذلك وامتحن الطبيب وله معه محاورات عظيمة في صناعة الطب فوجده كما قيل والله سبحانه وتعالى أعلم[1].

حُكي أن الإسكندر لما مات جعل جسده في تابوت من الذهب ورصع بالجواهر واليواقيت بعد أن طلي جسده بالأطلية الماسكة/ لأجزائه، ثم اجتمع حول تابوته [501/ب] طائفة من الحكماء من اليونان والفرس والهند وغيرهم من علماء الأمم[2] الذين

(1) الحكاية وردت في مروج الذهب 2/ 14.

(2) هـ: الإمام.

كان يجمعهم ويترنح ويرتاح لكلامهم، ولا يصدر الأمور إلا عن رأيهم. فقال عظيم الحكماء والمقدم عليهم: ليتكلم كل واحد منكم بكلام يكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا، ثم تقدم القوم إلى التابوت فقال بعضهم: أصبح الآسر[1] للأسرى أسيرا. فقال الآخر: هذا الذي يخبئ[2] الذهب فصار الذهب يخبئه. فقال الثالث: ما أزهد الناس في هذا الجسد وأرغبهم في هذا التابوت. فقال الرابع: من أعجب العجب أن القوي قد غلب والضعفاء لاهون مغترون. فقال الخامس: يا ذا الذي جعل أجله ضمانا وجعل أمله عيانا هلاً باعدت من أجلك لتبلغ بعض أملك، فقال السادس: أيها الساعي المنتصب! جمعت ما خذلك عند الاحتياج فغودرت عليك أوزاره، وفارقت دثاره، فمعناه لغيرك ووباله عليك، فقال السابع: قد كنت لنا وعاظا فما وعظتنا بموعظة أبلغ من وفاتك، فمن كان له معقول فليعقل ومن كان معتبرا فليعتبر. فقال الثامن رُبَّ هائب لك كان يغتابك[3] من ورائك وهو اليوم بحضرتك لا يخاف منك[4]. فقال: التاسع رب حريص على سكوتك إذ لا تسكت وهو اليوم حريص على كلامك إذ لا تتكلم. فقال العاشر: كم أماتت[5] هذه النفس من نفوس كي لا تموت وقد ماتت. فقال الحادي عشر، وكان صاحب خزانة كتب الحكمة: قد كنت تأمرني أن لا أبعد عنك فاليوم لا أقدر على الدنو منك. فقال الثاني عشر: هذا يوم عظيم العبر أقبل من شره ما كان مدبرا وأدبر من خيره ما كان مقبلا، فمن كان باكيا على من زال ملكه فليبك. فقال الثالث عشر يا عظيم السلطان! اضمحل سلطانك، وعفت آثار ملكك ومملكتك، كما عفت

---

(1) أ، ب، هـ: الأسير.

(2) هـ: يخفي.

(3) في مروج الذهب: لا يغتابك، وهو المراد.

(4) هـ: يخافك.

(5) في مروج الذهب: أقامت

آثار الذباب[1]. فقال الرابع عشر: يا من ضاقت عليه الأرض طولا وعرضا! ليت شعري كيف حالك فيما احتوى عليك اليوم منها؟ فقال الخامس عشر: أعجبت لمن كانت هذه سبيله/ كيف شرهت نفسه لجمع الحطام الزائل والهشيم البائد [614/ج] الخامل؟ فقال السادس عشر: أيها الجمع الحافل والملتقى الفاضل!/ لا ترغبوا فيما [408/أ] لا يدوم سروره وتنقطع/ لذته، فقد بان لكم الصلاح والرشاد من الغي والفساد. [449/هـ] فقال السابع عشر: انظروا إلى حلم النائم كيف انقضى وظل الغمام كيف انجلى. فقال الثامن عشر، وكان من حكماء الهند: يا من أغضبه الموت! هلا غضبت على الموت. فقال التاسع عشر: لقد رأيتم أيها الجمع هذا الملك الماضي فليتعظ به الآن هذا الملك الباقي. فقال العشرون: هذا الذي دار كثيرا والآن يقر طويلا. فقال الحادي والعشرون: إن الذي كانت الآذان تنصت له قد سكت فليتكلم الآن كل ساكت. فقال الثاني والعشرون: مالك[2] لا تقل[3] عضوا من أعضائك، وقد كنت ملك الأرض، مالك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان الذي أنت فيه، وقد كنت ترغب بها عن رحب البلاد. فقال الثالث والعشرون: سيلحق بك من سره موتك كما لحقت بمن سرك موته[4]. فقال/ الرابع والعشرون، وقد كان من نساك الهند [502/ب] وحكمائها: إن الدنيا يكون هذا آخرها فالزهد أولى أن يكون في أولها. فقال الخامس والعشرون، وكان صاحب مائدته: قد فرشت النمارق ونضدت الوسائد وهيأت الموائد ولا أرى عميد المجلس[5]. [فقال السادس والعشرون، وكان صاحب بيت ماله: قد كنت تأمرني بالجمع والإدخار، إلى من أدفع اليوم ذخائرك؟][6] فقال

(1) مروج الذهب: الرباب

(2) هـ: فإنك.

(3) أ، ب، ج: فقد.

(4) في مروج الذهب: هذا قول الحكيم الثاني والعشرين.

(5) ب: المجالس.

(6) ما بين معقوفين ساقط من هـ.

السابع والعشرون وكان خازنا من خزانه: هذه مفاتح خزائنك، فمن يقبضها قبل أن أوخذ بها لم آخذ منها؟ فقال الثامن والعشرون: هذه الدنيا الطويلة العريضة طويت منها في سبعة أشبار. قال الراوي: قالت أمه: لئن فقدت من ابني أمره فما فقدت من قلبي ذكره وقبض الإسكندر وهو ابن ست وثلاثين سنة وملك تسع سنين بعض الدنيا وتملك على سائر الملوك بعد ذلك ست سنين، وملك وهو ابن إحدى وعشرين سنة كما حكاه المسعودي[1].

حكى جماعة من أهل العلم كما نقله المسعودي أن الاسكندر لما استقام ملكه في بلاده صار يختار أرضا صحيحة الهواء والتربة والماء، فسافر إلى موضع الاسكندرية فأصاب موضعها أثر بنيان ورأى عمدا كثيرة من الرخام وفي وسطها عمود عظيم مكتوب عليه بالقلم المسند وهو القلم/ الأول من أقلام حمير وملوك [615/ج] عاد: أنا شداد بن عاد، شددت بساعدي البلاد، وقطعت عظيم العماد، من الجبال والأطواد، وبنيت إرم ذات العماد، التي لم يبن مثلها في البلاد، أردت أن أبنيها هنا كارم وأنقل إليها كل ذي قدم وكرم، من جميع العشائر والأمم، وذلك أن لا خوف ولا هرم ولاهم ولا سقم، فأصابني ما غمني، وعما أردت قطعني، ومع وقوعه طال همي وشجني، وقل نومي وسكني فارتحلت بالقهر عن داري ووطني، لا لقهر ملك جبار، ولا لخوف جيش جرار، ولا رهبة وصَغَار، لكن لفقود المقدار وانقطاع الآثار، وسلطان العزيز الجبار، فمن رأى أثري وعرف خبري، وطول عمري، ونفاذ أمري وشدة حذري، فلا يغتر بالدنيا بعدي، فإنه ما جهد جهدي وكلامي، يومئ إلى فناء الدنيا ويمنع من الاغترار بها والسكون إليها[2].

(1) الحكاية وردت في مروج الذهب 2/ 10-13.

(2) الحكاية وردت في مروج الذهب 2/ 99.

حُكي أن الزهري[1] لما خالط السلطان كتب إليه[2] أخ له في الدين: عافانا الله تعالى وأياك يا أبا[3] بكر، إياك والفتن، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعولك ويرحمك، أصبحت شيخا كبيرا قد أثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه، وعلمك من سنة نبيه ﷺ، ولست كذلك، أخذ الله الميثاق على العلماء، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لتبينه للناس ولا تكتمونه﴾[4] واعلم أن شر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك أنست بوحشة الظلمة وسهلت مجلس المشار إليه.

حُكي أن ملكا من الملوك كان في زمن الإمام العلامة الشيخ أبي الفرج بن الجوزي وكان يحضر مجلسه/ خلف ستر، وكان ابن الجوزي له مواعظ زواجر [450/هـ] حتى قيل إنه كان يموت بمجلسه الواحد والإثنان من شدة الخوف، فاتفق أن ذلك الملك كان له وزير فقبض عليه وعلى أمواله وكان للوزير أخ له ثروة فجس بعض جماعة الملك للملك أن يأخذ مال أخ الوزير فقبض السلطان على[5] مال أخ الوزير ليأخذه بماله[6] على أخيه. فحضر/ أخ الوزير فجلس ابن الجوزي والسلطان خلف [409/أ] ستر وذكر له واقعته مع السطان فالتفت ابن الجوزي إلى الستر وقال: يا هذا: إن قلت خفت منك وإن سكت خفت عليك، فويلي منك وويلي عليك ثم أنشد:/ [503/ب]

[الوافر]

سؤال خبرينا يا سعاد ... بذنب الطرف لِمْ سلب الفؤاد

وأي شريعة حلت إذا ما ... زنى زيد به عمرو يقاد/ [616/ج]

---

(1) محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، أبو بكر، من الحفاظ والفقهاء (58-124هـ) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ 1/ 102، وفيات الأعيان 4/ 177. وتهذيب التهذيب 9/ 445.

(2) ساقطة من: ج.

(3) ب: ابو.

(4) سبق تخريجها.

(5) ساقطة من: ج.

(6) أ: من ماله. ج: عما.

إلى أن قال:

بعاد حديثكم يزداد حسنا وقد يستحسن الشيء المعاد[1]

قال: فوقعت رقعة في مجلس، بن الجوزي بأن يعاد لأخي الوزير ما أخذ منه من جميع ماله. قال: فلما تمت هذه الحكاية وقعت أيضا رقعة بمجلس الناصري المشار إليه، فيها توقيع بجائزة للشمس الرشيدي المشار إليه بعشرة أرداب من القمح وقنطارين من العسل، وهذا وقع والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

حُكي أن علقمة العطاردي أوصى ابنه لما حضرته الوفاة فقال له: يا بني! إن عرضت لك حاجة إلى صحبة الرجال فاصحب من إذا خدمته صانك، وإذا صحبته زانك، وإن قعدت بك مثونة مانك، وإن مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن رأى سيئة سدها، اصحب من إذا سألته أعطاك، وإن سكت ابتدأك، وإن نزلت بك[2] نازلة واساك، اصحب من إذا قلت صدقك، وإن[3] حاولت [أمرا][4] أمرك، وإن نازعتما شيئا آثرك. قال المأمون لما سمع ذلك: أين هذا يا قاضي يحيى، فقال: ابن أكثم: يعني قال له: لا تصحب أحدا أبدا[5].

حُكي عن الإمام عبد الله بن الإمام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، لما بلغه أن الحسين بن علي توجه إلى العراق لحقه على مسيرة ثلاثة أيام، فقال: أين تريد؟ قال: العراق، وإذا معه كتب وقماطر، فقال الحسين: هذه كتبهم وبيعتهم. فقال: لا تنظر إلى كتبهم و بيعتهم فأبى فقال له: إني محدثك حديثا أن جبريل عليه السلام أتى محمدا ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا، وإنك بضعة من

(1) هذا البيت ورد في موارد الظمآن لدروس الزمان 5/ 582 مع اختلاف قليل بين الروايتين.

(2) أ، هـ: به.

(3) ج: إذا.

(4) زيادة من: ب، ج، هـ.

(5) الحكاية وردت في عيون الأخبار 3/ 6، وربيع الأبرار 1/ 367، وغرر الخصائص: 541.

رسول الله ﷺ، لا يليها أحد منكم أبدا وما صرفها الله عنكم إلا وهو خير لكم، فأبى أن يرجع فاعتنقه وبكى وقال: أستودعك الله مت قتيلا، رضي الله عنه[1].

حُكي في آداب معاشرة الناس قال الغزالي: لا تستصغر من الناس، أحدا حيا كان أوميتا، فتهلك، لأنك لا تدري لعله خير منك، فإنه إن كان فاسقا فلعله يختم لك بمثل حاله، ويختم له بالصلاح، ولا تنظر إليهم بعين التعظيم في حال دنياهم، فإن الدنيا صغيرة عند الله تعالى، صغير ما فيها، وإن عظمت أهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا، فتسقط من عين الله تعالى، ولا تبدِّل لهم دينك تسأل من دنياهم فتصغر في أعينهم، ثم تحرم دنياهم، فإن لم تحرم كنت قد استبدلت [617/ج] ﴿الذي هوأدنى بالذي هوخير﴾[2]، ولا تعاديهم بحيث/ تظهر العداوة فيطول الأمر عليك في المعاداة، ويذهب دينك ودنياك فيهم، ويذهب دينهم فيك، إلا إذا رأيت [451/هـ] منكرا في الدين/ فتعادي أفعالهم القبيحة وتنظر إليهم بعين الرحمة لتعرضهم لمقت الله تعالى وعقوبته بعصيانهم ﴿حسبهم جهنم يصلونها﴾[3] ولا تحقد عليهم ولا تسكن إليهم في مودتهم لك وثنائهم عليك في وجهك وحسن بشرتهم لك، فإنك إن طلبت ذلك وحقيقته لم تجد في المائة واحدا، وربما لا تجده، ولا تَشْكُ [504/ب] إليهم أحوالك فيكلك الله تعالى إليهم، ولا تطمع/ أن يكونوا لك في الغيب والسر كما في العلانية، فذلك طمع كاذب، وأنى تظفر بهم، ولا تطمع فيما بأيديهم فتستعجل الذل، ولا تنل الغرض ولا تصل عليهم بكثرة استغنائك عنهم، فإن الله تعالى يلجئك إليهم عقوبة على التكبر بإظهار الإستغناء، وإذا سألت أحدا منهم حاجة وقضاها فهوأخ مستفاد وإن لم يقضها فلا تعاتبه فيصير عدوا تطول

---

(1) الحكاية وردت في رسائل المقريزي: 61.

(2) البقرة: 10.

(3) المجادلة: 8.

عليك مغاضباته، ولا تشغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل[1] القبول، فلا يسمع منك ويعاديك، وليكن وعظك عرضا وإرسالا وإرشادا من غير تنصيص على الشخص، ومهما رأيت منهم/ كرامة وخيرا فاشكر الله تعالى الذي سخرهم لك، [410/أ] واستعذ بالله أن يكلك إليهم، وإذا بلغك منهم غيبة أورأيت منهم شرا أوأصابك منهم ما يسوءك فكِلْ أمرهم إلى الله تعالى، واستعذ بالله من شرهم، ولا تشغل نفسك بالمكافات فيزيد الضر ويضيع العمر بشغله ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعي، واعلم أنك لو[استحقبحت ذلك لجعل الله تعالى لك موضعا في قلوبهم، والله المحبب والمبغض إلى القلوب وكن سميعا][2] لحقهم[3] [أصم][4] عن باطلهم، نطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم، واحذر صحبة أكثر الناس، فإنهم لا يقيلون عثرة، ولا يغفرون زلة، ولا يسترون عورة، ومحاسبون على النقير والقطمير، ويحسدون على القليل والكثير ولا ينصفون، ويؤاخذون على الخطأ والنسيان ولا يعفون، يقرنون الخوان بالإخوان، والنميمة بالبهتان، صحبة أكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان، إن رضوا فظاهرهم الملق، وإن سخطوا فباطنهم الحنق[5] لا يوقنون في حنقهم، ولا يخرجون في قلقهم، يقطعون بالظنون ويتغامزون ورائك بالعيون، ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون، يحصون عليك العثرات في صحبتهم، ليواجهوك بها في غيظهم ووحشتهم، ولا تعول على مودة/ من لم [618/ج] تختبره حق الخبرة، بأن تصحبه مدة في دار أوموضع وتجربه في عزله، وولايته وغناه وفقره، وتسافر معه وتعامله في الدينار والدرهم، أوتقع في شدة وتحتاج إليه فإن

---

(1) أ، ب: مخائل.

(2) ما بين معقوفين زيادة من: ج، هـ.

(3) ساقطة من: ب.

(4) زيادة من: ب، ج، هـ.

(5) الحنق: شدة الاغتياظ. اللسان: حنق.

رضيته في هذه الأحوال فاتخذه أبا لك إن كان كبيرا وابنا إن كان صغيرا أوأخا إن كان لك مثلا، فهذه جملة آداب المعاشرة مع أصناف الخلق[1].

حُكي عن بعضهم أنه قال: الثقلاء معززون في الدين والدنيا، أما في الدين: فإن الناظر إليهم يسارع قلبه لكراهتهم ولسانه لغيبتهم ويستكره ما خلق الله تعالى، وأما في الدنيا: فلا يخفى ما يحصل عند رؤيتهم على النفس من الشدة حتى قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: ما جالست ثقيلا إلا وجدت الجانب الذي يليه أثقل من الجانب الآخر.

وقال جالينوس: لكل شيء حمى وحمى الروح والقلب الثقلاء وقيل: رؤية الثقيل، العمى الأصغر. وقيل للأعمش[2]: لم عميت عيناك؟ قال: من النظر إلى الثقلاء. وقيل إن الإمام الأعظم رضي الله عنه دخل على الأعمش فقال له: ورد في الخبر أن من سلبه الله تعالى كريمتيه عوضه الله ماهوخيرا منهما، فما الذي عوضك عنهما؟ فقال له الأعمش في معرض المطايبة[3] عوضني عنهما/ أن كفاني رؤية الثقلاء، وأنت منهم. قلت: وأنشد الشيخ شهاب الدين أحمد السلمي: [452/هـ]

[السريع]

[505/ب] أشكو إليك ثقيلا أتى ... من ثقله خفت على المجلس/
أثقل من واش على عاشق ... صب ومن دين على مفلس

وقيل: نزل في الثقلاء قوله تعالى: ﴿فإذا طعمتم فانتشروا﴾[4] وقال بعضهم:

---

(1) الحكاية وردت في الإحياء 2/ 192، مع اختلاف واضح بين الروايتين.

(2) سليمان بن مهران الأسدي، أبو محمد الملقب بالأعمش، تابعي مشهور كان عالما بالقرآن والحديث. (61-148هـ). انظر تاريخ بغداد 9/ 3. الوفيات 2/ 400. تذكرة الحفاظ 1/ 154.

(3) أ، ب: المصابية.

(4) سورة الأحزاب: 53.

كانوا يؤذون رسول الله ﷺ بالجلوس عنده بعد دعوة الأكل فأنزل الله تعالى ذلك فيهم لينصرفوا إذا فرغوا من الأكل وأنشد [بعضهم بيتين ظريفين وهما][1]:

[السريع]

يا معشر الأصحاب قد بان لي قول يزيل الحمق فاستظرفوه
لا تحضروا إلا بأخفافكم ومن تثاقل بينكم خففوه[2]

ورأيت في الثقلاء أمورا كثيرة مستهجنة، هذا أحسنها، وحذفت غيره لم يستحسن عندي.

حكى الرقي عن ابن الدراج أنه قال: كنت أنا وابن القوطي[3] مارين على الدجلة بين البصرة والأبلة وإذا بقصر حسن له منظر وعليه رجل بين يديه جارية تغني وتقول:

[مجزوء الرمل]

في سبيل الله ود كان مني لك يبذل
كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل/ [619/ج]

وإذا شاب تحت القصر عليه مرقعة وبيده ركوة يتسمع فقال: يا جارية! بالله وبحياة سيدك إلا ما أعدت هذا البيت فأعادته فصار الشاب يقول: والله هذا تلوني مع الحق في حالي فشهق شهقة فمات/ فقلنا قد استقبلنا فرض فوقفنا فقال [411/أ] صاحب القصر للجارية: أنت حرة لوجه الله تعالى، ثم خرج أهل البصرة وصلوا عليه، فلما فرغوا من دفنه قال صاحب القصر: أشهدكم أن كل شيء لي في سبيل

(1) ما بين معقوفين زيادة من: ج، هـ.
(2) البيتان وردا في خزانة الأدب لابن حجة 1/ 167 و ج 2/ 210.
(3) أظنه أراد ابن القوطية، محمد بن عمر بن عبد العزيز الأندلسي، أبا بكر مؤرخ لغوي أديب (ت 367هـ). انظر ترجمته في الوفيات 4/ 368.

الله تعالى، وكل جواري أحرار وهذا القصر للسبيل، ثم رمى ثيابه واتزر بإزار وارتدى برداء ومر على وجهه والناس ينظرون حتى غاب عن أعينهم وهم يبكون فلم يسمع له خبر.

حُكي في الرفق، روى أبو أمامة[1]، رضي الله عنه، أن شابا أتى النبي ﷺ بمحضر من أصحابه فقال: يا رسول الله، أتأذن لي في الزنى فصاح الناس به من كل جانب، فقال النبي ﷺ: دعوه، ادن مني: فدنا حتى جلس بين يديه ﷺ فقال له [النبي][2] ﷺ: أتحبه لأمك؟ فقال: لا! جعلني الله فداءك[3] [فقال: أتحبه لبنتك؟ فقال: لا! جعلني الله فداءك][4] فقال أتحبه لأختك؟ فقال: لا! جعلني الله فداءك فقال له النبي ﷺ: كذلك الناس لا يحبونه، وزاد بعضهم ذكر العمة والخالة، وهو يقول في كل ذلك لا جعلني الله فداءك. فقال له النبي ﷺ ما قال، ثم وضع رسول الله ﷺ يده الشريفة على صدره وقال: اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه»[5] فلم يكن شيئا أبغض إليه من الزنى.

حُكي أن المأمون وعظه واعظ فأغلظ في وعظه وعنفه في القول: فقال له المأمون: يا رجل! اتق الله وارفق في وعظك فقد بعث الله تعالى من هو خير منك إلى من هو شر مني. قال تعالى: ﴿فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾[6].

[506/ب] حُكي أن بعض الظرفاء دخل على/ بعض الخلفاء فأنشده من جملة ما خاصمه

---

(1) صدى بن عجلان بن وهب الباهلي، أبو أمامة، صحابي توفي بالشام حوالي 81هـ. ترجمته في تهذيب التهذيب: 4/ 420. الإصابة 2/ 182.

(2) زيادة من: ج.

(3) ساقطة من هـ.

(4) ما بين معقوفين ساقط من هـ.

(5) الحديث ورد في مسند أحمد 5/ 256 وإتحاف السادة 7/ 51 وسلسلة الصحيحة: 370.

(6) طه: 43.

به، أبياتا يقول فيها:

[السريع]

من يستعن بالرفق في أمره ... يستخرج الحية من جحرها/ [453/هـ]

فأعجب الخليفة ذلك وقال: يا غلام الدواة فكتبه.

حكى المؤلف قال: وقفت على أرجوزة لطيفة. وآداب شريفة. للمولى الرئيس. المهذب النفيس. ابن مكانس[1] الوزير. والكهف المشير. قطب دائرة الأدب. وشاة رقعة الطرب. تجاوز الله عنه وغفر له. وتقبل قوله وعمله. فأوردتها كما وجدتها بعدما كان فيها من زحاف عجرفة الرواة فوزنته/ وتحريف وتصحيف للنساخ [620/ج] فأصلحته. وخلل في المعنى فحذفته. فشددت به عضدها. وسددت أودها. وأخرجتها من العيوب كيوم ولدها وسماها: عمدة الحرفاء وقدوة الظرفاء. وهي هذه:

[مجزوء الرجز]

هل من فتى ظريف ... معاشر حريف

يسمع من مقالي ... ما يبهر اللآلي

امنحه وصية[2] ... سارية سريه

تنير[3] في الدياجي ... كلمعة السراج

رشيقة الألفاظ ... تسهل للحفاظ

جادت بها القريحه ... في معرض النصيحة

---

(1) عبد الرحمان بن عبد الرزاق بن إبراهيم، أبو الفرج، فخر الدين المعروف بابن مكانس وزير شاعر مصري (745-794هـ). انظر ترجمته في الدرر الكامنة 2/ 435. معجم المؤلفين 5/ 143.

(2) أ: وطيه.

(3) ج: تشرق.

جالبة السراء ... جليلة الأنباء
ماجنة خليعة ... ظريفة مطبوعة
أنا الشفيق الناصح ... أنا المجد المازح
اسلك[1] هذه الجماعة ... في طرق الخلاعة
جددت للأكياس ... عهد أبي نواس
إن تبتغي الكرامه ... وتطلب السلامه
اسلك مع الناس الأدب ... ترى من الدهر العجب
ألن لهم خطابا ... واعتمد الأدبا
تبلغ به الطلابا ... وتسحر الألبابا
عليك بالخلاعه ... والبس ردا القناعه
ولا تطاول بنشب ... ولا تفاخر بنسب[2]
فالمرء بن اليوم ... والعقل زين القوم
ما أحسن السياسه ... لطالب الرياسه
إن شئت تبق محسنا ... فلا تقل قط أنا
وإن أردت لا تهن ... إذا ائتمنت لا تخن
العز في الأمانه ... والكيس في الفطانه
والقصد باب البركه ... والخرف داع الهلكه[3]
لا تهضم الجليسا ... لا توحش الأنيسا
لا تصحب الخسيسا ... لا تسخط الرئيسا
لا تكثر العتابا ... تنفر الأصحابا

---

(1) ج: أسالك.

(2) النشب: المال والعقار. اللسان: نشب.

(3) هـ: مهلكة.

فكثرة المعاتبه تدعو إلى المجانبه
وإن جلست مجلسا بين سراة رؤسا/ [412/أ]
أقصد رضى الجماعه وكن غلام الطاعه
ودارهم باللطف واحذر وبال السخف
لا تلقين كاذبا لا تهمل الملاعبا
قرب الندامى ينجي للنرد والشطرنج
واختصر[1] السؤالا وقلل المقالا
ولا تكن معربدا ولا بغيضا نكدا
ولا تكن مقداما تسطو على الندامى
لا تمسك الأقداحا تنغص الأفراحا
لا تقطع الظرافه واستعمل اللطافه
لا تحمل الطعاما والنقل والمداما
فذاك في الوليمه شناعة[2] عظيمه
لا يرتقيها آدمي غير وضيع عادمي/ [507/ب]
و[قل][3] من الكلام ما لان بالمرام
كرائق الأشعار وطيب الأخبار
واترك كلام السفله والنكتة المبتذله
فقالت[4] الأكياس إذا أريق الكاس
بادره بالمنديل في غاية التعجيل

(1) ب: احتضر.
(2) هـ: سناعة.
(3) أ: قلل.
(4) أ: فقال.

فشملة الكرام ... سفنجة المدام

وإن رقدت عندهم ... فلا تشاكل عبدهم

فإن فعلت مرة ... فلا تعد يا عره[1]/ [621/ج454/هـ]

لا تامنن الثانية ... فإن تلك القاضيه

والرب فاحذره حذر ... فإنه إحدى الكبر

فيا لها فضيحه ... ومحنة قبيحه

فاعلها لا يكرم ... وإنه لا يرحم

كم أسكن الترابا ... ذو غيرة دبابا

وكم فتى من ذبه ... أصبح مفضي الثقبه

جازوه من حسن العمل ... وصار في الناس مثل

ليس له من آس ... كمثل بعض الناس

كفته تلك عره ... ومثلة وعشره

إياك والتطفيلا ... وشره الوبيلا

لا تقرب اللطاعة ... فإنها دلاعه

ولا تكن مبذولا ... كلا ولا ملولا

وإن دعوك الأخوه ... إلى ارتشاف القهوه

فلا تصفع[2] دقنكا ... ولا تزرهم بابنكا

ولا بشخص طارئ ... ولا بجار الدار

ولا بخل تألفه ... ولا صديق تعرفه

ولا تقل لمن تحب ... ضيف الكرام يصطحب

فهذه أمثال ... غالبها محال

---

(1) يقال فلان عرة: أي قذر. اللسان: عرر.

(2) هـ: تصنع.

يفعلها الأعراب السفلة السغاب[1]
وأن حللت مشربه مع سوقة[2] لا كتبه
أقلل من المدام في مجلس العوام
ولا تكن ملحاحا واجتنب المزاحا
فكثرة المجون ضرب من الجنون
فإنهم إن يمزحوا تمعرصوا[3] وقبحوا[4]
ورخصوا ودقنوا[5] وصفعوا ولعنوا
وسفهوا الرئيسا لو كان جالينوسا
وآخر الأمر الرضى وكل مفعول مضى
ففعل ذاك عار تجدوا به السمار
فعصبة العوام ضرب من الأنعام
وإن صحبت تركي فاصبر لاكل السكي
ذاك إذا تلطفا ولم يكن في جفا
وإن يكن ذا عربده ونزغة منكره
يقوم للجلوس بالسيف والدبوس
ابشر بضرب القوم وشر ذاك اليوم
إن رام منك المسخرة فانهض إلى المبادره
واعمل له معرصا إلا قتلت يا خصا
وسبه واسخر وقد وإن خلصت لا تد

(1) السغاب: الجياع. اللسان: سغب.

(2) أ، ب، ج: سقوة.

(3) أ، ب: تمعرضوا.

(4) تمعرصوا: أي نشطوا ومرحوا. اللسان: عرص.

(5) ساقطة من:هـ.

فاقبل كلامي واعتمد وصيتي واسمع وقد
ولا تخالف تندم ولا تغرر تعدم
فالشؤم في اللجاج والحر لا يراج
وبعد الوصيه للأنفس الأبيه
اختاره لنفسي وإخوتي وجنسي
لا تركب الجمالا لا تصعد الجبالا
لا تنكح القيلانا لا تقتل الديدانا
لا تصحب السباعا لا تطلع القاعا
[413/أ] لا تركب البحارا لا تسلك القفارا/
لا تنزل إلا ريافا لا تهجر السلافا
لا تندب الطلولا ولا تكن مهبولا
إياك جوب الأوديه إياك سوء الأغديه
[508/ب] لا تأكل الصبابا[1] لا تلج اليبابا[2]/
دعه لأهل المغرب ولجياع العرب
أكالة القنافذ في البيد والفدافد[3]
وثب إلى الرياض وثبة[4] ذي انتهاض
[622/ج] أما ترى الربيعا ونبته المريعا[5]/
من حاد عن طريقي غاب عن التوفيق

(1) أ: الضبابا.

(2) الصبابة: بقية الماء واللبن، تبقى في الإناء واليباب: الخراب الذي ليس فيه أحد. اللسان: صبب، يبب.

(3) الفدافد: واحدها فدفد، وهو الفلاة التي لا شيء فيها. اللسان: فدفد.

(4) هـ: واثبة.

(5) المريع: الخصب. اللسان: مرع.

أما[1] عرفت رسمي ... أما سمعت باسمي

سل[2] الندامى عني ... وإن تشأ فسلني

أنا الفتى المجرب ... أنا الحريف الطيب/ [455/هـ]

أنا أبو المدام ... أنا أخو الكرام

كأنني إبليس ... للهو مغناطيس

أمشي على أعطافي ... في طاعة الخلاف

أسعى إلى الأزهار ... في زمن النوار

أرد من ورود ... في دولة الورود

واظل يا فلان ... إن قيل بان البان

تحت سماء الزهر ... مع النجوم الزهر

كم ليلة ارقتها ... مع غادة علقتها

وطفاء مثل الريم ... ترفل في النعيم

لم أنسها لما بكت ... مثل اللئالي وشكت

بغنجها ودلها ... لذي سراري بعلها

قلت اتركيه وإلا ما ... بالله يا بدر السما

واستوطني داري ... وتكفي أذى[3] السراري

يا طيبها من ليلة ... لو أنها طويلة

ساعاتها قصار ... كلها أنوار

بدا بها الهلال ... يزينه الجمال

من جانب الغمامة ... كالحب في العمامة

---

(1) هـ: أمي.

(2) أ، ب، ج: سال.

(3) ج: إذا.

ولمعة السراج والصدع في الزجاج
وجانب المرآة والنعل[1] في الفلاة
أو كسقاة الأكؤس والحاجب المقوس
قلت له حين وفا ورق [لي][2] وانعطفا
معرفا كالنون وهيئة العرجون
يا صفوة الأقمار يا مبدي الأنوار
يا من يحاكي الغيهبه[3] والغادة المنقبه
وزورق السباحه والظفر في السياحه
فيا له حين وثب قربوس سرج من ذهب
كمنجل الأعمار وقطعة السوار
أو مخلب للطائر أو مثل نعل الحافر
يا مشبه القلامه هنيت بالسلامة[4]
والبدر في الدراري الكنس الجواري
ملك لذا سمائه يختال في بهائه
في وجهه آثار كأنه دينار
يشرف في الديجور كجامة من البلور
من الظلام ساري كالوجه في العذار
ووجنة الحبيب في لونها الغريب
من صبغة الرحمان لا وردة الدهان

(1) ج، هـ: الفعل.

(2) زيادة من: ج، هـ.

(3) أ، ب، هـ: الغيبه.

(4) القلامة: هي المقلومة عن طرف الظفر. اللسان: قلم.

والزهر بالأنواء ممسك الأرجاء
والقرط طاب ريا سقيا له ورعيا
والنهر وسط الخضره كأنه المجره
من شطه للشط مزمل بالقرط
والغيث[1] في انسكاب بنعمة الرباب
فوق بساط الزهر مثل النجوم الزهر
والورق في الأوراق قد شرقت أشواق
في حب ذات طوقي حملت فوق طوقي[2]
حمامة تطوقت واختضبت[3] وانطلقت
تشدوا على الأراك ساخرة بالباكي[4]
راسلها شحرور انطقه السرور
موشح بغيهب فوق رداء مذهب
واستنشد النسيبا فأحسن التشبيبا
فبادر التغزلا واستجل كاسك الملا/ [623/ج]
فإنما الدنيا فرص/ إن تركت عادت غصص[5] [509/ب]
ورحمة الرحمان تعم كل جان
فإنه كريم وفضله عميم
فهاكها وصيه تصحبها التحيه/ [414/أ]

(1) أ: الغيب. والطوق: الطاقة، فوق طوقي أي فوق وسعي. اللسان: طوق.

(2) ساقطة من: ج.

(3) أ، ب: احتظبت.

(4) أ، ب: بابناكي.

(5) الغصص: ج غصة وهي الشجا يغص به في الحنجرة. اللسان: غصص.

تـحـمـلـهـا الـكـرام إلـيـك والـسـلام[1]

حُكي عن أبي عمرو الهاشمي أنه قال: مررت براهب من العُبَّاد في موضعه وسط صومعة/ فجرت بيني وبينه مؤانسة، فكنت أختلف إليه وأسأله، فكان مما جرى بيننا ما أنا ذاكر بعد. فمنه أني قلت له: يا راهب! من تعبد؟ قال: الله الذي خلق كل شيء بقدرته وألفه بحكمته، لا تبلغ الألسن وصف عظمته، ولا العقول كنه قدرته، له الحمد على ما نتقلب فيه من نعمته التي صحت بها الأبدان، وأنارت بها الأبصار، ودعت بها الأسماع، ونطقت بها الألسن، وسكنت بها العروق، وامتزجت بها الطبائع. قلت: يا راهب! فما فضل الحكمة؟. قال: خوف الله تعالى. قلت: فما أكمل العقل؟ قال: معرفة الإنسان بقدرته. قلت: فما أوفر الحلم؟ قال: الإنسان عند سماع شتمه. قلت: فما أصون المروءة؟ قال: استبقاء الرجل ما جمعه. قلت: يا راهب! كيف رأيت الزمان؟ قال: يخلف الأبدان ويجدد الآمال ويدني من المنية ويبعد من الأمنية. قلت: فما حال أهله [فيه][2]؟ قال: من ناله تعب ومن فاته أسف. قلت[3]: فأي شيء الغنى عنه؟ قال: قطع الرجاء منه. قلت: فما يعين على ذلك؟ قال: أن تجعل بقية يومك أفضل عملك. قلت: يا راهب! فلم غلقت على نفسك؟ قال: لأحبس هذا السبع عن الناس، وأشار بيده إلى لسانه. قلت: فمن أين تعيش؟ قال: [من تدبير الحي القيوم][4]. الذي خلق الرحى يأتيها بالطحين. وأومأ إلى أضراسه. قلت: فلم لا تنزل إلينا فتخالطنا؟ قال: إن الأشياء الموبقة المؤثمة تكون بينكم، فالسلامة منها في الوحدة. قلت:

[456/هـ]

---

(1) الأرجوزة وردت في الديوان ورقة: 45-50 وذكرها الزركلي في الأعلام قال: إنها على نسق الصادح والباغم وتوجد في دار الكتب المصرية. انظر ج7/ 310، ووردت في الكشكول على الصفة التي ذكرها المؤلف من حيث انكسار الوزن وترتيب الأشطر. انظر ج 1/ 67.

(2) زيادة من: ج.

(3) ساقطة من: هـ.

(4) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

فكيف صبرك على الوحدة؟ قال: لو ذقت حلاوتها لأوحشتك من الناس. قلت: فكيف صبرك على قيام الليل؟ قال: بقدر الطاقة. قلت: ومن يلتذ بذلك ويصبر عليه؟ قال: العشاق المواظبون عليه. قلت: فلم لبست السواد؟ قال: لأن الدنيا دار مأتم وأهلها في حداد، الثكلى إذا حزنت لبست السواد، ولا مصيبة أعظم من المصيبة بالنفس. قلت: فهل تضحك؟ قال: كيف يضحك من عمره ينقص وأعماله تحفظ والموت أمامه والقبر مورده، وهول الحساب بين يديه، وما يدري ما يصنع الله تعالى به. قلت/ : فكيف ذكرك للموت؟ قال: ما أطرف[1] طرفة إلا رأيت أني قد مت. قلت: فما لنا نكره الموت ونرتاع إلى ذكره؟ قال: لأنكم عمرتم دنياكم وأخربتم آخرتكم، فأنتم تكرهون الانتقال من العمران إلى الخراب. قلت: فهل تفرح لفرح أهل الدنيا وتغتم لغمهم؟ قال: لا. قلت: ولم؟ قال: لعلمي بأنه ليس شيء من أمور الدنيا إلا سيفارقك أوتفارقه. قلت له: إن لي مقدرة فسلني حاجة. قال: تنجيني من النار وتدخلني الجنة. قلت: ليس ذاك إلي. قال: فما لي غير ذلك حاجة. قلت: فاسألني ما تناله يدي. قال: ذلك ما أرضاه لك فكيف لنفسي؟ قلت: فعظني، قال: أبلغ الموعظات النظر إلى محل الأموات، والفكر في حوادث الآفات، وتغير الأحوال في مرور الساعات. قلت: يا راهب! زدني/ قال: عظم ربك عز وجل، أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك، ولا تكسب حراما فتنفقه في حلال، فإن تركه أقرب إلى الله عز وجل. وأقنع، فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، وأد الأمانة ولا تظلم ﴿فإن الله لا يظلم الناس شيئا﴾[2] وإنه ليأخذ من القوي للضعيف، واعلم أن الدنيا كالرؤيا في المنام، إذا اجتمعت لم يحصل لك منها شيء. ولا تنازع أحدا عليها، فكم طالب لها لم يدرك ومدرك لم يتمتع، واستحيي ممن هو أقرب إليك من حبل الوريد، واذكر الموت وفكر في قِصَر عمرك الذي

[624/ج] [510/ب]

(1) أطرف: أطبق أحد جفني على الآخر. اللسان: طرف.

(2) يونس: 44.

هو أجلك كي لا يبعد أملك، وفكر في ضعف خلقك وأن مبدأك نطفة، ومصيرك إلى حفرة، لتصغر نفسك، ويعظم عقلك، واحزن على ما مضى من عمرك في غير/ [457/هـ] طاعة الله تعالى، وأكثر من البكاء على كثرة ذنوبك، وأعلم أن الحسرة/ والندامة إنما [415/أ] يأتيانك حين ينزل بك[1] الموت، فلا أنت في عملك زائد[2]، ولا إلى الجد والتأهب عائد، واعرف فاقتك إلى رحمة ربك جل جلاله، وإذا شيعت جنازة فكن كأنك المحمول، ولا تنسى من لا ينساك، واحسن سريرتك يحسن الله علانيتك، واعلم أن من خاف الله تعالى أخاف الله منه كل شيء، وتجنب هواك في غير طاعة[3] الله تعالى، فطالما أرداك وأطغاك، ولا تغير فتبتلى، واستعمل التواضع وتوق العجب ولا تعجل فتندم، ولا تحقد فتكدر عيشك، ولا تشمت فيشمت بك، وإذا وصلك الأذى[4] من أحد فاغلبه بالخير لا بالشر، وعليك بجميل الصبر والاحتمال لا بالمقاومة والانتقام، فإن لك من يحفظ عليك ويستقصي حقوقك، والهج بالصدق والحلم تقبل، واصفح تمهل، وارحم ترحم، وأقل تقال، «إنه كما تدين تدان»[5] وكن في السراء شكورا، وفي الضراء صبورا، متحملا متجملا، ولا تجد بدينك ولا تبخل بمالك، بل كن بمالك جوادا وبدينك ضنينا بخيلا، ولا تشرب المسكر/ [625/ج] فعاجله غرامة وآجله ندامة أوهتكة وملامة، وارض للناس ما ترضاه لنفسك، فإنه كمال الوصايا وصلاح الدين والدنيا والسلام.

حُكي أن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: أوصاني رسول الله ﷺ فقال: يا معاذ! أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك

---

(1) هـ: به.

(2) ج: غير زائدة.

(3) ساقطة من: ج.

(4) زيادة من: ب، ج.

(5) الحديث ورد في الأسماء والصفات للبيهقي: 79.

الخيانة وحفظ الجار، ورحمة اليتيم، ولين الكلام، وبذل السلام، وحسن العمل، وقصر الأمل، ولزوم الإيمان، والتفقه في القرآن، وحب الآخرة، والجزع من الحساب وخفض الجناح، وإياك أن تسب حكيما، أوتكذب حاذقا أوتقصي إماما عادلا، وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر، وأن تحدث لكل ذنب توبة بالسر والعلانية أوكما قال ﷺ[1].

حُكي أن السفاح كان يحب مجالسة الرجال ويكره مجالسة النساء، ويقول: العجب ممن يترك أن يزداد علما ويختار أن يزداد جهلا، فقال أبو بكر الهذلي: ما تأويل هذا الكلام؟ فقال: يترك مجالسة الرجال مثلك وأمثالك ويتوصل إلى جارية أو امرأة فلا يزال يسمع سخفا ويرى نقصا فقال له الهذلي: ولذلك فضلكم الله تعالى على العالمين وجعل منكم محمدا خاتم النبيئين ﷺ وعلى جميع الأنبياء والمرسلين[2].

حُكي أن الربيع قال يوما للمنصور بالله: يا أمير المؤمنين! ألا ما أحببت ولدي الفضل، فقال له المنصور: المحبة لا تكون إلا بتقدم أسباب منه، من الخير والإحسان توجب محبتي له فقال الربيع: ذلك إليك، وقد أمكنك منه من إيقاع الأسباب. قال: وما ذلك؟ قال الربيع: تتفضل عليه، فإذا تفضلت عليه أحبك، وإذا أحبك أحببته، فقال المنصور: قد أحببته من غير سبب ولا عطاء، ولكن لِـمَ سألت له المحبة دون غيرها؟ فقال الربيع: لأنك إذا أحببته كبر عندك صغير إحسانه وصغر عندك كبير سيئاته. فقال [له][3] المنصور: صدقت/ وأعجبه ذلك. [511/ب]
وقال المنصور يوما للربيع: ويحك، ما أطيب الدنيا لولا الموت! فقال له الربيع:

---

(1) الحديث ورد في إتحاف السادة المتقين للزبيدي 6/ 262 وحلية الأولياء 1/ 241.
(2) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 107-108 مع اختلاف قليل بين الروايتين.
(3) زيادة من: ب.

لولا الموت لم تقعد هذا المقعد فقال: صدقت[1].

حُكي[2] أنه دخل عمرو[3] بن عبيد[4] على المنصور بعدما بايع للمهدي، فقال له المنصور: يا أبا عثمان! هذا ابني وولي عهدي، فقال له عمرو: أراك قد وطأت له الأمور وهي تصير إليه، وأنت مشغول[5] عنه. قال: فبكى المنصور وقال له: عظني يا عمرو[6] فقال: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها، وإن هذا الأمر قد أصبح/ في يديك وهو ذاهب عنك، ولوبقي في يد غيرك ما وصل إليك، فاحذر ليلة تسفر عن يوم لا ليلة بعده، ثم أنشد يقول/ :

[626/ج] [458/هـ]

[البسيط]

يا أيُّها ذَا الذي قد غره الأمل	ودون ما يأمل التنغيص والأجل
ألا ترى انما الدنيا وزينتها	كمنزل حل فيه الركب وارتحلوا
حقوقها غرر مذ عيشها نكر	وصفوها كدر م ملكها دول
يظل يفزع بالروعات ساكنها	فما يدوم لها حزن ولا جدل
كأنه للمنايا والردى عرض	تظل منه بنات الدهر تنتصل
والنفس هاربة والموت يرصدها	وكل عثرة رجل عندها زلل
والمرء يسعى لما يبقى لوارثه	والغير وارث ما يسعى له الرجل[7]/

[416/أ]

قيل: مات عمرو بن عبيد الله هذا رحمه الله في أيام المنصور سنة أربع وأربعين

(1) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 56.

(2) ساقطة من:هـ.

(3) أ، ب، هـ: عمر.

(4) أبو عثمان عمروبن عبيد بن باب، المتكلم الزاهد المشهور (80-144هـ). راجع تاريخ بغداد 12/ 166. الوفيات 3/ 460. البداية والنهاية 10/ 78.

(5) في مروج الذهب: مسؤول.

(6) هـ: عمر.

(7) الأبيات وردت في مروج الذهب 4/ 158 مع اختلاف في الرواية.

ومائة[1].

حُكي أن الواثق قال يوما لجماعة الحكماء، وقد حضروا بمجلسه للمناظرة: اخبروني بأحسن ما نطق به الحكماء الذين حضروا وفاة الاسكندر، وقد جعل في تابوت الذهب. فقال بعضهم: كل أحسن فيما ذكر، وأحسن من نطق ممن حضر ذلك المشهد من الحكماء ديوجانس[2] وقد قيل إنه من بعض الحكماء[3] الهند. فقال: إن الإسكندر كان أمس أنطق من اليوم، وهو اليوم أوعظ منه[4] أمس، وقد أخذ هذا المعنى أبو العتاهية فقال:

[الوافر]

كفى حزنا بدفنك ثم إني ... نفضت تراب قبرك من يديا

وكانت في حياتك لي عظات ... فأنت اليوم أوعظ منك حيا[5]

فاشتد بكاء الواثق وعلا نحيبه وبكى من حضر[6] من الناس، ثم قام من فوره وهو يقول:

[الرمل]

لصروف الدهر في تقديره ... حكم فيها ارتفاع وانحدار

بينما الناس على غفلتهم ... إذ هووا فيهوة منه فجار[7]

أنها متعة قوم ساعة ... وحياة المرء ثوب يستعار[8]

---

(1) الحكاية وردت في المرجع السابق 4/ 157.

(2) ذكره المسعودي في تاريخه بهذا الاسم. انظر ج 4/ 382.

(3) ج: وهو من الهند.

(4) أ، ب، ج: منك.

(5) البيتان وردا في الديوان: 492. ومروج الذهب 4/ 382.

(6) أ، ب، ج: حضره.

(7) ب، هـ: فصاروا.

(8) الأبيات وردت مع الحكاية في مروج الذهب في نفس الجزء والصفحة مع اختلاف واضح بين الروايتين.

حُكي أن الراضي بالله حدث في عنفوان شبابه خبرا في الكبر وغيره من الخصال التي توجد في أهل الرئاسات مما يحمد فيهم وما يكره منهم، من الأخلاق، فكتب ذلك بخطه ولقد رئي مواضبا على درسه إلى أن استكمل إتقانه، وداخله لذلك/ [512/ب] طرب وأريحية وفرح لم يعهد منه، ثم قال: لعل الزمان يبلغ بي إلى أن أتأدب بهذه الآداب، وأكون في مرتبة من يرتاض بها. وهي قول القائل[1]: من عظم كبره اشتد/ عجبه، ومن استبد برأيه ولم يشاور كفؤا، ولم يشاور نصيحا، كان تدميره [627/ج] في تدبيره، ومن تبجح بالإعجاب وفخر بالاستبداد كان من النجح بعيدا ومن الخذلان قريبا، والخطأ مع الجماعة خير من الصواب مع الفرقة ومن تكبر على عدوه حقره، وإذا حقره تهاون بأمره، ومن تهاون بأمر عدوه ووثق بفضل قوته، وسكن إلى جمع عدته قل احتراسه، ومن قل احتراسه كثر عثاره، وما رأيت خصما تكبر على صاحب حرب قط، إلا كان منكوبا ومهزوما ومخذولا. لا والله، كن أسمع من فرس، وأبصر من عقاب، وأهدى من قطاة، وأحذر من عقعق، وأشد إقداما من أسد، وأوثب من فهد، وأحقد من جمل، وأروغ من ثعلب، وأسخى من ديك، وأسنح من ظبي، وأحر من كركي، وأحفظ من كلب. وأصبر من ضب، وأجمع من نمل، فإن النفس إنما تسمح على قدر الحاجة، وتحفظ على قدر الخوف، وتطمع على قدر السبب، وقد قيل/ : ليس لمحب رأي، ولا لمتكبر صديق، ومن [459/هـ] أحب أن يحب تجنب[2].

حكى محمد بن علي[3] قال: قلت للمهتدي يوما وقد خلوت به وقد أكثرنا من ذكر آفات الدنيا ومن مال إليها ومن انحرف عنها ومن زهد فيها: ما بال العاقل

---

(1) هو قول قتيبة بن مسلم الباهلي والي الحجاج على خراسان (راجع مروج الذهب 5/ 222.)-

(2) الحكاية وردت في نفس الجزء والصفحة من المرجع السابق.

(3) لعله هو محمد بن علي الربعي كما في مروج الذهب. ولم أجد ممن يلقب بالربعي من اسمه محمد بن علي، سوى محمد بن عبد الله الربعي المؤرخ لكنه ليس من معاصري المهتدي.

المميز مع علمه بعظيم آفات الدنيا وسرعة انقلابها وإزالتها وغرورها لطالبها، يأنس بها؟ فقال لي المهتدي: حق له[1] ذلك منها، فهي أمه، وفيها نشأ فهي عيشه، ومنها قدر رزقه، فهي حياته، وفيها يعاد فهي كفايته، وفيها اكتسب الخير[2]، فهي مبدأ سعادته، والدنيا ممر الصالحين إلى الجنة فكيف لا يحب طريقا تأخذ سالكها إلى الجنة، يرى فيها نعيما، لا يزال[3] حاله مخلدا إن كان من أهلها[4].

حكي أنه عرض على المهتدي دفاتر من خزائن الكتب فإذا على ظهر كتاب أبيات قالها المعتز[5] بالله وكتبها بخطه وهي:

[البسيط]

إني عرفت علاج الطب من وجعي ... وما عرفت علاج الحب والخدع

جزعت للحب والحمى صبرت لها ... إني لأعجب من صبري ومن جزعي

من كان يشغله عن إلفه وجع ... فليس يشغلني عن حبكم وجعي/ [417/أ]

وما[6] أمل حبيبي ليتني أبدا ... مع الحبيب ويا ليت الحبيب معي[7]

قال: فلما قرأها المهدي، قطب وقال: حداثة سن وسلطان وعز وملك وشباب، كيف بنجاته؟

حُكي أنه قيل لابن أدهم[8] ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا، وقد قال الله تعالى:

(1) أ، هـ: لك.

(2) في مروج الذهب 5/ 10 3/ (الجنة)-.

(3) في مروج الذهب 5/ 10 3/ لا يزول خالدا مخلدا) وأظنه الصواب.

(4) الحكاية وردت في نفس المرجع 5/ 103

(5) هـ: للمعتز.

(6) هـ: ولا.

(7) الأبيات وردت مع الحكاية في المرجع السابق 5/ 101-102.

(8) إبراهيم بن أدهم بن منصور، التميمي، أبو إسحاق، زاهد مشهور توفي حوالي 161هـ. حلية الأولياء 7/ 367. فوات الوفيات 1/ 4. البداية والنهاية.1/ 153.

﴿ادعوني استجب لكم﴾[1] فقال إبراهيم: لأن قلوبكم ميتة، قيل: وما الذي أماتها؟ قال: ثمان خصال: عرفتم حق الله تعالى فلم تقوموا بحقه، وقرأتم القرآن فلم [628/ج] تعملوا/ بحدوده، وقلتم بحب رسول الله ﷺ فلم تعملوا بسنته، وقلتم نخشى الموت فلم تستعدوا له، وقال الله تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدوفاتخذوه عدوا﴾[2] فواطأتموه على المعاصي، قلتم نخاف النار فأحرقتم[3] أبدانكم في النار، وقلتم نحب الجنة فلم تعملوا لها، وإذا قمتم من فروشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم [513/ب] وقدمتم/ عيوب الناس أمامكم فأسخطتم ربكم، فكيف يستجيب لكم؟[4].

حُكي عن ذي النون المصري، رحمه الله، قال: مررت بطبيب وعنده جماعة بأيديهم قوارير[5] بالماء الآسن[6] فإذا هو يصف لكل واحد ما يوافقه، فدنوت منه، وسلمت عليه، وقلت له: صف لي دواء للذنوب يرحمك الله، وكان هذا الطبيب صاحب عقل، فأطرق ساعة [ثم رفع رأسه][7] وقال لي: يا فتى إن وصفت لك الدواء تفهم؟ قلت: نعم، إن شاء الله تعالى. فقال لي: خذ يا فتى عروق الفقر مع ورق الصبر واهليلج[8] التواضع وابليلج الخشوع، ثم ألقه في هاون التوبة فاسحقه ناعما واطرحه في مرجل التقى وضع عليه ماء الخوف وأوقد تحته نار الشوق و حطب التوفيق وحركه بعود العصمة حتى يزبد وخلطه بزبد الحكمة ثم

---

(1) غافر: 60.

(2) فاطر: 6.

(3) أ، ب، ج: فأرهقتم.

(4) الحكاية وردت في فيض القدير 3/ 541.

(5) أ، ب، ج: القوارير.

(6) أ، ب، هـ: الأس. والآسن من الماء: إذا تغير ونتن، فهو غير مشروب. اللسان: أسن.

(7) ما بين معقوفين ساقط من:ه.

(8) المليلج، والإهليلج: عقير من الأدوية معروف. اللسان:هلج.

صفه في منخل[1] التفكر ثم صبه في جام الرضى وروحه بمروحة الحمد حتى يبرد، فإذا برد ضعه في إناء المناجات، ثم امزجه بماء التوكل ودوره بمعلقة الاستغفار، ثم استعمل منه بعد البسملة وتمضمض بعده بماء الورع واستحم عن الحرام حتى تموت، فإنك لا تصيب بعده معصية أبدا إن شاء الله تعالى.

حُكي في قصة المخلفين عن عبد الله بن كعب بن مالك[2] أنه حدث بحديث تخلفه عن رسول الله، ﷺ، في غزوة تبوك[3]، قال كعب رضي الله عنه: لم أتخلف عن رسول الله، ﷺ، في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحد تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ/ يريد عير قريش [460/هـ] حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة[4] حتى تواثقنا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها. كان من خبري أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزاة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا[5] ورى بغيرها. حين كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعدوا/ كثيرا، فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم [629/ج] بوجهه الذي يريد والمسلون مع رسول الله ﷺ كثيرون لا يجمعهم كتاب حافظ،

---

(1) المنخل: ما ينخل به، ويقال نخلت الأدوية، أي استصفيت أجودها. اللسان: نخل.

(2) عبد الله بن كعب بن عمرو النجاري الأنصاري، صحابي شهد بدرا وغزوات أخرى توفي حوالي 30هـ. راجع الإصابة 2/ 362. والأعلام للزركلي 4/ 115. والذي تخلف عن تبوك هو كعب بن مالك، وليس عبد الله بن كعب بن مالك، راجع سيرة ابن هشام. وسراج الملوك: 139.

(3) غزوة تبوك: آخر غزوة غزاها الرسول ﷺ، وتبوك عين بأرض الشام، نزل بها الرسول ﷺ، فأمر ألا يمس أحد من مائها، فسبق إليها رجلان فجعلا يدخلان فيها سهمين، فقال لهما الرسول: ما زلتما تبوكان. فسميت بذلك تبوك. معجم البلدان: تبوك.

(4) العقبة: تقع بين مكة ومنى، ومنها ترمى جمرة العقبة. معجم البلدان: عقب.

(5) ورى: أي ستر وكنى عن الشيء بغيره. اللسان: وري.

يريد الديوان، قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله. وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه فطفقت أغدولكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض[1] شيئا، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد الناس الجد فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ولم أقض [من جهازي][2] شيئا [فقلت أتجهز بعده بيوم أويومين ثم ألحقهم، فغدوت، بعد أن فصلوا[3]، لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئا][4] ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئا، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلا مغموصا[5] عليه بالنفاق، أورجلا ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوكا/ فقال وهو جالس/ [418/أ][514/ب] في القوم بتبوك: ما فعل كعب؟ قال رجل من بني مسلمة: يا رسول الله! حبسه برداه ونظره في عطفه، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت! والله يا رسول الله، ما علمت عليه إلا خيرا، فسكت رسول الله ﷺ، قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلا حضرني همي وطفقت أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخطه غدا؟ واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد ظل قادما، ما زاح عني الباطل، وعرفت أني لن أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله ﷺ قادما وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا

(1) ج: أمضى.

(2) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(3) هـ: فضلوا.

(4) ما بين معقوفين ساقطة من: ج.

(5) مغموص عليه بالنفاق: أي مطعون في دينه متهما بالنفاق. اللسان: غمص.

يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله، فجئته، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال: تعال، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟ فقلت: بلى إني والله لوجلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من [سخطه][1] بعذر، ولقد أعطيت جزلا[2]، ولكني والله [لقد علمت][3] لئن حدثتك اليوم حديث كذب[4] ترضى/ به عني [630/ج] ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه أني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله ﷺ: أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك. فقمت، وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك، كنت أذنبت ذنبا قبل هذا، ولقد عجزت/ ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما [461/هـ] اعتذر به المخلفون. قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله، ﷺ، لك فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم. رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما: مثل ما قيل لك. فقلت: من هما؟ قالوا مرارة بن الربيع العامري[5] وهلال بن أمية[6] الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدوا بدرا فيهما إسوة، فمضيت حين ذكروهما لي، ونهى

---

(1) أ، ب: سخطك.

(2) هـ: جدلا.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: ب.

(4) ساقطة من: ج.

(5) مرارة بن الربيع الأنصاري الأوسي من بني عمرو بن عوف أحد الثلاثة الذين نزلت فيهم ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا...﴾. راجع الإصابة 3/ 359 - 396.

(6) هلال بن أمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم، الواقفي، شهد بدرا وما بعدها. راجع الإصابة 3/ 606-607.

رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا نحن[1] الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس، فتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض، فماهي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، وكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، آتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي:هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟ ثم أصلي قريبا منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، وإذا التفت نحوه أعرض، حتى طال علي ذلك، من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي وأحب الناس إلي، فسلمت عليه، فوالله ما رد علي السلام، فقلت: يا أبا قتادة! أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار. قال: فبينما أنا أمشي بسوق المدينة/ إذا نبطي من أنباط أهل الشام، [515/ب] ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إلي كتابا من ملك غسان، فإذا فيه أما بعد: فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدارهوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسيك[2] فقلت لما قرأتها: وهذا أيضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته بها[3]، حتى إذا مضت أربعون ليلة من/ الخمسين إذا برسول رسول الله ﷺ يأتيني [631/ج] [فقال][4]: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك. فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ فقال لا، بل اعتزلها ولا تقربها وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك. فقلت

---

(1) في جميع النسخ: أيها الثلاثة، والصواب ما أثبتناه.

(2) ج: نواسك.

(3) سجرت التنُّور: أي أوقدته. اللسان: سجر.

(4) زيادة من: ج.

لامرأتي: ألحقي بأهلك، فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه؟ قال: لا ولكن/ لا يقربك. قالت: [419/أ] إنه[1] والله ما به[2] حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومنا هذا، فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما أذن لامراة هلال بن أمية أن تخدمه؟ فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله، ﷺ وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب؟ فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله، ﷺ، عن كلامنا، فلما صلينا صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله، قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع[3] بأعلى صوته، يا كعب بن مالك! أبشر. فخررت ساجدا، وعرفت أن قد جاء فرج وأذن رسول الله، ﷺ، بتوبة الله/ علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشرونا وذهب قبل [462/هـ] صاحبي مبشرون، وركض رجل إلي فرسا، وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل وكان الصوت أسرع من الفرس. فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، نزعت له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله، ﷺ، فتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئوني بالتوبة، يقولون: لتهنئك توبة الله عليك. قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله[4] يهرول حتى صافحني

---

(1) هـ: أنا.

(2) ب: له.

(3) سلع: جبل بسوق المدينة المنورة. راجع معجم البلدان: سلع.

(4) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، مات سنة 36هـ. راجع الإصابة: 2/ 230.

وهنأني، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة. قال كعب: فلما سلمت على رسول الله، ﷺ، قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك. قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال/ : لا: بل من عند الله، وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار [632/ج] وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله صلى الله! إن توبتي أن انخلع من مالي صدقة إلى الله تعالى وإلى رسوله، قال رسول الله ﷺ: أمسك عليك بعض مالك، فهوخير لك. قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، فقلت: يا رسول الله!/ إنما نجاني الله[1] بالصدق، وإن توبتي [516/ب] ألا[2] أحدث إلا صادقا[3] ما بقيت، فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث مذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني، وما تعمدت مذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذبا، وإني لأرجوأن يحفظني الله فيما بقيت، وأنزل الله عز وجل، على رسول الله ﷺ: ﴿لقد تاب الله على النبيّ والمهاجرين والأنصار﴾ إلى قوله ﴿وكونوا مع الصادقين﴾[4] فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ ألا[5] أكون كذبته فأهلك كما أهلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد، فقال الله عز وجل: ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم﴾[6] إلى قوله: ﴿فإن الله لا يرضى على القوم الفاسقين﴾[7] قال كعب: وكنا تخلفنا أولائك الثلاثة

---

(1) عبارة أ: الله إنما نجاني.

(2) أ، ب: أن لا.

(3) ج، هـ: صدق.

(4) التوبة: 118-120.

(5) أ، ب: أن لا.

(6) التوبة: 95، وتمام الآية: ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم﴾.

(7) التوبة: 96، وتمام الآية: ﴿فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾.

عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجا رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال الله عز وجل: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾[1] وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه[2].

حُكي عن المنصور أنه قال لعمرو بن عبيد الله: عظني فقال له: بما رأيت أوبما سمعت؟ قال بما رأيت. فقال له: مات عمر بن عبد العزيز فخلف سبعة عشر دينارا كفن منها بخمسة دنانير واشتري موضع قبره بدينارين وأصاب كل واحد من ولده ثمانية عشر قيراطا[3]من الذهب، ومات هشام بن عبد الملك فخلف[4] أحد عشر ابنا فأصاب كل واحد من ولده[5] ألف ألف دينار، ثم رأيت رجلا من ولد عمر بن عبد العزيز حمل في يوم واحد على مائة فرس في سبيل الله مائة فارس ونفقتها، ورأيت رجلا من ولد هشام يسأل التصدق عليه[6].

حُكي أن بعض الأعراب قدم من سفر فلقيه بعض/ أصحابه فسأله الأعرابي [463/هـ] عن أبيه فقال: مات. فقال: الحمد لله ذهب همي، ثم سأله عن أخته فقال: ماتت. فقال/ : الحمد لله الذي ستر عورتي، ثم سأله عن امرأته فقال: ماتت، فقال: الحمد [633/ج] لله الذي جدد فراشي. ثم سأله عن أخيه فقال: مات. فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله/ العلي العظيم انقطع ظهري. [420/أ]

---

(1) التوبة: 118، وتمام الآية: «وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم».

(2) الحكاية وردت في السيرة لابن هشام 4/ 519 وسراج الملوك: 139-140.

(3) القيراط: وزن معروف، وهو نصف دانق، ويقال هو جزء من أجزاء الدينار وهو نصف عشر. انظر اللسان: قرط.

(4) أ، ب: وخلف.

(5) ما بين معقوفين ساقط من: ب.

(6) الحكاية وردت في نثر الدر في المحاضرات 7/ 68، والتذكرة الحمدونية 9/ 225.

حُكي أنه كان رجل من الكوفة كثير التعب والنصب لا يستريح وهو في حوائج الناس، وإدخال السرور على إخوانه، والموافقة لهم، وكان رجلا عفيفا في دينه وأمانته، لين الكلمة للإخوان، فقيل له يوما: أخبرنا ما الذي هون عليك النصب، وقواك على التعب في حوائج إخوانك وأصدقائك وما الباعث لك على ذلك؟ فقال: والله لقد سمعت تغريد الأطيار على الأشجار بالأسحار، وتجاوب العود والمزمار، وسمعت فنون العيدان والقيان الحسان فما طربت من صوت كطربي من لسان يثني على رجل محسن وشكر رجل لمنعم فقيل له: لله درك! لقد حشيت كرما وجودا.

[517/ب] حكى منصور بن الأزهر/ قال: أتيت باب المأمون فإذا ابن أبي خميصة[1] قد خرج واللواء بين يديه فأثنى رجله على معرفة[2] دابته وأنشأ يقول:

[المنسرح]

كم رفيع القناة قد وضع الدهر ... وكم ذي مهانة[3] رفعه

قد يجمع المال غير اكله ... ويأكل المال غير من جمعه

فارض من الدهر ما أتاك به ... من قر عينا بعيشه نفعه[4]

قال منصور: فلما كان في خلافة المنتصر بالله ولي أيضا فوافيته [في][5] ذلك الموضع ففعل فعله الأول وأنشد:

---

(1) لعله أراد مروان الأصغر بن أبي الجنوب، وهو شاعر عباسي مدح المأمون والواثق.

(2) المعرفة بالفتح: منبت عرف الفرس. اللسان: عرف.

(3) أ، ب: مهابة.

(4) الأبيات ورد البيتان الأخيران منها في العقد الفريد 3/ 208، وهي من شعر الأضبط بن قريع بن عوف، شاعر جاهلي، انظر الشعر والشعراء 1/ 390 وخزانة الأدب 4/ 591.

(5) زيادة من: ب، ج.

[الرجز]

وقائد يحف في أعوانه   مثل حفيف الهيف في جفانه[1]

أما لقاك بعد في أردانه   خفت فعل الجوز في أوانه[2]

فاسجد لقرد السوء في زمانه   وداره ما دمت في مكانه

قلت: وقد كانت للقرود حقيقة دولة.

(1) الهيف والهوف: ريح حارة ذات سموم تعطش المال وتيبس الرطب. اللسان: هيف.

(2) الأردان: مفردها ردن، وهو مقدم كم القميص وقيل هو القميص كله. اللسان: ردن.

الباب السادس والثلاثون

في الزهد في الدنيا والثقة بما عند الله

حُكي أنه كان للرشيد ولد قد بلغ من العمر ست [عشرة سنة][1]، وكان قد وافق[2] العباد والزهاد، يخرج إلى[3] المقابر كل يوم ويقول: قد كنتم قبلنا تملكون الدنيا فأراها غدرت[4] بكم، وقد صرتم إلى قبوركم، فيا ليت شعري ما قلتم وماذا قيل/ لكم؟» ويبكي وينشد: [634/ج]

[الوافر]

تروعني الجنائز كل يوم ويحزنني بكاء النائحات

فلما كان في بعض الأيام مر على أبيه وحوله وزراؤه، وأكابر دولته وأهل مملكته وعليه جبة من صوف، فقال بعضهم لبعض: قد فضح هذا الولد الرشيد بين الملوك، فلوعاقبه لعله يرجع عما هو فيه. قال الراوي: فكلمه الرشيد في ذلك فقال له: يا بني! لقد فضحتني بما أنت عليه، فنظر إليه ولم يجبه ثم نظر إلى طائر على شرافة/ [464/هـ] القصر فقال: أيها الطائر! بحق من خلقك إلا نزلت على يدي، فانقض الطائر على يد الغلام، ثم قال له: ارجع إلى موضعك، فرجع، فقال له: بحق من خلقك إلا سقطت على كف هارون، فلم يسقط. فقال له الغلام: أنت الذي فضحتني بحبك في الدنيا، وقد عزمت على مفارقتك، ولم يتزود منه بشيء إلا مصحف وخاتم،

---

(1) ما بين معقوفين ساقط من:ه.

(2) ج: وافى.

(3) ساقطة من:ه.

(4) أ: غدت.

وانحدر إلى البصرة وكان يعمل مع الفعلان[1] في الطين، وكان لا يعمل إلا يوم السبت بدرهم ودانق[2] يتقوت به، كل يوم دانق، قال أبو عامر البصري: كان قد وقع في داري حائط فخرجت أطلب من يعمله، فرأيت غلاما لم أر أحسن منه وجها وكان بين يديه زنبيل وهو يقرأ في مصحف فقلت له: يا غلام! أتعمل؟ قال: ولم لا أعلم وللعمل خلقت؟ ولكن أخبرني في أي الأعمال تستعملني؟ فقلت: في الطين. فقال: بدرهم ودانق، وأصلي صلاتي. قلت: لك ذلك. ثم مضيت به إلى العمل وتركته يعمل. فلما كان المغرب جئت فوجدته قد عمل عمل عشرة رجال.

[518/ب] فوزنت له درهمين، فقال: يا أبا عامر! ما أصنع بهذا؟ وأبى/ أن يقبل، فوزنت له الدرهم والدانق. فلما كان من الغد خرجت إلى السوق في طلبه فلم أجده، فسألت

[421/أ] عنه،/ فقيل لي: إنه لا يعمل إلا يوم السبت ولا نراه إلا يوم السبت الثاني. قال: فأخرت العمل إلى يوم السبت، ثم أتيت السوق فإذا هو على تلك الحال فسلمت عليه وسألته العمل فقال بمقالته الأولى، فمضيت به إلى العمل ووقفت أنظر إليه وهو لا يراني فأخذ كفا من الطين فتركه على الحائط وإذا الحجارة يتركب بعضها على بعض، فقلت: هكذا أولياء الله تعالى يعانون. قال: فلما أراد أن ينصرف وزنت له ثلاثة دراهم فأبى أن يقبل سوى الدرهم والدانق، فوزنت له ذلك. فلما كان السبت الثالث جئت السوق فلم أره فسألت عنه فقيل لي: له ثلاثة أيام في خرابة يعالج سكرات الموت قال: فوهبت أجرة لمن يدلني عليه ومشيت حتى وقفت[3] عليه في خرابة بغير باب، وإذا هو مغشي عليه، فسلمت عليه، .فإذا تحت رأسه نصف[4] لبنة وهو في حال الموت، فسلمت عليه ثانيا فعرفني فأخذت رأسه في

(1) سبق شرحه.

(2) الدانق والدانق: من الأوزان، وهو سدس الدرهم. اللسان: دنق.

(3) أ، ب: وقفت.

(4) ساقطة من: ب.

حجري/ فمنعني من ذلك وأنشد: [635/ج]

[الكامل]

يا صاحبي لا تغترر بتنعم ... فالعمر يفنى والنعيم يزول
وإذا علمت[1] بحال قوم مرة ... فاعلم بأنك بعدها مسؤول
وإذا حملت إلى القبور جنازة ... فاعلم بأنك بعدها محمول

قال: ثم قال: يا أبا عامر! إذا فارقت روحي جسدي فغسلني وكفني في جبتي هذه فقلت: يا حبيبي! ولم لا أكفنك في ثياب جديدة؟ فقال: الحي أحوج إلى الجديد من الميت، الثياب تفنى والعمل يبقى وخذ مئزري وزنبيلي فادفعهما للحفار والغسال، وخذ هذا المصحف والخاتم وامض بهما إلى هارون الرشيد، وادفعهما إليه من يدك إلى يده، وقل له: معي وديعة من غلام غريب وهو يقول لك: لا تموتن على عزتك هذه، ثم خرجت روحه رحمه الله تعالى. قال: فعلمت أنه ولد الرشيد ثم عملت بجميع الذي أوصاني به. وأخذت المصحف والخاتم ودخلت بغداد، وقصدت قصر الرشيد، فوقفت على ممره. قال: فخرج في موكبه فناديته: بقرابتك من رسول الله ﷺ إلا ما وقفت لي قليلا. فلما سمع، وقف. فقال: ما حاجتك؟ قلت:هي وصية من غلام غريب، ثم دفعت له المصحف والخاتم وقلت له، ما أوصاني به. فنكس رأسه وأسبل دمعته وأوصى علي بعض الحجاب وقال له: ليكن هذا/ عندك إلى أن أطلبه منك، فلما رجع أمر بالستور فرفعت، ثم [465/هـ] قال للحاجب: أين الرجل؟ فجاءني وقال لي: طلبك وهو مهموم، فإذا أردت أن تكلمه عشر كلمات فاجعلها خمسا، فدخلت عليه فإذا مجلسه خال، فقال: ادْنُ مني، فدنوت، فقال: أتعرف ولدي؟ قلت: نعم. قال: في أي شيء كان يعمل؟ قلت في الطين والحجارة. فقال:هل استعملته؟ قلت: نعم، قال: استعملته وله

---

(1) ج: عملت.

اتصال برسول الله ﷺ؟ قلت: ما علمت من هو إلا عند وفاته. فقال: أنت غسلته بيدك؟ قلت: نعم. فأخذ يدي وجعلها على صدره وهو يقول بأبي كيف غسلت وكفنت العزيز الغريب ثم أنشد:

[المنسرح]

يا غريبا! عليه قلبي يذوب ... ولعيني عليه دمع سكوب

يا بعيد الديار! حزني قريب ... كدر الموت كل عيش يطيب

كنت بدرا على قضيب لجين ... فهو البدر في الثرى والقضيب

[519/ب] قال ثم خرج وتجهز إلى البصرة وأنا معه حتى انتهى إلى القبر، فلما رآه غشي/ عليه فلما أفاق أنشد يقول:

[الخفيف]

[636/ج] يا غائبا لا يعود من سفره ... عاجله موته على صغره/

يا قرة العين كنت لي أنسا ... في طول ليلي، نعم، وفي قصره

شربت كأسا شاربها ... لابد من شربها على كبره

أشربها والأنام كلهم ... من كان من بدوه ومن حضره

فالحمد لله لا شريك له ... قد كان هذا القضاء من قدره[1]

قال: أبو عامر، فقضيت وردي في تلك الليلة واضطجعت، فإذا قبة من نور [عليها سجاف[2] من نور][3] وإذا السجاف قد كشف والغلام ينادي: يا أبا عامر! جزاك الله عني خيرا فقلت [له:][4] يا ولدي! إلى ما صرت إليه؟ فقال: إلى رب

---

(1) ب: الأبيات وردت في العقد الفريد 3/ 212.

(2) السجاف: الستر، سبق شرحه.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(4) زيادة من: ج.

راض عني غير غضبان، أعطاني[1] ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وآل على نفسه أن لا تخرج نفس من الدنيا مثل خروجي إلا أكرمها مثل كرامتي، فاستيقظت فرحا به وبما قال لي، وبشرني به رحمه الله[2].

حُكي أنه خرج رجل من ولد جابر بن عبد الله الأنصاري[3] رضي الله عنه ورجل من ثقيف، فقصدا عبد الله بن عامر[4] أمير البصرة. فقال/ الأنصاري [422/أ] للثقفي لما قربا من البصرة: أنا أستحيي من الله تعالى أن أسأل غيره، ثم قال: اللهم يا رازق بن عامر ارزقني. ثم استوى على راحلته وانقلب راجعا، ودخل الثقفي البصرة فأقام بها أياما، ثم دخل على ابن عامر، فقال له: أتيتك أيها الأمير من المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام. فقال له: أنت وحدك؟ فقال: كان معي رفيق قال: وأين هو؟ قال: رجع على أثره. قال: ولم؟ فأخبره الخبر، فبكى عبد الله بن عامر وقال: صدق والله، علم من أين مجرى الرزق. فأعطى الثقفي أربعة آلاف درهم ونفذ للأنصاري إلى المدينة المنورة، على الحال بها أفضل الصلاة وأتم السلام، ثمانية آلاف درهم، فبكى الثقفي ثم أنشد:

[الطويل]

أيا رب ما سعي الحريص بزائد ... فتيلا ولا عجز الضعيف بضائر

خرجنا جميعا من مساقط رأسنا ... على ثقة منا نجود ابن عامر/ [466/هـ]

فلما حللنا ضحوة في فنائه ... تأخر عني اليثربي بن جابر

وقال: ستكفيني عطية قادر ... على ما يشاء اليوم للخلق قاهر

(1) هـ: فأعطاني.

(2) الحكاية وردت في البداية والنهاية 10/ 184 مع اختلاف واضح بين الروايتين.

(3) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، صحابي من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ. توفي حوالي 78هـ. انظر الإصابة 1/ 213.

(4) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة، أبو عبد الرحمان، ولي البصرة أيام عثمان بن عفان (4-59هـ). الإصابة 3/ 60 وفيه أنه خال عثمان.

فإن الذي أعطى العراق بن عامر   لربي الذي أرجولدفع الضرائر
فلما رآني قال: أين بن جابر؟   وحن كما حنت[1] مخاض الأباعر[2]
فأضعف عبد الله حظ بن جابر   على حظ ملهوف من الحرص جائر[3]
[637/ج] فقمت وقد أيقنت أن ليس نافعي   ولا ضائري مني خلاف المقادر/[4]

حُكي أن السلطان محمود نور الدين الشهيد بن زنكي[5] خرج ليلا مستخفيا ومعه قراطيس فيها دنانير يفرقها على الضعفاء والزمنى[6] والأرامل والأيتام والعميان والمشايخ، وكان ذلك دأبه أبدا، فوجد شيخا عليه جبة وعمامة فقال: [520/ب] أعطني/ شيئا فأعطاه قرطاسا وقال له: ما تصنع بعد ذلك؟ فلم يبق إلا نزع جلدك، قد عرفتك من أول مرة، فرمى إليه بجميع ما كان أعطاه، وقال له: يا بن زنكي! إن الله [عز وجل][7] أعطاك قليلا من كثير مما عنده وأعطيتني قليلا من قليل مما عندك، لم تمن علي به؟ لا حاجة لي به إنما أردت امتحانك، فسأله وتضرع إليه أن يقبل فلم يجبه فتركه وانصرف.

حُكي أن الرشيد دخل الكعبة المشرفة ومعه إبراهيم الجمحي، فلما خلا معه قال: يا إبراهيم! قد وجب حقك علي، فإن كانت لك حاجة فاذكرها لي أقضيها لك. قال له: إني أكره أن أسأل في بيت الله تعالى غيره.

حُكي أن هذه تذكرة يخوف بها الآمن على نفسه وهي، أنه قيل: إن يحيى بن

(1) أ، ج: أحنث.
(2) الأباعر: جمع أبعرة، وأبعرة جمع بعير لهذا فهي جمع الجمع. اللسان: بعر.
(3) أ، ب، ج: بائر.
(4) الأبيات وردت في تحفة الأريب ونزهة اللبيب: 39-40. والحكاية وردت في المرجع نفسه.
(5) سبق ذكره.
(6) الزمنى: جمع زمن، من زمن يزمن، والزمانة: العاهة، لهذا سمي المصابون بالزمانة: زمنى. اللسان: زمن.
(7) ما بين معقوفين ساقط من:ه.

زكرياء عليه الصلاة والسلام، بكى حتى حفر الدمع في خديه أخدودا وبدت أضراسه للناظرين، فقالت له أمه: يا بني! لوأذنت لي أن أتخذ لك قطعتي لبود فتوارى أضراسك بها، فأذن لها في ذلك فكان يبكي حتى إذا استنقعت اللبدتين جاءته أمه فعصرتهما فسالت دموعه على ذراعي أمه فصار يقول: اللهم هذه دموعي وهذه أمي وأنا عبدك، وأنت أرحم الراحمين، وقال له أبوه: يا بني! إنما دعوت الله تعالى أن يهبك لي لتقر بك عيني. فقال: يا أبت! أخبرني جبريل أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا كل بكاء. قال: ابك يا يحيى، وفر من أبويه فخرجا في طلبه، فرأياه على بحيرة وقد وضع رجليه في الماء البارد، وقد كاد العطش أن يذبحه وهو يقول: وعزتك وجلالك لا أذوق الماء وبارد الشراب حتى أعلم أين مكاني منك.

وروي أن النبي ﷺ قال: خوفني جبريل يوم القيامة حتى أبكاني، فقلت: يا أخي جبريل ألم يغفر لي ربي ما تقدم من ذنبي وما تأخر؟ فقال: يا محمد! لتشهدن من هول ذلك اليوم ما ينسيك المغفرة، وانظر إلى بلعام بن باعور[1] الذي كان إذا نظر نحوالسماء نظر العرش، وكان يجلس في مجلسه إثنى عشر ألف دواة تكتب العلوم من صدره، وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا/ [423/أ] فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾[2]. وانظر إلى إبليس فقد[3] عبد الله في الأرض حتى لم يترك فيها/ موضع قدم إلا وله [فيه][4] ركعة وسجدة، [638/ج] ثم رقى السماء الأولى ثم الثانية [ثم الثالثة][5] ثم الرابعة وهو يفعل فيها كذلك فضبطت عبادته فكانت ثمانون ألف سنة فخالف أمرا واحدا فجعله الله تعالى

(1) هـ: باعوراء. هو بلعم بن باعور بن سموم بن فرستم بن مؤاب ، راجع مروج الذهب 1/ 57 وتاريخ الطبري 1/ 227.

(2) الأعراف: 175.

(3) أ، ب، ج: وقد.

(4) زيادة من: ج، هـ.

(5) زيادة من: ج، هـ.

[467/هـ] بمنزلة الكلب المطرود، وقيل: إنه كان ينظر في اللوح المحفوظ/ فرأى في اللوح أني خالق بشرا وآمر الملائكة بالسجود له فيتخلف منهم واحد فيقول: سبحانك، من الذي يستطيع أن يعصي لك أمرا؟ فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام وأمر الملائكة بالسجود له فتخلف لينظر من المتخلف؟ فكان هو. واختلف في سبب كفر إبليس، وأشكل ذلك على طائفة من الفقهاء فضلا عن غيرهم. فقال بعضهم: سبب كفره امتناعه من السجود، ورد بأنه لوكان كذلك لكان كل عاص كافر، ولكن سبب كفره قوله: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾[1] يعني أنا أشرف منه، فكيف تأمر الشريف بالسجود لمن هو دونه؟ وهذا ظلم. ومن نسب الباري سبحانه وتعالى إلى الظلم فقد كفر، وهذا الباب واسع والطريق العدل والوقوف بين الرجاء والخوف، فإن النظر في سعة رحمة الله تعالى تؤدي إلى الأمن، ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾[2] والنظر في جانب الخوف يؤدي إلى القنوط واليأس [521/ب] وإنه ﴿لا ييأس من روح الله إلا القوم/الكافرون﴾[3].

حُكي عن بعض الصالحين أنه قال: بينما أنا أمشي في بعض بلاد الشام و إذا أنا بعابد خارج من بعض تلك الجبال، فلما نظر إلي تنحى إلى أصل شجرة وتستر بها فقلت: سبحان الله! تبخل بالنظر إليك؟ فقال: ياهذا! إني أقمت في هذا الجبل دهرا طويلا أعالج نفسي بالصبر على الدنيا وأهلها، فطال في ذلك تعبي، وفني فيه عمري، فسألت الله تعالى أن لا يجعل حظي في أيامي في مجاهدة قلبي فسكنه الله تعالى عن الاضطراب، وألفت الوحدة والانفراد، فلما نظرت إليك خفت أن أقع في الأمر الأول، فإليك عني، فإني أعوذ من شرك برب العالمين وحبيب المتقين. ثم

(1) الأعراف: 11.
(2) الأعراف: 98.
(3) يوسف: 87.

صاح واغماه[1] من طول المكث في الدنيا! ثم حول وجهه عني ثم نفض يده وقال: إليك عني يا دنيا، لغيري تزيني، وأهلك فغُرِّي، ثم قال: [سبحان][2] من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع إليه، ما ألهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان، ثم غاب عني فلم أره. قلت: وقد قيل في ذلك:

[الطويل]

وإني لأستغشي وما بِيَ غشية ... لعل خيالا منك يلقى خياليا/ [639/ج]

وأخرج من بين الجلوس لعلني ... أطول[3] في تلك المحاسن حاليا[4]

حُكي ما يقرب من ذلك قيل للحسن البصري: يا أبا سعيد! ها هنا رجل ماتراه قط إلا جالسا وحده وخلف سارية، فقال الحسن: إذا رأيتموه فاخبروني [به][5]، فنظروا إليه ذات يوم فقالوا للحسن: هذا الذي أخبرناك به وأشاروا إليه، فمضى الحسن إليه فقال له: يا عبد الله! أراك قد حبب إليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس؟ فقال: أمر شغلني عن مجالسة الناس، فقال وما يمنعك أن تأتي إلى هذا الرجل الذي يقال له: البصري فتجلس إليه؟ فقال: أمر شغلني عن الناس وعن الحسن، فقال له: ما ذاك الشغل يرحمك الله؟ فقال: إني أصبح وأمسي بين نعمة وذنب فأردت أن أشغل نفسي بشكر الله تعالى على النعمة وبالاستغفار من الذنب. فقال له الحسن: أنت يا عبد الله، أفقه عندي من الحسن فالزم ما أنت عليه، ثم تركه وانصرف رحمهم الله.

حُكي أن المعتصم رأى في بعض البوادي، وقد أوغل في طلب الصيد، رجلا

---

(1) أ، هـ: واعماه.

(2) زيادة من: ب، ج.

(3) هـ: أطاول.

(4) البيتان من شعر المجنون. وردا في عيون الأخبار 4/ 139.

(5) زيادة من: هـ.

منفردا أشعث أغبر، عليه جبة صوف خشنة فهابه المعتصم، ثم دفع له مالا كان معه، فامتنع من قبوله فقال له: لم تزهد في دنيا تتزود منها للآخرة؟ فقال له الرجل: يا ابن هارون! كيف ترى في دنيا إن وصلتها قطعتك، وإن سألتها منعتك، وإن امتنعت منها أفقرتك، وإن استنصرت/ منها خذلتك وستصنع بك ما صنعت [468/هـ] بهارون أبيك وبمحمد وعبد الله إخوتك، ثم تلا قوله تعالى: ﴿هل تحس منهم من أحد أوتسمع لهم ركزا﴾[1].

(1) مريم: 99.

الباب السابع والثلاثون

في حسن الظن/ بالله وسعة [رحمته][1] [424/أ]
وإغاثة من اضطر له وتفريج كربته

حُكي أن بعض أصحاب أبي نواس: واسمه الحسن بن هاني قال[2]: رأيته في النوم بعد موته فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر الله تعالى لي فقلت: بماذا؟/ فقال: بأبيات قلتها[3] هي تحت الوسادة. قال: فلما استيقظت أتيت أهله [522/ب] وقلت:هل قال أخي من شعر في مرضه[4] أوعند الاحتضار؟ فقالوا: لا نعلم إلا أنه استدعى بدواة وقرطاس وكتب شيئا لا ندري ماهو، ثم أحضروا القرطاس فإذا فيه مكتوب بخطه:

[الكامل]

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم/ [640/ج]

أدعوك كما أمرت تضرعا ... فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم

إن كان لا يرجوك إلا محسن ... فبمن يلوذ ويستجير المجرم[5]

مالي إليك وسيلة إلا الرجا ... وجميل عفوك ثم إني مسلم[6]

---

(1) زيادة من: ج، هـ.

(2) ساقطة من: ب.

(3) أ، ج: قلتهما.

(4) أ، ب، هـ: مضرته.

(5) رواية الوفيات: (فمن الذي يرجو ويدعو المجرم.)

(6) الأبيات وردت في الديوان: 618. والوفيات 2/ 103. والعقد الفريد 3/ 206. وشرح المقامات 2/ 68 والثبات عند المات لابن الجوزي: 55.

قلت: وما أحسن ظنه بربه حيث قال رحمه الله تعالى:

[الوافر]

تكثر ما استطعت من الخطايا فإنك بالغ ربا غفورا
ستنظر إن وردت عليه عفورا وتلقى سيدا ملكا كبيرا
تعض ندامة كفيك مما تركت مخافة النار السرورا[1]

حُكي عن أبي نواس أنه رُءي في المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي. قيل بماذا؟ قال: بأبيات قلتها في النرجس ثم أنشد يقول رحمه الله:

[الوافر]

تأمل في رياض الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات على أحداقها الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك
وأن محمدا عبد رسول بدين الحق أرسله المليك[2]

حكى المزني[3] قال: دخلت على الإمام الشافعي غداة يوم وفاته فقلت[4]: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال[5]: أصبحت عن الدنيا راحلا ولكأس[6] الحمام شاربا ولشر عملي ملاقيا ولا أدري أإلى الجنة تصير[7] روحي فأهنيها أم إلى النار فأعزيها؟ ثم أنشد يقول:

(1) الأبيات لم ترد في الديوان ووردت في الوفيات 2/ 98.
(2) الأبيات ورد الثلاثة الأولى منها في مقامات السيوطي1/ 14 ومجاني الأدب5: 93.
(3) إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم، صاحب الإمام الشافعي، توفي سنة 264هـ، راجع طبقات السبكي 1/ 238 والوفيات 1/ 217.
(4) هـ: فقال.
(5) ج: فقال.
(6) أ، ج، هـ: لكأس.
(7) هـ: تصعد.

[الطويل]

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي، كان عفوك أعظما[1]

ثم مات بعد ساعة رحمه الله[2].

حُكي في الفردوس[3] عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ، يقول الله عز وجل: ابن آدم، أمرتك فتوانيت، ونهيتك فتماديت، وسترت عليك فتجرأت، وأعرضت عنك فما باليت، يا من إذا مرض شكا، وإذا عوفي تمرد وعصى، يا من إذا دعاه العبيد عدا ولبى، وإذا دعاه الجليل أعرض وأبى، إن سألتني أعطيتك وإن دعوتني أجبتك، وإن مرضت شفيتك وإن سلمت لي رزقتك، وإن أقبلت قبلتك، وإن تبت غفرت لك، وأنا التواب الرحيم/ . [469/هـ]

حُكي أن بني إسرائيل أقحطوا/ فسألوا موسى، على نبينا وعليه الصلاة [641/ج] والسلام، أن يستسقي لهم، فأمرهم موسى/ عليه السلام بالخروج إلى الصحراء [523/ب] فخرجوا وخرج معهم فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى! إن فيهم عبدا يبارزني بالمعصية أربعين سنة فيخرجوه من بينهم، فبه منعوا الغيث، فمره يخرج من بين أظهرهم، فنادى مناديهم ياهذا الذي منعنا من أجله الغيث! أخرج من بين أظهرنا، فقال الرجل: في نفسه: إن خرجت افتضحت، وإن أقمت بينهم منعوا فتاب إلى الله تعالى/ وأخلص، فقبلت توبته وسأل الله تعالى أن يسقيهم فسقوا بدعائه، فقال [425/أ] موسى عليه الصلاة والسلام: يارب! قد سقينا ولم يخرج من بيننا أحد، قال الله

(1) البيتان وردا في الديوان: 78. ومروج الذهب 4/ 320. ومعجم الأدباء 17/ 302، والبيت الأخير ورد في عيون الأخبار 1/ 303.

(2) الحكاية وردت في الديوان: 78، ومروج الذهب 4/ 320، ومعجم الأدباء 17/ 302.

(3) لعله «فردوس الأخبار بمأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب» لأبي شجاع شيرويه الهمذاني المتوفى سنة 509هـ. وهو كتاب في الحديث. راجع كشف الظنون 2/ 1204 ومعجم المؤلفين 4/ 313.

تعالى: يا موسى! بالذي منعتم سقيتم. قال يا رب! ومن هذا؟ فقال الله تعالى: يا موسى! أربعين سنة يبارزني بالمعصية وأستر عليه، فلما تاب إلي أكشف ستره، يا موسى أنا أبغض النمامين فأكون نماما[1].

حُكي في كتاب إحياء علوم الدين أن علماء بني إسرائيل سألوا[2] موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام أن يستسقي[3] لهم لما أقحطوا[4] قال: فخرج وخرجوا معه إلى الصحراء، فأوحى الله تعالى إليه يا موسى! إن لي[5] عبدا من عبادي يقال له: برخ، عبد أسود فاسأله أن يسألني أن أسقيهم، فخرج موسى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، يطلبه فبينما هوكذلك، إذ رأى الرجل فعرفه بنور النبوءة فقال: أنت برخ؟ فقال: نعم. قال: اذهب فاستسق لبني إسرائيل، فذهب معه إلى الصحراء ثم رفع طرفه إلى السماء وقال: ما بال بني إسرائيل يستسقونك فلم تسقيهم أخالفتك الرياح أم نقص ما عندك أم تعجل العقوبة فتخاف الفوت؟ فأمطرت السماء وطلع العشب حتى بلغ الركب في نصف يوم، ثم مشى مع موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فأوحى الله تعالى إليه: إن برخا يضحكني في اليوم والليلة خمس مرات، ومعنى يضحكني: يعجبني[6] هذا معنى كلام الإحياء.

حُكي لما وجه سليمان بن عبد الملك بن مروان محمدَ بن أبي يزيد[7] إلى العراق

---

(1) الحكاية وردت في سراج الملوك: 135 مع اختلاف واضح بين الروايتين.

(2) هـ: وعوامهم.

(3) ج: يسقي.

(4) أ، ب: قحطوا.

(5) ساقطة من:هـ.

(6) الحكاية وردت في إحياء علوم الدين 4/ 314 مع اختلاف الرواية.

(7) محمد بن يزيد القرشي بالولاء، أمير إفريقية، أرسله سليمان بن عبد الملك سنة 97ه واليا عليها. توفي سنة 101هـ راجع النجوم الزاهرة 1/ 235، 245.

لبطلق أهل السجون ويقسم ويفرق الأموال ضيق على يزيد بن أبي مسلم[1] فلما ولي يزيد بن عبد الملك ولى يزيد بن أبي مسلم على إفريقية فاستخفى محمد بن أبي يزيد فطلبه يزيد بن أبي مسلم فأوتي/ به في شهر رمضان عند المغرب، وفي يد ابن [642/ج] أبي مسلم عنقود عنب فقال: محمد؟ قال: نعم. قال: أما والله لطالما سألت الله تعالى أن يمكنني منك بغير عقد ولا عهد. فقال له محمد: وأنا والله فطالما سألت الله أن يجيرني منك ويعيذني، فقال: ما أجارك ولا أعادك، وإن سابقني ملك الموت إلى قبض روحك سبقته، والله لا أكلت هذه الحبة حتى أقتلك، فأقام المؤذن الصلاة فوضع يزيد العنقود من يده وتقدم ليصلي، وكان أهل إفريقية قد اجتمعوا على قتله! فلما ركع ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله. وقال لمحمد بن أبي يزيد اذهب حيث شئت. فسبحان من أحيا الأسير وقتل الأمير ﴿سنة الله التي قد خلت في عباده﴾[2] وقال الشاعر[3]:

[الطويل]

ألا ربما ضاق الفضاء بأهله وأمكن من بين الأسنة مخرج[4]/ [470/هـ]

حُكي أن سلطان صقيلة[5] أرق ليلة ومنع النوم فأرسل إلى قائد البحر وقال له: أنفذ الآن مركبا إلى إفريقية يأتيني بخبرها/ فجهز القائد مركبا لوقته وأرسله، [524/ب] فلما أصبحوا إذا بالمركب في موضعه لم يبرح. فقال له الملك: لم لم تفعل ما أمرتك

(1) يزيد بن دينار الثقفي، أبو العلاء، وال من الدهاة في العصر الأموي (ت: 102هـ). انظر ترجمته في الوفيات 6/ 309. النجوم الزاهرة 1/ 245.

(2) غافر: 85.

(3) هو محمد بن وهيب الحميري من شعراء الدولة العباسية، مدح المأمون والمعتصم عاصر أبا تمام ودعبل الخزاعي، توفي نحو 225. انظر معاهد التنصيص 1/ 220.

(4) البيت ورد غير منسوب في عيون الأخبار 1/ 289، وأخبار القضاة1/ 104 وورد منسوبا لابن وهيب في معجم الشعراء: 420 والوافي بالوفيات 5/ 118

(5) ج، هـ: صقلية.

به؟ قال: نعم امتثلت أمرك وأنفذت المركب ورجع بعد ساعة وسيحدثك من فيه. قال فجاء مقدم المركب ومعه رجل فقال له الملك: ما منعك أن تذهب حيث أمرتك؟ قال: ذهبت في المركب[1] فبينما أنا في جوف البحر والبحارون يقذفون، إذا بصوت [في البحر يقول: يا غياث المستغيثين! يكررها مرارا، فلما استقر صوته في أسماعنا ناديناه مرارا:][2] لبيك! لبيك! وهو ينادي يا الله! يا الله! يا غياث المستغيثين! ونحن نجيبه، وقذفنا بالمركب نحوالصوت فألفيناهذا الرجل غريقا في آخر رمق من الحياة، فسألناه عن حاله فقال: أنا رجل من إفريقية أقلعنا منها في مركب فغرقت سفينتنا منذ أيام، وما زلت أسبح حتى وجدت الموت، ولم أشعر إلا بالغوث من ناحيتكم [فسألناه عن أخبارها فأنبأنا بجميع أخبارها فأغنانا عن التوجه إليها قال:][3] فسأله الملك عن أخبارها فأجابه بكل ما يريد فسبحان من أسهر الملك في قصره للغريق في بحره حتى استخرجه من تلك الظلمات، ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحشة، لا إلاه إلا أنت سبحانك[4]

حكى الطرطوشي قال: كان رجل من التجار يسافر من الموصل إلى الكوفة في تجارة الخز فبينما هو مسافر والخز في خرجه[5] محمل على حمار وذلك ما يملكه/ [643/ج] جميعا من المال،/ إذ نزلت القافلة فأراد إنزال الخرج فاستعان بإنسان فأعانه على [426/أ] إنزاله، ثم جلس يأكل فاستدعى الرجل الذي ساعده فأكلا معا، ثم سأله عن أمره فأخبره أنه خرج من الكوفة لأمر أزعجه دون ذلك، فقال له التاجر: كن معي في سفري لتعينني وطعامك علي. فقال الرجل: ما أحوجني إلى ذلك، وإني

---

(1) ج، هـ: بالمركب.

(2) ما بين معقوفين زيادة من: ج، هـ.

(3) ما بين معقوفين زيادة من: ج، هـ.

(4) الحكاية وردت في سراج الملوك: 143.

(5) الخرج: من الأوعية. اللسان: خرج.

لمحتاج له، فسار معه في طريقه فخدمه على أحسن حال، فوصلا تكريت[1] فنزلت الرفقة خارج المدينة ودخل المحتاجون لقضاء حوائجهم فقال التاجر للرجل: احفظ رحلنا حتى أدخل وأشتري حاجتنا، ثم دخل المدينة وقضى حوائجه وأبطأ هنالك، ثم رجع فلم يجد الرفقة ولا وجد رفيقه فظن أنه لما رحلت القافلة رحل معها، فلم يزل يمشي حتى وصل الرفقة بعد الجهد الجهيد فسأل عن صاحبه، فقالوا: حمل الحوائج على أثرك ودخل المدينة وظننا أنك أمرته بذلك فكر راجعا إلى تكريت وسأل عنه فلم يجد له أثرا ولا سمع عنه خبرا، فيئس منه وسار إلى الموصل مسلوب المال فوافاها، يعني الكوفة، نهارا جائعا عريانا فقيرا مجهودا. قال: فاستحيى أن يدخل البلد نهارا فيشمت العدوويحزن الصديق فبقي حتى أمسى، ثم دخل فطرق باب داره فقيل: من؟ فقال: فلان، يعني نفسه فأظهر أهله السرور بذلك وفرحوا بقدومه وقالوا: الحمد لله الذي جاء بك في هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة والحاجة والفاقة، وقد صحبت معك جميع مالك وطال سفرك واحتاج أهلك وقد ولدت اليوم ولدا يعني الزوجة ووالله ما وجدنا ما نشتري به للنفساء. قالت: ولقد كنت في هذه الليلة طاوية فالحمد لله الذي جاء بك فتحيل لنا في دقيق ودهن نسرج به السراج ولا سراج عندنا، فزاده ذلك/ غما [471/هـ] وكره أن يخبرهم بحاله ثم أخذ وعاء للزيت وجرابا للدقيق وخرج إلى حانوت بجار داره وكان فيها رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحوه، وقد أغلق دكانه وطفأ مصباحه ونام فناداه، قال: فأجابه فعرفه فخرج إليه وسلم عليه وحمد الله على سلامته، فقال له التاجر: [اقدح[2] زنادا أعطيك دراهم في ثمن دقيق وزيت وعسل فقد احتجت إليه الساعة، وكره أن يخبره بتأخير الثمن فيتمنع منه فأسرج

---

(1) تكريت: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل. انظر معجم البلدان: تكريت.

(2) أ، ب: افتح.

الرجل[1]، فقال له التاجر:][2] مرادي من الدقيق كذا ومن الزيت كذا [والعسل كذا][3]، ومن السمن كذا، ومن الملح كذا، وجميع ما يحتاج إليه، ثم حانت منه [644/ج] التفاتة فرأى خرجه الذي هرب به الرجل الخادم في/ قعر الحانوت فلم يملك نفسه أن وثب على صاحب الحانوت والتزمه وألقى يديه في أطواقه وجذبه إليه [525/ب] وقال له: يا عدو الله! أين مالي؟ فقال/ له صاحب الحانوت: اتق الله، مالك يا فلان؟ والله ما علمتك قط متعديا، ولا علمتني قط خائنا فما هذا؟ قال: هذا خرجي هرب به خادم وفيه جميع مالي فقال له: والله ما لي علم غير أن رجلا ورد علي بعد العشاء فاشترى مني عشاءه واستضافني فأضفته وجعلت خرجه هذا في حانوتي وحماره في دار جاري فلان، والرجل نائم في المسجد الآن. فقال له: احمل الخرج وانهض معي إلى الرجل فمضى معه إلى المسجد، فإذا بالرجل نائم فركضه فقام مذعورا فقال له التاجر: أين مالي يا خائن؟ فقال:هو الذي معك والله ما غاب منه شيء فقال له: أين الحمار؟ فقال له:هوعند جار الذي معك فنهض إلى داره فوجد متاعه سليما واستخرج الحمار وسامح ذلك الخائن ووسع على أهله بعد أن أخبرهم بقصته فتبركوا بذلك المولود واعتذر لصاحب الحانوت[4].

حُكي أن العدو المخذول ملك الفرنج نزل بساحل إفريقية في عدد كثير من تلك السواحل والحصون ومن المراكب ما لا يعد كثرة، وكانوا قد احتاجوا إلى الماء وعطشوا عطشا شديدا فبعث المسلمون لهم خلقا كثيرا من سواحل المسلمين ومن حصونهم فمنعوهم النزول لاستسقاء الماء، فراسلوا ملك المسلمين أن لا يمنعهم من ذلك ما أمكن فزاد عليهم العطش حتى أشرفوا على الهلاك، فعند ذلك فتحوا

---

(1) هـ: السراج.

(2) ما بين معقوفين ساقط من: ب.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: ب.

(4) الحكاية وردت في المصدر السابق: 146-147.

أناجيلهم وأخذوا في الدعاء والاستسقاء من الله تعالى والتضرع إليه، فلم يكن بأوشك من أن السماء امتلأت سحابا ثم أرخت ماء كثيرا فبسط القوم أنطاعهم وآنيتم وأوعيتهم فشربوا وملأوا الآنية[1]/ فضج المسلمون عند ذلك وقالوا: [425/أ] يا ربنا! أعداؤنا وأعداؤك[2] وأعداء نبيك ورسولك قد أخلصوا إليك وأنابوا وسألوك إغاثتهم فأغثتهم ونحن أحق بالدعاء والتضرع إليك وأولى بالإجابة منهم، ثم أخذ المسلمون في الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله تعالى أن يريهم آية وأن يخزيهم ويخذلهم وأن تكون أقوى من تلك الآية التي رأوها ليقوى بها قلوب الضعفاء ويتزايد شكر أهل المعرفة والأولياء. فبينما هم كذلك إذ أرسل الله تعالى عليهم ريحا فبددتهم ومزقتهم كل ممزق، وكسرت مراكبهم فهلكوا ولم يجتمع منهم اثنان والحمد لله على ذلك[3].

حُكي أنه لما/ قضى موسى بن عمران، صهر شعيب، على نبينا وعليه الصلاة [645/ج] والسلام، الأجل الذي أجله عليه من رعي غنم شعيب، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، عوضا عن[4] مهر ابنته، أخذ موسى زوجته[5] وكر راجعا من مدين، فلما وافى الوادي المقدس عند جانب الطور الأيمن أجنهم الليل بظلمته فأمسوا بائتين، فبينما هم كذلك إذ حضر زوجته الطلق[6] وكانت حاملا وليس عندهم ما تحتاج إليه النفساء من الغذاء والدواء، وما يصلح به شأنها فبقوا في ضيق/ من الحال [472/هـ] وقلة من الحيلة، فخرج موسى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فتلفت يمينا وشمالا عسى من فرج قريب لما أمسوا فيه من الضر، إذ رأى نارا ﴿فقال لأهله

(1) أ، ب: الانيات.

(2) ساقطة من: ب، هـ.

(3) الحكاية وردت في المصدر نفسه: 147-148.

(4) أ، ب، ج: من.

(5) أ: ابنته.

(6) الطلق: المخاض عند الولادة، ويقال: هو وجع الولادة. اللسان: طلق.

امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أوأجد على النارهدى﴾[1] فلما آتاها وهو أضيق ما يكون ذرعا وأحرجه قلبا وأيأسه ظنا، نودي من شاطئ الوادي الأيمن: يا موسى! إني أنا ربك. فهكذا ألطافه سبحانه وتعالى مع من أسلم لأمره ورجا فضله، وتكلم بالحق والبشرى، يفسح الله أقله، ويعطيه فوق ما سأله قال الشاعر:

[الخفيف]

[524/ب] أيها العبد كن لما لست ترجو — من نجاح أرجى لما أنت راج/

إن موسى مضى ليقبس نارا — من ضياء رآه والليل داج

فأتى أهله وقد كلم الله — وناجاه وهو خير مناج

وكذا الكرب كلما اشتد بالعبد — دنت منه راحة الإنفراج[2]

قلت: وقد أخذه بلدينا الشهاب السلمي فقال ومن خطه نقلت:

[الطويل]

ألا كن لما لم ترج أرجى من الذي — رجوت فقد تلقى إليه سبيلا

فموسى رأى نارا فرام اقتباسها — فكلمه الباري فعاد رسولا

حُكي أن الغزالي قال: حدث عن سعة رحمة الله ولا حرج، وهو الذي أذهب كفر سبعين سنة بإيمان ساعة. قال الله تعالى: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر الله لهم ما قد سلف﴾[3] انظر إلى سحرة فرعون وما كانوا فيه من الكفر والضلال طول أعمارهم، جاءوا لحربه وحلفوا بعزة فرعون عدوه ولم يعملوا عملا صالحا إلا أنهم قالوا: ﴿آمنا برب هارون وموسى﴾[4] وخروا ساجدين من غير طهارة ولا

(1) طه: 9.

(2) الأبيات وردت مع الحكاية في سراج الملوك: 147.

(3) الأنفال: 38.

(4) طه: 70.

قبلة، أكرمهم[1] الله حتى جعلهم رؤوس الشهداء. وانظر إلى أهل الكهف، وما كانوا عليه من الكفر والضلال طول أعمارهم، لم يكن لهم عمل إلا/ أنهم قالوا: [446/ج] ﴿ربنا رب السماوات والأرض﴾[2] أكرمهم الله تعالى حتى أكرم كلبا معهم، حتى ذكره في كتابه العزيز مرات، ثم هو معهم في الدنيا محجوب، ثم يدخل الجنة معهم مكرما هذا فعله [مع][3] كلب خطا خطوات مع أقوام عرفوه، فكيف حاله مع عبده المؤمن الذي عبده سبعين سنة أو أكثر؟ ولو عاش سبعين ألف سنة لكان يراه أهلا للعبادة وقيل إن أرجى آية في كتاب الله ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾[4] وقيل: هي قوله تعالى ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾[5] ولا يرضى رسول الله ﷺ أن يكون أحدا من أمته في النار. ينبغي للمخالف أن يرجي نفسه بذلك حتى يصير بين الخوف والرجاء فإن الأمن من مكر الله مذموم ﴿ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾[6].

حكى أبو المظفر السمعاني[7] عن ولده، قال: سمعت سعد بن نصر الله الواعظ يقول: كنت خائفا من الخليفة لحادث نزل، واشتد الطلب، فاختفيت فرأيت في النوم كأني في غرفة على كرسي، وأنا أكتب شيئا فجاء رجل فوقف بإزائي وقال: اكتب ما أملي عليك وأنشد:

---

(1) أ، ب: ألزمهم.
(2) الكهف: 14.
(3) زيادة من: ج.
(4) الزمر: 53.
(5) الضحى: 5.
(6) الأعراف: 99.
(7) منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، أبو المظفر، مفسر من العلماء بالحديث (426-489هـ). راجع الوفيات 3/ 211. النجوم الزاهرة 5/ 160.

[الكامل]

ادفع بصبرك[1] حادث الأيام ... وترجى لطف الواحد العلام

[لا تيأسن وإن تضايق كربها ... ورماك ريب صروفها بسهام]

[473/هـ] فله تعالى بين ذاك رحمة ... تخفى عن الأفهام والأوهام/

كم من نجي بين أطراف القنا ... وفريسة سلمت من الضرغام[2]

قال: فاستيقظت مستبشرا مسرورا وزال ما كنت أجده من الخوف، وآل أمري إلى الفرح والحمد لله على ذلك[3].

[527/ب] حُكي عن أنس بن مالك رضي/ الله عنه، قال: بينما رسول الله ﷺ جالس[4] إذ ضحك حتى بدت ثناياه الشريفة. فقال عمر رضي الله عنه: بأبي وأمي يا رسول الله ما أضحكك؟ قال: رجلان من أمتي جثيا بين يدي[5] رب العزة سبحانه وتعالى، فقال أحدهما: يا رب! خذ مظلمتي من هذا. فقال الله عز وجل: رد على أخيك مظلمته. فقال: يا رب! لم يبق من حسناتي شيء. فقال: يا رب! فليحمل من أوزاري، ثم فاضت عينا[6] رسول الله، ﷺ، بالبكاء فقال عليه الصلاة والسلام: إن ذلك ليوم عظيم، يوم يحتاج الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم قال: فيقول الله عز وجل للمتظلم ارفع بصرك فانظر في الجنان قال: يا رب! أرى مدائن من [647/ج] فضة وقصور/ من فضة مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا أو لأي صديق أو لأي شهيد؟ فيقول الله تعالى:هذا لمن أعطى الثمن قال: يا رب! ومن يملك ثمن ذلك؟ قال: أنت تملكه قال: بماذا يا رب؟ قال: بعفوك عن أخيك. قال: يا رب قد عفوت. قال

(1) أ، ب، ج: بيصرك.

(2) الضرغام: الأسد. اللسان: ضرغم. والأبيات وردت في حياة الحيوان 2/ 115، ومجاني الأدب 2/ 100.

(3) الحكاية وردت في المرجعين السابقين مع اختلاف الروايات.

(4) هـ: جلس.

(5) زيادة من: ب

(6) ب: عيني.

الله عز وجل: خذ بيد[1] أخيك فأدخله الجنة. ثم قال ﷺ: «﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾[2] فإن الله تبارك وتعالى مصلح ما بين المؤمنين يوم القيامة»[3] أو كما قال ﷺ.

حُكي عن أبي سعيد الخدري[4]، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: كان رجل فيمن كان قبلكم قتل تسعا وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال: إني قتلت تسعا وتسعين نفسا فهل من توبة فقال: لا. فقتله فكمل مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فأتاه فقال: إني قتلت مائة نفس فهل من توبة فقال: نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة؟ فانطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى انتصف الطريق، أتاه ملك الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة، جاءنا تائبا مقبلا بقلبه على الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيهما كان أقرب فهو له، فقاسوه فوجدوه أقرب إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة، أو كما قال ﷺ[5].

حُكي أن الله تعالى أوحى إلى موسى بن عمران، على نبينا وعليه الصلاة والسلام: يا موسى! قد مات ولي من أوليائي في الموضع الفلاني فاذهب إليه

(1) ب: بيده.

(2) الأنفال: 1.

(3) الحديث ورد في المستدرك للحاكم 4/ 576، وتفسير ابن كثير 3/ 551، وإحياء علوم الدين 2/ 199.

(4) سبق ذكره.

(5) الحديث ورد في صحيح مسلم، كتاب التوبة: 46.، وفي صحيح البخاري كتاب الأنبياء: 54 وكذا في الإحياء: 4/ 37.

وغسله وكفنه وواره[1] التراب، فذهب موسى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فوجد رجلا منتفخا في خربة ليس عنده أحد، وإذا الناس يذكرون فسقه وفجوره وتمرده وفساده [فقال موسى، عليه الصلاة والسلام: يا رب! عبيدك[2] وشهداؤك من خلقك يذكرون فسقه وفجوره وتمرده وعتوه وفساده][3] فقال الله عز وجل: يا موسى! صدقوا[4] عبيدي إلى أنه لما حضرته الوفاة قال: «يا رب! إن لم أكن صالحا فقد كنت أحب الصالحين لأجلك، وإن كنت فاسقا فقد كنت أبغض الفاسقين لأجلك يا رب، لوعلمت أن إدخالي النار يزيد في ملكك ما سألتك/ [648/ج] الجنة ولوعلمت أن دخولي الجنة ينقص من ملكك ما سألتك المغفرة. يا رب! قنطت من عبادك وأيأست من بلادك ورفعت حاجتي إليك فإن طردتني فمن يقبلني؟ وإن قنطتني فمن يرحمني؟» فبذلك يا موسى غفرت له ورحمته وأنا الغفور الرحيم/ . [528/ب]

---

(1) ب، هـ: وواليه.

(2) ساقطة من: ج.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: هـ.

(4) ب، ج، هـ: صدق.

الباب الثامن والثلاثون

في خبر من رزق الثبات عند تحقق الموت والفوات/ [428/أ]

حكى أبو الفرج[1]/ أن هدبة بن خشرم[2] لما أمر معاوية بقتله أرسل إلى امرأته [474/هـ] من الليل وكان يحبها: مرادي أنني أجتمع بك وأودعك، فأتته في الطيب واللباس فتحدثا وبكيا وكان بينهما ما كان، فلما أخرج من السجن ومضي به ليقتل فالتفت فرأى امرأته فقال:

[الطويل]

أقلي علي النوح وارعي لمن رعى ... ولا تجزعي من أن أصاب فأجزعا[3]
ولا تأخذي إن فرق الله بيننا ... أغم القفا والوجه، ليس بأنزعا[4]

فمالت زوجته إلى جزار فأخذت شفرة فجدعت أنفها وفقأت[5] عينها[6] وجاءته فقالت: أتخاف أن يكون بعد هذا نكاح؟ فرسف في قيوده وقال: الآن طاب الموت. فلما أرادوا قتله قال لأهله: إن العلماء قالوا: إن العقل في القلب. وإن الحكماء قالوا: إنه في الرأس، فإن كان عقلي في قلبي فإني قابض رجلي وباسطها بعد

---

(1) هو أبو الفرج الأصفهاني صاحب الأغاني.

(2) هدبة بن خشرم بن كرز، راوية من أهل بادية الحجاز، توفي حوالي 50هـ. انظر الشعر والشعراء: 460 والأغاني 21/ 257 ومعجم الشعراء: 460.

(3) في الأغاني: أقلي علي اللوم ... مما أصاب فأوجعا.

(4) في الأغاني: ولا تنكحي إن فرق الدهر ... انزعا، والبيتان وردا في الأغاني 21/ 271.

(5) أ، ب، ج: وفتأت.

(6) فقأت: فقأ العين: كسرها وبخصها، والفقى: الشق والبخص. اللسان: فقأ.

مفارقة رأسي جسدي ثلاثا، فلما قتل قبض رجله ثلاثا بعد قتله[1] رحمه الله تعالى وهذا من العجائب.

حُكي أنه لما أسر [من][2] المسلمين خبيب[3] بن عدي[4] رضي الله عنه، صاحب رسول الله ﷺ، حملوه إلى مكة المشرفة وأثقلوه بالحديد وقالوا له: إما أن ترجع على ديننا أو تستمر في هذا الذل؟ فأبى الإقامة على دينه والموت عليه، فخرجوا به إلى التنعيم[5] ليقتلوه فتوضأ وصلى ركعتين، فخففهما وقال: [والله][6] لو لا أخاف أن يقولوا خاف من الموت لطولتهما. فهو أول من صلى ركعتين عند القتل، فصارت هذه سنة لمن أمكنه ذلك، ثم رفعوه إلى جذع وصلبوه. وهو أول مصلوب صلب في الإسلام، فالتفت إلى المشركين وقد تجمعوا حول جذعه فقال: اللهم احصهم عددا واقتلهم فردا ولا تبق منهم أحدا، ثم أنشأ يقول:

[الطويل]

لقد جمع الأحزاب حولي وأطنبوا ... بأبنائهم واستجمعوا كل مجمع

[649/ج] وقد قربوا أبناءهم ونساءهم ... وقربن[7] من جذع طويل ممنع/

وقد عرضوا بالكفر والموت دونه ... وقد هملت عيناي من غير مدمع

فيا رب صبرني على ما أصابني ... فقد بضعوا لحمي وقد ضل مطمع[8]

---

(1) الحكاية وردت في الأغاني 21/ 271-274.

(2) أ، ج، هـ: أسرى.

(3) أ، ب: حبيب.

(4) خبيب بن عدي بن مالك بن عامر، شهد بدرا، واستشهد في عهد الرسول ﷺ. راجع الإصابة 1/ 418.

(5) التنعيم: مكان بين مكة والمدينة. اللسان: نعم.

(6) زيادة من: ج، هـ.

(7) أ: قربوا.

(8) بضع: يقال بضع اللحم وبضعه أي قطعه. اللسان: بضع.

ولست أبالي حيث أقتل مسلما   على أي جنب[1] كان لله مصرع[2]

ثم قتلوه رضي الله عنه ومن الأبيات هذا:

وذلك[3] في ذات الإلاه وإن يشأ   يبارك على أوصال شلو ممزع[4]

حكى بعض المريدين عن والده وكان من الصلحاء قال: لما حضرت أبي[5] الوفاة أنشد وهو كالمتواجد يقول:

[البسيط]

في مذهبي أن أدنى الوجد ما شغلا   عن الوجود وأحلى العشق ما قتلا/ [529/ب]

وأصدق الحب ما أفناك أيسره   حتى تصير به بين الورى مثلا

قل: يارسولي! لمن أهوى ومن عجبي   رسالتي نحو من في القلب قد نزلا

ذاك المعنى بكم ما راح يرقبكم   إلا تمايل من ضمر الهوى ثملا[6]

قال: وخرجت روحه عند آخر الأبيات رحمه الله.

حكى أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد[7] بسنده قال: حدثنا رجل من أصحابنا قال: كان محمد بن الحسن الضبي وعبد العزيز بن شاه التميمي كأنهما هلالان أو درتان تقدان من حسنهما وجمالهما: قال: فسمعا كلام أبي عبد الله محمد الديلمي،

---

(1) ج: حال.

(2) الأبيات ورد البيت الأخير منها في الإصابة 1/ 418.

(3) ب، هـ: ذاك.

(4) الشلو: الجلد والجسد من كل شيء، وقيل: هوالقطعة من اللحم. وممزع: مقطع. انظر البيت كشاهد في لسان العرب في مادة: مزع. والحكاية وردت في الاستيعاب لابن عبد البر2/ 404 وفيه أن خبيب أسر يوم الرجيع سنة 3 للهجرة، وفي الإصابة برواية مختلفة. انظر الجزء والصفحة السابقين

(5) أ، ب: حضرته.

(6) ثملا: ثمل يثمل ثملا: إذا سكر وأخذ فيه الشراب. اللسان: ثمل

(7) لعله إبراهيم بن سعيد الجوهري، أبو إسحاق، من أعلام رجال الحديث من أهل بغداد توفي حوالي: 247هـ.راجع تاريخ بغداد 6/ 93. وميزان الإعتدال 1/ 18.

[475/هـ] وكان رحمه الله/ من أحسن الناس كلاما وأظهرهم خشوعا وأكثرهم صلاة واجتهادا. قال: فصحباه وكانا معه، لا يأمن عليهما أبواهما غيره، وكان يحج بهما في كل عام ويرابط بهما في السواحل سائر السنة، حتى أخذا منه ووعيا عنه وتأسيا [429/أ] بأخلاقه واحتذيا على طريقته وكانا مقبلين على الخير والجهاد والاجتهاد،/ فخرج بهما غازيا سنة من السنين فرآهما رجل من الجند، فرأى شيئا لم ير مثله قط فأراد أخذهما منه، .فحال بينه وبينهما فأعانه الناس على ذلك، وكان الشيخ مشهورا بالنسك والعفاف فاغتاله الجندي فقتله وقبض على الغلامين فامتنعا منه واستعانا بالناس فجاءوا فنظروا الديلمي مقتولا فأخذوا الجندي وأتوا به السلطان فقتله بالشيخ. قال: فدفنناه ورجعا عن قبره، يعرف الحزن عليهما والكآبة فيهما.

قال الراوي: فسمعت أحدهما[1] يقول لصاحبه: ما ترى يا أخي؟ قال: أرى أن نمضي على عزيمتنا ونقضي ما عزمنا من نيتنا حتى نقضي رباطنا ونرجع إلى [680/ج] بلادنا[2]، فقال/ له الآخر: فلست أرى رأيك ولا ما أشرتَ به، ولكن مصيبتنا بهذا الرجل ليست بصغيرة، ولا حقه علينا بيسير، له علينا[3] حق الوالد بالشفقة وحق التعليم، وطول الصحبة، وطهارة العشرة، وحسن المرافقة. قال: فما ترى؟ قال: أرى أن نقيم على قبره مقدار رباطنا نستغفر الله تعالى له ثم ننصرف، فإن عزمت أن نرابط بعد ذلك فعلنا وإن أحببت أن نرجع رجعنا. فقال له صاحبه: لن أخالفك في ذلك. قال الراوي: فسألاني الاسعاف لهما على ذلك قال: فأقمت معهما نيفا وعشرين يوما على قبره فاعتل محمد بن الحسن[4] فاشتدت علته. قال: فقلق عليه عبد العزيز قلقا شديدا وجزع جزعا لم أره من أحد قط. فقلت له: ماهذا الجزع؟

(1) أ: احداهما.

(2) ج، هـ: بلدنا.

(3) أ: عليه.

(4) أ، ب: الحسين.

فقال: أولا يحق لي أن أجزع على أخ شقيق وحبيب شفيق؟ قال: فسمعنا محمد فقال له: يا أخي! لا تجزع فإن الجزع لا يغني عني شيئا مما نزل بي من الموت، واعلم يا أخي أنك أرفع درجة عند الله تعالى مني. قال: فقال له: وبم ذلك؟ قال: بمصابك بي قال: فبكى عبد العزيز حتى ألصق خده بالأرض، وأبكى من حضر من النساك وغيرهم، فقال له محمد بن الحسن: يا أخي! لا تبك فإني في أمر عظيم وعلى خطر جسيم هو أكبر عندي وأجل في قلبي من بكائك، وقد شغلني الفكر فيك وفي وحدتك بعدي عما أنا فيه من ألم العلة؟ وقد تزايدت علتي لما أراه في وجهك من الحزن والغم فإن استطعت أن تحتسبني عند الله عز وجل فافعل، ولا تطلقن علي عبرة ولا تذرين علي دمعة فإني منتقل إلى رحمة الله تعالى، وصائر إلى نعمه، ولو كان أحد أحق من أحد بالبكاء لكنت أحق به لما نزل بي من الموت وشدة/ كربه، وحياء ممن حضرني من ملائكة ربي. قال: فصعق عبد العزيز وخر [530/ب] مغشيا عليه، فدنوت من محمد بن الحسن فقلت له: ألك حاجة أو أمر فوصني به؟ فقال محمد: أوصيك بإيثار تقوى الله عز وجل على جميع الأمور، وحاجتي إليك أن تحفظني في أخي هذا فإنه من أهم ما أترك من بعدي. قال: فقال له أبو المفلس الصوفي، وكان يشبه خشوعه بخشوع أبي عبد الله محمد الديلمي المذكور: يا أبا عبد الله! قد عشتما مصطحبين منذ كنتما صغيرين لا تعرف لأحدكما خزية ولا تحفظ عليكما زلة، ونشأتما على أمر واحد لم تختصما ولم تتفرقا، وقد تكلم الناس فيكما بكلام قد رفع الله به قدركما، وبراكما منه لما بين الله [تعالى][1] من أمركما ونشر من حسن طويتكما، فالحمد لله على ما أولاكما من ذلك. واعلم/ أن أعلام الموت إليك [651/ج] قد أقبلت، وأن الملائكة منك قد اقتربت، وإني أثق بفهمك لما أعلم من حسن[2] عقلك، فهل ترى أحدا منهم؟ فقال: إني أرى صورا تقبل ولا أثبتها على حقيقة

(1) زيادة من: ج.

(2) زيادة من: ب.

[476/هـ] النظر. قال: فما تجد؟ قال: أجد ألما لو قسم على جميع الخلق لكانوا على مثال حالي/ قال: فقال له: صف لي: قال[1]: وما عسى أن أصف لك منه؟ أجد نفسي كأني بين جبلين قد اصطكا علي، وكأن الأسنة توخزني في بدني، وكأن نارا توقد في عيني وأجد لهاتي قد يبست فما أجد من ريقي فيها شيئا، قال له أبو المفلس: إني نظرت[2] في بعض الأخبار، وروى بعض الآثار أنه لا يخرج أحد من الدنيا حتى يرى مقعده من النار أو من الجنة فهل رأيت شيئا من ذلك؟ قال: أما في وقتي هذا فلا. فلما اشتد به الأمر وكاد يغلبه الكرى أومأ إلى أبي المفلس وأصغى بأذنيه إليه وقال:

[430/أ] إنك سألتني عن مقعدي وهذه/ الروح قد خرجت من بعض جسدي وارتفعت إلى حقوي[3] فقد رأيت مقعدي. فقال له: وأين رأيته؟ قال في جنة عدن. قال:هل رأيت أبا عبد الله محمد الديلمي. قال: إن روحه لترفرف علي ولقد رأيت مقعده أفضل من مقعدي ودرجته أفضل من درجتي، ولا أحسبه نال ذلك إلا بالعلم الذي سبق إليه قبلي أو بالشهادة التي اختصه الله بها دوني، وهذه روحه تبشر روحي بما أعد الله تعالى لها مما لم يبلغه علمي ولا أحاط به فهمي ولا استحققته بفعلي، مما يعجز عنه وعن صفته قولي، ثم مد يده وغمض عينيه وقضى نحبه رحمه الله. قال: ثم إن عبد العزيز أفاق بعد طويل فحضر غسله وجهازه ودفنه رحمه الله تعالى، ثم رجع ورجعنا معه فمكث أياما لا يأكل ولا يشرب ولا يتكلم وحضر يوما صلاة الغداة فقام إلى جانبي في الصف فسمعته يدعوبعد ما فرغ من الصلاة وهو يقول: اللهم لا تجمع علي كرب الدنيا وعذاب الآخرة وعجل بروحي من الدنيا مسلما منها إلى رضاك ومغفرتك، وارحم غربتي وأجب دعوتي واجمع بيني وبين من أحبني فيك وأحببته لك ولا تفرق بيني وبينه، واجعل اجتماعنا في محل

(1) أ، ب، هـ: فقال.

(2) ب، ج، هـ: كنت.

(3) الحقو: الكشح، وقيل مشد الأزرار من الجنب. اللسان: حقا.

الفائزين. قال: ثم قال: اقسمت عليك بنور وجهك إلا ما فعلت. قال: ثم خر ساجدا فظننا أنه قد سجد وأطال السجود فدنوت منه فحركته فإذاهوقد قضى نحبه رحمه الله، فدفناه إلى جنب صاحبه. قال: فكنا حينا من الدهر نتحدث لحديثه وبما وهب الله عز وجل لهم من الاجتماع في الدنيا/ والآخرة، وبما أفضوا إليه من [652/ج] الكرامة والرحمة. قال الراوي: فمكثت سنين أتمنى أن أرى واحدا منهم في المنام فرأيت ليلة عبد العزيز وعليه ثياب خضر وهو يطير بين السماء والأرض فناديته فوقف فقلت: ما فعل الله بك؟ قال/ : غفر لي. قلت: بماذا غفر لك؟ قال: بقول [531/ب] الناس في ما لا يعلمون، ورميهم إياي بالإفك والظنون. قلت: ما فعل محمد بن الحسن؟ قال: جمع الله بيني وبينه وأنا وهو في درجة واحدة. قلت: ما فعل أبو عبد الله محمد الديلمي؟ قلت:هيهات! ذاك[1] رجل أبيحت له الجنة فهويسرح فيها ويحل حيث شاء قلت: وبم نال ذلك؟ قال: بما سبق له من الشهادة وتفضيله آخرا بالشهادة، وتحفظه لنفسه من الحرام وطرفه ولسانه من الآثام قلت: وكيف وجدت الموت؟[2] قال:هون الله علي لما علم من ضعفي وطول حزني. قلت: هل رأيت جهنم؟ قال: وهل الصراط إلا عليها والورود إلا إليها؟ نعم، قد[3] وردتها ورأيتها، فما ألمني حرها ولا آذاني زفيرها. قلت: فكيف كان ممرك على الصراط؟ قال: كما يجري الفرس الجواد على الأرض البسيطة ليس فيها حجر يخاف[4] أن يعثر فيه. قلت: هل رأيت المنكدر الشعراني قال رأيته وسلمت عليه وما أقرب درجته من درجة أبي عبد الله محمد الديلمي. قلت: وبم أعطي ذلك؟ قال: بغضه بعيون طرفه وبحفظه مصون فرجه. قلت: فهل رأيت معلى الصوفي؟ قال: نعم،

---

(1) أ: ذلك.

(2) أ: الحال.

(3) ساقطة من: ب.

(4) ب: نخاف.

[477/هـ] رأيته على فرس من ياقوت أحمر يطير به في الجنة. فقلت له: أين تريد/ ؟ قال: أريد أن أستقبل أرواح قوم قتلوا في البحر قلت: بم أعطي معلى ذلك؟ قال: بفضل رحمة الله عليه. قلت: قد علمت أنه إنما نال ذلك بفضل الله تعالى وبرحمته. قال: بكثرة البكاء وملازمة الدعاء وطول الظمأ وصبره على البلاء.

حكى عوف ابن أبي شداد العبدري قال: بلغني أن الحجاج لما ذكر له سعيد بن جبير[1] بعث له قائدا من أهل الشام من خواص أصحابه، فبينما هم يطلبونه إذا هم براهب في صومعة فسألوه عنه فقال الراهب: صفوه لي، فوصفوه له فدلهم عليه، وكان القائد الذي أرسله الحجاج يسمى المتلمس بن الأحوص، وكان معه عشرون رجلا من أهل الشام، فانطلقوا فوجدوه ساجدا ينادي بأعلا صوته: الله! الله! فدنوا منه فسلموا عليه فرفع رأسه وأتم صلاته، ثم رد عليهم السلام، فقالوا له: أرسل الحجاج إليك فأجبه. فقال: ولا بد من الإجابة. قالوا: ثم إنه مجد الله تعالى/ وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد، ﷺ، قال: ثم قام فمشى حتى انتهى إلى [653/ج] دير/ الراهب، فقال الراهب: يا معشر الفرسان! أصبتم صاحبكم؟ قالوا: نعم. [431/أ] فقال لهم: اصعدوا الدير فإن اللبوءة والأسد يأويان حول الدير فعجلوا الدخول قبل المساء، فدخلوا وأبى سعيد بن جبير أن يدخل الدير فقالوا: ما نراك إلا تريد الهروب[2] منا. قال: لا، ولكني لا أدخل منزل مشرك أبدا، فقالوا: إنا لا ندعك هاهنا فإن السباع تأكلك. فقال سعيد بن جبير: إن معي ربي يصرفها عني ويجعلها حرسا حولي. قالوا: فأنت نبي من الأنبياء؟ قال: ما أنا من الأنبياء ولكني عبد من عبيد الله تعالى، خاطئ مذنب، قالوا له: احلف لنا أنك لا تبرح، فحلف لهم، فقال لهم الراهب: اصعدوا الدير وأوتروا القسي [لتنفروا][3] السباع عن هذا العبد

(1) سبق ذكره.

(2) ج، هـ: الهرب.

(3) أ: لتنفر.

الصالح، فإنه كره الدخول علي في الصومعة. فدخلوا وأوتروا القسي، فإذا هم باللبوءة قد أقبلت، فلما قربت من سعيد بن جبير تحككت به ثم ربضت قريبا منه/ وأقبل الأسد فصنع مثل ذلك فلما رأى الراهب ذلك أسلم وحسن إسلامه [532/ب] وأقبل القوم على سعيد يعتذرون إليه ويقبلون يديه ورجليه، ويأخذون التراب الذي وطئه بالليل فيصلون عليه. وقالوا له: يا خير أهل الدنيا! ليتنا لم نُبعث إليك[1] ولم نُرسل لك[2]، إن الحجاج حلفنا بالطلاق والعتاق إن نحن رأيناك لم ندعك حتى نشخصك إليه، فمرنا بما شئت. فقال لهم سعيد: امضوا لشأنكم فإنه لا راد لقضائه، فساروا حتى دخلوا واسطا، فلما انتهوا إليها قال لهم سعيد: يا معشر القوم! قد تحرمتكم وصحبتكم، ولست أشك أن أجلي قد حضر، وأن مدتي قد انقضت، فدعوني الليلة آخذ أهبة الموت وأستعد لمنكر ونكير، وأذكر عذاب القبر وما يحثى علي من التراب، فإذا أصبحتم فالميعاد بيني وبينكم المكان الذي تريدونه. فقال بعضهم: لا نريد أثرا بعد عين، وقال بعضهم: قد بلغتم أمنيتكم واستوجبتم جوائزكم من الأمير فلا تطلقوه وقال بعضهم: هوعلي أدفعه لكم إن شاء الله تعالى، فنظروا إلى سعيد قد دمعت عيناه وقد أغبر لونه ولم يأكل ولم يشرب منذ لقوه وصحبوه، فقالوا له بأجمعهم: ليتنا لم نعرفك، الويل لنا، كيف ابتلينا بك؟ اعتذر لنا عند خالقنا يوم الحشر الأعظم، فإنه تعالى القاضي الأكبر والعادل الذي لا يجور. فلما فرغوا من المحادثة والبكاء قال كفيله: أسألك بالله يا سعيد، إلا ما زودتنا من دعائك فإنا لن نلقى مثلك أبدا فدعا لهم سعيد فخلوا سبيله فذهب فغسل رأسه ومدرعته[3] وكساءه، وهم مختفون/ الليل كله، فلما [654/ج] طلع الفجر جاءهم سعيد فقرع الباب فقالوا: صاحبكم ورب الكعبة، فنزلوا

---

(1) أ، ب، هـ: لك.

(2) ب، ج، هـ: إليك.

(3) مدرعته: نوع من اللباس ولا تكون إلا من الصوف خاصة انظر اللسان: درع.

[478/هـ] إليه ويبكوا طويلا ثم/ دخلوا به إلى الحجاج، فدخل عليه المتلمس وسلم عليه وبشره بقدوم سعيد بن جبير، فلما مثل بين يديه قال له: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير، قال: أنت شقي بن كسير؟ قال: بلى، أمي كانت أعلم منك باسمي، فقال له: شقيت أنت وشقيت أمك. قال: الغيب يعلمه غيرك قال: لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى. قال له: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلها. قال له: فما قولك في محمد؟ قال: نبي الرحمة، ﷺ. قال: فما قولك في علي أفي الجنة أم في النار؟ قال: لو دخلتها وعرفت أهلها عرفتك بمن فيها. قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل. قال: أيهم أحب إليك؟ قال: أرضاهم لخالقه. قال: فأيهم أرضاهم لخالقه؟ قال: علمهم عند الذي يعلم سرهم ونجواهم. قال: فما لك لا تضحك؟ قال: لا يضحك مخلوق خلق من طين والطين تأكله النار. قال: فما بالنا نضحك؟ قال: لم تستو القلوب. قال: فأمر الحجاج باللؤلؤ والياقوت والزبرجد فوضعه بين يدي سعيد فقال له سعيد: إن كنت جمعت هذا لتفتدي به من فزع يوم القيامة فمال صالح، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ولا خير في شيء جمع للدنيا إلا ما طاب وزكا، ثم دعا الحجاج بآلات اللهو فبكى سعيد بن جبير، فقال له الحجاج: ويلك يا سعيد! فقال سعيد: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار فقال الحجاج: يا سعيد! أخبرني أي قتلة تريد أن أقتلك؟ قال: اختر لنفسك يا

[432/أ] حجاج، فو الله ما تقتلني قتلة إلا قتلك/ الله مثلها في الآخرة. قال: أفتريد أن أعفو عنك؟ قال: إن كان العفو فمن الله وأما منك فلا. قال: اذهبوا فاقتلوه، فلما خرج من الباب ضحك فأخبر الحجاج بذلك فأمر برده، فقال له: ما أضحكك؟ فقال: عجبت من جراءتك على الله تعالى وحلم الله تعالى عليك، فأمر بالنطع فبسط بين يديه وقال: اقتلوه. فقال سعيد: ﴿وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض

[533/ب] حنيفا وما أنا من المشركين﴾[1] قال: وجهوه لغير القبلة فقال سعيد: ﴿فأينما/تولوا فثم

(1) الأنعام: 79.

وجه الله﴾[1] فقال: كبوه على وجهه. فقال سعيد: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾[2] فقال اذبحوه فقال سعيد: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ثم قال: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي فذُبح/ على النطع[3] وكانت هامته تقول بعد قطعها: لا إله إلا الله، وعاش [655/ج] الحجاج، قاتله الله، بعده خمسة[4] عشر ليلة، وذلك في سنة خمس وتسعين وكان عمر سعيد تسعا وأربعين سنة. وقيل: إن الحجاج يُقتل بكل قتيل قتلة إلا سعيد بن جبير فإنه يُقتل به سبعين قتلة، لأنه قتله وأهل الأرض محتاجون إليه رضي الله عنه[5].

(1) البقرة: 115.

(2) طه: 55.

(3) أ، ب: رحمه الله.

(4) ج: خمس.

(5) الحكاية وردت في سير السلف الصالحين لقوام السنة الأصبهاني: 786 وتهذيب الكمال للمزي10/ 372 وسير أعلام النبلاء5/ 192، ووردت بالحرف في هامش الوفيات بالحرف مع إشارة المحقق إلى أن النص ورد في النسخة المطبوعة ولم يرد في المخطوطة. انظر الوفيات 2/ 372-373.

الباب التاسع والثلاثون

في الرثاء والتعزية
وما وقع في ذلك من المحاسن الأدبية

حُكي أنه لما قتل محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قتله المنصور بجيش جهزه إليه، فلما بلغ إبراهيم قتل أخيه صعد المنبر فنعاه وقال:

[البسيط]

أبا مبارك يا خير الفوارس من ... يفجع بمثلك في الدنيا فقد فجعا/ [479/هـ]

الله يعلم[1] لوأني خشيتهم ... وأوجس[القلب][2] من تلقائهم فزعا

لم يقتلوك ولم أسلم أخي لهم ... حتى نموت جميعا أونعيش معا[3]

حُكي أنه لما قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد[4] خرجت أخته حاسرة عن وجهها وهي زوجة الوليد بن عبد الملك بن مروان وجعلت تقول:

[الطويل]

أيا عين جودي بالدموع على عمرو ... عشية أدينا الخلافة بالقهر

---

(1) أ، ب: أعلم.

(2) زيادة من: ب، ج.

(3) في ج: هذه الحكاية وردت بعد التي تليها. والأبيات وردت في مروج الذهب 4/ 147. والكامل لابن الأثير 5/ 551.

(4) عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية، أبو أمية، أمير من الخطباء، كان والي مكة لمعاوية وابنه يزيد (3-70هـ). انظر المرزباني: 51. تهذيب التهذيب 8 / 37. فوات الوفيات 3/ 161.

وما كان عمروعاجزا غير أنه أتته المنايا بغتة وهو لا يدري[1]
غدرتم بعمرويا بني خيط[2] باطل وكلهم يبني البيوت على غدر[3]
كأن بني مروان إذ يقتلونه خشاش من الطير اجتمعن على صقر
لحا الله دنيا تعقب النار أهلها وتهتك ما بين القرابة من ستر[4]

حُكي أنه لما مات المهدي لبست [حسنة][5] جاريته وغيرها من حشمه، المسوح جزعا عليه، فقال: أبو العتاهية فيهن منشدا:

[مجزوء الرمل]

رحن في الخز وأمسين عليهن المسوح
كل نطاح وإن عا ش له يوما نطوح
لست بالباقي ولوعمرت فيها عمر نوح
فعلى نفسك نح إن تك لا بد تنوح[6]

حُكي أن الأمين كان يحب نظم، جاريته، أم ولده موسى، فماتت فجزع عليها جزعا شديدا فدخلت أمه زبيدة تعزيه فيها، فلما/ رآها قال: يا أماه! ماتت نظم. [656/ج]
قال: فأنشدت تقول له:

(1) هذا البيت جاء في مروج الذهب، هو الثالث.

(2) ب: خفظ.

(3) يا بني خيط باطل: مجاز، وخيط باطل هو الهباء المنبث في الشمس، وقيل هو الخيط الخارج من فم العنكبوت. وفي اللسان: «وكان مروان بن الحكم يلقب بذلك يعني: خيط باطل، لأنه كان طويلا مضطربا. اللسان 9/ 170.

(4) الأبيات وردت في نسب قريش منسوبة ليحيى بن الحكم باختلاف قليل في الرواية. راجع الصفحة: 179 ومروج الذهب 4/ 161.

(5) حسنة، هي مغنية غنت المهدي العباسي بعقبة حلوان، ذكرها ياقوت في معجم البلدان، ونقل عنه ذلك كحالة في أعلام النساء 1/ 262-263.

(6) الأبيات وردت في الديوان: 98 مع اختلاف الروايات. ومروج الذهب 4/ 166 والطبري 10/ 11

[البسيط]

روحي فـداؤك لا يذهب لك اللهف ... ففي بقائك ممن قد[1] مضى خلف/ [534/ب]

خلفت موسـى فهانـت كل مرزيـة ... ما بعد موسى على مفقودة[2] أسف[3]

حكى المؤلف قال: سألني قاضي القضاة صلاح الدين الكمالي[4] في بيتين يصدر بهما كتابا إلى أخينا قاضي القضاة نجم الدين بن قاضي عجلون عند وفاته الشيخ نجم الدين يعزيه فيه بذلك فقلت/ : [433/أ]

[الكامل]

أفديه مـن نجـم هـوى مـن أفقـه ... فبكـى عليـه المجـد والإسـلام

فلـذاك[5] سـودت الـدواة وجههـا ... أسـفا عليـه وشـقت الأقـلام

قلت[6]: وقد نسخت تصحيح المنهاج[7] للشيخ نجم الدين هذا، فلما انتهى لي نسخه بعثت به إلى ولدي محمد جلال الدين الكمالي، كان الله له، بعد أن كتبت هذا الشعر وهو:

[البسيط]

صيرت ذا السـفر موقوفا على ولدي ... محمـد وعلـى أبنائـه أبـدا

وبعـده لأولـى العلـم الكـرام إلـى ... أن تذهـب الأرض والدنيـا كما وردا

وإنـي ناظـر مـا عشـت ثـم لـه ... بعـدي ومـن بعـده أبنائـه الرشـدا

---

(1) ساقطة من:هـ.

(2) ج: معتودة.

(3) البيتان وردا في مروج الذهب في الحكاية نفسها.انظر الجزء 4/ 268.

(4) لم أقف عليه.

(5) أ، ج، هـ: فلذلك.

(6) ب: فقلت.

(7) «تصحيح المنهاج» ذكره صاحب كشف الظنون ولم ينسبه لصاحبه.

في أول الست والتسعين ثم ثما ... نمائة فاشهدوا يا أيها الشهدا
يقول ذاك عزيز الدين كاتبه ... يا رب هيئ له من أمره رشدا

[480/هـ] وكتب الشيخ ولي الدين عبد السلام عليه بعد شهادة أخويه ما مثاله يقول/ :

[البسيط]

محمد بن أبي ذا الشاهدين به ... به عليه شهيد مثل ما شهدا
تقبل الله منه ثم كان له ... عونا وأبقاهما والأصل والولدا

حُكي أن الإمام علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، لما ماتت زوجته فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وهي بنت رسول الله، ﷺ، وقد رآها وهي مسجاة بثوبها بكى ثم قال فيها رضي الله عنهما:

[الطويل]

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الفراق قليل
أرى علل الدنيا علي كثيرة ... وصاحبها حتى الممات عليل[1]
وأن افتقادي فاطما بعد أحمد ... دليل على أن لا يدوم خليل
يريد الفتى أن لا يفارق أهله ... وليس إلى ما يبتغيه سبيل
[657/ج] ألم تعلمي أنا تفرق قبلنا ... خليلي وفاء، مالك وعقيل[2]/

يريد مالكا وعقيلا نديمي جذيمة الأبرش[3] وكانا أقاما ينادمانه أربعين سنة ما أعادا عليه حديث ليلة، قال: ولما نفض يده من تراب قبرها رضي الله عنها تمثل بقول بعض بني منبه وهو :

---

(1) هذان البيتان وردا في خبر وفاة فاطمة في مروج الذهب 3/ 31.

(2) الأبيات ورد الثلاثة الأولى منها فقط في الديوان، انظر الصفحة: 109، وفي عيون الأخبار ورد البيت الأخير منسوبا للهذلي. انظر ج 1/ 275.

(3) جذيمة بن مالك بن فهم، التنوخي القضاعي كان يقال له الأبرش، والوضاح لبرص فيه. راجع مروج الذهب 2/ 213، والأعلام للزركلي 2/ 114.

[الطويل]

أقول وقد فاضت[1] دموعي حسرة ... أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

أخلاي! لوغير الحمام أصابكم ... عاتبت[2]، ولكن ما على الدهر معتب

وقال العتابي[3] في المعنى:/ [535/ب]

[الخفيف]

قلت للفرقدين والليل ملق ... سود أكنافه على الآفاق:

أبقيا ما بقيتما فسيرمى ... بين شخصيكما بسهم الفراق

غر من ظن أن يفوت المنايا ... وعراها قلائد الأعناق

كم حبيبين متعا باجتماع ... ثم صارا لغربة وافتراق

لا يدوم البقاء لخلق لكن ... دوام البقاء للخلاق[4]

وقال الآخر[5]: في نخلتي حلوان[6] وقد قطعها بعض الخلفاء:

[الخفيف]

أسعداني يا نخلتي حلوان ... واعذراني في ريب هذا الزمان

واعلما إن بقيتما أن نحسا ... سوف يرميكما فتفترقان

---

(1) أ، ج: أفضت.

(2) أ، ب، ج: عتبت.

(3) سبق ذكره.

(4) الأبيات وردت في زهر الآداب 2/ 623 وبهجة المجالس 1/ 253. بترتيب مختلف، والبيت الأخير في معجم الشعراء: 352.

(5) حلوان هنا: هي حلوان العراق وهي مدينة كبيرة عامرة أكثر ثمارها التين. انظر معجم البلدان: حلوان. وقد علق ياقوت أن نخلتي حلوان، أول من ذكرهما في شعره، مطيع بن إياس الكناني.

(6) الأبيات من شعر مطيع بن إياس السابق الذكر، وردت في الأغاني 13/ 356 ومعجم الشعراء، وفوات الوفيات 4/ 147 مع اختلاف قليل بين الروايات.

فلعمـري لـو ذقتمـا حرقـة الفرقة[1] أبكاكمـا كمـا أبكانـي[2]

قلت: لما سافر الرشيد إلى طوس[3] توعك في طريقه من حر أصابه فقال له الطبيب: لا يبريك/ إلا جمار النخل وكان نزوله قريبا من نخلتي[4] حلوان، وهما هاتان النخلتان، فأمر بقطعهما، فلما مثلا بين يديه أنشده بعض الجلساء الأبيات الثلاثة السابقة وقال له: إن بعض الشعراء مر على هاتين النخلتين وخاطبهما بهذه الأبيات فقال الرشيد: لوكنت سمعت الأبيات ما أمرت بقطعهما[5].

[434/أ]

حكى المؤلف قال: أنشأ[6] الولد[7] جلال الدين فسح الله في مدته تعزية وجهزها من ثغر دمياط للقاضي كمال الدين بن جميل الجوجري في أخيه القاضي صلاح الدين الكمالي وأرسل إلي نسختها/ لأقف عليها وهي:

[481/هـ]

[الطويل]

سأبكيه إن فاضت دموعي وإن تغض فحسبك مما تحتويه الجوانح

يقبل الأرض وينهي أنه طرق سمع مملوكك هذه النازلة، والملمة التي أضحت لكل فكرة منها شاغلة. وطبق حزنها الأرض حتى كأنه لم يمت/ حي سواه. وورد كل إنسان من لوعة فقده ما أرواه. كادت نفسه تفيض ودموعه من كثرة البكاء تغيض، إن الدموع تطفئ نار الأسى المضرم، وتحمل بعض ثقل المغرم وتريح النفوس عند نزول القضاء المبرم، إن البكاء هو الشفاء من الجوى بين الجوانح،

[658/ج]

(1) أ، ب، ج: الفرقد.

(2) هو مطيع بن إياس الكناني، شاعر من مخضرمي الدولتين: الأموية والعباسية، سبق ذكره.

(3) هو طوس بضم أوله سكون ثانيه: مدينة بخراسان فتحت في أيام عثمان بن عفان. انظر معجم البلدان: طوس.

(4) هـ: نخلة.

(5) القول ورد في الأغاني 13/ 357-358.

(6) أ، ب: انشدا.

(7) ب: الوليد.

ولكن سأبكيه ما فاضت دموعي، وأجعل إلى الله تعالى في حسن الصبر عليه رجوعي، وأغضي على قذى من فقده أعدمني هجوعي، فإذا فاضت المدامع، وزالت الأبصار والمسامع، فحسبك مني ما تجنه الجوانح، وما تظهره الجوارح، من الأحزان التيهي لقلبي كل وقت جوارح، وأنه لا يخفى عن علم المخدوم أن الموت مورد لا يحمى أحد عن ورده، ولا يتخلف مخلوق عن لباس برده، ولوكان ذلك مخصوصا بقوم دون قوم، أو الآجال مؤخرة من يوم إلى يوم، لكانت المنايا تحامت رسول الله ﷺ، فتأخرت عن ساحته، وتجنبت ذلك الجناب فلم تقدر على استباحته، كؤوس المنايا على البرايا دائرة، ورسلها في الآفاق سائرة، ولولا عموم الرزية لجميع أهل البرية، ومد الموت فيهم باعه، ما عاش من فقد حبيبه ساعة.

[الطويل]

ولولا الأسى ما عشت في الدهر ساعة ولكن إذا ما نحت جاوبني مثلي[1]/ [536/ب]

وقالت الخنساء:

[الوافر]

فلولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي
وما في الناس مثل أخي ولكن أسلي النفس عنه بالتأسي[2]

وعميت الأبصار والقلوب[3] التي في الصدور، وعلا الحزن باشتمال الأرض على أن الكواكب في التراب تغور، وأن الحياة الدنيا، وإن حرص المرء، متاع الغرور، جعلك الله تلوذ بالصبر، الذي يعظم له الأجر، إن العظيم على العظيم

(1) البيت ورد في شرح ديوان الحماسة 351، والتذكرة الحمدونية 4/ 246، والمستطرف 507 برواية: ما عشت في الناس ساعة...

(2) البيتان وردا في الديوان: 326.

(3) ساقطة من:هـ.

صبور، وعوضك ثواب الأجر عما[1] كابدته من مشاهدة جبل الحلم والرزانة[2] على أيد الرجال يسير، وأجرى لك الأجر الذي كل عظيم من المصاب إليه ببشر يشير، وألبسك من حسن الصبر رداء، وجعلك ممن اقتفى بنبيه واقتدى، وآجرك في مصابك الذي لو قبل فدية في ميت رضيت بنفسي أن تكون فداء، وسلك بك في سلك منه وبقضائه راض، وأجزل لك الثواب، وغفر لذلك السيد الماضي وقال في آخرها/ : [659/ج]

[البسيط]

إني أعزيك لا إني على ثقة — من الحياة ولكن سنة الدين
فلا المعزي بباقٍ بعد صاحبه — ولا المعزى وإن عاش إلى حين[3]

فأرسلت إليه أقول:

[البسيط]

بعثت لي بمعان جل موقعها — عندي فكنتَ كمن أهدى لنا دررا
فلا عدمتك من مولى بلاغته — في رقه كنسيم الصبح حين سرا/ [435/أ]

وقفت على تلك الفوائد، التي نضدها الولد، والفوائد التي لم يظفر بها أحد، [482/هـ] وشاهدت/ العقد الذي حله، والحل الذي عقد، ولما تعذر مقالها، قال لسان حالها، هذا الشبل من ذلك الأسد، فكأنها راحة لولا ارتشافها بالمسامع أوروضة تفنى في أفنانها المطامع، جواهر ألفاظ علت وغلت، وكما مرت على الأسماع وكررت حلت، وهي وإن كانت تعزية فهي لكل مصاب تسلية، وهي لأبيك ببلوغ المنى

---

(1) أ، ب: كما.

(2) أ، ب: الدوانة.

(3) البيتان وردا في الوفيات 2/ 403، وهما من شعر الأعمش وهو أبو محمد سليمان بن مهران الكوفي من التابعين (61-148هـ). راجع ترجمته في تاريخ بغداد 9/ 3 والوفيات 2/ 400-403 وتهذيب التهذيب 4/ 222.

فيك تهنية، فعندها حمدت الله تعالى إذ خرج منا مثل هذه الجواهر، وقلت معجبا: كم ترك الأول للآخر، فأعيذك بالواحد الأحد، من ساكن البلد، ووالد وما ولد، وحاسد إذا حسد، وأتحفني بأمثالها كما أتحفتني، وأمتعني بأشكالها كما أمتعتني، واصبر لعادتك التي عودتني، وأنسني بعبارتك إن لم تسمح لي بزيارتك، فقد أوحشتني.

حُكي أنه لما مات الإمام زين الدين محمد بن محمد بن محمد الغزالي[1] رحمه الله تعالى ونفعنا والمسلمين بعلومه بحق محمد ﷺ آمين، وجدوا تحت وسادته ورقة مكتوب فيها:

[الرمل]

قل لإخوان رأوني ميتا ... فبكوني ورثوني حزنا[2]

لا تظنوا أنني ميتكم ... ليس ذاك الميت، والله، أنا

أنا عصفور وجسمي قفصي ... كان سجني[3] وقميصي زمنا

أنا در قد حواني صدف ... من كثيف قد تسمى بدنا

أنا كنز وحجابي طلسم ... من تراب صار حقا للفنا/ [535/ب]

فأنا اليوم أناجي ملأى ... وأرى الله جهارا علنا

عاكف في اللوح أقرأ وأرى ... كل ما كان ويأتي ودنا

وطعامي وشرابي واحد ... هورمز فافهموه حسنا/ [660/ج]

ليس خمرا سائغا أوعسلا ... لا ولا ماء ولكن لبنا

هو مشروب الرسول المصطفى ... قبل أن يفطرنا فاطرنا

(1) هو الغزالي صاحب إحياء علوم الدين سبقت ترجمته.

(2) هذا البيت ورد في الأعلام للزركلي في ترجمة علي بن خليل المسفر وأنه مطلع لقصيدة منسوبة لهذا الأخير. انظر ج4/ 285.

(3) أ، ب، ج: جسمي.

فافْهَمُوا السر ففيه نبأ ... أي معنى تحت لفظ كمنا
فَاهْدِمُوا البيت ورَصّوا قفصي ... واتركوا الكل دقيقا نَتِنَا
ليس هذا الموت أعدى ما لكم ... إنما الموت انتقال منهنا
قد ترحلت وقد خلفتكم ... لست أرضى داركم لي مسكنا
واصل الله سلامي لكم ... ومن الرحمان برا وثنا
عنصر الأنفس شيء واحد ... وكذلك الجسم جسم عمنا
فارحموني ترحموا أنفسكم ... واعلموا أنكم أنتم أنا
واسئلوا الله لقبري رحمة ... رحم الله صديقا أمنا

الباب الأربعون

جامع لمسائل من العلم والسير والتاريخ وأخبار بعض العلماء[1] وفضل العلم

حُكي أن المعتزلة طائفة من المسلمين، وهم يرون أن أفعال الخير من الله تعالى وأفعال الشر من الإنسان، وأن القرآن مخلوق محدث ليس بقديم، وأن الله تعالى غير مرءي يوم القيامة، وأن المؤمن إذا ارتكب الذنب مثل[2] الزنا وشرب الخمر كان في[3] منزلة بين المنزلتين، يعنون بذلك أنه ليس بمؤمن/ ولا كافر، وأن [436/أ] إعجاز القرآن في الصرفة لا في أنه معجز في نفسه، ولو لم يصرف الله العرب عن[4] معارضته لأتوا بمثله، وأن من دخل النار لم يخرج منها وإنما سموا معتزلة لأن واصل بن عطاء[5] كان يجلس إلى الحسن البصري[6] فلما ظهر الخلاف/ وقالت [483/هـ] الخوارج، بكفر مرتكب الكبيرة، وقالت الجماعة بأنه مؤمن وإن فسق بالكبيرة، خرج واصل بن عطاء عن الفريقين فطرده الحسن البصري رحمه الله عن مجلسه فاعتزل عنه فقيل لأتباعه: «معتزلة». ولم يظهر الاعتزال إلا أيام الرشيد، فظهر

---

(1) أ، ب: الحكماء.

(2) أ، ب: من.

(3) أ، ب: بمنزلة.

(4) ب: من.

(5) أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزلي، المعروف بالغزال، أحد الأئمة البلغاء في علم الكلام وغيره. (80-181هـ). انظر معجم الأدباء 19/ 243. وفيات الأعيان 6/ 7. لسان الميزان 6/ 214. النجوم الزاهرة 1/ 313. الشذرات: 1/ 182.

(6) سبق ذكره.

بشر المريسي[1] وظهر الشافعي رحمه الله، فسأله بشر، فقال: ما تقول يا قرشي في القرآن؟ قال: إياي تعني؟ قال: نعم، قال: مخلوق، فخلى سبيله. فرحل الشافعي رحمه الله إلى بغداد ولم يقل للرشيد رحمه الله بخلق القرآن وكان القرآن بذلك بين أخذ ورد إلى أن ولي المأمون فقال به. كذا رأيت ذلك/ كله في بعض الكتب ورأيت أيضا أن الصاحب بن عباد[2] من المعتزلة والزمخشري[3] والسيرافي[4] والرماني[5] والفراء[6] وأقضى القضاة الماوردي[7] وهذا غريب. [661/ج]

[538/ب] حكى المؤلف قال: رأيت/ بخط أهل الفضل: إذا شك قارئ القرآن في حرف هل هو بالياء أوبالتاء فليقرأه بالتاء فإن قرأ كل ما في القرآن بالتاء لم يلحن، وإن شك في حرف هل هو[مقصور أوممدود فليقرأه بالقصر فإن قصر كل ممدود لم يلحن، وإن شك في حرف هل هو][8] مفتوح أومكسور فليقرأه مفتوحا فإنه لا يلحن، [وإن شك في حرف هل هو مهموز أو غير مهموز فليقرأه بغير همز فإنه لا يلحن][9]، وإن شك في حرف هل هو مقطوع أوموصول فليقرأه بالوصل فإنه لا

(1) بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمان المريسي، أبو عبد الرحمان، فقيه معتزلي رأس الطائفة بالأرجاء، توفي حوالي 218هـ. راجع تاريخ بغداد 7/ 56. الوفيات 1/ 277. النجوم الزاهرة 2/ 228.

(2) سبق ذكره.

(3) سبق ذكره.

(4) الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي (274-368هـ) نحوي، عالم بالأدب، كان معتزليا متعففا. راجع تاريخ بغداد 7/ 341. الوفيات 2/ 78.

(5) علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني، باحث معتزلي من كبار النحاة (296-384هـ) راجع تاريخ بغداد 12/ 16. الوفيات 3/ 299.

(6) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، أبو زكرياء الفراء، إمام أهل الكوفة وأعلمهم بالنحو واللغة (144-207هـ). راجع تهذيب التهذيب 11/ 212. الوفيات 6/ 176.

(7) علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي من العلماء الباحثين (364-450هـ). جعل أقضى القضاة أيام القائم بأمر الله العباسي. راجع طبقات السبكي 3/ 303. الوفيات 3/ 282.

(8) ما بين معقوفين زيادة من: ب، هـ.

(9) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

يلحن، ومدار القرآن على هذه الخمسة.

حُكي أن أصحاب رسول الله ﷺ، كل، واحد منهم يجتمع مع رسول الله ﷺ في جد من أجداده في نسبه الشريف، فالنبي، ﷺ، هومحمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة [بن خزيمة][1] بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

- أبو بكر الصديق رضي الله عنه يجتمع مع رسول الله ﷺ في «مرة». فهو: أبو بكر بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة.

- عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجتمع مع رسول الله ﷺ في «كعب». فهو: عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن كعب.

- عثمان بن عفان رضي الله عنه يجتمع مع رسول الله ﷺ في «عبد مناف». فهوعثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

- علي بن أبي طالب رضي الله عنه يجتمع مع رسول الله ﷺ في «عبد المطلب» وهو الجد الأول فهو: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب.

- طلحة رضي الله عنه يجتمع مع رسول الله ﷺ في «كعب»، فهو طلحة بن عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمر بن سعد بن تميم بن كعب[2] الزبير رضي الله عنه يجتمع مع رسول الله ﷺ في «قصي» فهو: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن

---

(1) ما بين معقوفين ساقط من: ح.

(2) في الإصابة هو: طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمروبن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب. راجع الجزء 2/ 229.

عبد العزي بن قصي[1]

- سعد رضي الله عنه يجتمع مع رسول الله ﷺ في «كلاب» فهو: سعد بن أبي وقاص بن مالك بن المغيث بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب[2].

[662/ج] - سعيد رضي الله عنه يجتمع مع رسول الله صلى الله/ عليه وسلم في «لؤي» فهو: سعيد بن زيد بن عمروبن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن لؤي[3].

- أبو عبيدة رضي الله عنه يجتمع مع رسول الله ﷺ في «غالب»، [فهو: أبو عبيدة بن الجراح بن هلال بن أهيب بن أمية بن الحارث بن غالب][4].

[484/هـ] - عبد الرحمان بن عوف رضي الله عنه يجتمع مع رسول الله صلى الله/ عليه وسلم في «كلاب» فهو: عبدالرحمان بن عوف بن عبيد بن الحرث[5] بن زهرة بن كلاب[6] رضي الله عنهم أجمعين[7].

[437/أ][539/ب] حُكي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: حروف/ القرآن ثلاثمائة ألف/ وإثنان وعشرون ألفا وستة وسبعون[8] حرفا وعن الخزرجي[9] رحمه الله أن القرآن

---

(1) راجع المصدر السابق 1/ 545.

(2) نفسه 2/ 3.

(3) نفسه 2/ 46.

(4) نفسه 4/ 131.

(5) أ، ب: الحارث.

(6) في الإصابة هو عبد الرحمان بن عوف بن عوف بن عبد الحرث. انظر ج 2/ 416.

(7) الحكاية وردت في محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار لابن العربي محي الدين 1/ 10. مع اختلاف بين الروايتين.

(8) هـ: أربعون.

(9) هو أحمد بن مسعود، أبو العباس الخزرجي، إمام في التفسير والفقه والحساب (ت: 601هـ) انظر الأعلام 1/ 257.

الكريم ستة آلاف وست مائة وستون آية. [ألف آية][1] أمر، وألف آية نهي، وألف آية وعد، وألف آية وعيد، وألف آية قصص وأخبار وألف آية عبارة وأمثال، وخمسمائة آية حلال وحرام، ومائة آية ناسخ ومنسوخ، وستون [آية][2] تسبيح وتقديس.

حُكي أن أشعب[3] اسمه شعيب بن جبير ولقبه أشعب وكنيته أبو العلاء، وهو من أهل المدينة ويقال لأمه: الجلندح، وقيل: أم جميل واسمها حميدة وهي مولاة أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه[4]. وأشعب نشأ بالمدينة في دار أبي طالب وكفلته عائشة بنت عثمان[5] بن عفان رضي الله عنها، وقد روى أشعب الحديث عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ومن حديثه الذي رواه عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لو دعيت إلى ذراع لأجبت، ولو أهدي إلي كراع لقبلت»[6] أو كما قال ﷺ. وروى أيضا عن عبد الله بن جعفر، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، كان يتختم في يمينه ﷺ[7].

حُكي أنه قدم ملك يسمى مصر[8] إلى أرض مصر، وبه سميت، فسأل الله تعالى أن يضع له فيها البركة فاستجاب الله دعاءه وبارك له في أرضها وماشيتها ونهرها،

(1) ما بين معقوفين ساقط من:ه.

(2) زيادة من: ج.

(3) أشعب بن جبير الطامع، سبق ذكره.

(4) هكذا جاء في تاريخ بغداد 7/ 37 ولسان الميزان 1/ 450.

(5) عائشة بنت عثمان بن عفان من ربات الفصاحة والبلاغة. راجع بلاغات النساء والعقد الفريد وأعلام النساء 3/ 158.

(6) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه 3/ 201 وابن حجر في الفتح الباري 5/ 199 برواية: لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت.

(7) الحديث أخرجه النسائي في سننه برواية: كان يتختم بيمينه. انظر ج 8/ 175.

(8) مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام وفي تاريخ مصر لابن اياس هو مصريم بن بيصر بن حام. معجم البلدان: مصر. وتاريخ مصر لابن إياس1/ 3، 4، 10.

فلما أدركته الوفاة عهد إلى ولده الأكبر وقال له: أنت ملك[1] هذه الأرض، وكان مسكنه بلاد منوف[2] وكان له خمسة أولاد، وهم: قفط[3] ومقطم[4] وأشموم[5] وأتريب[6] وصا[7]، فقسم عليهم أرض النيل وجعل لكل واحد منهم حدا لا يتعداه إلى أخيه/ الآخر، وجعل لقفط، وكان أكبرهم أعلا النيل فبنى فيها مدينة [وسماها باسمه][8] وجعل للذي يليه، [وهو المقطم، موضعا آخر فبنى فيه مدينة، وجعل للذي يليه][9] وهو أشموم، موضعا أسفل منه فبنى فيه مدينة، وسماها باسمه، وجعل للذي يليه موضعا آخر فبنى فيه مدينة وسماها «أتريب»[10] باسمه، وجعل للذي يليه وهو صا موضعا آخر فبنى فيه مدينة وسماها صا باسمه، وكان مقطم ينقطع إلى الله في العبادة فالتجأ إلى الجبل وأقام به إلى أن مات، فسمي الجبل باسمه، وهو الجبل المقطم المعروف والمشهور بمصر القاهرة والله أعلم[11].

[663/ج]

---

(1) هـ: مالك.

(2) منوف: من قرى مصر القديمة، راجع معجم البلدان: منوف

(3) هو قفط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام وبه سميت «قفط» وهي بالصعيد الأعلى شرق أسوان. راجع المرجع السابق: قفط.

(4) المقطم بن مصر بن بيصر، وقيل إنه سمي بذلك لانفراده بالعبادة في الجبل الذي يسمى بالمقطم الممتد من أسوان حتى القاهرة. انظر معجم البلدان: مقطم.

(5) لعله أراد أشمن بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح، ولعل أشمون الذي توجد بالصعيد منسوبة إليه. انظر المرجع السابق مادة: اشمون.

(6) أتريب بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، وبه سميت «أتريب» وهي كورة بمصر. انظر المرجع السابق مادة: أتريب.

(7) صا بن مصر بن حام بن نوع عليه السلام وبه سميت صا، وهي كورة بمصر. انظر المرجع السابق مادة: صا.

(8) زيادة من: ج، هـ

(9) ما بين معقوفين زيادة من:ه.

(10) ج: أترب.

(11) حكاية مصر متفرقة في معجم البلدان حسب ذكر الأماكن الواردة بأسماء أبناء الملك. معجم البلدان: مصر.

حكى صاحب التاريخ قال: ولد النبي ﷺ/ عام الفيل وأقام عليه الصلاة [485/هـ] والسلام في بني سعد خمس سنين ثم توفيت أمه، ﷺ، بالأوباء وهو ﷺ ابن ست سنين، وكلفه جده عبد المطلب ثم توفي وهو ﷺ ابن ثمان سنين، وكفله عمه أبو طالب، وخرج معه إلى الشام وهو ابن اثنى عشر سنة، ثم خرج ﷺ في تجارة لخديجة رضي الله عنها وهو ﷺ، ابن خمس وعشرين سنة، وتزوجها في تلك السنة وفيها بنت قريش الكعبة ورضيت بحكمه ﷺ فيها وهو ابن خمس وثلاثين سنة، وبعث ﷺ وهو ابن أربعين سنة، وتوفي أبو طالب وهو ﷺ بن تسع وأربعين سنة وثمانية أشهر وإحدى عشر يوما، وتوفيت خديجة بعد أبي طالب بثلاثة أيام، ثم خرج ﷺ إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة[1] رضي الله عنه بعد ثلاثة أشهر/ من موت خديجة [540/ب] وأقام بها شهرا ثم رجع إلى مكة في جوار مطعم بن عدي[2] رضي الله عنه فلما أتت عليه ﷺ خمسون[3] سنة قدم عليه جن نصيبين فلما لبث إحدى وخمسين سنة وستة أشهر أسري به ﷺ وعاش ﷺ ثلاث[4] وستين سنة، ونحر ﷺ في حجة الوداع بيده ثلاث وستين بدنة[5] وأعتق ثلاث وستين رقبة ﷺ[6].

حكى صاحب مسالك الأبصار وممالك الأمصار[7] قال: قال وهب بن منبه: كانت الأرض كالسفينة تذهب وتجيء فخلق الله تعالى ملكا في نهاية العظم والقوة

---

(1) ذكره ابن حزم في جمهرته: 115

(2) المطعم بن عدي مات قبل بدر، وهو الذي أجار النبي ﷺ يوم رجوعه من الطائف. انظر جمهرة ابن حزم: 115.

(3) أ، ب: جمسين.

(4) أ، ب، هـ: ثلاثة.

(5) البدنة: من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تهدي إلى مكة. اللسان: بدن.

(6) الحكاية وردت في السيرة 15 1/ 8 وما بعدها.

(7) هو أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العمري، شهاب الدين، مؤرخ (700-749هـ) وعنوان الكتاب: «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار». راجع الدرر الكامنة 1/ 352. النجوم الزاهرة 10/ 234.

وأمره أن يدلى تحتها ويأخذها على منكبيه، ففعل وأخرج يدا/ من المشرق ويدا/ من المغرب وقبض على أطراف الأرض فأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله [تعالى][1] صخرة من ياقوتة حمراء في وسطها سبعة آلاف[2] ثقبة يخرج من كل ثقبة بحر لا يعلم عظمه إلا الله تعالى، ثم أمر بالصخرة أن تدخل تحت قدمي الملك، ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما له آربعة آلاف عين ومثلها آذان ومثلها أنوف ومثلها أفواه ومثلها ألسنة ومثلها قوائم، ما بين كل قائمة مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة فحملها على ظهره وقرونه، ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا عظيما لا يقدر أحد أن ينظر إليه لعظمه وبريق عينيه وكبرهما حتى قيل لو وضعت البحار كلها في إحدى منخريه لكانت كخرذله في فلاة، فأمر الله تعالى هذا الحوت أن يكون قرارا لقوائم الثور واسم هذا الحوت به موت، ثم جعل الله تعالى قراره الماء وتحت الماء الهواء وتحت الهواء ظلمات ثم انقطع علم الخلائق عما تحت الظلمات.[3] فالله سبحانه عز وجل أعلم.

حكى الزهري[4] قال: قدمت على عبد الملك بن مروان فقال لي: من أين قدمت يا زهري؟ فقلت: من مكة. فقال: من خلفت فيها يسود أهلها؟ فقلت: عطاء بن أبي رباح[5] قال: فمن العرب أم من الموالي؟ فقلت: من الموالي. قال: وبم سادهم؟

(1) زيادة من: ب.

(2) أ: ألف.

(3) انظر الحكاية بالحرف في مسالك الأبصار في ممالك الأمصار22: 369 طبعة المجمع الثقافي أبوظبي.

(4) سبق ذكره

(5) عطاء بن أسلم بن صفوان، تابعي من أجلاء الفقهاء (27-114هـ). راجع تذكرة الحفاظ 1/ 98. تهذيب التهذيب 7/ 199. الوفيات 3/ 261.

فقلت: بالديانة والرواية[1] فقال[2]: إن أهل الديانة[3] ينبغي أن يسودوا الناس، ثم قال: فمن يسود أهل اليمن؟ فقلت: طاووس بن كيسان[4] قال: فمن العرب أم من الموالي؟ فقلت: من الموالي. قال: فبم سادهم؟ فقلت: بما سادهم عطاء قال: من كان كذلك ينبغي أن يسود الناس، ثم قال: فمن يسود أهل مصر؟ فقلت: يزيد بن أبي حبيب[5] قال: فمن العرب أم من الموالي. فقلت: من الموالي. قال كما قال في الأولين، ثم قال: فمن يسود أهل الشام؟ فقلت: مكحول[6] قال: من العرب أم من الموالي؟ فقلت: من الموالي. فقال كما قال، ثم قال: فمن يسود أهل خراسان؟ فقلت: الضحاك بن مزاحم[7] قال: من العرب أم من الموالي؟ فقلت: من الموالي. فقال كما قال، ثم قال: فمن يسود أهل البصرة؟ فقلت: الحسن بن أبي الحسن فقال: من العرب أم من الموالي؟ فقلت من الموالي فقال: ويلك! فمن يسود أهل الكوفة؟ فقلت إبراهيم النخعي[8] قال: فمن العرب أم من الموالي؟ فقلت: من العرب فقال: يا زهري فرجت عني، والله ليسودن الموالي على العرب حتى يخطب لها على المنابر/ وإن العرب تحتها فقلت: إنما هو أمر الله تعالى ودينه فمن حفظه [665/ج]

(1) ب: الروانة.

(2) ب: قال.

(3) ج: أهل الديانة والريانة.

(4) طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني، أبو عبد الرحمان من التابعين (33-106هـ). راجع حلية الأولياء 4/ 3. تهذيب التهذيب 5/ 8. الوفيات 2/ 509.

(5) يزيد بن سويد الأزدي بالولاء، أبو رجاء، مفتي أهل مصر في صدر الإسلام (53-128هـ). راجع تذكرة الحفاظ 1/ 129. تهذيب التهذيب 11/ 318.

(6) مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل، أبو عبد الله، فقيه الشام في عصره (توفي سنة 112هـ). راجع حلية الأولياء 5/ 177. تهذيب التهذيب 10/ 289. الوفيات 5/ 280.

(7) الضحاك بن مزاحم البلغي، أبو القاسم، مفسر (توفي 105هـ). راجع ميزان الاعتدال 2/ 326. تاريخ الخميس 2/ 318هـ)

(8) إبراهيم بن يزيد بن قيس، أبو عمران النخعي من التابعين (46-96هـ). راجع الحلية 4/ 219. تهذيب التهذيب 1/ 177.

ساد، ومن ضيعه سقط.[1]

حكى الأصبهاني[2] في «الترغيب والترهيب»، في باب قضاء الحوائج، أي حوائج المسلم، عن علي/ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [541/ب] للمسلم على أخيه المسلم ثلاثون حقا لا براءة له منها إلا بالأداء وبالعفو. وهي: يغفر زلته، ويرحم عبرته، ويستر عورته، ويقيل عثرته، ويرد غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلته، ويقبل هديته ويكافي صلته ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويشمت عطسته، ويرشد ضالته، ويرد سلامه، ويطيب كلامه، ويبر إنعامه، ويصدق أقسامه، وينصره ظالما أومظلوما، ويواليه ولا يعاديه، ولا يشمته ولا يخذله، ويحب له ما يحب لنفسه من الخير، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [إن أحدكم ليدع تشميت أخيه إذا عطس فيطالب به يوم القيامة فيقضي الله له عليه[3].

قال علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ: إنه قال][4]: إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئا فيطالب به يوم القيامة[5]. وقوله: ينصره ظالما: بأن يرده عن ظلمه وينصره مظلوما بأن يعينه على أخذ حقه.

حكى المؤلف رحمه الله قال: كتب الولد محمد جلال الدين عامله الله بخفي لطفه في الدنيا والآخرة، وكفاني فيه السوء بمحمد وآله، للشيخ شهاب الدين

---

(1) انظر الحكاية في تاريخ دمشق 40/ 394 وج56/ 305 ، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي20/ 81 وسير أعلام النبلاء5/ 85 بتصرف،

(2) إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الأصبهاني، أبو القاسم الملقب بقوام السنة. من الحفاظ، وإماما في التفسير والحديث.(457-535هـ). له كتاب الترغيب والترهيب في الحديث أخذ منه المنذري في كتابه المسمى الترغيب والترهيب، انظر كشف الظنون 1 :400

(3) الحديث ورد بلفظ مختلف في نصب الراية للزيلعي أبي محمد الحنفي 2/ 725

(4) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(5) الحديث ورد في المرجع السابق متضمن للحديث السابق.

أحمد السلمي المعروف بالهائم[1] المنصوري رحمه الله كتابا يستدعيه فيه إجازة له عند عرضه عليه محفوظا وأبياتا من كلامي، وهذا ما كتب كان الله له، يقول/ : [439/أ]

[الوافر]

أجزني[2] أيها المولى المفدا ... بما ترويه من نظم ونثر
وأد[3] زكاة فضلك مجتديها ... وقابل نعمة المولى بشكر
وشرفني بعرض منك حتى ... أصيره ليوم العرض ذخري
فلي رحم وإني مستحق ... لما توليه من فضل وبر

فأجابه وأجازه بأبيات على وزن الأبيات المذكورة وقافيتها، وهي عندي بخط يده طولها يمنع من الإتيان بها هاهنا، ثم أجازه أيضا بقصيدة ثانية لامية ألطف من الرائية، أي المتقدم ذكرها وهي قوله:

[الرجز]

نحمدك اللهم ذا الجلال ... على توالي الجود الإفضال
حمدا كثيرا دائم اتصال ... ما قامت الأسماء بأفعال/ [666/ج]
ثم الصلاة والسلام العالي ... على النبي المصطفى والآل
وبعد فالنجل العزيز الغالي ... الكامل الفهم السليم البال
يسمى لنا الملقب الجلال ... فتى عزيز الدين ذي الإجلال
نجل الكرام السادات الموالي ... أفديه من بدر ومنهلال
فمن سعى في ظلم الليالي ... وآثر الحرص على الإهمال

---

(1) لعله أحمد بن محمد بن علي شهاب الدين المنصوري المسلمي المعروف بالهائم (798-887هـ). شاعر مصري من ذرية العباس بن مرداس السلمي. انظر ترجمته في نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي: 77 والضوء اللامع 2/ 150 وفيه: ابن الهائم وكذا في الكواكب السائرة 1/ 260.

(2) ب: اخبرني.

(3) ب: إن.

وبدل الأدبار بالإقبال وانتهز الفرصة في الأعمال

[542/ب] ومن حوى الحاوي بلا احتيال إفادة في الجد والأشغال/

وعمها بحر من السلسال من جامع الجوامع السيال

محصلا من مغلق الأقفال تلخيص مفتاح العلوم الغال

لا من أحسن النوالي ألفية العراق رأس المال[1]

خمسة أسماط من اللئالي ليس لها في الحسن من مثال

فسار سير الفحل في المجال أو جري سيل من مكان عال

حتى تروي شرف المعالي وعد من فوارس الأبطال

وقد أجزته بلا محال بما عدا من العلوم غال

وما روينا[2] من الأمالي من صدر كل عالم مفضال

وما نظمته وما انتمى لي من منطق حلو ومعنى حال

بلغه الله من الخصال غايتها الجميل والجمال

وأيد الأسد بالأشبال ما سح صوب الوابل الهطال

قلت: وذلك في سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة. وكتب الولد أيضا جلال الدين محمد وفقه الله تعالى للشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد القادري يستدعيه إجازة منه بأبيات وهي قوله:

[السريع]

يا عاشر العصر وأستاذه يا قنية الناظم والناثر[3]

أد زكاة الفضل للمجتدي فإنها من على القادر

شرف بعرض فائق ضمنه إجازة من نظمك الزاهر

(1) يأتي التعليق على هذه الكتب لاحقا.

(2) ج: رأينا.

(3) القنية: ما يقتنيه الإنسان لنفسه ويختاره. اللسان: قنا.

فإن تشرفني منه منة ... فلن ترى مثلي من شاكر
في سائر الدنيا غدا سائرا ... فضلك مثل المثل السائر/ [438/أ]

فأجازه أطال[1] الله في مدته وأحسن إلينا وإليه بخطبة بليغة وأبيات بديعة فمنها قوله/ : [667/ج]

[السريع]

أفديك من أصل نما فرعه ... إلى العلا كالكوكب الزاهر
وهو جلال الدين ما مثله ... يوجد في النادي ولا النادر
بحب ليلى العلم في عشقه ... قيس به قيس بني عامر[2]
وفيهوى عزته عزة ... يحلو بها ذكراه للذاكر
إن يجمل الصبر ففي أخذه ... لا يجمل[3] الصبر على الصابر
بعرضه[4] الحاوي حوى بهجة ... باهرة في الحسن للناظر
وقد عدا عدو المصلى إلى ... جوامع الجمع والطائر
ومر في الألفيتين التي ... كلتاهما كالنجم للحائر/ [541/ب]
وكان لي التلخيص تلخيصه ... كالسيف أنضته يد الشاهر
فيا لها من خمسة صافحت ... راحتها فكر الفتى الماهر
نجابة تعزى لأجداده ... حكما على الغائب بالحاضر
كما له أهدى كمالا إلى ... آل كميل بالثنا الوافر

وكتب الولد جلال الدين محمد أيضا إلى العلامة الرئيس الفاضل شهاب الدين أبي العباس أحمد بن المصري المحلي[5] أفسح الله تعالى في مدته وهي:

---

(1) ج: أجاز.

(2) يريد قيس بن الملوح العامري، سبق ذكره.

(3) أ: نحمد.

(4) أ: بحرضه.

(5) ساقطة من: ب.

[الطويل]

أيا من سما في الناس فضلا وسؤددا ... وحلما وعلما يستفاد ويحتدى

ومن أصبحت فينا مصابيح علمه ... بها من ظلام الغي والجهل يهتدى

بفضل يعرض اجعلنه فضيلة ... إذا اتخذ الناس الذخائر عسجدا

فشرف به فضلا كما شرفت به ... مخادمنا[1] السادات، لا زلت سيدا

قال: فأجاب عامله الله تعالى بلطفه:

[الطويل]

تفضلت يا من بالجميل قد ابتدا ... فصرت إماما سابقا بك يقتدى

ودوحتك العليا طابت ثمارها ... حتى زكت أصلا وفرعا ومحتدا

فيالك من بر وصول بصدره ... وكفه بحر فاض علما وأزبدا

وأعجب شيء أن تروم ذخيرة ... وأنت الذي أصبحت بالفضل مفردا

بحق أياديك التي قد تقدمت ... أأبصرت بحرا يستمد من الندا؟

فذاك لسان عن ثنائك قاصر ... وأي لسان بعد لم يدخل الفدا

بقيت عزيزا ظاهر الفضل كاملا ... ولا زلت منصور الجناب مؤيدا

[668/ج] ثم أجازه في خطبة بليغة نثرا بليغا طوله يمنع من الإتيان به هاهنا. وكتب/ أيضا الولد محمد جلال الدين إلى الخطيب زين الدين عبد القادر المحلي بالمحلة الكبرى وهي:

[الطويل]

ألا أيها المولى الخطيب الذي بدت ... فضائله الحسنى فليست بخافيه

ومن أصبحت فينا بحور قريضه ... مناهلها [مضمونة][2] الورد صافيه

---

(1) ج: مخاديمنا.

(2) أ، ب: مضمومة.

فديتك شرفني بعرض مضمنا إجارتك الغراء في ضمن قافيه
لأجعله عرضا لعرضي حجة علة من يعادي أويعاند كافيه/ [441/أ]

فأجازه عامله الله بلطفه، بإجازة نظما ونثرا في غاية البلاغة وعرض الكتب الخمسة المذكورة وهي: الحاوي الصغير للشيخ الإمام العلامة نجم الدين عبد الغفار القزويني[1] وألفية الحديث للشيخ الإمام العلامة أبي عبد الله المحدث، أعجوبة العصر، عبد الرحيم زين الدين العراقي[2] وألفية ابن مالك في النحو للشيخ/ الإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن مالك، وكتاب جمع الجوامع في [544/ب] الفنون القواطع في الأصلين، وعلم التصوف للشيخ الإمام العلامة تاج الدين عبد الوهاب السبكي، و«تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، للشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة جلال الدين القزويني وذلك على جماعة من مشايخ الإسلام وقضاة القضاة وفضلاء العصر، وأجازه كل منهم بإجازة بخطه الكريم، من مجلد جمعتهم فيه سيدنا قاضي القضاة شيخ الإسلام زكريا الأنصاري[3]. ومنهم: قاضي القضاة وشيخ الإسلام أبو العباس أحمد الأسيوطي[4]. ومنهم: قاضي القضاة وشيخ الإسلام برهان الدين اللقاني[5] ومنهم: شيخ الإسلام

---

(1) عبد الغفار بن عبد الكريم بن عبد الغفار نجم الدين القزويني من الفقهاء (ت 665هـ). انظر طبقات الشافعية 5/ 118

(2) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمان بن أبي بكر الكردي المعروف بالعراقي (725-806هـ). انظر الضوء اللامع 4/ 171 وشذرات الذهب 7/ 55-57.

(3) زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري، أبو يحيى، من حفاظ الحديث (823-926هـ) راجع الكواكب السائرة 1/ 196.

(4) هو أحمد بن أحمد بن عبد الخالق الأسيوطي ولي الدين (813-891هـ) راجع نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي: 35.

(5) هو إبراهيم بن محمد بن عمر اللقاني المالكي، برهان الدين قاضي القضاة (817-896هـ). راجع نظم العقيان: 29.

وقاضي القضاة الشيخ شمس الدين محمد الأمشاطي الحنفي[1] ومنهم قاضي القضاة وشيخ الإسلام الحنبلي السعدي[2]. ومنهم: قاضي القضاة وشيخ الإسلام بالحجاز الشريف برهان الدين ابن ظهيرة[3]. ومنهم شيخ الإسلام الشيخ محي الدين الكافيجي[4] الحنبلي ومنهم: شيخ الإسلام واحد الدهر، الشيخ أمين الدين الأقصرائي[5]. ومنهم شيخ الإسلام قاضي القضاة الشيخ قطب الدين الخيضري[6] ومنهم: شيخ الإسلام الشيخ علاء الدين بن عبد المنعم الجوجري[7]. ومنهم الحافظ الكبير حافظ العصر الشيخ عثمان الديمي[8]. ومنهم الخطيب البليغ خطيب المسجد الحرام أبو بكر بن ظهيرة[9]، وجماعة كثيرون، وأجازه كل واحد من المشار إليهم بإجازة بليغة بخطه الكريم، وجل على جماعة من المشايخ كتبا

---

(1) هو محمود بن أحمد بن حسن بن إسماعيل، مظفر الدين الحنفي القاهري (812-902هـ) المعروف بالأمشاطي، عالم بالطب وفنون القتال. انظر الضوء اللامع 10/ 128

(2) محمد بن محمد بن أبي بكر السعدي، قاض من فقهاء الحنابلة (836-900هـ). راجع الضوء اللامع: 9/ 58. شذرات الذهب 7/ 366.

(3) إبراهيم بن علي بن محمد ابن ظهيرة، أبو إسحاق برهان الدين قاضي مكة (825-891هـ).راجع نظم العقيان: 17. الضوء اللامع 1/ 366.

(4) أ، ب: الكافي، وهو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود محي الدين، أبو عبد الله الكافيجي، عرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو. (788-879هـ). راجع الضوء اللامع 7/ 259. شذرات الذهب 7/ 326.

(5) يحيى بن محمد بن إبراهيم، أبو زكريا، أمين الدين الأقصرائي قاض من الحنفية (797-880هـ). راجع الضوء اللامع 10/ 240.

(6) محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر، قطب الدين أبو الخير الخيضري قاض من العلماء بالتراجم والأنساب (821-894هـ). راجع نظم العقيان: 162. الضوء اللامع 9/ 117.

(7) محمد بن عبد المنعم بن محمد الجوجري، قاض من فقهاء الشافعية (821-889هـ). راجع الضوء اللامع 8/ 123.البد الطالع 2/ 200.

(8) عثمان بن محمد بن عثمان بن ناصر، أبو عمرو الديمي، من حفاظ الحديث (821-908هـ). الضوء اللامع 5/ 140. الكواكب السائرة 1/ 259.

(9) أبو بكر بن محمد بن محمد بن حسين بن علي، ويعرف بابن ظهيرة فقيه ولد بمكة (838-889هـ). انظر ترجمته في الضوء اللامع 11/ 58-60.

منها: الحاوي/ الصغير، على الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن البيجوري[1] [669/ج] نزيل ثغر دمياط المحروس، وقرأه عليه تقسيما، وحل عليه أيضا شرح الألفية للإمام بهاء الدين بن عقيل[2]، والفصول في الفرائض للشيخ شهاب الدين أحمد بن الهائم[3]، و«اللمع» و«النزهة» في علم الحساب[4]، وقرأ «الحاوي» تقسيما أيضا على الشيخ شمس الدين محمد مقدود[5] الشرفي[6] بالقاهرة المحروسة وقرأ عليه التوضيح[7] لابن هشام، وسمع عليه نصف التنبيه[8]، وسمع «المنهاج»[9] على شيخ الإسلام شمس الدين محمد الجوجري[10]، وأعاد الفصول على الشيخ الإمام

---

(1) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن علي البيجوري شهاب الدين، عالم ولد بالقاهرة حوالي 820هـ. انظر الضوء اللامع 2/ 65.

(2) عبد الله بن عبد الرحمان بن عبد الله، بهاء الدين ابن عقيل (694-769). راجع الدرر الكامنة 2/ 372. البدر الطالع 1/ 386. الشذرات 6/ 214.

(3) هو أحمد بن محمد بن عماد الدين المقدسي الشافعي ويعرف بابن الهائم شهاب الدين عالم في الفرائض والحساب (756-815هـ)، ولعل الصيغة النهائية لعنوان الكتاب المذكورهي «الفصول المهمة في موارث الأمة». راجع الضوء اللامع 2/ 157. الشذرات 7/ 109. كشف الظنون 2/ 1265 وفيه أنه توفي سنة 887، ولعله يريد ابن الهائم الشاعر.

(4) اللمع والنزهة كتابان لابن الهائم المذكور وهما: «اللمع في الحساب» و«نزهة الحساب»، وأشار صاحب كشف الظنون إلى أن مؤلف اللمع هو شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المتوفى سنة 887هـ. لعله أشار أيضا إلى ابن الهائم الشاعر. انظر ج 2/ 1562-1942.

(5) ج: مندود.

(6) لم أقف عليه.

(7) عنوانه «أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك». وهو لأبي محمد عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام. راجع كشف الظنون 1/ 154

(8) التنبيه، عنوان لعدة كتب، لا أدري أي تنبيه يقصد المؤلف، أشهرها التنبيه في فروع الشافعية لأبي إسحاق الشيرازي ولعله المقصود. انظر كشف الظنون 1/ 489.

(9) لعله قصد «منهاج الطالبين» لمحي الدين النووي المتوفى سنة 676هـ. انظر كشف الظنون 2/ 1873.

(10) سبق ذكره.

الأستاذ واحد العصر بدر الدين حسين المارديني[1]، وقرأ عليه شرح الفصول للبدر المشار إليه، وقرأ أيضا «كشف الغوامض»[2] للبدر المشار إليه والجعفرية في علم الفرائض، و«جدول المناسخات»[3] وقرأ عليه أيضا «شرح قطر الندى»[4] في النحوللشيخ بدر الدين المشار إليه وقرأ في علم الميقات رسالة في المقنطرات للماردیني، ورسالة أيضا في علم الحساب ودرجة الشمس لابن يونس[5]، وسجينة في علم النجوم، وأعاد ذلك قراءة على الشيخ الإمام الأستاذ الشيخ ناصر الدين بن البريدي الحنفي، وأجازه كل منهم بإقراء الكتب المذكورة والتدريس وهذا كله وهو ابن دون العشرين سنة إلى أن قدر الله تعالى بوفاة خاله قاضي القضاة صلاح الدين والدنيا أبي البقاء الكمالي، ووقع له محنة عظيمة بسببه في الدولة الأشرفية، وهو السلطان قايتباي عز نصره فانقطع عن الطلب بواسطة ذلك، ولزمته هموم كثيرة من أحوال الدنيا، ورماه الأعداء والحساد عن قوس واحدة وسمعته يقول متمثلا [بقول الشاعر][6]:

[البسيط]

إن يحسدوني فإني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

(1) لعله أراد به المارديني السبط، محمد بن محمد بن أحمد شمس الدين الشافعي، الفرضي الرياضي النحوي (ت 907هـ) لأن بدر الدين المارديني سابق لابن المؤلف محمد جلال الدين المذكور حيث توفي سنة 780هـ. انظر ترجمة المارديني السبط في الضوء اللامع 9/ 35.

(2) «كشف الغوامض في الفرائض» نسبه حاجي خليفة للمارديني السبط السابق الذكر. انظر ج 2/ 1493.

(3) لم أقف عليه. ولعله يقصد: منتهى الإرادات لجدول المناسخات في الفرائض لحسين بن أحمد المحلي، ذكره البغدادي في إيضاح المكنون 4/ 571.

(4) «قطر الندى وبل الصدى» لابن هشام وهو كتاب في النحو شرحه المارديني السبط شمس الدين وليس بدر الدين، انظر معجم المؤلفين 11/ 188.

(5) علي بن عبد الرحمان بن أحمد بن يونس الصدفي، أبو الحسن، الفلكي من العلماء الأدباء (توفي سنة 399هـ).راجع الوفيات والشذرات 3/ 156.

(6) زيادة من: ج.

فدام لي ولهم ما بي وما بهم ... ومات أكثرنا غيظا بما[1] يجد/ [545/ب]

وقلت فيه أبياتا وهي/ : [442/أ]

[الخفيف]

رب من قد[2] علمت أضحى فقيرا ... بات[3] بالفقر قلبه مكسورا

رب أعداؤه رأوه قليلا ... رب فاجعل من القليل كثيرا

رب أوجدته جوادا كريما ... فأعنه وارزقه رزقا غزيرا

رب والطف به ودبره واجعل ... كل صعب عليه رب يسيرا

رب فقهه واجعلنه إماما ... عالما عاملا صبورا شكورا/ [670/ج]

رب عاف من البلا واعف عنه ... رب يسر أموره تيسيرا

رب ربيته صغيرا وأحسنت ... إليه فجد عليه كبيرا

رب حنن عليه وانظر إليه ... وبه اجعل يا رب طرفي قريرا

رب واعصمه واتخذه وليا ... رب طهر فؤاده تطهيرا

رب من أمه بسوء ومكر ... ربنا كن له عليه نصيرا

رب أسلمت أمره لك ... فاحفظه ودبر أموره تدبيرا

رب مكن له في الأرض وبوأ ... ه علا شامخا ومجدا كثيرا

رب حتى قال:هذا الذي كا ... ن لدينا مستضعفا مقهورا

رب في الكون لا تعجزه شيئا ... فعلى ما تشاء أنت قديرا

رب واجمع به غدا في جنان الخلد ... شملي مستبشرا مسرورا

رب مع أشرف النبيئين طه ... من بعثته رحمة وبشيرا

رب بارك وارحم وصل عليه ... وعلى آله وسلم كثيرا

---

(1) أ، ب: وما.

(2) ب، ج: ما قد.

(3) أ: مات.

وقلت: اختلف الأعداء علينا فأنا أرجو الله سبحانه أن يكون لنا عونا عليهم ووقاية من النار. فقلت في ذلك وكانوا أهل قرية وهي هذه الأبيات:

[الكامل]

خلق العداة الزور فينا وافتروا ... وتقولوا بالزور والبهتان

أهلا بها من قرية أرجوبها ... سكنا بدار كرامة وأمان

أهلا بها من قرية قد أوقعت ... من نالها في ذلة وهوان

أهلا بها من قرية قد صححت ... عنا كبير الزور بالغفران

يا حاسدي لا تنساني من مثلها ... فلقد ربحت وبؤت بالخسران

حُكي أنه وفدت جماعة من أهل الحديث على الإمام الزاهد الحسن بن سفيان النسوي[1] فقال لهم: قد علمت أنكم طائفة من أبناء النعم وأهل الفضل، هجرتم أوطانكم وفارقتم دياركم وأصحابكم وإخوانكم في حب طلب العلم واستفادة علم الحديث، فلا يخطرن ببالكم أنكم قضيتم بهذا التجشم للعلم حقا وأديتم بما تحملتم من الكلف والمشقة فرضا، فإني أحدثكم ببعض ما تحملته في طلب العلم من المشقة والجهد وما كشف الله تعالى عني[2] وعن أصحابي ببركة العلم وصفاء العقيدة من الضيق والضنك. اعلموا أني كنت في عنفوان شبابي ارتحلت عن وطني لطلب العلم والحديث/ فاتفق حصولي بأقصى المغرب ثم حلولي بمصر[3]/ في تسعة [546/ب][671/ج] نفر من أصحابي من طالبي[4] العلم وسامعي الحديث، وكنا نختلف إلى شيخ كان

(1) الحسن بن سفيان بن عامر الشيباني النسوي، أبو العباس صاحب المسند في الحديث (213-303هـ). تذكرة الحفاظ 2/ 703. طبقات الشافعية 2/ 210. النجوم الزاهرة 3/ 189. وشذرات الذهب 2/ 241.

(2) زيادة من: ب.

(3) أ، ب: مصر.

(4) أ، ب: طالبين.

أرفع أهل زمانه في العلم منزلة، وأرواهم للحديث وأعلاهم[1] إسنادا وأصحهم رواية، فكان يملي علينا في كل يوم مقدارا يسيرا من الحديث حتى طالت المدة وخفت النفقة ودعت الضرورة إلى بيع ما عندنا حتى أدى ذلك بنا إلى أن طوينا ثلاثة أيام بلياليها جوعا وسوء حال، وأصبحنا بكرة اليوم الرابع بحيث لا حركة/ [1/443] لأحد منا من الجوع وضعف الأطراف وأحوجت الضرورة إلى كشف القناع ورفع الحشمة وبذل الوجه للسؤال، فلم تسمح أنفسنا بذلك ولم تطب قلوبنا به، وأنف كل واحد منا عن ذلك، والضرورة تحوج إلى السؤال على كل حال، فوقع اختيار الجماعة على كتب رقاع باسم كل واحد منا وإرسالها قرعة، فمن ارتفع اسمه من الرقاع كان هو القائم بالسؤال لأصحابه فارتفعت الرقعة على اسمي فتحيرت ولم تسامحني نفسي بالمسألة واحتمال الذلة، فعدلت إلى زاوية المسجد أصلي ركعتين طويلتين قد اقترن الإعتقاد فيهما بالإخلاص، أدعو الله عز وجل بأسمائه العظام، وكلماته الرفيعة لكشف الضر وإتيان الفرج، فلم أفرغ بعد إتمام الصلاة حتى دخل المسجد شاب حسن الهيئة والوجه نظيف الثياب طيب الرائحة يتبعه غلام خادم في يده منديل فقال: من منكم الحسن بن سفيان؟ فرفعت رأسي فقلت: أنا الحسن بن سفيان، فما الحاجة؟ فقال: الأمير أحمد بن طولون يقرئكم السلام ويعتذر إليكم في الغفلة عنكم وعن تفقد أحوالكم والتقصير الواقع منه في رعاية حقوقكم، وقد بعث نفقة في الوقت وهو زائركم غدا بنفسه ومعتذر إليكم بلفظه، ووضع بين يدي كل واحد منا صرة فيها مائة دينار فتعجبنا من ذلك وتحيرنا وقلت للشاب: ما القصة؟ قال: أنا أحد خدام الأمير المختصين به، دخلت عليه بكرة يومي هذا مسلما في جملة أصحابي فقال: أريد أن أخلو يومي هذا، فانصرفوا أنتم إلى منازلكم فانصرفنا، فلم استوف قعودي حتى أتاني رسوله مسرعا يطلبني طلبا حثيثا فأتيته فوجدته منفردا في بيت، واضعا يده على خاصرته لوجع أصابه فقال لي: أتعرف

(1) ج: أملاهم.

الحسن بن سفيان وأصحابه؟ قلت لا. قال: اقصد المحلة الفلانية والمسجد الفلاني واحمل هذه الصرر وسلمها في هذا الوقت إليه وإلى أصحابه فإنهم منذ ثلاثة أيام [672/ج] جياع بحالة ضعيفة، ومهد عذري لديهم وعرفهم أني في صبيحة الغد/ زائرهم ومعتذر إليهم مشافهة، فسألته عن السبب الذي دعاه لهذا. فقال لي: دخلت هذا البيت منفردا على أن أستريح ساعة، فلما هدأت عيني رأيت في المنام فارسا في الهواء متمكنا كتمكن من يمشي على بيسطة الأرض وبيده رمح وكنت أتعجب من ذلك حتى نزل إلى هذا البيت فوضع سافلة رمحه على خاصرتي وقال: أدرك الحسن بن سفيان وأصحابه فإنهم جياع منذ ثلاثة أيام في المسجد الفلاني فقلت له: من أنت؟ قال: أنا رضوان، ومنذ أصاب سافلة رمحه خاصرتي أصابني وجع شديد فعجل بإيصال هذا المال إليهم ليزول هذا الوجع عني. قال الحسن بن سفيان: فتعجبنا من ذلك وشكرنا الله تعالى وأصلحنا أمورنا ولم تطب أنفسنا بالمقام حتى لا يزورنا الأمير ولا يطلع الناس على أسرارنا فيكون ذلك سبب ارتفاع اسم وانبساط جاه ويتصل بذلك الرياء والسمعة. فخرجنا تلك الليلة من مصر فأصبح كل واحد منا واحد عصره وبديع دهره في العلم والفضل، فلما أصبح الأمير، يقال: إنه أتى إلى المسجد لزيارتنا فلم يجدنا فأمر بابتياع تلك المحلة بأسرها ووقفها على ذلك المسجد وعلى من ينزل به من الغرباء وأهل الفضل وطلبة العلم، حتى لا تختل [547/ب] أمورهم ولا يصيبهم الذي أصابنا، وذلك/ كله من قوة وحسن الاعتقاد واليقين والتسليم لله سبحانه عز وجل.

حُكي أن بعض العلماء كان يقرأ عليه بعض الطلبة ويلازمه وكان اسم ذلك الطالب محمدا وكان الشيخ لا يناديه إلا باسمه فيقول: يا محمد! افعل كذا، اترك كذا، فنزل ليلة من بيته فقال له يا شمس الدين! ففرح بذلك الطالب وظن أن الشيخ يريد تعظيمه وأنه ناداه بهذا اللقب لظهور فضيلته، فقبل يد الشيخ على [444/أ] ذلك فقال له الشيخ: ليس الأمر كذلك/ ولا كما تظن، وإنما أنا جنب فكرهت

أن أذكر هذا الاسم الشريف وأنا جنب، فانظر إلى تعظيمهم لرسول الله ﷺ إذ لم يذكروا اسمه ولا اسم من تسمى باسمه إلا على طهارة، هذا غاية التعظيم والمقام فوق ذلك ﷺ وزاده شرفا وكرما وتعظيما.

حُكي عن أبي الفضل صالح بن علي بن يعقوب بن المنصور[1] الهاشمي قال حضرت المهتدي بالله، وقد جلس للنظر في أمور المسلمين في دار العامة، فنظرت إلى قصص الناس تُقرأ عليه من/ أولها إلى آخرها فيأمر بالتوقيع فيها وينشئ الكتاب [673/ج] عليها ويختمها ويدفعها إلى خادم بين يديه، فتعجبت من ذلك واستحسنته فجعلت أنظر إليه ففطن إلي ونظر نحوي فغضضت طرفي فإذا اشتغل نظرت إليه، حتى[2] كان ذلك مني ومنه مرارا، قال لي: يا صالح! قلت لبيك يا أمير المؤمنين! وقمت قائما، فقال لي: أفي نفسك شيء تريد أن تقوله لنا؟ قلت نعم. فقال لي: عد إلى موضعك، فعدت، وعاد للنظر في أمور[3] الناس وقال للحاجب: لا يبرح صالح. وانصرف الناس ثم أذن لي فاهتممت لذلك، فدخلت عليه ودعوت له، فقال لي: اجلس، فجلست. فقال: يا صالح! أقول لك ما درأ[4] في نفسك [أم أنت تقول؟ فقلت: الأمر لله ثم إليك، فقال: أنا أقول. فقلت: المرسوم مرسومك. فقال: إنه درأ في نفسك][5] أنك استحسنت ما رأيت منا، فقلت: أحسن خليفتنا إن لم يكن يقول بخلق القرآن. قال صالح: فلما قال ذلك ورد علي أمر عظيم، ثم قلت: يا نفس! هل تموتين قبل أجلك؟ وهل تموتين إلا مرة واحدة؟ فهاجت وقلت له: ما درأ في نفسي إلا ما قلت. فأطرق مليا ثم قال: ويحك! اسمع مني ما أقول، فوالله لتسمعن

(1) ذكره المسعودي في تاريخه 5/ 99.

(2) ب: إذا.

(3) ج: أمر.

(4) ب: دار.

(5) ما بين معقوفين زيادة من: ج.

مني الحق. فقلت: ومن أولى بالحق منك، وأنت خليفة رب العالمين وابن عم سيد المرسلين، ﷺ؟ فقال: مازلت أقول إن القرآن مخلوق صدرا من أيام الواثق حتى أقدم عليه شيخ من أهل الشام فاستأذن فأدخل الشيخ على الواثق مقيدا وهو جميل الوجه، تام القد حسن الشيبة، فرأيت الواثق قد استحيى منه ورق له، وما زال يدنيه ويقربه حتى قرب منه، فسلم الشيخ فأحسن تسليمه، ودعا فأوجز وأبلغ، فقال له الواثق: اجلس، فجلس، فقال له: يا شيخ! ناظر القاضي أحمد بن أبي دواد على ما يناظرك عليه، فقال له الشيخ: إن ابن أبي دواد يقصر ويقل ويضعف عن المناظرة فغضب الواثق وعاد مكان الرقة غضبا عليه وقال له: القاضي أحمد بن أبي دواد يقصر ويضعف ويقل عن المناظرة معك؟ فقال الشيخ: هون عليك يا أمير المؤمنين، واذن لي في مناظرته فقال: ما دعوت بك إلا لأجل مناظرته فقال الشيخ: إن أردت أن تحفظ علي وعليه ما يقول فافعل. فقال الواثق: نعم. فقال الشيخ: يا أحمد إلى م دعوت الناس ودعوتني إليه؟ قال: دعوتهم ودعوتك إلى أن يقولوا إن القرآن مخلوق ولأن ما دون الله مخلوق، فقال الشيخ: يا أحمد! أخبرني [674/ج] عن مقالتك هذه أواجبة داخلة في عقد الدين فلا/ يكون الدين كاملا حتى يقال [548/ب] فيه بما قلت؟ قال: نعم. فقال الشيخ/ : يا أحمد! أخبرني عن رسول الله ﷺ حين بعثه الله تعالى إلى عباده هل ستر شيئا مما أمره الله تعالى به في أمر دينهم؟ فقال: لا، فقال الشيخ: أفدعا رسول الله ﷺ إلى مقالتك هذه؟ فسكت أحمد بن [أبي][1] دواد فقال الشيخ: يا أحمد، تكلم، فسكت فالتفت الشيخ إلى الواثق وقال: هذه واحدة يا أمير المؤمنين فقال الواثق: واحدة. فقال الشيخ: يا أحمد! أخبرني عن الله عز وجل حين أنزل القرآن على رسوله ﷺ فقال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[2] أهو الصادق في إكمال دينه أم أنت الصادق في

(1) زيادة من: ب، ج، هـ.

(2) المائدة: 3.

نقصانه، فلا يكون كاملا حتى يقال فيه بمقالتك هذه؟ فسكت أحمد بن أبي دواد فقال الشيخ: أجب يا أحمد، فلم يجب، فقال الشيخ للواثق:هذه اثنتان[1]. فقال الواثق: اثنتان[2] فقال الشيخ: أخبرني عن مقالتك هذه أعلمها رسول الله ﷺ، أم جهلها؟ فقال أحمد[3]: علمها، قال الشيخ: أفدعا الناس إليها؟ فسكت. فقال الشيخ: تكلم يا أحمد، فلم يتكلم فقال الشيخ للواثق:هذه ثلاث، فقال الواثق: ثلاث. فقال الشيخ: يا أحمد! أفاتسع لرسول الله ﷺ، إذ علمها فأمسك عنها، كما زعمت، ولم يطالب أمته بها؟ قال أحمد: نعم. قال الشيخ: واتسع/ لأبي بكر وعمر [أ/445] وعثمان وعلي رضي الله عنهم ذلك؟ قال أحمد: نعم. فأعرض الشيخ عنه وأقبل على الواثق وقال: يا أمير المؤمنين! قد قدمت لك القول أن أحمد يقصر ويضعف ويقل عن المناظرة. يا أمير المؤمنين! إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة على ما زعم هذا أنه اتسع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، فلا وسع الله علينا، ثم قال: اقطعوا قيد الشيخ فلما قطع القيد قبضه الشيخ بيده فجاذبه الحداد عليه فقال الواثق: دع الشيخ يأخذه فأخذه الشيخ ووضعه في كمه، فقال له الواثق: لم أخذت القيد؟ فقال: لأني عزمت على أن أوصي أن يدفن معي هذا القيد حتى أفاحم به هذا الظالم عند الله تعالى يوم القيامة وأقول: يا رب! سل عبدك هذا الذي قيدني ودفع أهلي عن زيارتي وروعهم بغير حق وجب علي فقال الواثق: يا شيخ! اسألك أن تجعلني في حل مما نالك. فقال: والله إني جعلتك في حل من ساعة رأيتك، إجلالا لرسول الله ﷺ، إذ أنت من أهل بيته/ فقال له: [ج/675][هـ/485] فهل تقبل منا شيئا وتقيم عندنا فنتنفع بك وينتفع بك فتياننا؟ فقال الشيخ: أنت غني عني، قال: فسل حاجتك. فقال الشيخ: أوتقضيها؟ قال الواثق: نعم، إن

---

(1) ج: اثنان.

(2) ج: اثنان.

(3) أ: الواثق.

كانت ممكنة. فقال الشيخ: تخلي سبيلي الساعة إلى البلد الذي جئت منه لأصل إلى أهلي فأكف دعواتهم عليك، فإني خلفتهم على ذلك، فأجابه الواثق لذلك وخلى سبيله، فخرج لوقته، قال: فرجعت ورجع الواثق من اليوم المذكور وتركت هذه المقالة[1] وأظن بل أتحقق أن الواثق رجع عنها باطنا. قال صالح: ففرحت بذلك وسررت غاية السرور[2].

حكى أهل التاريخ أن أبا طاهر القرمطي[3] هجم على مكة [المشرفة على الحاج يوم التروية فقتل][4] أمير مكة[5] وقتل بعض الحاج في بيت الله الحرام وزاد في البغي حتى قلع الحجر الأسود وعرى البيت[وقلع الباب][6] وأصعد رجلا لقلع[7] الميزاب[8] فتردى[9] على رأسه فمات الرجل وأخذ الأموال وطرح القتلى في بئر زمزم وأخذ أسلاب[10] أهل مكة، وحمل الحجر الأسود، وانصرف إلى بلده، وحمله إلى الكوفة، ثم حمله إلى هجر[11] في سنة سبع عشرة/ وثلاثمائة، وبقي الحجر [549/ب] الأسود عند القرامطة إحدى وعشرين سنة وإحدى عشر شهرا ثم رد لخمس خلون من ذي الحجة سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وقيل: إن أبا الطاهر القرمطي

---

(1) لعله يريد بها مقاله: القرآن مخلوق.

(2) الحكاية وردت برواية مختلفة في مروج الذهب 5/ 99-101

(3) سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي أبو طاهر القرمطي زعيم القرامطة، طاغية جبار (توفي سنة 332هـ). راجع النجوم الزاهرة 3/ 225. الأعلام للزركلي 3/ 123

(4) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج.

(5) في الكامل لابن الأثير هو ابن محلب. انظر ج: 8 حوادث سنة 317هـ.

(6) زيادة من: ب، ج، هـ.

(7) أ، ب: لقلب.

(8) المتزاب: هكذا ورد في اللسان وهو مصب الماء من السطح ومنه متزاب الكعبة. اللسان: أزب.

(9) تردى: أي انقلب أوسقط، ومنه قوله تعالى: والمتردية وهي التي تقع من فوق إلى أسفل. اللسان: ردي.

(10) الأسلاب: ما يؤخذ من قتلى الحرب، من ثياب وسلاح. اللسان: سلب.

(11) لعلها هجر البحرين وهي قصبة بلاد البحرين. معجم البلدان: هجر.

باع الحجر من رسول المقتدر بالله العباسي بثلاثين ألف دينار، ولما أراد أن يسلمه إلى رسول المقتدر أحضر أهل الكوفة وقال: أشهدوا أنهم تسلموا الحجر الأسود. قال الراوي: وأعيد إلى موضعه[1].

قلت: وقد أخذ من مكانه غير ما مرة، وأعيد إلى مكانه. فعلت ذلك جرهم[2] وكذلك/ فعلت العمالقة وخزاعة[3] ومن سخط الله تعالى عليه وسيقلع في آخر [486/هـ] الزمان، ولما أخذه القرمطي مات تحته أربعون جملا فيما قيل، ولما أعيد إلى موضعه حمل على قعود[4] ضعيف فسمن تحته وزاد حجمه حتى أتي به إلى موضعه.

حكى المؤلف قال: قال الشيخ شمس الدين السخاوي[5] رحمه الله: قال بعض الصوفية: إن لله عز وجل ألف اسم، ولرسول الله ﷺ ألف اسم، وقال ابن دحية[6]: أسماء النبي ﷺ عدد أسماء الله الحسنى تسعة وتسعون اسما.

قال: ولو بحث عنها[7] باحث لبلغت ثلاثمائة اسم وبلغها القاضي عياض في كتابه الشفا[8] نحوا من ثلاثمائة مشرفة من أسماء الله تعالى وقد أتيت بها مرتبة على/ حروف المعجم ومن أشهرها ما أقوله: [676/ج]

(1) الحكاية وردت في الكامل لابن الأثير 8/ 207 وفوات الوفيات 2/ 59-61. والبداية والنهاية 11/ 160-161.

(2) جرهم: بطن من القحطانية كانت منازلهم أولا باليمن ثم انتقلوا إلى الحجاز، ثم نزلوا بمكة. راجع اللسان: جرهم. الأغاني 4/ 76. معجم قبائل العرب لكحالة 1/ 183.

(3) خزاعة: قبيلة من الأزد، من القحطانية، وهم بنوعمروبن ربيعة. راجع معجم قبائل العرب: 338.

(4) القعود: الهزيل والمسن من الجمال.

(5) محمد بن عبد الرحمان بن محمد شمس الدين السخاوي، مؤرخ وعالم بالحديث والتفسير. (831-902هـ). راجع مؤلفه الضوء اللامع 8/ 2-32. شذرات الذهب 8/ 15.

(6) عمر بن الحسن بن علي بن محمد، أبو الخطاب، ابن دحية الكلبي، أديب مؤرخ (544-633هـ). راجع الوفيات 3/ 448 ولسان الميزان 4/ 292، والنفح 2/ 99.

(7) أ، ب: عليها.

(8) عنوان الكتاب هو: الشفا بتعريف حقوق المصطفى.

حرف الألف: الأبر، الأبطحي، الأتقى، الأوحد، أحمد، الأعز، الأول، الآخر، إمام الخير، الأمين، الأمي.

حرف الباء: البشير، البر، البصير، البليغ، البيان، البينة، الباطن، البرهان.

حرف التاء: التهامي، التقي.

حرف الثاء: ثاني اثنين.

حرف الجيم: الجواد

حرف الحاء: الحافظ، الحاشر، الحامد، الحبيب، الحجة، الحرمي، الحفيظ، الحق، الحكيم، حماد، حم، حم عسق، الحميد.

حرف الخاء: الخبير، الخليل، الخاتم، الخاشع، الخاضع، الخالص[1]، خير البرية، خير الخلق، خيرة الله تعالى.

حرف الدال: الداعي إلى الله تعالى، الدليل، بالدال المهملة.

حرف الذال: الذاكر، الذكر.

حرف الراء: الراغب، الراضي، الراضع، الرافع، الرحمة، الرحيم، الرسول، الرشيد، الرفيع، الرقيب، الرؤوف، روح القدس، [روح الحق][2].

حرف الزاي: الزاهد[3]، زعيم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الزكي، الزمزمي، زين القيامة.

[**حرف السين:** السابق، السعيد، السراج.

---

(1) هـ: الخافض.

(2) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(3) أ، ب: الزاهر.

حرف الشين: الشافع، الشاكر، الشاهد، الشفيع، الشكور، الشمس، الشهيد.

حرف الصاد: الصامد، الصبور، الصدق، الصفوح، الصفي، الصحوة.

حرف الضاد: الضحوك

حرف الطاء: الطاهر، الطيب، طه، طس، طسم.

حرف الظاء: الظاهر.

حرف العين: العابد، العادل، العافي، العاقب[1]، العالم، العامل، عبد الله، العدل، العربي، العروة الوثقى، العز، العظيم، العفو، العفيف، العلامة، العليم، العلي.

حرف الغين: الغالب، الغيث، الغني بالله.

حرف الفاء: الفاروق، الفاتح، الفارق، الفتاح، الفجر، الفرط[2]، الفصيح، فضل الله، فواتح السور.

حرف القاف: القاسم، القاضي، القانت،/ قائد الخير، القاتل، القائم، القتال، القتول، القيم، القيوم، قدم صدق، القرشي، القريب، القمر، القثم ومعناه الجامع. [550/ب]

حرف الكاف/ : الكامل، الكريم، الكافي، كهيعص. [677/ج]

حرف اللام: اللسان.

حرف الميم: الماجد، الماحي[3]، المأمون، المانح، ماء معين، المبارك، المبتهل، المبشر، المبعوث، المبلغ، المتين، المتبتل، المتبسم، المترحم[4]، المتربص، المتضرع،

---

(1) العاقب: بمعنى أنه جاء عقب غيره من الأنبياء، وقيل جاء آخر الرسل. اللسان: عقب.

(2) الفرط: المتقدم إلى الشفاعة، . وهو اسم للجمع. انظر اللسان: فرط.

(3) هـ: الماجي.

(4) ج، هـ: المترجم.

المتقي، المجتهد، المتوسط، المتوكل، المثبت، المتثبت، المجتبي، المجير، المحرض، المحرم، المحفوظ، المحلل، محمد، المحمود، المخبر، المختار، المخلص، المدثر[1]، المزمل، المدني[2]، المذكر، المرتضي، المرتل، المزكي، المسيح، المستغفر، المستغي، المستقيم، المسعود، المسلم، المتشاور، المشهد، المشفع، المشهود، المصدق، المصدوق، المنير، المصافح، المصطفى، المعز، المصطلح، المطاع، المطهر، المطلع، المطيع، المظفر، المعصوم، المعقب، المعطي، المعلم، المعلى، المعلي، المفضال، المفضل، المتعبد، المقتفي، المقدس، المكي، [المكرم]، المكين،/ الملاحمي، المنادي، المنتصر، [487/هـ] المنذر، [المرسل]، المنصر، المنصف، المنصور، المنيب، المهاجر، المهتدي، المهين، المؤتمن، الموفر، الموقر، المولى، المؤمن، المؤيد.

حرف النون: النافذ، الناهي، الناشر، الناصر، الناصب، الناطق، النبي، النجم، النذير، النسيب، النعمة، النقيب، النقي، النور.

حرف الهاء: الهادي، الهاشمي.

حرف الواو: الواسط، الواسع، الواضح، الواعظ، الورع، الوسيلة، الوفي، الولي.

حرف الياء: يس.

ﷺ، وهذه الأسماء الشريفة التقطتها من كلام شيخي شمس الدين السخاوي فسح الله تعالى في مدته، من جملة أربعمائة اسم ونحو ثلاثين اسما جمعها من كلام ابن دحية، أفردها بمصنف وشرح معانيها في مجلدين لطيفين، وقد رتبها الشيخ، شمس الدين السخاوي رحمه الله، المشار إليه على حروف المعجم والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(1) أ، ب: المأثر.

(2) زيادة من: ج.

حكى أبو الحسن علي بن محمد [الدامغاني][1] في كتاب «شوق العروس وأنس النفوس»[2] عن كعب الأحبار [رحمه الله][3] أنه قال: اسم رسول الله ﷺ عند أهل الجنة عبد الكريم، وعند أهل/ النار عبد الجبار، وعند أهل العرش عبد المجيد[4]، [678/ج] وعند سائر[5] الملائكة عبد الحميد وعند الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام «عبد الوهاب»، وعند الشياطين «عبد القهار» وعند الله تعالى «عبد الله»، وعند الجن عبد الرحيم، وفي الجبال «عبد الخالق» وفي البر «عبد القادر» وفي البحر «عبد المهيمن» وعند الحيتان «عبد القدوس» وعند الهوام «عبد المغيث» وعند الوحوش «عبد الرزاق» وعند الطيور عبد الغفار/ وعند البهائم «عبد المومن وعبد السلام» [446/أ] وفي التوراة موءود موءود وفي الإنجيل طاب طاب وفي الصحف عاقب وفي الزبور فاروق، وعند الله تعالى طه وعند المومنين محمد وكنيته أبو القاسم صلى/ [551/ب] الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأنصاره وأهل بيته آمين/ [488/هـ] [وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين][6].

---

(1) أ، ب: الدمغاني. لعله الحسين بن محمد بن إبراهيم الدامغاني أبو عبد الله (ت478هـ). انظر كشف الظنون 2/ 107 ومعجم المؤلفين 4/ 44.

(2) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون، وعنه عمر رضا كحالة في معجمه. انظر الجزئين السابقين.

(3) ما بين معقوفين زيادة من: أ، ب.

(4) ب، ج، هـ: عبد الحميد.

(5) ساقطة من: ج.

(6) أ: حد منه الى ان ياتي الله بها يكمل منه على يد عبد ربه وأحوج العبيد لى رحمة مولاه الراجي عفوربه محمد بن الحسين بن عبد الهادي الاندلوسي المكني كركماظه الانجري ... وكان الفراغ منه غدوة يوم الخميس الثامن عشر من ربيع الثاني عام 1221هـ.
ب: انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه ... على يد كاتبه لنفسه ... عبد السلام بن محمد بن يونس الحسني... عام اثنين وخمسين ومائتين وألف.
ج: ... وكان الفراغ منه ضحوة يوم الاثنين عند الساعة العاشرة من العشرين من شعبان البرك رزقنا الله خيره.
هـ: انتهى التأليف المبارك المسمى بنزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــة	السورة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
إن الله لا يستحي	البقرة	26	751
وما أنزل على الملكين	البقرة	110	1063
فأينما تولوا فثم وجه الله	البقرة	110	1259
ما تعبدون من بعدي...	البقرة	115	162
فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم	البقرة	133	1055
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها	البقرة	142	1146
وإذا سألك عبادي عني فإني قريب	البقرة	175	1043
ذلك تخفيف من ربكم ورحمة	البقرة	177	1043
وليس البر بأن تاتوا البيوت من..	البقرة	188	536
حافظوا على الصلوات والصلاة...	البقرة	236	496
كم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة	البقرة	247	513
ولا يؤوده حفظهما	البقرة	254	1044
مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله	البقرة	260	391
فإن لم يصبها وابل فطل	البقرة	264	673
شهد الله أنه لا إله إلا وهو والملائة..	آل عمران	17	1019
ثم أنزل عليكم من بعد الغم ...	آل عمران	154	1041
حسبنا الله ونعم الوكيل	آل عمران	173	1137
فانقلبوا بنعمة من الله وفضل.....	آل عمران	174	1137
ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس	آل عمران	182	768

فإن طبن لكم عن شيء فكلوه...	النساء	4	1056
وأن تجمعوا بين الأختين ...	النساء	23	87
يريد الله أن يخفف عنكم وخلق ...	النساء	28	1043
فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك	النساء	64	256
يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا...	النساء	72	346
اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي...	المائدة	3	1294
إنا لن ندخلها	المائدة	26	471
وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم...	المائدة	66	308
لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم......	المائدة	103	680
أيها الناس/ عليكم أنفسكم ...	المائدة	107	679
وله ما سكن في الليل والنهار....	الأنعام	14	1043 - 1044
فقطع دابر القوم الذين ظلموا...	الأنعام	45	312 - 1052
وجهت وجهي للذي فطر السموات	الأنعام	79	1058
الله أعلم حيث يجعل رسالاته...	الأنعام	124	426 - 434
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله..	الأنعام	181	793
خلقتني من نار وخلقته من طين	الأعراف	11	1232
ربنا هؤلاء أضلونا...	الأعراف	37	272
إن رحمة الله قريب من المحسنين	الأعراف	55	469
فأصبحوا في ديارهم جاثمين	الأعراف	77	1052
فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون	الأعراف	98	1245
ماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه...	الأعراف	109110-	549

إني ليحزنني أن تذهبوا به ... الذيب	يوسف	13	90
لئن أكله الذيب ... لخاسرون	يوسف	14	90
لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون	يوسف	15	93 - 131
إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف...	يوسف	17	94
بل سولت لكم أنفسكم أمرا...	يوسف	18	155
أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا...	يوسف	21	103 - 105
ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما...	يوسف	22	106
وقالت هيت لك...	يوسف	23	107
كذلك لنصرف عنه السوء ... المخلصين	يوسف	24	108
ما جزاء من أراد بأهلك سوء	يوسف	25	109
إن كان قميصه قد من قبل فصدقت...	يوسف	2627 -	110
استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين	يوسف	29	110
امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه...	يوسف	30	110
أخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه... كريم	يوسف	31	111
حاش لله ما هذا بشرا	يوسف	31	111
فذلك الذي لمتنني فيه...	يوسف	32	111
ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن ...	يوسف	32	112
رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه	يوسف	33	112
فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن	يوسف	34	112
إني أراني أعصر خمرا ... المحسنين	يوسف	36	116

قضي الأمر الذي فيه تستفتيان...	يوسف	41	117
اذكرني عند ربك...	يوسف	42	117
وما نحن بتاويل الأحلام بعالمين	يوسف	44	120
أيها الصديق افتنا في سبع بقرات...	يوسف	4649 -	121
إيتون به...	يوسف	50	123
فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن...	يوسف	50	122
ما خطبكن إذ راودتن يوسف...	يوسف	51	122
قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء	يوسف	51	122
الآن حصحص الحق أنا راودته ...	يوسف	51	123
وما أبرئ نفسي...	يوسف	53	123
إيتوني به أستخلصه لنفسي...	يوسف	54	122 - 123
إنك لدينا اليوم مكين أمين...	يوسف	54	124
اجعلني على خزائن الارض...	يوسف	55	62 - 125
وعرفهم وهم له منكرون...	يوسف	58	132
إيتوني بأخ لكم...	يوسف	59	135 - 136
فإن لم تاتوني به ... ولا تقربون	يوسف	60	136 - 140
سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون	يوسف	61	136
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم	يوسف	62	136
يا أبانا منع منا الكيل...	يوسف	63	139
هل آمنكم عليه إلا كما آمنتكم ...	يوسف	64	140
يا أبانا ما نبغ هذه بضاعتنا ... يسير	يوسف	66	141
لن أرسله ... يحاط بكم	يوسف	66	141
الله على ما نقول وكيل	يوسف	66	141 - 142

يا بني لا تدخلوا من باب واحد...	يوسف	67	143
إني أنا أخوك ...	يوسف	69	146
فلما جهزهم بجهازهم...	يوسف	70	146
كذلك كدنا ليوسف...	يوسف	76	146-149 - 151
ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك	يوسف	71-72	147
تالله لقد علمتم ما جئنا...	يوسف	73	147
قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين	يوسف	74	147
قالوا جزاؤه من وجد في رحله...	يوسف	75	147
وفوق كل ذي علم عليم...	يوسف	76	149
إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل	يوسف	77	77
خذ أحدنا مكانه... المحسنين	يوسف	78	150
يا أيها العزيز إن له أبا شيخا...	يوسف	78	150
معاذ الله أن نأخذ ...	يوسف	79	150
فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا...	يوسف	80	151
قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم...	يوسف	80	151
فلن أبرح الأرض ... الحاكمين	يوسف	80	151 - 154
واسأل القرية التي كنا فيها...	يوسف	82	155
بل سولت لكم أنفسكم أمرا	يوسف	83	95
عسى الله أن ياتيني بهم جميعا...	يوسف	83	155
وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف	يوسف	84	155
وابيضت عيناه ... كظيم	يوسف	84	155
قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف	يوسف	84	155

ربنا إني أسكنت من ذريتي غير ذي زرع	إبراهيم	39	66
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون	إبراهيم	42	1045
إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون	الحجر	9	1044
وحفظناها من كل شيطان رجيم	الحجر	17	1045
جعلوا القرآن عضين...	الحجر	91	768
فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون	الحجر	92	1122 - 1172
أتى أمر الله فلا تستعجلوه...	النحل	1	299
يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه	النحل	16	1056
حاق بهم ما كانوا به يستهزءون	النحل	34	768
أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف...	النحل	45	525
إن الله يأمر بالعدل والإحسان	النحل	90	306
ما عندكم ينفد وما عند الله باق	النحل	96	1139
إنما يفتري الكذب الذين لا يومنون	النحل	105	273
ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة ...	النحل	112	558 - 913
وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه	الإسراء	23	1045
اجلب عليهم بخيلك ورجلك	الإسراء	64	72
قد جاء الحق وزهق الباطل...	الإسراء	81	775
سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا...	الإسراء	108	227
ربنا رب السماوات والأرض	الكهف	14	1245
ما شاء الله لا قوة إلا بالله	الكهف	39	1137

ثم أخذتهم فكيف كان نكير	الحج	42	768
بئر معطلة وقصر مشيد	الحج	43	768
إن الله بالناس لرؤوف رحيم	الحج	63	1038 - 1146
يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا...	الحج	71	257 - 882
لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى ...	النور	27	536
وانكحوا الأيامى منكم والصالحين	النور	32	771
ألم تر إلى ربك كيف مد الظل	الفرقان	45	1038 - 1044
يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا...	الشعراء	89	1046
الشعراء يتبعهم الغاوون	الشعراء	224	526
وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ...	الشعراء	227	287 - 774 - 776
أتبنون بكل ريع آية...	الشعراء	228	548 - 867
إني ألقي إلي كتاب كريم...	النمل	29	698
يا أيها الملأ أفتوني في أمري	النمل	32	699
يا أيها الملأ أيكم ياتيني بعرشها...	النمل	38	251
هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر	النمل	40	1123
فتلك بيوتهم خاوية...	النمل	52	272
طسم تلك آيات الكتاب المبين	القصص	1	767
إن فرعون علا في الأرض...	القصص	15 -	767
إن الملأ يأتمرون بك....	القصص	19	471
كل شيء هالك إلا وجهه...ترجعون	القصص	88	1054
إنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل	العنكبوت	29	84

كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون	العنكبوت	57	790
الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه	السجدة	7	427
ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه	الأحزاب	4	537
وما كان لمومن ولا مومنة إذا ...	الأحزاب	36	698
وكان أمر الله قدرا مقدورا	الأحزاب	38	69 – 192 – 680
والله لا يستحي من الحق...	الأحزاب	53	751
غدوها شهر ورواحها شهر...	سبأ	12	59
اعملوا آل داوود شكرا...	سبأ	13	1122
ما دلهم على موته إلا دابة الارض ...	سبأ	14	68
بلدة طيبة ورب غفور...	سبأ	15	883
وحيل بينهم وبين ما يشتهون...	سبأ	54	312
إن الشيطان لكم عدو...	فاطر	6	1139 – 1214
يمسك السماوات والأرض أن ...	فاطر	41	1038
ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله...	فاطر	43	513
وحفظا من كل شيطان مارد...	الصافات	7	1045
يا أبت افعل ما تومر ستجدني إن...	الصافات	102	60
أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا...	الصافات	105	61
نعم العبد إنه أواب	ص	29	542
هذا عطاؤنا فامنن أو امسك	ص	39	1122
والذي جاء بالصدق وصدق به...	الزمر	32	215
أليس الله بكاف عبده	الزمر	35	1016
إن الله يغفر الذنوب جميعا	الزمر	53	1245

الأرض جميعا قبضته.... يشكرون	الزمر	67	1057
فأخذهم الله بذنوبهم وما كان ..	غافر	21	1051
وأفوض أمري إلى الله	غافر	44	1137
فوقاه الله سيئات ما مكروا...	غافر	45	1137
ادعوني استجب لكم...	غافر	60	1214
إيتيا طوعا أو كرها... طائعين	فصلت	10	1046
اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير	فصلت	39	776
حم عسق	الشورى	1	1044
يسكن الرياح فيظللن رواكد...	الشورى	30	1038
نحن قسمنا بينهم معيشتهم...	الزخرف	31	1116 - 1139
أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار...	الزخرف	50	963
الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض...	الزخرف	67	612
بلى ورسلنا لديهم يكتبون	الزخرف	80	1054
فاسر بعبادي...	الدخان	22	163
كم تركوا من جنات ...	الدخان	24-25	963
ما خلقناهما إلا بالحق ولكن...	الدخان	37	227
إنه هو العزيز الرحيم	الدخان	40	227
خذوه فاعتلوه...	الدخان	45-46	505
إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون...	الجاثية	28	1054
فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم ...	الأحقاف	24	1052
كأنهم يوم يرون ما يوعدون...	الأحقاف	34	1042
يد الله فوق أيديهم	الفتح	10	513
محمد رسول الله والذين...	الفتح	29	1041

يشرب بها المقربون...	المطففين	28	1160
إن بطش ربك لشديد... لوح محفوظ	البروج	12-22	1045
إن كل نفس لما عليها حافظ	الطارق	4	1045
إنه لقول فصل وما هو بالهزل	الطارق	13	768
والفجر وليال عشر والشفع ...	الفجر	1-14	1097
ولسوف يعطيك ربك فترضى	الضحى	5	1245
إنا أنزلناه في ليلة القدر	القدر	1	1057
عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل	الفيل	3-4	886
إنا أعطيناك الكوثر	الكوثر	1	1056
تبت يدا أبي لهب	المسد	1	528
قل هو الله أحد	الإخلاص	1	1020 - 1027 - 1073

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس البلدان والأماكن

فهرس الأمثال والحكم

فهرس الأعلام

فهرس الأشعار

- الهمزة -

أول البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	اسم الشاعر	الصفحة
دع عنك	الداء	البسيط	01	أبو نواس	523
وكل خليفة	الفداء	الوافر	04	الزبيري	855
بحر من النار	إرساء	البسيط	03		955
إذا ما مات	السماء	الوافر	04		404
إنما مصعب	الظلماء	الخفيف	03	ابن قيس الرقيات	560
بنى أبو جعفر	بناء	البسيط	03	ابن بسام	835
إذا كنت	سواء	الطويل	02		1173
فكأن آدم	بالحوباء	الكامل	02	أعرابي	394
قد قلت	نصائحه	الكامل	05		1086
أكرموني	الشهداء	الخفيف	03	عزيز الكميلي	819
أنا والله	النساء	الخفيف	03	غسان اليشكري	709
إذا جار	القضاء	الوافر	02		1095
مثل الشافعي	السماء	الخفيف	02		221
أهدي لمجلسك	نعمائه	الكامل	02	الأسطرلابي	861

- ب -

إذا لم	العشبا	الطويل	01		516
قد كنت	خاطبا	الكامل	02	بكارة الخزاعية	633-679
أبوك سباقة	راغبا	الطويل	02	ابن زرارة	381
قد سمعنا	عقبه	الخفيف	03	زوجة غسان	708
اخبريني	عقبه	الخفيف	03	غسان الشكري	708
إذا كنت	منقبا	الطويل	03	يحيى بن أكثم	741
إن سجاحا	النقابا	الرجز	02	أبو بجيلة العكلي	491
دع الأتراك	غلبا	مج الوافر	04		1066
في ليلة	الطنبا	البسيط	01	ابن الأثير	578
رأيت رجالا	زينبا	الطويل	02		688
ومحبوبة	الحبائب	الطويل	02	برهان القيراطي	289
ديار التي	الجنائب	الكامل	01	أحد المغنين	727
ولقد بلوت	الألباب	الكامل	05	عزيز الكميلي	846
انصب نهارا	الحبيب	السريع	06	يحيى البرمكي	1094
يا شريف	الرتب	المديد	04	ابن المعتز	839
لا تعتبن	عاتب	مج الكامل	06	إسماعيل بن إسحاق	1017
عجبت	بأقتابها	السريع	02		176
أصبح من	الأدب	المنسرح	03	يزيد بن الحكم	385
تعس الزمان	الأدب	الكامل	03	ابن بسام	837
أبلغ يزيد	الكذب	البسيط	04	نصر بن سيار	918
يا أيها المكثار	الكواذب	الرجز	02		1099

- ت -

أفديه لاعب	شتات	البسيط	02	ابن نباتة	1104
فلا شيء	حديث	الوافر	01		406
أرى الموت	أتلفب	الطويل	08	تميم بن جميل	428
وما أشكو	شكوت	الوافر	09	أسامة بن مرشد	845
وما تنفع	يموت	الطويل	01		1102
شكا ألم	وميت	الوافر	02	أسامة بن مرشد	845
أتخرجني	بيوت	الطويل	02	عبد الرحمان القوصي	295
إذا كان	الشتا	المتقارب	02	ابن المعتز	430-840
زوجوا هذا	قوتا	مج الرمل	04	عنان الجارية	674
إن لي أيرا	الكميتا	مج الرمل	04	أبو نواس	674
الروح في كل	نائبتي	البسيط	02	أحد الأولياء	218
لا تغبطن	رتبته	البسيط	02	يحيى ابن أبي الفرج	269
هذا رسول	النجاة	الرجز	01		174
تروعني	النائحات	الوافر	01		1225
إذا عرضت	سرته	المتقارب	02		758
علو في الحياة	المعجزات	الوافر	19	أبو الحسن الأنباري	915
ورفيع أراد	المستفتي	الخفيف	03	بعضهم	467
يا صاحب القبر	موافاتي	البسيط	03		710
أيها السيد	التنكيت	الخفيف	02	أبو الحسن الجزار	578
فتى غير	زلت	الطويل	03	إبراهيم ابن العباس	405

إذا جادت	تتفلت	الطويل	02		834-1137
رشا يتيه	مقلته	الكامل	02	ابن المعتز	610-834
أنا والله	سلامتي	مج الخفيف	02	ابن خلكان	610
عطيتني	ديتي	البسيط	01	عبد الرحمان القوصي	295
ومساهر	سناته	الكامل	03	أحمد بن سريج	515

- ث -

أول البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	اسم الشاعر	الصفحة
وسمت	غثيث	مج الكامل	01		539
غرضي	حثاث	الخفيف	03	زوجة المعتمد	699
إن من يطعم	الكراث	الخفيف	02	عمرو مولى المهدي	448
لحقيق	بثلاث	الخفيف	01	المهدي	448

-ج-

أول البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	اسم الشاعر	الصفحة
أيرك أير	فرج	مج الرجز	02	الحنظلية	745
إذا التائبات	المهج	المتقارب	02		68
اشتدي	بالبلج	الخفيف	40	ابن النحوي	1010

أول البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	اسم الشاعر	الصفحة
ألا ربما	مخرج	الطويل	01	ابن وهب	1239
من كان	مخرجه	البسيط	04		1110
ألا كل	خارجه	الطويل	02		1046
إذا ما	/ خرجا	الطويل	01	عزيز الكميلي	1099
أيها العبد	راج	الخفيف	04		1244
انظر إلى	الساجي	البسيط	02	محمد بن داوود	584
وقرابته	عوج	الخفيف	02	ابن النحوي	1012

-ح-

أول البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	اسم الشاعر	الصفحة
غادة	اقترح	الرمل	07	عبد الواحد بن زيد	352
وإذا ما	امتصح	الرمل	01	الأعشى	529
ألم تر	رائح	الطويل	02	عبيد الراعي	1067
حلفت	أنجح	الطويل	03	جميل بثينة	614
صور	روح	مج الخفيف	02		856
هذا خيالك	روح	الكامل	08	محمد ابن النحوي	596
أفي كل	فنروح	الطويل	05	محمد الأديب	414
ماذا يظن	مزاح	البسيط	02	أعرابي	746
رحن في	المسوح	مج الرمل	04	أبو العتاهية	1262

أول البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	اسم الشاعر	الصفحة
ألا يا معشر	السفاح	الوافر	02		870
أتصحو	بالرواح	الوافر	01	جرير بن عطية	870

-خ-

أول البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	اسم الشاعر	الصفحة
وضيبة	تويبخي	البسيط	20	الشمس ابن كميل	898-1166

- د-

أول البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	اسم الشاعر	الصفحة
أهوى رشا	وبرد	الرجز	4		828
ماذا ترى	بوارد	المجتث	04	جحظة البرمكي	494
علم الغيث	الأسد	الرمل	02	خالد الكاتب	807
ويحك يا حياض	البيد	الرجز	03		168
ومن نكد	بد	الطويل	01	عزيز الكميلي	825
أبا مجرم	العبد	الطويل	03	زيد بن الجون	266
سهاك	تكابد	الكامل	02	العباس بن الأحنف	817

سؤال	الفؤاد	الوافر	03	ابن الجوزي	1190
صيرت	أبدا	البسيط	04	عزيز الكميلي	1263
فقالت	ما تبددا	الطويل	02	الأحوص	656
أيا من سما	ويحتذى	الطويل	04	جلال بن كميل	1284
تفضلت	يقتدى	الطويل	07	شهاب المحلي	1284
يارب	موجودا	البسيط	02	عزيز الكميلي	570
نحن نقوم	الحديدا	الخفيف	03	العلوي	669
رهبان	شديدا	الكامل	02	كثير عزة	796
لنسيم	بردا	الخفيف	02	عزيز الكميلي	819
أقبل	سردا	البسيط	07	أخت أحمد بن الشيخ	716
كريم	أفردا	الطويل	02	سلامة أخت حبابة	656
يا رشا	رغدا	الرجز	09	الشهاب السلمي	861
فلو كان	المخلدا	الطويل	02	الأحوص	656
ما أكثر	فندا	البـيط	02	دعبل	656-1098
وما العيش	وفندا	الطويل	02	الأحوص	656
محمد	شهدا	البـيط	02		1264
لنا جلساء	مشهدا	الطويل	04		739
غدرت	عهدا	الطويل	03	غسان اليشكري	709
أضحى	صيودا	الكامل	04	الوليد بن يزيد	613

لما تمادى	فؤادي	مخلع البسيط	05		610
الواعظ	فؤاده	المجتث	02		570
يا دار	اللبد	المنسرح	02		650
ألا رب	الجد	الطويل	02		618
قل للقبائل	المسجد	الكامل	03		170
وليست	الوجد	الخفيف	02		731
وقد زعموا	الوجد	الطويل	02		639
سميري	الوجد	الطويل	05	ابن الجهم	736
بجود	الجود	البسيط	01	مسلم بن الوليد	442
يا من	الجود	البسيط	02	أبو وجزة	400
سميت	الجود	البسيط	04	أحد الشعراء	406
عيون	جيدي	الوافر	03	مسلم بن القراطيس	705
أصبحت	أحد	البسيط	04		586
بخشوع	جحودي	الخفيف	15		1005
أقبل	سددا	البسيط	07	أم شريف	716
أبا العطاء	من مدد	البسيط	03	عزيز الكميلي	562
ولا يرهب	تهددي	الطويل	02	عامر بن الفضل	450
أدار البلا	ودادي	الطويل	02	ألو نواس	873
معاوي	الحديد	الوافر	04	عقبة الأسدي	446

أقول لنفسي	أرد	البسيط	02	الأحنف بن قيس	436
يا دائم	مزيد	مخلع البسيط	02	إبراهيم بن عرفة	631
وأنت الذي	جسادي	الطويل	02	ابن عبد الجليل	789
أربي	وشادي	مج الرمل	01	الملك المنصور	296
كلكم	صيد	مج الرمل	01	المنصور العباسي	1098
دعي عد	تعدي	الوافر	01		668
ألا والله	الأعادي	الوافر	03	أبو سفيان بن حرب	850
بنيتي	بإسعاده	السريع	01	الصاحب بن عباد	702
أتطمع	معاد	الوافر	02		286
زر وادي	ميعاد	البسيط	03	ابن عيينة	787
يابن الحصيري	العود	البسيط	02	الصاحب بن عباد	573
جعلت	رقادي	الوافر	03		622
فإن تسأل	بالتجلد	الطويل	02	يزيد بن عبد الملك	654
سالت	خالد	الطويل	02		383
وقمت	الجهد	الطويل	02	ماني الموسوس	731
خافوا	الشهد	الكامل	06		463
يارب	شاهد	الرجز	03	عبد المطلب	194
عفا الله	الود	الطويل	02		644
وعاشقين	الأسود	السريع	02	أبو نواس	621

قالوا	غفير	مج الكامل	03		1070
قالوا	مفر	مج الكامل	04		367
أوقد	صر	الرجز	02	حاتم الطائي	392
وشادن	الخبر	مج الرجز	02	ابن الوردي	468
ثلاثة تشرق	القمر	البسيط	02	البحتري	275
لا غرو أن	أو بهر	البسيط	05		1071
في الذاهبين	بصائر	مج الكامل	05	قس بن ساعدة	81
أنا اليوم	يدبر	الطويل	04	أبو العتاهية	559
وقبر	قبر	الرجز	01		1048
أيا معشر	أكبر	الطويل	04	أبو دلف	383
أيا منزلا	دبور	الطويل	13		1087
عاش	كبير	الرمل	02	عزيز الكميلي	505
ولو أن	المنبر	الكامل	01	البحتري	860
أصلحك	كثروا	المنسرح	02	أعرابي	396-413
ضعيفة	حجر	مج الرجز	02	ابن المعتز	831
وقد حجبت	المحاجر	الطويل	01		756
لآ يقبل	مهجور	البسيط	02		631
محجوبة	السحر	البسيط	05	سنان المغني	618

فبينها	الأعافير	البسيط	02	حريث بن جبلة	934
وخود	الوقار	الوافر	05	أبو نواس	277
وتأمل	تفكير	الخفيف	06	عدي بن زيد	1107
كأن لم يكن	سامر	الطويل	02	الحارث بن مضاض	1083
أبى القلب	عمرو	الطويل	04	المجنون	643
ثلاثة	القمر	البسيط	02	محمد بن وهيب	275
أبا جعفر	أمير	الطويل	03		387
وإن صخرا	نار	البسيط	01	الخنساء	676
ألم تر	نورها	الطويل	02	إبراهيم الموصلي	830
على المرء	الدهر	الطويل	02		789
ظهر الهوى	فيظهر	الكامل	02	ابن لقيط عبد الله	625
واف	طاهر	الكامل	02	الملك الناصر	897
رأيت	أنور	المتقارب	04	علي بن الجهم	842
يا رب	استارا	البسيط	02	عبد الله بن الزبير	336
وكاتبة	اثرا	الطويل	04	محبوبة الجارية	666
بعثت	دررا	البسيط	02	عزيز الكميلي	1268
يا راقد الليل	سرى	مج الكامل	02		974
رب من	مكسورا	الخفيف	17	عزيز الكميلي	1289
فيما مضى	ماسورا	البسيط	03	المعتمد بن عباد	891
جنان قد	بشرا	مج الوافر	01	هارون الرشيد	825

ألا إن	الكثير	البسيط	36	عزيز الدين بن الكميلي	16-1168
لله أيامي	حاجر	السريع	02	البهاء السنجاري	576
يا زهرة	الشجر	البسيط	05	عزيز الدين بن الكميلي	608
قد فضضنا	الجاري	الخفيف	04	عبد الملك بن شهيد	566
هذا وإن	جاري	البسيط	02	امرأة أعرابي	605
كن كالسموؤل	جرار	الطويل	04	الأعشى	443
ولائمة	البحر	الطويل	04	أعرابي	411
ليس شرب	السحر	الرمل	03	عضد الدولة	875
من يستعن	جحرها	السريع	01		1197
وما القتل	الفخر	الطويل	02		339
لو طبخ	بالصخور	السريع	04		545
عيون	أدري	الطويل	01	علي بن الجهم	479
واعجبا	يدري	الرجز	03		177
أبعد المنذر	السدير	الوافر	06	عبد المسيح بن عمر	213
للسيد	القادر	الرجز	06	أمة القادر	595
وثالث	القدر	البسيط	01		1100
ما قد مضى	يقدر	الكامل	02		1127
انظر إلى	بالأقدار	الكامل	02	أسامة بن مرشد	589
لقد كنت	غرور	الطويل	03	قيس بن ذريح	633

أنوح	تفكري	الطويل	03		384
قد بعثنا	أبكار	الخفيف	03	المنصور بن أبي عامر	565
يا بني طالب	مري	الخفيف	02	أبو القاسم الجعفري	322
ذهب الإله	قمر	الكامل	02	عاتكة بنت عبد الرحمان	568
إذا أغنى	الأمور	الوافر	01		1168
لا تجعلني	بالنار	البسيط	02		604
هو المهدي	المنير	الوافر	05	المؤمل	865
أفديك	الزاهر	السريع	12	شمس الدين القادري	1283
أيا عين	بالقهر	الطويل	05	يحيى بن الحكم	1261
يا زيد	بالخوار	الكامل	04	أم البراء بنت صفوان	680

- ز -

أول البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	اسم الشاعر	الصفحة
ولقد بحت	مبارز	مج الكامل	04	عمرو بن عبد ود	337
لا تعجلن	عاجز	الكامل	04	علي بن أبي طالب	338
وقائلة	عاجز	الطويل	03	أمية بن أبي الصلت	841
أبا حسن	المزاهز	الطويل	02	ابن المعتز	832

- س -

أول البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	اسم الشاعر	الصفحة
يا بني الزهراء	القبسُ	الرمل	02		217
كان الجود	رأس	الوافر	02	أبو العتاهية	559
يا رب	للأكؤس	الكامل	03		1040
ولو أن	لابسه	الطويل	02	البلاذري	860
جاء الشتاء	حبسا	البسيط	02	الحريري	685
أيها المنتمي	خسيسا	الخفيف	02	الشهاب السلمي	773
كن وكيس	كسا	البسيط	01	ابن سكرة	685
مقالة	الكسا	المتقارب	02	ابن رشيق	858
لم تطب	أبنوسة	السريع	02	محمد ابن الطاهر	733
وكيف	طاووسة	السريع	04	ماني	733
قاضي	من باسِ	المنسرح	03	ابن أبي النعيم	522
أبكيك	الفرس	المنسرح	03	لبابة بنت علي	895
رب صهباء	خندريس	الخفيف	07	عبد الله بن الربيع	626
ولولا	نفسي	الوافر	02	الخنساء	1267
أشكو	المجلس	السريع	02	الشهاب السلمي	1194
عجبت	بأحلاسها	السريع	02		176
إن صحبنا	الجليس	الخفيف	03	ابن حازم	737
أرى لقومي	الإنس	الرجز	02		189
ليت شعري	أنسي	الخفيف	05		865

أول البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	اسم الشاعر	الصفحة
لولا الضرورة	ناس	البسيط	01		1103
أنست إلى	أنيس	الوافر	05		738
أيسلمني	الرشا	مج المتقارب	04	أحمد بن كليب	597

- ص -

أول البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	اسم الشاعر	الصفحة
صاح هذي	حريص	الخفيف	02	برهان الدين القيراطي	289

- ض -

أول البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	اسم الشاعر	الصفحة
إلى الله	غائض	الطويل	01	ابن الأعرابي	774
من كان	مقبوضا	البسيط	01	عروة بن حزام	641
غضبت	الرضى	الرمل	03	الحسن بن الضحاك	697
ما كنت	القضا	الكامل	02		930
حياض	لفراض	البسيط	01	عبد الله بن ذياب	167

- ط -

- ع -

لا يصدق	المودع	الكامل	03	ابن الدويدة	793
أقول لها	تراعي	الوافر	04	قطري بن الفجاءة	339
اسمع	مصرعي	الخفيف	02		451
تناسيت	النفع	الطويل	03	خالد الكاتب	806
تثبت	الأفاعي	الوافر	02		931
لقد جمع	مجمع	الطويل	06	خبيب بن عدي	1250
إذا سمعنا	الجامع	السريع	04		255
يا من	واسمع	الكامل	03	ابن خليد العميلي	849
لا مت	والطمع	البسيط	02		646
تمتع	اجتماع	الوافر	05	أبو بكر الظاهري	834
ياروح	الناعي	البسيط	03	من ندماء بشر بن مروان	497

- غ -

أول البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	اسم الشاعر	الصفحة
خليفة	وبغا	مج الرجز	02		486

- ف -

أول البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	اسم الشاعر	الصفحة
يا أبا إسحاق	خلف	الرمل	04	ماني الموسوس	756
لحظات	السيوف	مج الكامل	02	مجنون	755

لا تبخلن	السرف	الطويل	02		1138
وأنت	شرفه	الخفيف	01		874
فبينما	نتنصف	الطويل	02	حرقة بنت النعمان	1109
أراني	منصف	الطويل	03	المامون	553
نتصدع	يخطف	الطويل	02	صفي الدين الحلي	1087
ولما رأيت	تسعف	الطويل	06		623
يا معشر	فاستطرفوه	السريع	02		1195
روحي	خلف	البسيط	02	زبيدة أم الأمين	1263
رنت إلى	ألفا	البسيط	06	الحسن بن علي بن عبد الجبار	629
شكا	السفه	المتقارب	01		466
وفي وجناته	قطافة	الوافر	01	أبو الحسن الجزار	826
فلو ولي	الخلافه	الوافر	01	ابن النفيس	827
شمائله	السلافه	الوافر	01	السراج الوراق	826
بدت	الحتف	الطويل	02		1165
عملت	الأشرف	المتقارب	03	عزيز الدين بن الكميلي	289-818
انظر	تلافي	الكامل	02	ابن عنين	466
لكل امرئ	ضيف	الطويل	02	محمد بن جامع	584
يا عين	الأضياف	الكامل	17	عزيز الدين ابن الكميلي	822
جاءت سليمان	خاطف	الكامل	02		854
يا محرقا	تطيفه	الكامل	02	القاضي محيي الدين الخياط	611

- ق -

كم عاقل	مرزوقا	البسيط	02	أحمد بن يحيى الرواندي	1128
الله أعطاك	عوقها	الرجز	02	عبد الله بن مازن	791
فكأنه	تحقيقا	الكامل	01		406
بالجور	الحماقه	مخ البسيط	02		254
مررت	الشقائقِ	الطويل	02	ابن المعتز	620
كان للقوم	الباقي	الخفيف	01	الكيلاني	683
يا أيها	وثاقي	الكامل	03	القاضي الفاضل	862
يا حسنها	مشرق	مج الرجز	04	المهذب	827
رأيت	راقي	الطويل	02	بدر الدين الصاحب	1103
وخذ النوم	العشاق	الخفيف	01		516
يا من	أطق	البسيط	02	الصاحب بن عباد	1090
إن الذي	موفق	الكامل	04	الشافعي	842
هتت	مفارق	الكامل	02		1041
قلت	الأفاق	الخفيف	05	العبادي	1265
بلغن	الخفاق	الخفيف	02		502
وحمراء	شقائق	الطويل	02	ابن أبي دحية	503
ما همني	تخلق	الكامل	03		842
مولاي	الخالق	السريع	02	عبد الرحمان القوصي	295
أسلمى	تلاق	الوافر	02	الوليد بن عبد الملك	582

أسطو عليه	عنقي	البسيط	02	سديد الملك	471

- ك -

أول البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	اسم الشاعر	الصفحة
يا أبا الفتح	صائبك	الرمل	02	عزيز الدين الكميلي	571
أما ورب	الشرك	م البسيط	01		1083
ودع	استودعك	الرمل	04	ابن زيدون	703
إن أخاك	لينفعك	الرجز	02	أبو العتاهية	573-608
فإن تك	لحتفك	الوافر	02	الجهان العلوي	636
اللهم	رحالك	الرمل	03	عبد المطلب	885
ضحكنا	يبكوا	الطويل	04	أبو العلاء المعري	839
إذا كنت	تاركه	الطويل	02		543
تأمل	المليك	الوافر	04		1236
وضاحك	أبكاه	البسيط	04		726
دونك	شابكا	الرجز	02		166
قد أخذ	صكا	مخ البسيط	03		501
طلب	سواك	المجتث	02		1040
اصبر	أصفاك	البسيط	03	عبد الله بن سالم	791
يا دار	أبلاكِ	الكامل	01		873

سهم	مرماك	البسيط	01	ابن الجوزي	514
تيامن	المسلك	المتقارب	01		1059
يا خيزران	ابناك	الكامل	01	أبو المعافي	315

- ل -

أول البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	اسم الشاعر	الصفحة
في سبيل	يبذل	م الرمل	02	جارية	1195
يا غراب	نزل	الرمل	02	يزيد بن معاوية	304
يا بني	تنفصل	الرمل	02	محيي الدين بن عبد الظاهر	501
إذا أنت	القبائل	الطويل	02		721
الا هل	وأسائله	الطويل	02		576
يا دار	قائل	الكامل	03		393
اصبر	قاتله	مج الكامل	02	ابن المعتز	833
غدا نعشه	ونائله	الطويل	02		1086
رأيت	القتل	الطويل	02		623
لو لا المشقة	قتال	البسيط	01	المتنبي	474
لا زال	تسجيل	الكامل	02	علي بن أبي طالب	508
لا تعجبنك	مبذول	الكامل	02	صالح بن عبد القدوس	735
أبا جعفر	نازل	الطويل	20		278

ابا الناس	اجمل	الطويل	03	محمد بن مغيث	427
واذا اتتك	كامل	الكامل	01	المتنبي	475
أزورك	يميل	الوافر	04	حفصة بنت الحجاج	704
فيا حسنها	الأنامل	الطويل	02	المامون العباسي	593
تعلم فليس	جاهل	الطويل	03		1120
اوصيكم	اول	الكامل	03	ابن صرمة	447
ان الولاية	الأول	الكامل	02		543
أسهرتني	أطولها	مج الرجز	02		576
فيا دارها	اهوال	الطويل	01	ابو العلاء المعري	479
اني امنت	حبالا	الكامل	04	ابو العتاهية	856
الاكى	سبيلا	الطويل	02	الشهاب السلمي	1244
في مذهبي	قتلا	البسيط	04		1251
يا ايها	الأجل	البسيط	07	عمرو بن عبيد	1210
كانه خذ	خجلا	البسيط	01	اسحاق بن ابراهيم	652
يصفر	خجلا	المنسرح	02	الراضي بالله	838
ما كان	معجلا	الكامل	02	الشمقمق	1076
فاياك	الندلا	الطويل	02		658
من مبلغ	مجندلا	الكامل	02	مهلهل	476
كانه لون	الغسلا	البسيط	01	جارية الرشيد	652
ابن زمير	المصلى	افلرجز	01		889

اذا لعب	بالرجال	الوافر	02		1129
يا حسنها	كالحلي	مج الرجز	04	الحسن البرقعي	827
عصيتك	حالي	الوافر	03		1162
دع المقادير	حال	البسيط	02		286
عزلوه	حال	الكامل	02		269
وهواك	بحاله	الكامل	08	ابو السعادات السنجاري	846
اسلم	النحيل	البيسط	02	احمد بن كليب	599
ان من يركب	خال	الخفيف	02	النابغة الشباني	612
دخلت	الدخول	الوافر	03	عبد العزيز بن زرارة	766
ان الذي	العادل	الكامل	03	جرير بن عطية	797
ما نصحتك	العذل	البسيط	02	القاضي الفاضل	1102
اما الثلاثة	رسلي	البسيط	04	أحد التجار	455
من كان	العسل	البسيط	02	البهلول بن بشير	340
يا هند	السلسل	الكامل	02	الوزير ابو عامر	652
وليس عدوي	وصله	الطويل	02	الشهاب السلمي	898-1166
واذا رمى	النصال	الرمل	01		876-1099
عش فحبك	واصلي	الرمل	03	عزيز الدين بن الكميلي	616

أول البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	اسم الشاعر	الصفحة
الله يعلم	دول	البسيط	03	حميد بن سعيد الكاتب	830
من رآنا	زوال	الرمل	05	عدي بن زيد	1163

- م -

أول البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات	اسم الشاعر	الصفحة
اذا ايقضتك	ثم نم	المتقارب	04	بشار بن برد	856
يا قصر	البوم	البسيط	02		542
ابا الخيبري	شتامها	المتقارب	04	عدي بن حاتم	380
يجني	العدم	المنسرح	02	المتنبي	1173
ومهفهف	حرام	الكامل	01		468
انس	حرام	الكامل	01		631
هذا الذي	والحرم	البسيط	27	الفرزدق	811
اقول	يتضرم	الطويل	03	ابن المنجم	860
ارى بين	ضرام	الوافر	06	نصر بن سيار	917
الا تستحيي	كريم	الطويل	02		751
أيا جبلي	نسميها	الطويل	01	قيس بن الملوح	936
يا رب	اعظم	الكامل	04	ابو نواس	1235
يا طالبا	الاعظم	الكامل	02	بكر بن النطاح	370
الحب	نعيم	الكامل	03		726
اذ ما	لا يقيم	الوافر	02	عزيز الدين بن الكميلي	819

رأيت	حكموا	البسيط	02		875
اتقتلني	مسلم	الطويل	13	المؤمل	614
افديه	الاسلام	الكامل	02	عزيز الدين بن الكميلي	95-1263
أظلوم	ظلم	الكامل	01	العرجي	221-222
فان تك	الظلام	الوافر	01		268
ستعلم	الظلوم	الوافر	04	يحيى بن خالد	558-914
بين اقدامهم	كلام	الخفيف	02	ابن المعتز	555
فلا لغو	مليم	الوافر	02	أمية بن أبي الصلت	82
انا الذي	صمم	البسيط	01	المتنبي	804
وقائلة	غمام	الوافر	07		632
فديتك	تنام	الوافر	05	الطغرائي	844
المكثرون	عندهم	مج الكامل	03		1131
هذا السعيد	اشقاهم	مجزوء الكامل	01	مبرسم	757
وماذا عليهم	إليهم	الطويل	03		816
أنا المأمون	مستهام	الوافر	02	المأمون	649
عرفت	وخيموا	الطويل	05	أبو بكربن هذيل	816
زموا	تيموا	السريع	04		622
قد كذب	آدم	السريع	01		753
ابى قومنا	الدما	الطويل	02	العباس بن عبد المطلب	924

ولسنا	الدما	الطويل	01	عبد الله بن الزبير	335
لآل سليمان	تقدما	الطويل	02	ابن المعتز	832
فما كان	تهدما	الطويل	01	عبدة بن الطيب	869
انزه	محرما	الطويل	03	محمد بن داوود الطاهري	515-516
ونفسك	مكرما	الطويل	01		878
ان الزمان	كريما	الكامل	02	علي بن العباس الرومي	539
ضبية	هشيما	الخفيف	02	ماني	733
وقالوا	تحطما	الطويل	03		377
ويك ان	عظيما	الخفيف	03		686
وكان	عمى	البسيط	01		296
تأمل	وانعما	الطويل	02	بدر الدين الصاحب	1104
يا ذا الذي	كما	السريع	05		726
من مبلغ	ابيكما	الكامل	01	المهلهل	476
إن تغفر	ألما	الرجز	01	أمية بن ابي الصلت	83
ولست	سلما	الطويل	03	عبد الله بن الزبير	335
ولما قسا	سلما	الطويل	02	الشافعي	1237
حجبوها	السلاما	الخفيف	02		732
يا خليلي	تسليما	الخفيف	02		733

حصر الامام	احرام	الكامل	03		332
اخي وشقيقي	غرامي	الطويل	10	امة القدر (ابنة المؤلف)	595
كم لي مع العشاق	الغرام	الخفيف	07		705
أربة	غرام	الطويل	01		641
اتت بعد	غرامي	الطويل	05	عزيز الدين بن الكميلي	669
اذا كان	الغريم	الوافر	01		430
تصفحت	مرامي	الطويل	02		814
ألا أيها	حزام	الطويل	01	عفراء صاحبة عروة بن حزام	641
يا دما	خزام	الخفيف	03	ابن المعتز	833
وانا التي	القاسم	الكامل	01	جارية	607
قد زعم	هاشم	السريع	01	الجعيفران	753
ما صرت	الشامي	البسيط	04	عزيز الدين بن الكميلي	16-824
خطب	الاطام	الكامل	02		1088
وهويته	الناعم	الكامل	03	جارية	606
الا ليت	الفم	الطويل	02	عمر بن ابي ربيعة	795
ان السخاء	المحكم	الكامل	03		1173
نعم تركناه	اكام	الطويل	01		641
جبل تلوذ	الاكام	البسيط	01	مروان بن ابي حفصة	540
فان كان	ظلام	الطويل	05	عفراء	642

اذا لم	للحلم	الطويل	02	معاوية بن ابي سفيان	682
زعمت	مسلم	السريع	02	المنصور العباسي	929
يا ايها	الاحلام	الرجز	03	من اشعار الجن	175
ولو كنت	بسلام	الطويل	01	علي بن ابي طالب	864
يا راقدا	الظلم	المنسرح	02	ذو النون	973
فارس	الظلم	المديد	02	المأمون العباسى	299
ارفع	العلام	الكامل	04		1246
اجعل	القلم	البسيط	02	سعد الوراق	645
ارى	كلم	البسيط	01	المتنبي	407
ماذا تقولون	الامم	البسيط	03	زينب بنت عقيل	304
وكان مبدأ	الامم	البسيط	01	عمارة اليمني	801
هذي	بالذمم	البسيط	02		1113
هذا تبدد	الهم	الكامل	02		1071
بباب	الهمم	الطويل	03	عزيز الدين بن الكميلي	1021
وقانا	العميم	الوافر	05	ابو نصر المنازي	802
هي السبيل	النوم	البسيط	03	ابن الزيات	896
لن يبلغ	لاقوام	البسيط	02		446

- ن -

إن الزمان	فروانا	البسيط	05	جارية	593
وكانت	عصيانها	المتقارب	03		924
كان لي	التقينا	الخفيف	02		655
انعم	إلينا	الخفيف	02		600
خلق	البهتان	الكامل	05	عزيز الدين الكميلي	1290
لقد علمت	يأتيني	البسيط	02	عروة بن أذينة	800
قمت	تثني	مج الرمل	05	علي بن حصن	567
يا ذا الذي	ثان	مخ البسيط	02		467
علقت	الحدثان	الكامل	03	أبو نواس	442
نظرت	حيني	مج الرمل	04	بشار بن برد	742
متى أراك	بدن	البسيط	02	عبد الرحمان القوصي	294
لا تستقلن	البدن	البسيط	03		381
معن	همدان	السريع	01	مروان بن أبي حفصة	518
ألا أبلغ	اليدان	الوافر	03	عبد الرحمان بن الحكم	851
وما خلقت	يدان	الطويل	02		855
بلاء	ودين	الوافر	02	علي بن الجهم	457
إني أعزيك	الدين	البسيط	02	الأعمش	1268
ما أراني	الهجران	الخفيف	02	العباس بن الأحنف	651
شمر	الأقران	البسيط	02	سودة بن عمارة	676
احملا	فاعقراني	الخفيف	02		805

صاح	جيرون	الخفيف	05	أبو ذهبل	707
بالله	فاستزيديني	البسيط	07	أبو العتاهية	607
فعلت	زاني	البسيط	05	معاوية	603
لا تعجل	إحسان	البسيط	03	مروان بن الحكم	604
أنت	للإنسان	الخفيف	02	جارية سليمان بن عبد الملك	282
إني بريح	الغصن	البسيط	03	عزيز الدين بن الكميلي	820
كنا على	الوطن	البسيط	02		635
كان	أعطاني	الخفيف	02	عزيز الدين بن الكميلي	818
بكى	ومعين	الطويل	02	خالد الكاتب	806
يا رب	عني	الرجز	01	أعرابي	752
عجبا	الأجفان	الكامل	04	المستعين بالله	665
وقائد	جفانه	الرجز	03		1223
كان	الخفقان	الطويل	10	عروة بن حزام	594-640
فاسألي	عذلوني	الخفيف	01		707
ملك	مكان	الكامل	03	هارون الرشيد	649-664
أرى أم	مكاني	الطويل	05	صخر	675
ما زلت	الرحمان	الكامل	02	مروان بن أبي حفصة	519
لو جئت	الزمن	البسيط	04	أبو دهمان	397
اسعداني	الزمان	الخفيف	03	هارون الرشيد	1265

أصبحت	يؤلمني	البسيط	02	ابن الجوزي	514
أدور	يكلمني	المنسرح	03	جارية المتوكل	484
أنست	حنيني	الطويل	05		447
كم رمت	يدنيني	البسيط	20	عزيز الدين بن الكميلي	19- 823
يا رب	يغويني	البسيط	09	عزيز الدين بن الكميلي	1016
وكان	القنان	المتقارب	02	أبو القاسم البصري	841
أهم	النزوان	الطويل	01	هارون الرشيد	464
نصحت	هوان	الطويل	02		284
إذا ما أهنت	لهوان	الطويل	01	خالد بن عبد القدوس	878
تبعث	هوان	الطويل	06	عبد الله بن جذعان	169
ترى	ويبني	الوافر	02		488
رأيتك	ديني	الوافر	02		403
بكيت	عيني	الوافر	02	الشهاب السلمي	487
هل استمعتم	والبيان	الرجز	05	خطر بن مالك(كاهن)	189
فإن تسألاني	يا فتيان	الطويل	02	جارية	710
فما ظن	يلتقيان	الطويل	03		746
قضى	بانيان	مخ البسيط	02		571

- هـ -

- و -

- ي -

كفى	يديا	الوافر	02	أبو العتاهية	1211
قل للخليفة	الباديه	مج الكامل	37	يحيى بن خالد البرمكي	911
أنا شيخ	الرزايا	الخفيف	02	عبد الملك بن شهيد	565
ألا قل	نسيه	الوافر	02	صديق المهلبي	391
قل للخليفة	الفاشيه	مج الكامل	14	يحيى بن خالد البرمكي	557
ألا أيها	بحافيه	الطويل	04	جلال الدين الكمالي	1284
كفى حزنا	وثاقيا	الطويل	01	أبو محجن	371
وإني	خياليا	الطويل	02	المجنون	1233
بنى الناس	القفيا	الطويل	01	ابن أبي العيناء	541
محاسن	الدنيا	الطويل	01	رشيد الدين بن عبد الجليل	788
يقولون	المداويا	الطويل	01	ابن الجوزي	746
فلو أنا	حي	الوافر	02		502

فهرس المصادر والمراجع

- آثار البلاد وأخبار العباد لزكريا القزويني، طبعة دار صادر بيروت
- إتحاف السادة المتقين بشر إحياء علوم الدين للزبيدي طبعة القاهرة1311هـ
- إحياء علوم الدين للغزالي، طبعة دار المعرفة والنشر بيروت
- أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي، المكتب التجاري بيروت
- أخبار الراضي بالله لأبي بكر الصولي، طبعة لندن 1935م
- الأذكار لأبي الفرج ابن الجوزي، المكتب التجاري للطباعة بيروت
- الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى للناصري، طبعة القاهرة 1304هـ
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البرتحقيق البجاوي، طبعة القاهرة
- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، طبعة المكتبة الإسلامية
- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، لعلي بن محمد القاري، طبعة مؤسسة الرسالة
- الأسماء والصفات للبيهقي تحقيق الكوثري، دار إحياء التراث العربي بيروت
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني الطبعة الأولى 1328
- أعتاب الكتاب لابن الأبارتحقيق صالح الأشترطبعة 1961م
- الأعلام لخير الدين الردزركلي، طبعة دار العلم للملايين 1996
- أعلام النساء لعمر رضا كحالة، الطبعة الثانية1958م دمشق
- الأغاني للأصفهاني، طبعة دار الفكرالطبعة الأولى
- اقتباس الأنوار والتماس الأزهارفي انتساب الصحابة ورواة الآثار للرشاطي، مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط، رقم: 1371
- الأمالي لأبي علي القالي، طبعة القاهرة 1935م
- الإمامة والسياسة لابن قتيبة، طبعة دار المعرفة بيروت
- الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، الطبعة الثانية 1953
- إنباه الرواة على أنباء النحاة، للقفطي، تحقيق محمد أبي الفضلإبراهيم، دار الفكر العربي 1986
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل باشا، طبعة وكالة المعارف

1945م - 1947م
- البدء والتاريخ لمطهر بن طاهر المقدسي، طبعة الخانجي مصر
- بدائع الزهور في وقائع الدهور لمحمد بن أحمد ابن إياس، طبعة دار الكتاب، البيضاء
- البداية والنهاية لابن كثير، الطبعة الأولى 1351هـ/ 1932م مصر
- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم التلمساني، تحقيق محمد بن أبي شنب، مطبعة الثعالبية 1908م الجزائر
- بغية الملتمس لابن عميرة الضبي، طبعة دار الكتاب العربي 1967م بيروت
- بلاغات النساء لأبي الفضل أحمد بن طاهر، طبعة دار النهضة 1972م بيروت
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للألوسي، تحقيق محمد بهجة الأثري، طبعة دار الكتاب العربي 1342هـ القاهرة
- البيان المغرب في أخبار أهل المغرب لابن عذاري المراكشي، طبعة دار صادر بيروت
- البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة 1380هـ
- تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، طبعة 1993م
- تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر بن جرير الطبري، طبعة دار القاموس الحديث بيروت
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، الطبعة الأولى 1931م
- تاريخ ابن خلدون، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني 1961م بيروت
- تاريخ ابن الوردي، طبعة جمعية المعارف 1285هـ القاهرة
- تاريخ جرجان للسهمي حمزة بن يوسف، طبعة دائرة المعارف العثمانية 1950م حيدر أباد الدكن
- تاريخ الخلفاء للسيوطي، تحقيق أبي الفضل، دار نهضة مصر 1976م القاهرة
- تاريخ الخميس للديار بكري، طبعة 1283هـ القاهرة
- تاريق دمشق لابن عساكر، تحقيق صلاح الدين المنجد، طبعة المجمع العلمي العربي 1951م دمشق
- تاريخ مصر لابن إياس، المطبعة الأميرية 1311هـ- 1312هـ القاهرة
- تاريخ اليعقوبي، طبعة دار العراق1955- 1956م بيروت
- تاريخ اليمن لنجم الدين عمارة بن علي اليمني، تحقيق محمد بن علي الأكوع الطبعة الثانية

- تجارب الأمم لأبي علي مسكويه، تحقيق أمدروز، طبعة 1915م القاهرة
- تحفة الأريب ونزهة اللبيب لأبي مدين الفاسي، طبعة حجرية 1320هـ فاس
- تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء للصابي، تحقيق عبد الستار أحمد، طبعة البابي
- تذكرة الحفاظ للذهبي، الطبعة الرابعة دار إحياء التراث العربي بيروت
- الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر الطبعة الثالثة 1399هـ- 1979م، وتحقيق مصطفى محمد عمارة، طبعة أمين عمران 1352هـ- 1983م
- تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق لداوود الأنطاكي، طبعة مصر 1302هـ
- تعريف الخلف برجال السلف، تحقيق أبي الأجفان، مؤسسة الرسالة 1982م بيروت
- التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام للسهيلي، تحقيق عبد الله محمد النقراط، الطبعة الأولى
- تفسير ابن كثير، المكتبة العلمية الطبعة الأولى 1994م بيروت
- التلخيص في علوم البلاغة للقزويني، تحقيق البرقوقي، الطبعة الثانية دار الكتب1350هـ- 1932م بيروت
- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى سنة 1325هـ- 1327هـ
- التيجان في ملوك حِمْير لوهب بن منبه، رواية بن هشام، طبعة دئرة المعارف 1347هـ حيدر أباد الدكن
- الثبات عند المهات لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1986م بيروت
- ثمرات الأوراق لتقي الدين أبي بكر بن علي الحموي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الجيل، الطبعةالثانية 1407هـ/ 1987م
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس لمحمد بن فتوح الحميدي، طبعة الدار المصرية 1966م القاهرة
- جمع الجواهر في الملح والنوادر، لإبراهيم بن علي الحصري، المكتبة التجارية 1353هـ القاهرة
- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام لمحمد بن أبي الخطاب القرشي تحقيق محمد

البجاوي 1387هـ- 1967م
- جمهرة الأنساب لابن حزم الأندلسي، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة دار المعارف 1962م
- جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت، الطبعة الأولى 1352هـ/ 1933م
- جمهرة النسب لهشام بن محمد ابن الكلبي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، طبعة الكويت 1403هـ/ 1983م
- الجواهر المضية لصالح عبد السميع الأزهري، دار الفكر بيروت
- حلبة الكميت في الأدب والنوادر المتعلقة بالخمريات، تحقيق مليكة العابيد، رسالة جامعية نوقشت بكلية الآداب بالرباط سنة 2000م، وهي مرقونة بقسم الرسائل تحت رقم: 811051 عاب
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ الأصفهاني، الطبعة الأولى 1354هـ/ 1935م، مصر
- حماسة أبي تمام، تحقيق عبد الله بن عبد الرحيم طبعة المجلس العلمي 1401هـ/ 1981م الرياض
- حماسة البحتري، ضبط وتحقيق مصطفى كمال، الطبعة الأولى المكتبة التجارية 1929م القاهرة
- حياة الحيوان الكبرى للدميري، طبعة المكتبة الإسلامية1293هـ تونس
- خاص الخاص للثعالبيعبد الملك، طبعة الدولة التونسية
- خريدة العجائب وفريدة الغرائب لابن الوردي طبعة دار العلم القاهرة
- خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصبهاني تحقيق شكري فيصل، المطبعة الهاشمية 1375هـ/ 1955م دمشق
- خزانة الآداب للبغدادي الطبعة الأولى
- خزانة الأدب وبلوغ الأرب لابن حجة الحموي، طبعة دار الهلال، بيروت 2004
- خزينة الأسرار وجلية الأذكار لمحمد حقي النازلي، الطبعة الأولى 1325هـ مصر
- خطط المقريزي، طبعة مكتبة إحياء العلوم بيروت
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، المطبعة الميمنية 1314هـ القاهرة

- درة الغواص في أوهام الخواص، لأبي محمد الحريري، مطبعة الجوائب 1299هـ القسطنطينية
- دلائل النبوة للبيهقي، طبعة دار الكتب العلمية 1975م بيروت
- دول الإسلام لشمس الدين الذهبي، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، دار إحياء التراث الإسلامي 1408هـ/ 1988م قطر
- الديارات لعلي بن محمد الشابشتي، تحقيق كوركيس عواد، مطبعة المعارف1951م بغداد
- ديوان ابن دريد، تحقيق عمر بن سالم، طبعة الدار التونسية 1973 تونس
- ديوان ابن الرومي تحقيق حسن نصار، طبعة الهيئة المصرية العامة 1973- 1978م القاهرة
- ديوان ابن الزقاق البلنسي، تحقيق عفيفة محمود دار الثقافة 1964م بيروت
- ديوان ابن زيدون، تحقيق كرم البستاني طبعة دار صادر 1975م بيروت
- ديوان ابن عنين، تحقيق خليل مردم بك، طبعة المجمع العلمي العربي مطبعة دمشق 1365هـ/ 1946م دمشق
- ديوان ابن قيس الرقيات، تحقيق محمد بن يوسف نجم، طبعة دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر 1378هـ/ 1958م بيروت
- ديوان ابن المعتز، تحقيق يونس السمرائي، طبعة وزارة الإعلام 1977م
- ديوان ابن معقل تحقيق عزة حسن ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي 1962 دمشق
- ديوان ابن مكانس مخطوط بالخزانة الحسنيةبالرباط رقم: 2547
- ديوان ابن نباتة تحقيق عبد العزيز بم عمر، طبعة وزارة الإعلام 1977م بغداد
- ديوان أبي العتاهية، تحقيق كرم البستاني، طبعة دار صادر1384هـ/ 1964م بيروت
- ديوان أبي نواس تحقيق الغزالي، طبعة 1953م بيروت
- ديوان الأعشى، تحقيق محمد حسين، مكتبة الأدب القاهرة 1950م
- ديوان أمية بن أبي الصلت، تحقيق محمد المرزوقي، طبعة دار الكتب الشرقية
- ديوان البحتري، تحقيق الصرفي حسن، طبعة 1963م - 1978م القاهرة
- ديوان بشار بن برد، طبعة القاهرة 1950- 1954م

- ديوان بشار بن برد تحقيق بدر الدين العلوي، دار الثقافة 1963م بيروت
- ديوان جرير بن عطية، طبعة دار صادر 1972م
- ديوان جميل بثينة، تحقيق حسين نصار، طبعة دار مصر للطباعة بدون تاريخ
- ديوان حاتم الطائي، طبعة دار صادرودار بيروت للطباعة والنشر 1963م بيروت
- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات، طبعة معهد الدراسات الثقافية
- ديوان الحطيئة، شرح السكري طبعة دار صادر1967م بيروت
- ديوان خرنق، شرح لويس شيخو، طبعة اليسوعيين 1899م بيروت
- ديوان الخنساء، تحقيق أنور أبي سويلم
- ديوان دعبل الخزاعي، طبعة دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية 1972
- ديوان ديك الجن، تحقيق أحمد مطلوب، طبعة دار الثقافة بيروت
- ديوان ذي الرمة، شرح الباهلي، رواية ثعلب، تحقيق عبد القدوس، 1972م
- ديوان الشافعي، جمع محمد عفيف، طبعة دار النور، 1971م بيروت
- ديوان الصاحب بن عباد، الطبعة الأولى مطبعة المعارف، 1965م بغداد
- ديوان الصبابة لابن أبي حجلة، رسالة جامعية تحقيق مومن عبد الكريم
- ديوان صريع الغواني(مسلم بن الوليد)، تحقيق سامي الدهان، طبعة المعارف مصر
- ديوان صفي الدين الحلي، طبعة دار صادر
- ديوان طرفة بن العبد، طبعة دار صادر 1961م بيروت
- ديوان الطغرائي، تحقيق علي جواد ويحيى الجبوري، طبعة 1976م بيروت
- ديوان العبادي، تحقيق محمد جبار، طبعة بغداد 1965م
- ديوان عباس بن الأحنف، تحقيق عاتكة الخزرجي، مطبعة فضالة 1977م المحمدية
- ديوان عبدالله بن رواحة، تحقيق حسن محمد باجوده، مطبعة السنة المحمدية 1972م القاهرة
- ديوان عروة بن الورد، تحقيق عبد المعين الملوحي، طبعة وزارة الثقافة سوريا
- ديوان علي بن أبي طالب، جمع عبد العزيز الكرم، دار الكرم بيروت
- ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم، المجمع العلمي العربي 1949م دمشق
- ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق إبراهيم الأعرابي، طبعة 1952م بيروت
- ديوان الفرزدق، طبعة دار صادر 1960م بيروت

- ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق ناصر الدين الأسد، طبعة دار صادر 1967م بيروت
- ديوان قيس بن ذريح، تحقيق عبد الستار، طبعة دار صادر
- ديوان كثير، تحقيق إحسان عباس، طبعة دار الثقافة بيروت
- ديوان كشاجم، أبي الفتح، تحقيق د. النبوي عبد الواحد شعلان، الطبعة الأولى مكتبة الخانجي 1997م القاهرة
- ديوان المتنبي، تحقيق السقا وزميليه، مطبعة البابي 1936م مصر
- ديوان المعاني لأبي هلال العسكري طبعة القاهرة 1352هـ
- ديوان النابغة الجعدي، تحقيق العزيز رباح الطبعة الأولى 1964م
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، طبعة الجزائر 1976م
- ديوان الهذيليين، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، 1995م القاهرة
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام، تحقيق إحسان عباس، طبعة الدار العربية تونس
- ذيل الأمالي والنوادر، طبعة دار الكتب 1926م القاهرة
- ذيل الروضتين لأبي شامة، الطبعة الأولى 1947م
- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري، تحقيق سليم النعيمي
- رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، تحقيق عائشة عبد الرحمان دار المعارف القاهرة
- الروض الأنف للسهيلي طبعة 1914م مصر
- روض الرياحين في حكايات الصالحين لليافعي، مؤسسة عماد الدين قبرص
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن قيم الجوزية، تحقيق أحمد عبيد المكتبة العربية 1349هـ دمشق
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن قيم الجوزية طبعة دار الكتب العلمية 1977م بيروت
- رياض الصالحين للنووي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني
- الرياض النضرة في مناقب العشرة للطبري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية 1984م بيروت
- زهر الآداب وثمرة الألباب للحصري، الطبعة الأولى 1953م
- سراج الملوك للطرطوشي، الطبعة الأولى 1319هـ
- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم طبعة 1964م

- سكردان السلطان لابن أبي حجلة، الطبعة الثانية 1957م (ضمن كتاب المخلاة(
- سقط الزند لأبي العلاء المعري، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية 1945م
- سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب العلمي 1979م
- السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي، دار الكتب المصرية 1936م القاهرة
- سمط اللآلي في شرح الأمالي لابن عبيد الله البكري، تحقيق عبد العزيز الميمني، طبعة 1936م القاهرة
- سنن ابن ماجه، تحقيق فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية القاهرة
- السنن الكبرى للبيهقي، طبعة دار المعرفة بيروت
- سنن النسائي شرح السيوطي، طبعة دار الفكر 1978م بيروت
- سيرة ابن هشام تحقيق مصطفى السقا وزميليه، طبعة دار المعرفة بيروت
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب للحنبلي، طبعة بيروت لبنان
- شرح أشعار الهذليين للسكري، تحقيق أحمد فراج طبعة دار العروبة القاهرة
- شرح حماسة أبي تمام للأعلم الشنتمري، تحقيق علي المفضل، طبعة الفكر المعاصر 1992م بيروت
- شرح شواهد المغني لعبد الرحمان السيوطي، طبعة دار النهضة العربية 1966م دمشق
- شرح المقامات للشريشي، المطبعة الخيرية
- شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد، تحقيق الشيخ حسن تميم، مكتبة الحياة 1954م بيروت
- شعر الأحوص تحقيق عادل سليمان، طبعة 1970م القاهرة
- شعر الخوارج لأحسان عباس، طبعة دار الثقافة 1974م بيروت
- شعر زياد الأعجم، تحقيق يوسف حسين بكار، طبعة دار المسيرة 1983م
- شعر النابغة الجعدي، تحقيق عبد العزيز رباح، الطبعة الأولى 1964م
- الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق محمود محمد شاكر، دار التراث العربي 1977م القاهرة
- شعراء النصرانية لشيخو، الطبعة الثانية
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، تحقيق محمد أمين وآخرون، مكتبة الفرابي دمشق
- الشهب اللامعة لابن رضوان المالقي، تحقيق سامي النشار طبعة المعارف

- صبح الأعشى في كتابة الإنشا للقلقشندي، المؤسسة المصرية 1963م القاهرة
- صحيح البخاريالطبعة الأخيرة (مطبوعات علي مبيح وأولاده)
- صحيح مسلم، شرح النووي، الطبعة الأولى
- صفة الصفوة لابن الجوزيتحقيق محمد الفاخوري، طبعة دار المعرفة 1979م بيروت
- الصلة لابن بشكوال، تحقيق عز العطار، الطبعة الثانية1994م القاهرة
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي، طبعة بيروت لبنان
- الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد للأدفوني، طبعة عبد الرحمان علي قريط
- طبقات الشافعية لتاج الدين السبكي، طبعة 1324هـ مصر
- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكرمطبعة المدني 1974م القاهرة
- طبقات الفقهاء للشيرازي، تحقيق إحسان عباس، طبعة دار الرائد 1981م بيروت
- الطبقات الكبرى للشعراني، طبعة القاهرة 1936م
- الطبقات الكبرى للواقدي، طبعة دار صادر 1957م بيروت
- عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي
- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني، تحقيق فاروق سعد طبعة دار الآفاق الجديدة 1973م بيروت
- العرائس (قصص الأنبياء) للثعالبي، طبعة دار الفكر الطبعة الأولى 1991م
- العقد الفريد في اختصار الدر النضيد لعبد الباسط الدمشقي، الطبعة 1، 2004
- العقد الفريد لأحمد بن محمد ابن عبد ربه، تحقيق محمد قميحة، طبعة دار الكتب العلمية الثالثة 1987م بيروت
- عقلاء المجانين لابن حبيب، تحقيق عمر الأسعد، طبعة دار النفائس 1407هـ بيروت
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق، تحقيق محمد قرقزان، دار المعرفة 1988م بيروت
- عيون الأخبار لابن قتيبة، نسخة مصورة من طبعة دار الكتب المصرية
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، تحقيق نزر رضا، مكتبة الحياة 1965م بيروت
- العيون والحدائق في أخبار الحقائق لمؤلف مجهول، تحقيق عمر السعدي، المعهد الفرنسي

1972م دمشق
- غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة للصفدي، طبعة مصر 1290هـ
- الفتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، طبعة مكتبة الرياض الحديثة البطحاء
- فتوح البلدان للبلاذري تحقيق رضوان محمد، دار الكتب العلمية 1978م بيروت
- فصول التماثيل ... لابن المعتز تحقيق مكي السيد، دار الشؤون الثقافية1989م
- الفلاكة والمفلكون للدلجي، مطبعة الشعب، مصر 1322هـ
- الفهرست لابن النديم، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت
- فوات الوفيات للكتبي، تحقيق محيي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة مصر
- فوات الوفيات للكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت
- فيض القدير شرح الجامع الكبير للمناوي، طبعة مصر، 1356هـ
- قلائد العقيان للفتح بن خاقان، المطبعة الخديوية 1283هـ
- الكامل في الأدب للمبرد تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة1993م
- الكامل في التاريخ لابن الأثير، طبعة دار صادر 1965م بيروت
- كتاب الأشربة لابن قتيبة، طبعة دمشق 1947م
- كشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني، طبعة دار التراث 1352هـ
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، مكتبة المثنى
- الكشكول لبهاء الدين العاملي، مكتبة الحياة بيروت
- كناش النوادر، عبد السلام محمد هارون، طبعة الخانجي 1985م
- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للغزي، تحقيق جبرائيل جبور طبعة بيروت 1945م
- لسان العرب لابن منظور ترتيب يوسف خياط طبعة دار الجيل 1408هـ بيروت
- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني الطبعة الثانية 1971م بيروت
- اللمعة النورانية للبوني(مخطوط بالخزانة الوطنية بالرباط رقم: 2859د
- المجالسة وجواهر العلم للدينوري، طبعة دار ابن حزم 1419هـ
- مجاني الأدب في حدائق الأدب لشيخو، الطبعة الكاتوليكية

- مجمع الأمثال للميداني، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية 1955م القاهرة
- محاضرة الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب الأصبهاني دار مكتبة الحياة 1961م بيروت
- المخلاة لبهاء الدين العاملي، الطبعة الثانية 1954م
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لصفي الدين البغدادي، تحقيق محمد البخاري الطبعة الأولى 1955م
- مروج الذهب للمسعودي تصحيح شارل بلا 1974م
- المستطرف في كل فن مستظرف للإبشيهي تحقيق درويش الجويدي الطبعة الثانية 1997م بيروت
- مصارع العشاق لابن السراج، طبعة دار صادر 1958م بيروت
- المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية، تحقيق الأبياري، الطبعة الأولى 1954م
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، طبعة السعادة 1947م
- معجم الأدباء لياقوت الحموي، الطبعة الأخيرة
- معجم ألفاظ الحديث طبعة ليدن 1966م
- معجم ألفاظ القرآن طبعة إحياء التراث العربي بيروت
- معجم الشعراء للمرزباني تحقيق عبد الستار أحمد فراج طبعة عيسى الحلبي 1379هـ
- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لمر رضا كحالة، طبعة دار العلم للملايين 1388هـ
- المعجم الكبير للطبراني، طبعة دار عالم الكتب 1990م الرياض
- معجم ما استعجم ... لأبي عبيد البكري، طبعة مصر 1364هـ
- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، طبعة 1376هـ دمشق
- مفتاح السعادة ... لطاش كبري زاده، الطبعة الأولى 1405هـ بيروت
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الأولى 1970م بيروت
- مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية 1949م
- مقامات الحريري، طبعة دار بيروت ودار صادر للطباعة والنشر 1377هـ بيروت
- مقدمة ابن خلدون طبعة القاهرة 1966م
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي، الطبعة الثانية 1390هـ

- موارد الظمآن لدروس الزمان لعبد العزيز السلمان ط 30 سنة 1424هـ
- موسوعة أطراف الحديث لأبي هاجر محمد السعيد الطبعة الأولى عالم التراث 1989م بيروت
- الموطأ للإمام مالك تحقيق أحمد رات عرموش، دار النفائس 1971م بيروت
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق البجاوي، الطبعة الأولى دار إحياء الكتب العربية 1388هـ
- نثر الدرر في المحاضرات لمنصور بن الحسين الرازي، دار الكتب العلمية 2004م
- النجوم الزاهرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين الأتابكي، طبعة دار الكتب المصرية 1348هـ
- نزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي، تحقيق صلاح الدين المنجد، طبعة دار المكشوف 1958م بيروت
- نسب قريش للزبيري، تحقيق لفي بروفنسال، طبعة دار المعارف 1953م القاهرة
- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني للقادري، تحقيق أحمد التوفيق ومحمد حجي، مكتبة الطالب 1986م الرباط
- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب للمقري، طبعة دار صادر1968م بيروت
- نكت الهميان في نكت العميان للصفدي، المطبعة الجمالية 1911م
- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي، وكالة المعارف الجديدة استانبول 1951م
- الوافي بالوفيات للصفدي، طبعة 1962م
- الوزراء والكتاب لمحمد بن عبدوس، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، طبعة الحلبي 1938م القاهرة
- الوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني، تحقيق أبي الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، طبعة عيسى الحلبي 1966م القاهرة
- وفيات الأعيان لابن خلكان، طبعة دار صادر
- الولاة والقضاة لأبي عمر الكندي تحقيق حسين ناصر طبعة بيروت
- يتيمة الدهر للثعالبي، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، طبعة 1956م القاهرة

فهرس المحتويات

